تاريخ الإغريق

منذ فجر بزوغه

وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني

د. ابتهال عادل ابراهيم الطائي





تاريخ الإغريق

منذ فجر بزوغه

وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني

938

د. ابتهال عادل ابراهيم الطائي

تاريخ الإغريق- منذ فجر بزوغه وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني

عمان - دار الفكر ناشرون وموزعون 2014

ر.أ.: 1859/6/2013

الواصفات: تاريخ اليونان//الحضارة العربية//التاريخ

* أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

الطبعة الأولى، 2014 - 1435



www.daralfiker.com

المملكة الأردنية الهاشمية - عمّان

ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري

هاتف: 4621938 6 962+ فاكس: 4654761 6 962+

ص.ب: 183520 عمان 11118 الأردن

بريد الكتروني: info@daralfiker.com

بريد المبيعات: sales@daralfiker.com

ISBN: 978-9957-92-046-3

تاريخ الإغريق

منذ فجر بزوغه
وحتى نهاية عصر الاسكندر المقدوني

د. ابتهال عادل ابراهيم الطائي

الطبعة الأولى
1435-2014



مقدمة:

الحمد لله الذي سلم ميزان العدل إلى أكف ذوي الألباب وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين بالثواب والعقاب، وأرسل رسوله محمد (ﷺ) بالهدى ودين الحق وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ويسارعون بالخيرات.. أحمده حمد من يعلم أنه مسبب الأسباب واشهد بوحدانيته شهادة مخلص في نيته غير مرتاب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله وقد سدل الكفر على وجه الإيمان الحجاب فنسخ الظلم بنور الهدى وكشف النقاب وبين للناس ما أنزل إليهم. وبعد. وأوضح مشكلات الكتاب وتركهم على هذه الشاكلة وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد المحسن الناصح، الشفيق المسامح، منبع الصدق والصفاء، صاحب الرحمة والوفاء نبي الحكمة ورسول السلام والأمان وعلى آله الخيرين وأصحابه الأبرار الصالحين، والتابعين لهم بأحسان إلى يوم الحشر والحساب وسل تسليماً كثيراً...

فليس من شك أن حياة الفرد تتصل مع بعضها كل الاتصال، وأن الوجود الإنساني تاريخي في جوهره.. هكذا تقول الفلسفة المعاصرة، فماضي الإنسان يرتبط كل الارتباط بحاضرة ومستقبله ليس شيئا آخر غير امتداد لذلك الماضي... وكما أن الذاكرة هي التي تحفظ للوجود الفردي وحدته، وتجعل حياة الإنسان تبدو متماسكة ،ملتحمة الأسباب، فكذلك يمكن أن نعد التاريخ ذاكرة الشعوب والأمم التي تحفظ وحدتها وتختزن فيه ماضيها وأمجادها ومآثرها وآمالها في الحاضر والمستقبل فالأمة التي ليس لها تاريخ أشبه بالإنسان الذي فقد ذاكرته ولا يمكن لأي مؤرخ أن يتكهن بماهية الحقيقة التاريخية من غير أن يخضع النصوص التاريخية لحتمية النقد التاريخي وكل ذلك في ضوء مرجعية العقل، فقد جمع التاريخ التجربة الإنسانية بمختلف أنواعها ومفاهيمها فكان بذلك الإطار الذي ضم جميع الفكر البشري بنشاطاته المختلفة جميعها وحفظ هذا النشاط لتقديمه إلى الأجيال اللاحقة.

تختلف المجتمعات الحضارية في الزمان والمكان ولكل واحدة منها مظاهرها الحضارية التي تميزها عن غيرها، فالحيز المكاني هو الذي يتحكم في نوع النشاط الذي يمارسه الناس. أما الحيز الزماني فهو يعلب دوراً في درجة هذا النشاط، فالمجتمعات الإنسانية الأولى نلاحظ فيها تأثير المكان واضحاً على نشاط الإنسان حتى ليمكن معه القول بجبرية الطبيعة الجغرافية ولكن صراع الإنسان المستمر والدؤوب ضد هذه الجبرية العنيدة جعله يتغلب عليها أو يتكيف معها ويعدل من شروطها ويسخرها لصالحه.

يرتبط تاريخ وحضارة اليونان ارتباطاً وثيقاً بتاريخ وحضارة الشرق الأدنى، فاليونانيون قد أخذوا من مراكزالحضارات القديمة في كل من مصر وبلاد الرافدين المبادئ الأولى لكثير

من العلوم، فعلى سبيل المثال قد أخذوا من مصر أولى مبادئ الطب والتشريح، وأولى مبادئ فن النحت، كما أخذوا على سبيل المثال من بلاد وادي الرافدين مبادئ الرياضيات، وكذلك فن الشعر الملحمي، والأساطير، وأخذوا من الفينيقيين أيضًا طريقة صُنع الزجاج وتأسيس المُدن.كما أن الحضارة الإسلامية قد تأثرت في الحضارة اليونانية خصوصًا في العصر العباسي من خلال ترجمة الكتب اليونانية إلى العربية في شتى العلوم، وخصوصًا في مجال الفلسفة.فضلا عن ذلك فهو يعد أي تاريخ اليونان القديم من أهم مراحل التاريخ الإنساني وذلك للإسهامات الحضارية الخالدة التي أنتجها هذا التاريخ والتي مازلت حاضرة في ثقافتنا المعاصرة خاصة في مجال الفكر السياسي والفلسفة والأدب.

وقد اختلفت مكانة هذا التاريخ عن غيره من تواريخ الدول والامبراطوريات نظر لاتساع الرقعة الجغرافية التي ضمها التاريخ الإغريقي والتي ضمت مواطن اقدم الحضارات القديمة كانت الحضارة اليونانية من وجهة نظر المؤرخين الغربين الأساس التي قامت عليها الحضارة الإنسانية ولم تبقها حضارات أخرى، ولم تأخذ عن غيرها من مدنيات الأمم السابقة فهم بذلك المعلمون الأوائل لجميع الأمم والشعوب لكن وجهات النظر هذه سرعان ما تراجعت بسرعة مع تقدم الاكتشافات والتنقيبات الأثرية في مراكز الحضارات القديمة في الشرق القديم وحين تأكد للعلماء في نهاية المطاف أن الحضارة اليونانية اعتمدت على نحو كبير على خلاصة حضارات يزيد عمرها عن الثلاثة آلالف سنة. فيقول المؤرخ البريطاني ليونارد وولي:"لقد مضى الزمن الذي كانت ترجع فيه أصول جميع الفنون إلى بلاد الإغريق، أو ان حضارة الإغريق قد انبثقت كاملة النضج من دماغ زفس الآلبي* وذلك حسب ما كان يعتقده المؤرخون الغربيون.

فلقد صرنا نعرف الآن أن زهرة تلك العبقرية اجتذبت رحيقها من الليديين والحثيين ومن فينقية وكريت، ومن بابل ومصر،ولكن جذور تلك الزهرة تمتد إلى أبعد من ذلك إلى سومر أقدم كل هذه الأمم فتوالت دراسات الغربيين لمعالم الحضارات الشرقية القديمة،التي لها الفضل الكبير على الحضارة الإنسانية المعاصرة"فقد كان هذا الشرق القديم منبع للحضارة المادية والقيم الروحية والنظريات العلمية والمظاهر الفنية والنظم السياسية والقانونية. ولم يكن هذا فحسب ،بل أفاض بعطائه سائر الأمم القديمة ،دافعا بخطواتها الأولى نحو الحضارة والعمران. فحضارة اليونان لا تمثل تاريخ أوروبا القديم فحسب بل تمثل مرحلة مهمة من هذا بين الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية تستحق منا الدراسة والاهتمام. لهذا السبب

*يعد الآله زفس او زووس رب الارباب وأب البشر والآلهة والحاكم الاعلى للكون ومنظمهواسمه قد اشتق من كلمة معناها السماء وهو الذي ارسل الطوفان والغيث والبرق والرعدويجمع الرياح ويبعثها كيفما يشاء ومن سلطته اخذ الملوك قواهم للمزيد من التفاصيل ينظر:سامي سعيد الأحمد:الآله زووس مقدمة في دراسة الاعتقاد بزووس حتى اضمحلال روما ،بغداد-1970، ص 24-25وما بعدها

كان اختيارنا لهذه الحقبة التاريخية، فالمكتبة العربية لم تكن في يوم من الأيام غنية بالكتب المتعلقة بتاريخ الإغريق السياسي والتي تراوحت بين الدراسة الجادة والهامشية، وبين المترجم والمعدّ، وبين الدراسات الجزئية والشاملة، والحقيقة التي يجب أن تقال أن معظم الدراسات وخاصة المترجمة قد ساعدت على إلقاء الضوء على الحضارة الإغريقية.

جاءت هذه الدراسة في ثمانية فصول سبقها مدخل تاريخي عن بلاد اليونان مع الحديث عن الخلفية الجغرافية وتأثيرها في نشوء وتطور الحضارة في بلاد اليونان، فقد عالج الفصل الأول:الحضارة الإيجية: عصور الحضارة الإيجية مع التطرق إلى نظام الحكم والحياة السياسية علاقاتها الخارجية ونمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية. الحضارة الموكينية ومكتشفها والحديث عن هوميروس وملحمته(الإلياذة) وهجرة الإغريق وحركة الاستيطان اليوناني وأخيراً الغزوات الدورية.

في حين عالج الفصل الثاني: بلاد اليونان بين القرنين الثامن والرابع قبل الميلاد حيث تم الحديث عن نشوء المدن اليونانية بين مراحل التطور والتكتل ونشوء أثينا وأسبارطة وتنظيماتهما الداخلية وتحالفاتهما وأخيراً تناول الفصل جوانب من الحضارة الأغريقية في مجال النظم السياسية والأقتصادية (أنشاء البنوك والمصارف)؛ التربية والتعليم؛ الألعاب الأولمبية؛ الفلاسفة وأبرز عمالقة الفلسفة اليونانية وأخير الآداب اليونانية.

أما الفصل الثالث فقد خصص للحروب اليونانية – الفارسية وذكر الأسباب غير المباشرة للحروب (التوسع الفارسي) والأسباب المباشرة (ثورة المدن اليونانية) ومجريات الحروب ونتائجها كما عالج الفصل الحرب البيلوبونيزية بين أثينا وإسبارطة والمدن المتحالفة مع كل منهماوالتطرق إلى أسبابها ومجرياتها والتي آثرنا تقسيمها إلى الحرب الأولى: (-459 446 ق. م) الحرب الثانية (431-421 ق. م) الحرب الثالثة (402-404 ق. م) ومن ثم استعراض نتائج تلك الحرب وتأثيراتها على المحيط اليوناني.

وخصص الفصل الرابع للحديث عن الأوضاع السياسية العامة في الولايات العربية أبان السيطرة الإخمينية. في بلاد الرافدين- بلاد الشام- في بلاد وادي النيل وأسباب هذه الثورات ونتائجها وتأثيراتها على سقوط الدولة الأخمينية على يد الإسكندر المقدوني.

في حين جاء الفصل الخامس للحديث عن عصر الإسكندر المقدوني وبداية العصر الهلليستي فاستعرضنا تطورالأحوال العامة في الشرق الأدنى قبيل غزو الإسكندر المقدوني مع تبيان دوافع الحملات العسكرية للإسكندر المقدوني، طفولته، نشأته أفكاره شخصيته وشخصيته الإنسانية والسياسية، حروب الإسكندر المقدوني مع الفرس الإخمنيين، معركة كوكميلا الشهيرة والتي حاولنا التوقف عندها وإستعراض تفاصلها نظراًلأهميتها السياسية

والعسكرية والتي ترتيب عليها تغير ميزان القوى السياسية في الشرق الأدنى القديم لصالح المقدونيين ونهاية الإمبراطورية الأخمينية ثم تطور مجريات الأحداث السياسية وما أعقبها من موت الاسكندر المقدوني وتقسيم إمبراطوريته من قبل قواده العسكريين، وصية الاسكندر المقدوني ومجريات ما حدث في مؤتمر بابل.

وركز الفصل السادس على الحديث عن التاثيرات المتبادلة بين حضارتي الشرق والغرب طرائق انتقال وانتشار الحضارات: دراسة في الصلات التجارية والعسكرية وأخيراً دور الحضارات الوسيطة والصلات الثقافية، كما تطرق الفصل إلى التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب قبيل غزو الإسكندر المقدوني وبعده.

في حين جاء الفصل السابع لتسليط الضوء على شخصية عراقية قديمة كان لها دورها البارز في تعريفنا بماضي حضارة وادي الرافدين وادابها وعلومها بما كتبه مؤرخنا هذا في كتابه البابليات . واستطعنا ان نتعرف على هوية باحثنا وشخصيته ومؤلفاته والذين اخذوا واقتبسوا الشذرات الكثير من مؤلفه من المؤرخين الأغريق والتي ساهمت في معرفة اليونان بالعمق الحضاري للمنطقة العربية؛ ولو تسنت لنا فرصة الحصول على مؤلفه الكامل لصار بامكاننا ان نكون صورة واضحة وشاملة عن تاريخ وادي الرافدين من قبل مؤرخ محلي اتيحت له فرصة الاطلاع على المصادر الاصلية التي كتبت عن المنطقة أعتماداً على المصادر والتي كانت محفوظة في المعابد العراقية .

أما الفصل الثامن فقد عالج الكتابة والعوامل التي ساهمت في تطور ونضج الكتابة في بلاد اليونان فمما لاشك فيه أنه كان لأنظمة الكتابة في الشرق القديم والتي ظهرت في العراق ومصر وبلاد الشام أثرها الحافز في ذلك كما سيتناول التدوين التاريخي والعوامل التي ساعدت على ظهور البدايات الفعلية لعملية التدوين التاريخي في بلاد اليونان ؛فضلا عن استعراض مركز لتطور الفكر الجغرافي اليوناني وأنواع الجغرافية التي عرفوها وابرز علمائهم وخرائطهم في هذا المجال.

تبقى اليونان اكثر البلدان القديمة بقاءً في مخيلتنا، بأساطيرها وغنى تراثها الفني والأدبي، بروعة طبيعتها وجمال أشكالها وسموِّ فكرها، إضافة إلى ما قدمته للعالم من دروس ومُثل عليا ومآثر في الحكمة والبطولة وأنظمة الحكم، ناهيكم عن الحضارة الهلِّنستية.

إن موضوع اللمسات الأخيرة لأي جهد ومهما كان نوعه لا بد وأن يقف وراءه أصحاب فضل لا يمكن أن تنكر جهودهم ولا يمكن أن تنسى فضلهم وبالرغم من أن رد الفضل إلى أصحابه لا يمكن أن يعبر عنه بكلمات أو أسطر قد تكون قاصرة عن إعطاء صاحب الفضل حقه لكن هذه الكلمات ما هي إلا تعبير صادق عن الاعتراف بالجميل والرد بالفضل والشكر.

فمن باب العرفان بالجميل أتوجه بخالص شكري وتقديري إلى عائلتي الصغيرة والتي ساعدتني على إخراج هذا الكتاب وإلى زوجي الدكتور هشام سوادي هاشم عافاه الله وسهل عليه عمليته الجراحية والذي صحبني في رحلة البحث وقاسمني صنوف النصب والتعب ، فقد شجعني على تكوين رؤيتي المستقلة بتوجيهاته السديدة وإبداء ملاحظاته القيمة التي كان لها أثرها الواضح في تصويب المواضع التي أخطأت فيها أو أغفلتها بحثاً، سائلة الباري جلت قدرته أن يمن عليه بالصحة والشفاء العاجل؛ كما أن من الواجب التوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إصدار وإخراج هذه الدراسة ونحن في ذلك نهتدي بقول نبينا الكريم محمد ﷺ "من لم يشكر الناس لا يشكر الله ". فالشكر موصول إلى دار عالم الفكر لتبنيها طبع ونشر هذا العمل الأكاديمي والى الأخ الفاضل الدكتور أحمد إسماعيل الجبوري.

وأخيراً فإن البحث العلمي لا يعرف الكلمة الأخيرة إلا أني أقول لعلي بما قدمت في هذا المجال من جهد أكون قد وفقت فيما قدمت ما التوفيق إلا من عند الله عليه توكلت وإليه أنيب.

وفي ختام هذا البحث أستذكر قول العلامة العماد الأصفهاني حيث يقول : " أني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه ، إلا قال في غده ، لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ".

ومن الله السداد والتوفيق

د. ابتهال عادل ابراهيم

1

الفصل الأول

الحضارة الإيجية

الخلفية الجغرافية لبلاد اليونان:

الإنسان ابن بيئته ومحيطه (مجتمعه) وعلى هذا الأساس فقد اشترك في تكوين عقليته عدة عوامل منها الوراثة، البيئة الأسرية (البيت)، الدينية، الاجتماعية، السياسية وأخيرا البيئة الطبيعية. لم تلعب العوامل الجغرافية الدور الرئيس في بناء الحضارة اليونانية ،بل أن هذا الدور كان فاتحة لتاريخهم فقط بحيث نرى أن الإنسان اليوناني القديم في تلك العصور أراد أن يتخلص من حتمية الطبيعة في بلاده نظرا لأن بلاد اليونان أو شبه الجزيرة كانت تتميز بمميزات ثلاثة أنها بلاد ذات طبيعة جبلية قليلة الزراعة وقليلة الخصب فضلا عن كونها إقليم جاف ومحاطة ببحار صالحة للملاحة وهذا الشرط هو الشرط الرئيس الذي ساهم في بناء حضارة اليونان.

تقع بلاد اليونان في القسم الشرقي من السواحل الجنوبية لقارة أوربا وتحديداً في القسم الجنوبي من شبه جزيرة البلقان تحيطها البحار من ثلاث جهات (بحر إيجة من الشرق والبحر المتوسط من الجنوب والبحر الأدرياتيكي من الغرب)[1] ، أطلق اليونانيون على انفسهم اسم الهللينيين تيمناً باسم أحد أجدادهم الأسطوريين وأطلقوا على بلادهم اسم هيلاس وأطلق عليهم الرومان اسم إغريق نسبة إلى إحدى القبائل الهللينية التي هاجرت من شمال شبه الجزيرة اليونانية إلى جنوب إيطاليا واستقرت في أحد أجزاء مناطق وجزر الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبحر إيجة وخاصة في إقليم أيونية الذي يمثل الشاطئ الغربي من اسيا الصغرى والذي يعتقد بعض الباحثين العرب من اللغويين بأن العرب قد اشتقوا من تسميته كلمة يونان ويونانيين، وتأسيساً على ما سبق فإن كلمة يونان تدل على قسم كبير من البلاد التي أعطت الحضارة الإغريقية فإن لفظة إغريق أعم وأشمل من اللفظة السابقة عندما نود الإشارة إلى مجموعة الإغريق في كل مراكزهم الحضارية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه التسمية لا يقصد بها بلاد اليونان الحالية بل يقصد بها شبه جزيرة اليونان وجزر بحر إيجة وشواطئه ومستعمراته الممتدة من البحر الأسود في الشرق إلى صقلية وجنوب إيطاليا في الغرب فضلا عن بقاع وجزر موزعة على طول سواحل البحر المتوسط مع ذلك فإن شبه جزيرة اليونان تعد قلب بلاد هيلاس.[2]

وتقسم بلاد اليونان إلى قسمين شمالي وجنوبي ففي القسم الشمالي تمتد مقاطعة ابيروس على الساحل الغربي ومقاطعة تساليا في الوسط واتيكا على الساحل الشرقي. أما القسم الجنوبي الذي يطلق عليه اسم البيلوبونيز فيتألف من مقاطعة أركادية في الوسط ومقاطعة آخائية إلى الشمال منها ثم مقاطعتي اليس ومسينا على الساحل الغربي ومقاطعة أرغوليس على الساحل الشرقي. فضلا عن الجزر الكثيرة المحيطة بشبه جزيرة اليونان ومقاطعة الساحل الغربي من آسيا الصغرى (فريجية، ليكيا ليديا، قاريا) التي كانت أيضاً

مناطق يونانية. كذلك أسس اليونانيون فيما بعد مستعمرات لهم في جنوب إيطاليا وصقلية وشمال إفريقيا وإسبانيا على شواطئ البحر الأسود.[3]

وبلاد اليونان في معظمها بلاد جبلية وعرة تتخللها أودية ضيقة وسهول صغيرة مقفلة وليس لمائها اتصال بالبحر فغلبت على سطحه قلة الأراضي الصالحة للزراعة وقلة المراعي والغابات والمياه اللازمة للري فحالت دون قيام اتصالات سهلة بين أجزاء البلاد وشكلت هذه الجبال عوائق طبيعية، وتربتها من النوع الفقير وقليلة السمك مما أثر في إنتاجها للحبوب فالمحصول لا يسد ربع أو ثلث حاجات السكان وأكثر من هذا فقد كان أغلبه من الشعير. كما أنها لا تصلح لإنتاج كل أنواع المحاصيل. وقلة المراعي والغابات والمياه اللازمة للري وعلى نحو عام فإن الجفاف هو السمة الأساسية. وتنحصر الزراعة في المناطق السهلية الصغيرة على أن هذه السهول على صغرها ليست على جانب كبير من الخصوبة. فثلث مساحة اتيكا البالغ قدرها 630,000 فدان غير صالح للزراعة، والثلثان الباقيان قد أفقر تربتهما تقطيع الغابات ، وإنحباس الأمطار وسرعة اكتساح فيضانات الشتاء للطبقة الخصبة السطحية. ولم يكن الفلاحون في أتيكا يدخرون جهداً– يبذلونه هم أو أرقاؤهم– للتغلب على هذه الصعوبات، فكانوا يدخرون ما زاد من الماء على حاجتهم في خزانات ويقيمون الجسور حول المجاري المائية للسيطرة على فيضانها، ويجففون المستنقعات ويستصلحون أرضها، ويحفرون الآلاف من قنوات الري لتحمل إلى حقولهم الظمأى قطرات الماء من النهيرات، ولا يملّون من نقل النبات من بيئة إلى بيئة ليحسنوا نوعه ويزيدوا حجمه ، ويتركون الأرض بوراً مرة كل سنتين لتستعيد قدرتها على الإنتاج، ويجعلون التربة قلوية بإضافة بعض الأملاح إليها مثل كربونات الجير، ويسمدونها بواسطة نترات البوتاسيوم، والرماد، وفضلات الحيوانات والبشر. وكانت الحدائق والبساتين المحيطة بأثينا تستفيد أكبر الفائدة من مجاري المدينة التي كانت تصب كلها في مجرى كبير متصل بخزان عام خارج دبيلون، ثم ينتقل ماؤها من هذا الخزان في قناة مبنية بالآجر إلى وادي نهر سفسوس وكانوا يخلطون أنواعاً مختلفة من التربة بعضها ببعض ليفيد كل نوع منها الآخر، وكانوا يحرثون الأرض وبعض الخضر البقولية مزهرة فيها لكي تتغذى منها التربة ؛ وكانت الأعمال المتصلة بحرث الأرض وتمهيدها ، وبذر البذور أو غرس النبات، تجري كلها في فترة الخريف القصيرة، وكان موسم جني الحبوب يحل في شهر مايو (أيار)، وأما فصل الصيف الجاف فكان موسم الاستعداد والراحة. ومع هذه العناية كلها فإن أرض اتيكا لم تكن تنتج إلا 657,000 بشل من الحبوب في كل عام لا تكاد تكفي ربع سكانها؛ ولولا الطعام المستورد من الخارج لهلكت أثينا بركليس جوعاً؛ وكان هذا هو الذي دفعها إلى الاستعمار وأوجب عليها أن تنشئ لها أسطولاً قوياً تسيطر به على البحار جدير بالذكر هنا

الى أن النقل البحري أقل كلفة من النقل البري وبخاصة إذا اقتصر على أشهر الصيف الساكنة الريح ، وكان هذا النقل في العادة مقصوراً على تلك الشهور. وكانت أجور السفر قليلة، فكان في وسع الأسرة أن تنتقل من إيبرية إلى مصر وإلى البحر الأسود نظير درخمتين، ولكن السفن لم تكن تُعنى بنقل المسافرين لأنها صُنعت قبل كل شيء لنقل البضائع أو لشن الحرب او لهذا الغرض أو ذاك كما تقضي الضرورة. وكانت أهم القوى المحركة هي قوة الريح تملأ الشراع، ولكن العبيد كانوا يُسيِّرون السفن بالمجاديف إذا سكنت الريح أو هبت في عكس اتجاه السفن. وكانت أصغر سفن البحار التجارية يُسيِّرها ثلاثون مجدافاً، ومنها ما كان له خمسون. وانزل أهل كورنثا في البحر منذ عام 700 قبل الميلاد أولى السفن ذات الثلاثة الصفوف من المجاديف يعمل بها مائتان من الرجال. وقبل أن يستهل القرن الخامس كانت هذه السفن بمقدمها الطويل السامق قد بلغ وزنها 256 طناً، وبلغت حمولتها سبعة آلاف بشل من الحبوب، وأصبحت حديث جميع القاطنين على شواطئ البحر الأبيض المتوسط لأن سرعتها بلغت ثمانية أميال في الساعة [4].

وتقوم الثروة الغذائية على الكروم ولأشجار المثمرة وخاصة التين واللوز والغار وشجر الزيتون[5] قدرُجت جوانب التلال وأجريت لها المياه ، وكانت الحُمُر تشجع على قرض أغصان الكروم بأنيابها لتزيد بذلك ثمارها. وكانت أشجار الزيتون تغطي كثيراً من الأراضي في بلاد اليونان في أيام بركليز، ولكن الفضل في نقل أشجار الزيتون إلى هذه البلاد يعود إلى بيستراتوس و صولون. ذلك أن شجرة الزيتون لا تؤتي اكلها إلا بعد ستة عشر عاماً من زرعها ، ولا يكتمل نموها إلا بعد أربعين ؛ ولولا ما أمد بِهِ بيسستراتوس الزراع من إعانات لما نمت تلك الشجرة في أرض أتيكا. ولقد كان إتلاف بساتين الزيتون في حرب البلوبونيز من الأسباب التي أدت إلى اضمحلال أثينا. والزيتون ذو فوائد كثيرة لليوناني، فعصرته الاولى تمده بالزيت يأكله ، والثانية تمده بالزيت يدهن بهِ، والثالثة تعطيه زيتاً يضيء بهِ بيته؛ وما بقي منه بعدئذ يُتخذ وقوداً. وكان الزيتون أثمن غلات أتيكا في عصر بركليس، وقد بلغ من عظم شأنهِ أن احتكرت الدولة تصديره، وأن ابتاعت به وبالنبيذ ما كانت تضطر إلى استيراده من الحبوب. وكانت تُحرِّم تصدير التين تحريماً باتاً، لأن التين من أهم مصادر القوة والنشاط لأهل البلاد. وشجرة التين تنمو وتترعرع حتى في التربة الجدباء ، وجذورها الكثيرة الانتشار تمتص كل ما عساه أن يوجد في التربة من ماء، واوراقها القليلة الصغيرة لا تعرضها للتبخر الكثير. وفضلاً عن هذا فإن زارع شجر التين قد تعلم من بلاد الشرق سر إنضاج ثماره بالتلقيح؛ فكان يعلق أغصان شجرة التين البرية الذكر ، بين أغصان الشجرة الأنثى المزروعة، ويترك للحشرات نقل الطلع من الذكر إلى ثمار الأنثى فتزيد في الحجم والحلاوة. والقليل من

القمح والشعير والخضروات؛ ورغم زراعة الحبوب في بعض السهول فانها لا تكفي حاجة الاستهلاك المحلي مما دفع اليونانيين لاستيراد الحبوب أو الى استعمار مناطق صالحة لزراعته كما أن بلاد اليونان تنقصها المياه اللازمة للزراعة كل هذا كان له الأثر الكبير في عمل كثير من المواطنين كجنود مرتزقة. وهكذا كان الغذاء الرئيسي لليونان يتألف من الخبز والنبيذ والزيت والسمك المملح البقول الجبن التين المجفف . فهي بذلك تحتل مركزاً حيوياً في القارة الأوربية وقد ساعدها على ذلك كثرة الجزر المحيطة بها والتي شكلت ما يشبه الجسور التي ربطتها بالعالم القديم آنذاك[6].

أما الأحجار والمعادن فهي تكثر في بعض الجزر والمناطق المختلفة وأهمها الذهب في تراس(وادي سترامون) والعقيق والمرمر، الحديد في لاكونيا، الفضة في الأتيك، النحاس في قبرص وأوبي (منطقة شاليس)، فقد كانت مقادير الثروة هذه قد عوضت بلاد اليونان في أكثر من صورة عن موقفها الضعيف فيما يختص بالمحصول الزراعي ،وقد شجع هذا أثينا على أن تتقدم في مجال النحت والفن المعماري والثروة المعدنية في مناجم الفضة والتي ساعدت أثينا على مواجهة التحديات الاقتصادية.[7]

أما مناخ بلاد اليونان فكان يغلب عليه مناخ البحر المتوسط الذي يتصف بصيف حار جاف وشتاء معتدل ممطر وتتعاقب عليه الفصول بانتظام مع وجود بعض الفروق بين مناخ الساحل ومناخ السهول الداخلية ومناخ الجبال. كما أن موقع شبه الجزيرة هذه (والتي يبلغ طولها حوالي 400 كم وعرضها حوالي 300 كم) في نقطة متوسطة بين أوروبا وآسيا وأفريقيا وكونها قريبة من مواقع الحضارات الشرقية جعلها عرضة للتأثر مع بقية بلدان العالم القديم مناخ حار شديد وبرد قارص في الجبال . أما السهول اليونانية فتنعدم فيها السهول الفسيحة بل أن أغلب هذه السهول المحصورة بين الجبال هي سهول ضيقة لا تكاد تكفي لقيام زراعة منتظمة وهذا ما سهل على اليونانيين من أن يصبحوا إقليميين محصورين في إقليمهم وأن لا يكونوا فلاحين على الرغم من انهم اعتنوا اعتناء كبيراً في تنظيم البساتين وزراعة الأشجار ورعي الماشية. فالمناخ الذي يميل إلى الحرارة كان سببا في توجيه الحياة الاجتماعية إلى الأماكن المكشوفة فكان السوق هو المكان الذي اتخذوه لاجتماعاتهم السياسية وكان المسرح هو المكان الذي خلدوا فيه تراثهم الأدبي وكانت الألعاب الرياضية والأولمبية تمارس في أماكن مفتوحة [8]

لننظر إلى خريطة للعالم القديم ونطّلع فيها على جيران بلاد اليونان القديمة، ونعني ببلاد اليونان أو هيلاس جميع البلاد التي كان يسكنها في الزمن القديم شعوب تتكلم اللغة اليونانية.

ولنبدأ بالنظر إلى الأصقاع التي دخل منها إلى تلك البلاد كثير من الغزاة – فوق تلال إبيروس وعلى طول وديانها. وما من شك في أن أسلاف اليونان قد أقاموا في تلك الأماكن، لأنهم أنشأوا في ددونا مزاراً لزيوس إله السماء المرعد. ولقد ظل اليونانيون حتى القرن الخامس يتلقون الوحي في هذا المكان ويقرأون ما تريده الآلهة في غليان المراجل أو حفيف أوراق البلوط المقدسة. ويخترق نهر أكرون الجزء الجنوبي من إبيروس وسط أخاديد بلغت من الظلمة والعمق درجة جعلت شعراء اليونان يصفونها بأنها مدخل الجحيم أو أنها هي الجحيم نفسها. وكان معظم أهل إبيروس في أيام هوميروس يتكلمون اللغة اليونانية ويتبعون الأساليب اليونانية، ثم طغت عليهم موجات جديدة من المجموعات الرعوية من أهل الشمال وحالت بينهم وبين المدينة. وإلى شمال إبيروس على ساحل البحر الأدرياوي تقع إليريا، وكانت في الوقت الذي نتحدث عنه بلاداً قليلة السكان أهلها من الرعاة يبيعون الماشية والعبيد بملح الطعام[9].. وعلى الجانب الآخر من البحر الأدرياوي استولى اليونان على السواحل الجنوبية التي كانت تحت سيطرةالقبائل البربرية وأدخلوا الحضارة في إيطاليا، (وقد عادت تلك القبائل في آخر الأمر فاكتسحتهم، وابتلعت معهم بلادهم الأصلية وضمت بلادهم إلى امبراطورية لم يسبق لها مثيل في تاريخ العالم). وكان من وراء جبال الألب الغاليون، الذي أخلصوا الود فيما بعد لمساليا (مرسيليا)؛ وفي الطرف الغربي من البحر الأبيض تقع إسبانيا، وكانت قد تمدنت إلى حد ما على يد الفينيقيين والقرطاجيين حين أنشأ اليونان في عام 550 ق.م مستعمرتهم التجارية في إمبريوم (امبورياس). وكانت امبراطورية قرطاجة التي تقع على ساحل إفريقية أمام صقلية تتسلط عليها وتهددها، وقد اختط هذه المدينة ديدو والفينيقيون، وتقول الرواية أن ذلك كان في عام 813 ق.م ولم تكن وقت إنشائها قرية صغيرة بل كانت مدينة عامرة يبلغ سكانها 700,000 نسمة، تحتكر تجارة البحر وتمتلك الكثيرمن المناجم الغنية، ولديهاالكثير من المستعمرات في صقلية، وسردينية، وإسبانيا ويورد أحد المؤرخين الكلاسيكيين رقماً مبالغاً فيه حول عدد المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون على هذه السواحل وأن عددها وصل إلى (300) مدينة، ودخلوا في صراع أيضا مع القبائل الايتالية الذين حاولوا منع الفينيقين من التجارة مع صقلية وشواطئ إيطالية الجنوبية. وقد قدر لهذه الحاضرة ذات الثروة الطائلة أن تقود الكفاح ضد اليونان من ناحية الغرب، كما قدر لبلاد الفرس أن تقوده من ناحية الشرق. [10]

وإلى شرق هذه المدينة على ساحل إفريقية كانت تقع مدينة قورينة اليونانية، وفي جنوبها بلاد اللوبيين المجهولة، وإلى شرقها مصر. وكان معظم اليونان يعتقدون ان عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر. وكان معظم اليونان يعتقدون أن عناصر كثيرة من حضارتهم قد جاءتهم من مصر فقد أفاد اليونانيون من الحضارة المصرية القديمة (الفرعونية) في ميادين

كثيرة منها: الرياضيات والهندسة. وتؤكد وثائق البردي، التي تعود في أصولها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، تفوق المصريين القدماء في هذين العلمين، ولاسيما أن بناء الأهرام كان يتطلب دقة في القياس لا يمكن الوصول إليها من دون معرفة واسعة بالهندسة والعلوم الرياضية. كما تطلبت عمليات مسح الأراضي، بعد فيضان النيل وانخفاضه، إجراء عمليات حسابية واسعة ودقيقة. ولقد أشار أرسطو إلى نشأة الرياضيات العملية في مصر،كان علماء اليونان أمثال هيرودتس[12] وبلوتارخ[13] يرون أن العقيدة الأرفية القائلة بأن الخلق يحاسبون بعد موتهم على ما قدموا من خير وشر في حياتهم، وأن الاحتفالات التي كانت تقام لبعث دمترو وبرسفوني في إليوسيس، مأخوذة كلها عن عبادة إيزيس وأوزريس المصريين. ومن الثابت أيضًا أن اليونانيين قد تأثروا بعقائد المصريين وطقوسهم الدينية تأثرًا بالغًا. فقد حظيت آلهة المصريين باحترام اليونانيين، بل اعتبر هيرودوتس أن أصل معظم أسماء الآلهة اليونانية إنما جاء من مصر، فآمون المصري هو زيوس (كبير آلهة اليونان)، وإيزيس المصرية هي ديميتر اليونانية، وأوزيريس المصري هو ديونيوس اليوناني... إلخ. وتحتوي الجزر اليونانية على معابد ونقوش مخصصة لإيزيس وغيرها من الآلهة المصرية. كما بين هيرودوتس أن كثيراً من طقوس اليونان الدينية ذات أصول مصرية مثل عادة النوم في المعبد، اعتقادًا منهم أن الذي ينام في المعبد يعتبر ضيفًا في العالم الآخر ورفيقاً للموتى، وأحلامه في المعبد لها قيمة خاصة. كما تأثر اليونانيون بدعوة إخناتون (1350 ق. م.) الذي دعا إلى إله واحد وتعد ثورته الدينية أول ثورة توحيدية في العالم القديم. وظل للآلهة المصرية مكانة كبيرة في بلاد اليونان على امتداد قرون طويلة، حتى أنه عندما احتل الاسكندر المقدوني مصر عام 332 ق. م، نُصِّبَ فرعوناً حسب الطقوس الدينية المصرية، كما ارتحل بنفسه إلى قلب الصحراء الغربية لزيارة معبد الإله آمون، الذي كان قد ذاع صيته وانتشرت عبادته في العالم اليوناني، وأن روكوس وثيودورس الساموسيين قد عرفا فيها فن صب الآنية المجوفة البرونزية، وفي مصر ازداد مهارة في صناعة الفخار والنسيج وطرق المعادن والحفر على العاج. وعن المصريين والآشوريين والفينيقيين والحثيين أخذ المثالون اليونان طراز تماثيلهم الأولى – وجوهها المستوية، وعيونها المائلة، وأيديها المقبوضة، وأطرافها المعتدلة المتصلبة. وقد وجد مهندسو اليونان بعض إلهامهم الفني، الذي أوحى إليهم بالعمد المحززة وبالطراز الدوري، في عمد سقارة، وبني حسن، كما وجدوا بعضه الآخر في بقايا ميسيني اليونانية وأكد هيرودوتس انتقال علم الهندسة من مصر إلى بلاد اليونان. وكشفت المراجع أن فيثاغورس عاد من مصر إلى بلاده وهو يحمل معه مبادئ علم الهندسة. كما أفاد اليونانيون من علوم المصريين القدماء وخبراتهم في ميدان الطب والتشريح، فقد تحدث هيرودوتس عن براعة المصريين وتقدمهم في

هذا الميدان، وتؤكد وثائق البردي الطبية، التي تعود إلى العصر الفرعوني المبكر، هذه الحقائق كلها .. ولم يقف تأثر اليونانيين بالحضارة المصرية القديمة عند الميادين السابقة بل امتد إلى ميدان الأدب والأساطير، حيث تسرب، بصفة خاصة، الأدب الأسطوري المصري إلى ثقافة اليونان، مثل أسطورة أوزيريس المصرية، التي تعد رمزاً لعلاقات الإنسان بالطبيعة والآلهة. وتعزو قصصهم نشأة كثير من المدن اليونانية إلى رجال من أمثال كدموس ودانوس جاءوا من مصر أو نقلوا الحضارة المصرية إلى بلاد اليونان عن طريق فينيقية وكريت[11].

وقد انتعشت التجارة المصرية وبعث الفن المصري من جديد في عهد الملوك الساويين (663-525ق.م)، وفتحت الثغور الواقعة على نهر النيل لتستقبل التجارة اليونانية لأول مرة في التاريخ. وزار مصر كثيرون من علماء اليونان المشهورين – أمثال طاليس، وفيثاغورس، وصولون، وأفلاطون، ودمقريطس، فأعجبوا أشد إعجاب بعظم حضارتها وقدمها؛ ولم يجدوا فيها برابرة همجاً كالذين كانوا يجدونهم في الأقطار الأخرى، بل وجدوا فيها أقواماً كانت لهم حضارة ناضجة، وفنون راقية، قبل سقوط طروادة بألفي عام وكان مما قاله أحد الكهنة المصريين لصولون: "إنكم أيها اليونان لا تزالون أطفالاً، ثرثارين، مغرورين لا تعرفون شيئاً عن الماضي" ولما أخذ هكتيوس (هيكاتا) الميليتي* يتباها على الكهنة المصريين ويقول لهم إن في وسعه أن يذكر لهم سلسلة نسبه التي تنتهي بعد خمسة عشر جيلاً إلى أحد الآلهة، أطلعوه في معابدهم على345 تمثالاً لكبار الكهنة كل منهم ابن الذي قبله ويتكون مجموعهم من 345 جيلاً تبدأ من العهد الذي كان فيه الآلهة يحكمون الأرض.

وأفادت الحضارة اليونانية من الحضارة السورية القديمة فائدة مزدوجة ، التي ازدهرت في الألف الثالث قبل الميلاد، فائدة مزدوجة، فقد أفادت من إنجازات هذه الحضارة وإبداعات أهلها المادية منها والفكرية من ناحية ففي بلاد اليونان لا يزيد إثر الفنقيين عليه إلا أثر مصر نفسها، ومما نقله التجار الفينيقيون (الكنعانيون) من متاجر وأفكار بلدان الشرقيين الأدنى والأقصى إلى بلاد اليونان من ناحية أخرى. والواقع أن أعظم هدية قدمها الفينيقيون للحضارة الإنسانية كانت اختراع الحروف الأبجدية منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد، وقد اقتبس اليونانيون هذه الأبجدية الفينيقية منذ أواخر القرن العاشر قبل الميلاد تقريباً. وقد أكد هذه الحقيقة المؤرخون اليونان أنفسهم، فهذا هيرودوتس يقول إن الفينيقيين علموا اليونانيين كثيراً من العلوم والمعارف وفي مقدمتها الحروف الأبجدية التي لم يكن هؤلاء على علم بها. ومن خلال اليونانيين والفينيقيين دخلت هذه الحروف إلى إيطاليا ثم إلى الغرب الأوربي عامة. فقد أخذ الرومان من اليونانيين كثيراً من العناصر الحضارية وكان من أهمها الأبجدية الفينيقية. وقد أظهر اليونانيون براعة في تطوير هذه الأبجدية بحيث تلائم خصائص لغتهم،

حيث أضافوا إليها الحروف الصوتية وأخذوا يكتبونها من اليسار إلى اليمين بعكس الفينيقيين. ولاشك في أن «الألف بتاء الأوربية هي أثر باق من الدين العظيم المدين به» لا اليونانيون فقط بل الغرب الأوربي كله للفينيقيين.أما ما نقله التجار الفينيقيون إلى العالم اليوناني من سلع ومتاجر، وما تحمله في ثناياها من ثقافات وفنون وصناعات، فهي لا تعد ولا تحصى. فقد نقلوا صناعات سورية ومصرية ورافدية، هذا فضلاً عن سلع الشرق الأقصى؛ ونذكر منها على سبيل المثال: القمح وورق البردي والعطور من مصر، والمجوهرات والمصنوعات النسجية والمعدنية والزجاجية والعاجية والصباغة الأرجوانية من سورية وبلاد الرافدين، هذا بالإضافة إلى الحرير والتوابل والأحجار الكريمة القادمة من الصين والهند. ولم يكتفي اليونانيين بشراء المصنوعات الشرقية التي كان ينقلها هؤلاء الفينيقيون بل أخذوا يقلدونها ويتعلمون على أيدي الصناع الفينيقيين كثيرا من فنونها، حتى شاع بين اليونانيين أنفسهم فن الزخرفة والتزويق الشرقي. فقد كان تجار صور وصيدا المغامرون وسيلة طوافة لنقل الثقافة، ونشروا في جميع أقاليم البحر الأبيض المتوسط علوم مصر والشرق الأدنى، وصناعاتهما، وفنونهما، وطقوسهما الدينية. ولقد تفوق الفينيقيون على اليونان في صنع السفن ولعل اليونان قد أخذوا هذه الصناعة عنهم**؛ وعلموهم كذلك أساليب في طرق المعادن، والنسيج والصباغة خيراً من أساليبهم، وقد اشتركوا مع كريت وآسية الصغرى في نقل الصورة السامية للحروف الهجائية إلى بلاد اليونان بعد نمائها وتطورها في مصر واليونان وسوريا. وأخذت بلاد اليونان عن بابل نظام موازينها ومكاييلها وساعتها المائية ومزولتها، ووحدات العملة المتداولة فيها، وهي الأبول، والمينا، والتالنت (الوزنة)، وقواعد علم الفلك، وآلاته، وسجلاته، وحسابه، ونظامها الستيني الذي يقضي بتقسيم السنة والدائرة والزوايا الأربع القائمة التي تتقابل في مركزها إلى360 جزءاً، وتقسيم كل درجة إلى 60 دقيقة وكل دقيقة من هذه الستين إلى60 ثانية؛ ولعل معرفة طاليس بعلم الفلك عند المصريين والبابليين هي التي مكنته أن يتنبأ بكسوف الشمس، ولعل هزيود قد أخذ عن بابل فكرته القائلة أن الفوضى والعماء أصل الأشياء جميعها؛ وأن قصة إشتار وتموز تشبه قصتي أفروديتي وأدنيس ودمتري وبرسفوني شبهاً يدعو إلى الظن بأن الأولى هي الأصل الذي أخذت عنه القصتان الأخيرتان.(14)

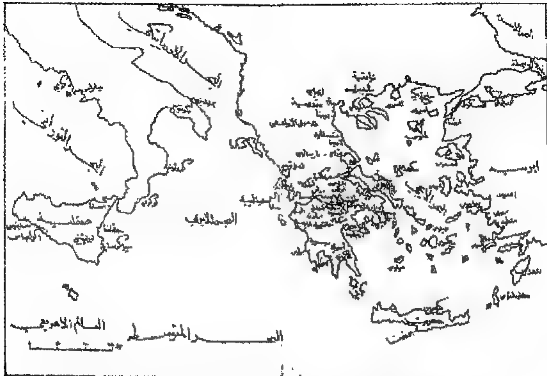
وكان بالقرب من الطرف الشرقي للمحيط التجاري الذي يضم أجزاء العالم القديم كله آخر أعداء اليونان ونعني بهم الفرس. ولقد كانت حضارة بلادهم من بعض نواحيها – وإن كانت نواحي قليلة – أرقى من حضارة بلاد اليونان المعاصرة لها. فلقد أخرجت إلى العالم طرازاً من الرجل المهذب أرق وأظرف من الرجل اليوناني في كل ناحية من النواحي عدا حدة الذهن والتعليم، كما انشأت نظاماً للإدارة الإمبراطورية يفوق بلا جدال ذلك النظام الذي كانت تتزعمه

أثينة وإسبارطة، ولم يكن ينقصه إلا حرص اليونان على الحرية. ولقد أخذ الأيونيون عن آشور قدراً من المهارة في صنع تماثيل الحيوان، كما أخذوا عنهم في صناعة النحت المبكرة ميلهم إلى ضخامة التماثيل واستواء ما عليها من الملبس، وأساليب زينة الطنف والقوالب، وطراز النقش البارز في بعض الأحيان، كما نشاهد ذلك في لوحة أرستيون الجميلة. وكانت لليديا علاقات وثيقة بأيونيا، وكانت سرديس عاصمتها الزاهرة بمثابة البيت التجاري الذي تصفى به المتاجر والأفكار المتبادلة بين بلاد الرافدين والمدن اليونانية المنتشرة على الساحل. وقد اقتضت الأعمال التجارية الواسعة قيام المصارف، واضطرت الحكومة الليدية إلى إصدار عملة مضمونة من الدولة في عام 680 ق.م وسرعان ما حاكى اليونان هذا العمل الجليل ذا الفائدة الكبرى للتجارة، وأدخلوا عليه ضروب الإصلاح والتحسين، وكان له من الآثار التي لا تقل في خطرها وسعتها من استخدام الحروف الهجائية. وكان أثر فريجيا في بلاد اليونان اقدم من هذه الآثار السابقة وأدل على حذق الفريجيين. فقد دخلت الإلهة سيبيلي إلى معبودات اليونان، وأضحت موسيقى الناي وما يصحبها من طقوس وعبر هي الموسيقى المتميزة لمضيق الهلسبنت من فريجيا إلى تراقيا، واستخدمت في طقوس ديونيسس. وكان إله الخمر اهم ما أهدته تراقية إلى بلاد اليونان، ولكن مدينة تراقيا المتاغرقة ارادت أن تعوض بلاد اليونان عما أصابها بهذه الهدية فأهدت إليها ثلاثة من فلاسفتها هم ليوسبس ودمقريطس، وبروتجراس. وتراقية هي التي انتقلت منها طقوس ربات الشعر إلى بلاد اليونان، ولقد كان واضعو فن الموسيقى اليونانية – أرفيوس، وموسايوس وثاميرس – مغنين وشعراء من تراقيين.[15]

وننتقل بعدئذ من تراقيا نحو الجنوب إلى مقدونية، وبذلك نكون قد أتممنا دراسة كل ما يحيط ببلاد اليونان من حضارات. ومقدونية بلاد جميلة المناظر الطبيعية، كانت أرضها في الزمن القديم غنية بالمعادن، وسهولها الخصبة تنتج الفاكهة والمحاصيل المختلفة، وجبالها تنشئ أقواماً صلاباً قدر لهم فيما بعد أن يفتحوا بلاد اليونان، وكان سكان الجبال والفلاحون من أهلها من عناصر مختلفة، أهمها الإليريون والتراقيون، وربما كانت لهم صلات في الدم بالدوريين الذي فتحوا جزر البلوبونيز. وكان حكامها الأشراف يدعون انهم من نسل اليونان (ومن أبناء هرقل نفسه) ، وكانوا يتكلمون لهجة يونانية. وكانت عاصمتهم الأولى إدسا تقع فوق هضبة واسعة بين السهول الممتدة إلى إبيروس وسلاسل الجبال التي تصل إلى بحر إيجة. وكان إلى الشرق. منها مدينة بلا التي أضحت فيما بعد عاصمة فيليب والإسكندر؛وبالقرب من البحر مدينة بدنا، التي هزم فيها الرومان المقدونيين الفاتحين وكسبوا بعد هذه الهزيمة حق نقل حضارة اليونان إلى العالم الغربي.[16]

تلك إذن هي البيئة التي كانت تحيط ببلاد اليونان: حضارات كحضارة مصر وكريت وبلاد

الرافدين أهدت إليها العناصر الفنية في الصناعة، والعلوم، والفن، فاستحالت على أيدي اليونان إلى أزهى صورة في التاريخ؛ وامبراطوريات كبلاد فارس وقرطاجة تؤثر فيها منافسة التجارة اليونانية، وينضم بعضها إلى بعض لمحاربة اليونان وجعلها ولاية خاضعة لسلطانهم غير قادرة على أذاهم: وإلى الشمال جموع حربية النزعة، تتكاثر من غير تفكير في العواقب، وتتنقل في قلق واضطراب، وتعبر بعد زمن قد يقصر وقد يطول الحواجز الجبلية القائمة بينها وبين بلاد اليونان، وتفعل بها ما فعله الدوريون من قبل فتمزق. ما سماه شيشرون[17] الإطار اليوناني الموشى به الثوب الهمجي، وتدمر حضارة لا تفقه لها معنى. وقلما كانت هذه الأمم المحيطة ببلاد اليونان تعنى بما كان يعده اليونان جوهر الحياة وأغلى ما فيها، ألا وهو الحرية – حرية الحياة والتفكير، والقول والعمل. وكان كل شعب من هذه الشعوب، عدا الفينيقيين، يرزح تحت حكم الطغاة المستبدين، ويسلم أرواح بنيه إلى الخرافات والأوهام، ولا يعرف إلا القليل من بواعث الحرية أو الحياة العقلية. وهذا هو السبب الذي حدا باليونان إلى أن يطلقوا عليهم بلا تمييز بينهم اسم البَرْبَرُوي أي الهمج؛ فالهمجي في اعتقادهم هو الذي يرضى بالاعتقاد من غير تفكير، والذي يعيش مسلوب الحرية. ثم تتنازع الفكرتان – صوفية الشرق وعقلية الغرب – آخر الأمر جسم بلاد اليونان وروحها، فتنتصر العقلية في عهد بركليس، كما انتصرت في عهد قيصر، وليو العاشر، وفردريك؛ ولكن الصوفية كانت تعود على الدوام وتبادل النصر بين هاتين الفلسفتين المكملة كلتاهما للأخرى هو الذي تتكون منه أهم المراحل في قصة الحضارة الغربية.



جغرافية بلاد اليونان والعالم المحيط بها نقلا عن مفيد رائف العابد

أثر الخلفية الجغرافية في نشؤ وتطور الحضارية في بلاد اليونان:

كان للظروف الجغرافية تأثيرها الكبير في حياة الأثينيين سواء اتخذت مظهر السياسة الخارجية أو الإنتاج الفني أو التنظيم الدستوري. وكنتيجة حتمية لوعرة التضاريس وطبيعتها الجغرافية المشتملة على مجموعة كبيرة من الجزر المنتشرة في البحر المتوسط وطول سواحلها وكثرة تعاريجها وخلجانها وصلاحية موانيها ومرافئها، فرضت عليها هذا الواقع الاجتماعي والسياسي المبني على استقلالية ناجمة عن الاكتفاء الذاتي لعدد من تلك المجموعات التي شكّلت كل منها دولة المدينة.

إلا أن ما كان يجمع هذه المدن – الدول هو اللغة، الدين، والألعاب الأولبية، وأشهر مدن هذه البلاد كانت: أثينا – إسبارطة – طيبة – كورنثيا.

واليونانيون شعب بحري، رجال أعمال، وتجار، ومستعمرون أقاموا ثغوراً على الشاطئ الآسيوي لبحر إيجة مما أدى إلى ظهور دويلات حول المدن الكبرى المهمة وأصبح على كل مدينة أن تعتمد على نفسها من الناحية السياسية والاقتصادية كما تنافست هذه المدن مع بعضها وتباينت مصالحها وتضاربت أهدافها[18]

وقد أدت طبيعة البلاد الجبلية إلى اتجاه أهلها إلى البحركوسيلة للاتصال وللتجارة وقد ارتبطت بعاملين رئيسين يمثلان الأساس في قيام الحركة التجارية وازدهارها وقد لعب هذا الدور التجاري كوسيط بين الأمم والحضارات وهذا ما امتازت به الحضارات التي نشأت في بلاد الشام ويمكن تحديد هذين العاملين بـــ:

1- الموقع الجغرافي المتميز.

2- وجود طرق برية وبحرية تجارية مع وجود قوة أمنية تستطيع توفير الأمن والأمان وتضمن وصول البضائع التجارية المختلفة وسير القوافل وعدم وجود قيود جمركية على حركة البضائع التجارية الداخلة والخارجة.

وغالباً ما ينعكس هذا العامل الاقتصادي سلباً أو إيجاباً على النواحي السياسية لمثل هذه الكيانات فكان نجاح الدولة في المحافظة على طرق التجارة يعني قوتها واستمرارها قوة ضاربة قادرة على مواجهة التحديات داخلياً وخارجياً وعلى العكس تماماً فقدان سيطرتها على الطرق أو تحول الطرق التجارية إلى أماكن ومراكز مدن أخرى كان يعني انتهاء دورها السياسي والاقتصادي وبالتالي سقوطها. إذ كان من السهل أن يركب الإغريقي البحر على أن يتحمل مشقة اجتياز المرتفعات ومن ثم فقد كانت حضارة الإغريق حضارة بحرية تجارية، وكان الأسطول وخاصة أسطول مدينة أثينا معلماً من معالم الحضارة الإغريقية، ولقد سهل ركوب البحر وجودالخلجان والجزر وأشباه الجزر المنتشرة بالسواحل الإغريقية وحاول أهلها

السفر إلى جهات متعددة وهاجروا إليها واستوطنوها أو عادوا منها بأصول وأفكار من حضارات وقد أدى كل ذلك إلى أن يألف الإغريق ركوب البحر وأن يغامروا به وسهل عليهم احتكار التجارة البحرية ومنافسة الفنقيين والذين احتكروا هذا النوع من النشاط في البحر المتوسط شرقه وغربه لفترة طويلة من الزمن وقد ترتب على ذلك أن ينفتح الإغريق على الحضارات الشرقية وأن يستفيدوا من هذه الحضارات قدر حاجتهم واستيعابهم إليها.. فقد كان البحر هو الشيء المهم في حياتهم حيث قدم لهم الشيء الكثير من خلال تجوالهم وتجاراتهم بحيث عد هذا البحر المنفذ المباشر لليونانيين حيث كانوا مدينين له بكل ما يملكون لذلك بدأوا بالاستيطان على سواحله يطلبون منه الأسماك والأصداف ويستخدمونه للمواصلات والتجارة حيث إن اليونانيين لم يتمتعوا برفاهية العيش بل كانوا دائماً مضطرين لأن يؤمنوا أسباب حياتهم يوماً بعد يوم وكان ذلك سببا من أسباب هجراتهم على نطاق واسع من دوريين ولآخيين وأيونيين منذ بداية القرن الثاني عشر سعيا وراء الرزق والاستيطان على الساحل الغربي لآسيا الصغرى لقد زودتنا المنحوتات الجدارية التي عثر عليها في خرسباد ردور –شروكين" عاصمة الملك سرجون الأشوري بنماذج لأشكال هذه السفن وهي محملة بأعداد كبيرة من الخشب . وهذا النوع من السفن كانت أشكالها مستديرة وكبيرة الحجم وطرافاها في المقدمة والمؤخرة مرفوعانا . وينتهي طرف المقدمة إما على شكل حصان أو ما يشبه عنق ورأس طير. وفي متحف برلين يوجد في مقدمة سفينة مصرية شكل غزال وعلى هذا الأساس يكون رسم أطراف مقدمة السفن على شكل رؤوس حيوانية عرفاً سائداً ومعروفاً في بناء السفن البحرية القديمة: كانت السفن التجارية في أول الأمر شراعية ثم تقدمت صناعتها عندما بدأت تتوغل في أعماق البحار والمحيطات فزودت بالمجاذيف التي تستعين بها عند الدخول الى الموانئ أو الخروج منها في حالة سكون الرياح، فكان المحرك لهذه السفن صف واحد من المجاذيف ويمكن تشبيهها بسفن مستعملة حالياً في موانئ سوريا تعرف باسم الماعون ويشترط في هذا النوع من السفن سعتها الكبيرة لحمل الكثير من البضائع والسلع بغض النظر عن عامل السرعة.

وأقدم مثال لهذا النوع من السفن نجده منقوشاً على جدران قبور أحد ملوك الأسرة الثامنة عشر في طيبة يعود تاريخه الى حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد وكان هذا الرسم يمثل سفينة مستديرة طرفها في المقدمة والمؤخرة مرفوعاً ارتفاعاً عمودياً ، وفي المقدمة يقف بحار يمسك بيده عصا طويلة يتحسس بها الأعماق وعلى سطح هذه السفينة مجهزة بصاري مركزي مدعليه شراع مربع . وهناك رسم آخر لسفينة تجارية عثر عليه الأثاريون 1914م مرسوماً على أحد التوابيت في مدينة صيدا . وكان الرسم عبارة عن جسم سفينة

مستديرة مؤخرتها مرتفعة على شكل رقبة طير الجبع ومقدمتها تنتهي بسقيفة حارس ولها قلع كبير مربع محمول على صاري مركزي تدفع بواسطة السفينة وفي المقدمة صاري صغير به قلع يستعان به على الدفة وتوجه السفينة من مكان على سطح السفينة. وقد شرح الاستاذ س. بيكارد picard عنصراً زخرفياً يوجد مرسوماً فوق الامواج البحرية التي تحمل السفينة ويتألف هذا العنصر من دوفان (ذات عصا) ملتفاً حول عضادات ذات ثلاث شعب في طرفها ويعد هذا العنصر نوعاً من العلامات الخاصة بالتجار البحريين الذين يخرجون من الساحل السوري قاصدين إيطاليا .اما بالنسبة الى النوع الثاني ونقصد بذلك السفن الحربية فقد كانت مستطيلة الشكل ولها مؤخرة مرتفعة ومقدمة تكون في مستوى الماء مجهزة بكتلة حديدية في شكل سكة المحراث يطلق عليها اسم رأس الكبش (Ram)تستعمل لتحطيم سفن الأعداء او قلبها في الماء أثناء الاصطدام بها . فضلاً عن ذلك فقد تميزت بخفة وسرعة الحركة في جميع الجهات اثناء المناورات مع الأعداء وهي تعتمد في سيرها على المجاديف بدلاً من الأشرعة التي تستعملها السفن التجارية وقد كانت في أول الأمر تعتمد على صفين من المجاذيف ينتظم واحد فوق الآخر، ثم تطورت صناعتها فيما بعد فاصبحت ثلاثة صفوف وأربعة حتى التسع صفوف أحياناً. وعلى سطح هذه السفن حاجز يجلس فيه الأسرى من الرجال والنساء ولها في مركزها صار بقلاع أفقية. وهناك نوع اخر أيضاً من السفن الحربية تكون مؤخرتها ومقدمتها مرتفعات على حد سواء تسير بالمجاذيف فقط وقد كانت هذه السفن مخصصة لنقل الحربي . وفي كلا هذين النوعين من السفن يضع الجند تروسهم في صف متصل لأجل الاستزادة من قوة الدفاع في السفينة وتصور الدفة على شكل مجذافين عريضين في مؤخرة السفينة أحدهما الى اليمين والآخر الى اليسار وكثيراً ما ترسم على النقود الفينيقية صور سفن قريبة الشبه الى حد بعيد بصورة هذه السفن الموجودة في منحوتات قصر الملك سنحاريب.اما بالنسبة الى السفن الخمسينية مجداف فقد أستخدمها القرطاجين اثناء الحرب البونية الأولى فقد استطاع الرومان أسر نموذج من هذه السفن لبناء أسطولهم الجديدحيث يقال أن الرومان قلدوا صناعة سفينة قرطاجية قد نبذت قرب سواحلهم وبنوا على شاكلتها 130سفينة في ستين يوم. ولمعرفة الرومان انهم لايضارعون أعداءهم القرطاجين في الملاحة فقد ابتكروا جهازا عبارة عن لودح خشبي ذو كلابة (كوبري متحرك)ليمكنهم من الأمساك بالسفن القرطاجية والهبوط إليها بواسطة هذا الأبتكار ونجحوا أي الرومان من كسب المعارك التالية. وكان القرطاجين يعتمدون على الأسلوب القديم في صدام السفينة المضادة بمقدمة سفينتهم أو التجديف بها في موازة السفينة المضادة لتحطيم مجاذيفها وكان مجدفوهم من المواطنين القرطاجين وقد شهد لهم الكتاب الكلاسيكين بالشجاعة والجرأة .وكانت السفن

الخمسينية المجاديف التي حلت محل ثلاثية الصفوف في صدارة الصفوف حسب ماأورده المؤرخ ديودور الصقلي وقد اخذ عنهم اليونان والرومان ماتوصلوا إليه في هذا المجال وطوروا في.[19]

كانت طبيعة بلاد الإغريق بسلاسل جبالها المتصلة الممتدة من الشرق إلى الغرب وتقاطعها من الشمال إلى الجنوب مثل جبال جرانيه كراته وجبال كثيرون وجبل هليكون وجبال بندوس، مما جعلها تنقسم إلى مناطق صغيرة منعزلة عن بعضها تمتاز بمساحتها الزراعية القليلة ومواردها الشحيحة والازدياد غير المتناسب مع الإنتاج الزراعي لعدد السكان إلى حدوث شبه انفجار سكاني ،دفع بالسكان إلى الهجرة والبحث عن أراضي جديدة تصلح لأقامتهم وقد ترتب على ذلك انتشار المدن والمستعمرات الاستيطانية الإغريقية في مختلف المناطق وخاصة الشواطئ الغربية للبحر المتوسط كما أدى عدم كفاية المحاصيل الزراعيةالتي أدت إليها عدم كفاية الإغريق زراعياً الى آن يندفع المهاجرون الى امتهان حرف تجارية وصناعية أو كمرتزقة سواء أكان عند بني جنسهم أي اليونانيين أو عند المصريين أو الفرس وباقي الممالك الشرقية.

هذه الخصائص الجغرافية انعكست بتأثيراتها المتعددة على تاريخ هؤلاء القوم فقد أدى إلى تكوين شكل سياسي مستقل عرف عند الإغريق بنظام دولة المدينة المعتزة والمتمسكة باستقلالها والتي لم تكن تسمح الإ نادراً وفي ظروف معينة بنشوء أي شكل من أشكال الوحدة بل ساعدت على تكريس النزاع والتنافس والحروب فيما بينها[20]

من ناحية أخرى فإن النزعة الانفصالية ادت إلى الاحتكاك الدائم واليومي بين المواطنين كما أدى إلى تبلور الرأي العام بسرعة مما ساعد على التطور السريع في النظم السياسية فقد ساهم الانعزال الجغرافي في أن الإغريقي أصبح يفضل الاستقلال بأموره ويرفض تماماً أن يخضع لغيره ولو كان مشتركاً معه في التاريخ نفسه ومعتقداً مثله بالعبادات نفسها. وكانت لطبيعة المساحة المحدودة أن أتاح المكان المحدود للسكان ـ الذين كان عددهم محدوداً بطبيعة الحال ـ إذ لم يكن عدد سكان المدينة الواحدة يتجاوز الثلاثين ألفاً، أن يتواجدوا في مكان واحد لفترات طويلة مما افسح المجال لتقبل الإغريقي لفكرة الحوار والنقاش والجدل، مما أنتج رأياً عاماً كان هو الميزان في كل مدينة بسرعة كبيرة لم تحدث في الدول الكبيرة مثل مصر أو العراق، ويظهر دليلاً على ذلك أن مسيرة انظمة الحكم في المدن الإغريقية تطورت على نحو كبير وسريع في آن واحد منطلقة من الحكم الفردي عبر مسيرة صاخبة مليئة بالأحداث لتصل إلى الديمقراطية. وتأكيداً على الانعزالية عند الإغريقي فقد كانت المدن الواقعة إلى الجنوب بعيدة عن الاندماج في الحضارة الإغريقية، إذ إن مقدونيا مثلاً لم تصبح إغريقية إلا بعد تدهور أحوال المدن الإغريقية الأخرى لأنها كانت بعيدة عن سواحل البحر وبالتالي عن الطابع

البحري لمدن الإغريق وكان من مظاهر ميل الإغريق إلى الاستقلالية السياسية عن بعضهم بعضاً أن شاعت بين مدنهم أو دولهم روح الانفصال، وبانت هذه النزعة عندما تعرضت اليونان إلى خطر خارجي بعد أن غزاها الفرس وعندما تعرضت لخطر السيطرة المقدونية في النصف الثاني من القرن الرابع ق. م، وكذلك في المواقف العديدة التي وقعت بين هذه الدويلات والتي تطورت إلى حروب طويلة مثلما كان الحال بين أثينا واسبارطة، وكذلك أثينا وإيجبينا. كما كان لقرب بلاد الإغريق. من أهم مراكز الحضارة في العالم القديم أثره الكبير في أن تقوم جزرها القريبة منها بدور الوسيط في عملية النقل الحضاري ونقل أصول الحضارات الشرقية التي ظهرت كثيراً في أبجديتهم وفنونهم وانماط حياتهم السياسية والاجتماعية والعمل على تطوير تلك الأصول.[21] فهي قريبة من منبع حضارات الشرق القديم "أسيا-مصر- بلاد الشام-العراق" كما كانت جزيرتا كريت وقبرص بمثابة المعبر الرئيس للاتصال الحضاري والتجاري بتلك الجهات وبآسيا الصغرى وساحل إفريقيا الشمالي. كذلك كان ساحل بلاد الإغريق الغربي والجزر القريبة منه بمثابة البوابة الغربية لبلاد الإغريق ومنها حمل التجار والمهاجرون الحضارة إلى شبة الجزيرة الإيطالية، وبذلك نشأت حضارة الرومان وساعد الموقع الجغرافي بلاد الإغريق على القيام بدور المستورد لحضارات الشرق والموزع لها لباقي انحاء أوروبا. كذلك قسمت التضاريس بجبالها العالية بلاد الإغريق إلى مجموعة من الأقاليم المحدودة المساحة والمنعزلة نظراً لصعوبة الاتصال بينها، مما أدى إلى ظهور دويلات حول المدن الكبرى المهمة وأصبح على كل مدينة أن تعتمد على نفسها من الناحية السياسية والاقتصادية كما تنافست هذه المدن مع بعضها وتباينت مصالحها وتضاربت أهدافها.[22]

الحضارة الإيجية:

يكاد يكون بحر إيجة بحيرة تحيط بها الأراضي من كل جانب فعلى الجانبين الغربي والشمالي يمتد إلى أوربا وإلى جهة الشرق نجد آسيا الصغرى والى الجهة الجنوبية جزيرة كريت تفصل مابين البحر والبحر المتوسط ولا يزيد طول بحر إيجة عن اربعمائة ميل في أي مكان من سواحله وأما عرضه فيختلف باختلاف الأمكنة ويتخلل شواطئه كثير من الخلجان والموانئ وتكثر الجزر فيه وتزيد على المئه جزيرة وبالإمكان التنقل من جزيرة إلى أخرى بحيث إن الإتصال بين هذه الجزر لا يحول دون رؤية البحر في جهات عديدة ولما دخل التمدن هذه البلاد اتصلت السواحل بالجزر بواسطة سفن شراعية لهذا تكونت منطقة مستقلة بذاتها سميت بالعالم الإيجي وإذا نظرنا إلى خارطة البحر المتوسط لوجدنا أن بلاد إيجة هي عبارة عن بلاد اليونان والتي تضم شبه الجزيرة والجزر المحيطة بها ولاسيما كريت الممتدة شرقاً وغرباً في المياه الشرقية والتي امتازت بموقعها الاستراتيجي بين قارات العالم القديم الثلاثة.[23]

يطلق على سكان الجزر المنتشرة بالمئات في بحر إيجة، وعلى القاطنين قديماً على الساحل الغربي و الجنوبي من آسيا الصغرى، وفي جزر البيلونيين، اسم الإيجيين أو الهيلينيين، أو الإغريق. ويقول المؤرخون وعلماء الآثار أن أقدم حضارة نشأت في بحر إيجه كانت في جزيرة كريت. وتذكر الأساطير اليونانية أن الملك مينوس هو أول من اشتهر بإنشاء أسطول بحري، استطاع بواسطته السيطرة على جزر إيجة. وسميت أيضاً بالمينوية نسبة إلى الحاكم مينوس وأولاده من بعده الذين حكموا جزيرة كريت في بحر إيجة، وسميت بالكريتية نسبة إلى جزيرة كريت التي كانت أكبر جزر بحر إيجة، والتي كان يحكمها المينويين، وسميت بالإيجية نسبة إلى بحر إيجة بأكمله، وأفضل مسمى هو الحضارة الإيجية لشموليته على باقي المسميات، كما أن أشهر المُدن في هذه الحضارة هي مدينتي "كنوسوس" عاصمة المينويين في جزيرة كريت في بحر إيجة، ومدينة فايستوس في الجزيرة والبحر نفسه.

وقد نشأت حضارة بحر إيجة بعد اكتشاف شعب المنطقة لكيفية صنع البرونز وفي أثناء تلك الفترة، التي تسمَّى العصر البرونزي الإيجي اكتسب الناس مهارة عالية في فن المعمار، والتصوير الزيتي والحِرَف المختلفة. وقاموا بتشييد قصور كثيرة الزخرفة؛ كما استخدموا أنظمة للكتابة. ويُصنَّف العصر البرونزي الإيجي كأحد أهم العصور الفنية والثقافية في التاريخ وقد دام ذلك العصر من عام 3000 ق. م إلى عام 1100 ق. م تقريباً.[24]

لم تكن الحضارة الإيجية متشابهة في مختلف البقاع والأزمنة، وإن كان لكل سكان جزيرة من جزرها عاداتهم وتقاليدهم، وكانت أهم تلك الجزر كريت، وفيها بلغت الحضارة المينوسية أوجها خلال المدة الواقعة بين القرنين السابع عشر والرابع عشر قبل الميلاد. وخلال القرنين التاليين اكتسحت بعض الشعوب البربرية، الآتية من الشمال والغرب، بلاد اليونان، وكان الشعب الدوري أقوى تلك الشعوب، لأنه جاء يحمل أسلحة مصنوعة من الحديد، استمدها من جيرانه الحيثيين، فاستطاع بواسطتها التغلب على اليونانيين، المسلحين بأسلحة برونزية. من المعلوم أن تسلسل العصور التاريخية عند دراسة تاريخ مصر وتاريخ بلاد الرافدين يستند إلى تواريخ الأسر الحاكمة فيها. أما في بلاد اليونان فيعتمد بصورة خاصة على دراسة الأدوات الفخارية والمزججة، وعلى فن الهندسة المعمارية، وغيرها من سمات الحضارة. وللحضارة الايجية كتابتها الخاصة، أو بالأحرى هنالك عدة كتابات، وهي لما تزل مستعصية على كل محاولة لمعرفة رموزها.[25]

عصور الحضارة الإيجية

العصر الإيجي (الكريتي/ المينوي) الأول: من عام 2600 ق. م وحتى عام 1800ق. م

العصر الإيجي (الكريتي/ المينوي) الثاني: من عام 1800ق. م وحتى عام 1600ق. م

العصر الإيجي (الكريتي/ المينوي) الثالث: من عام 1600ق. م وحتى عام 1400ق. م

نظام الحكم في الحضارة الإيجية "الحياة السياسية"

في بدايات هذه الحضارة كان الحكم إقطاعيياً بأيدي رؤساء القبائل ورؤساء الأسر الكبيرة، ولكن في الحقب المتأخرة استطاع مينوس وأولاده من بعده أن يفرضوا سيطرتهم على مدينة كنوسوس في جزيرة كريت، ومن ثم على جزيرة كريت نفسها، حتى استطاعوا السيطرة على جزر بحر إيجة بالكامل، وقد كان حكمهم حكماً مطلقًا، وكانوا يصدرون أوامرهم باسم الآلهة مُدعين أنها هي من تُصدر الأوامر، كما أنهم كانوا يجددون سلطتهم الإلهية كل تسع سنوات.

علاقاتها الخارجية

احتلت كريت المرتبة الأولى في حضارة بحر إيجة وشكلت همزة وصل بين مصر جنوبا وبحر إيجة شمالا كانت علاقاتها الخارجية تترتكز على نحو كامل بينها وبين الفراعنة في مصر، وتعود بدايتها إلى عام 1800ق.م، حيث عثر على إناء كريتي في مدينة أبيدوس في مصر، كما أن هنالك تمثال صغير لرجل فرعوني منقوش عليه اسمه بالحروف الهيروغليفية عثر عليه بين مخلفات القصور الملكية في مدينة كنوسوس، وعلى عهد السلالة الثانية عشرة في مصر عدّوا سكان كريت حلفاء لهم، كما قلد المينويون الفراعنة في إشراك الليبيين والأحباش في حرسهم الخاص. وهذا يتضح من خلال منظر عثر عليه في كنوسوس يصور ضابطًا كريتياً يسير وخلفه جندي أسود اللون. ويمكننا أن ندرك مدى إسهام الحضارة الكريتية في نشوُ المدن اليونانية إذ لولا المكتسبات الكريتية لما استطاع اليونانيون أن يبلغوا المستوى العالي من تطورهم الحضاري حيث كشفت التنقيبات الأثرية أن كريت أثرت بسبب اشتغالها في الزراعة والصناعة وسلكت سبل التجارة المشروعة وبلغ أسطولها من القوة بحيث نافس أكثر الجزر الإيجية في عملية النقل الحضاري.[26]

الحياة الاجتماعية، الاقتصادية والدينية في الحضارة الإيجية

كانت العائلة في المجتمع الإيجي مُقدرة ومُحترمة من الجميع بكامل أفرادها، الاب والأم والأبناء، كما أن للمرأة في المجتمع الإيجي مكانة خاصة، إذ إنها تساوي الرجُل، بل وتفوقه في أحيان كثيرة، فبجانب أنها تقوم بالأعمال المنزلية في البيت من طبخ ومراعاة لأولادها وشؤونهم كانت تخرج للفلاحة مع الرجل، وتشارك بصنع الأواني الفخارية والأدوات التي اشتهر بصناعتها سكان بحر إيجة، حتى وصل الأمر بالنساء الإيجيات آنذاك إلى أن يخرجن للصيد

تتبعهن الكلاب المخصصة لذلك، ومن شدة احترام الإيجيين لنسائهم كانوا يضعون المقاعد الأمامية في الملاعب والمسارح للنساء دونهم، وهذا يدل على ما وصلت إليه المرأة من مكانة خاصة في ذلك الوقت، والمجتمع الإيجي على نحو عام كان يهوى ممارسة الألعاب خصوصاً لعبة مصارعة الثيران والألعاب البهلوانية، كما كانوا محبين للعبة شبيهة بلعبة الشطرنج الحالية.

اشتهر أصحاب هذه الحضارة بالزراعة والصناعة، وقد كانت أهم محاصيلهم الزراعية الزيتون والكروم، كما أنهم اشتهروا بتجارة وتصدير النبيذ المستخرج من الكروم، والذي كانوا يحتفظون به في جرار كبيرة بعد عصره، أما في مجال الصناعة فقد اشتهروا بصناعة الأدوات والأواني والخزف، وكذلك السفن الصغيرة لتسهل عليهم عملية التنقل بين الجزر المتناثرة في بحر إيجة. كان أصحاب هذه الحضارة أناساً يؤمنون بوجود الأرواح في كل شيء، يؤمنون بوجود الجن والعفاريت، ويعبدون كل شيء، الجبال والأحجار والأشجار والقمر، وكانوا يرون بالأم سر الطبيعة إذ إنها الشيء الوحيد الذي يستطيع الوقوف في وجه الموت من خلال التناسل وإيلاد البشر، كما كانوا يضعون أيضًا موتاهم في توابيت بعد فقدانهم للحياة ويضعون معهم في توابيتهم طعاماً وشراباً وتماثيل نساء وألعاب شطرنج ظنًا منهم بأن هذه الأشياء ستسليه في تابوته بعد الموت.[27]

أسطورة بحر إيجة

يقال بأن مينوس حاكم مدينة كنوسوس في جزيرة كريت كان له من الأبناء ثلاثة، اثنين ذكور والآخر أنثى، وقد كان أكبرهم "أندروجيوس" وكان قوياً ، وذكياً، ومحباً للألعاب الرياضية بأنواعها، والأخرى فتاة جميلة كانت من أجمل الفتيات في ذلك الوقت وتسمى "أريادني"، أما ابنه الثالث والأخير والمسمى "المينوتوروس" فقد كان غريبًا، وعجيبًا، ومغايرًا عن بقية الجنس البشري، إذ كان له جسد إنسان ورأس ثور، وكان نهمًا يأكل لحوم البشر ولخوف والده منه وعليه قرر حبسه في ممرات قصره المسمى ب"قصر التيه" نظرًا لكثرة ممراته ودهاليزه إذ يقال بأنه يحتوي على 1500 غرفة، وقد سمع أندروجيوس ذات يوم بأن حاكم مدينة أثينا "أيجيوس" اقام مسابقة رياضية كبرى، فلم يتوانى في الذهاب والمشاركة، وفي تلك المسابقة حقق أندروجيوس الفوز بكافة أنواعها ما جعل أيجيوس يغتاض من فوز شاب غير أثني وتفوقه على كل الأثنيين في الألعاب التي أقامتها مدينته أثينا، فدبر مؤامرة لقتل أندروجيوس قبل عودته إلى كنوسوس، وبالفعل نجح في ذلك وانتهت حياة أندروجيوس في أرضه، وما أن علم والده مينوس بذلك حتى قرر الانتقام والهجوم على مدينة أثينا بالكامل، وقد كان له ما أراد، إذ أنه لم يستطع الفوز في هجومه فحسب بل أنه قام بإذلال أيجيوس

حاكم المدينة بأن يرسل قربانًا يقدم لابنه المفترس المينوتوروس كل تسع سنوات مكون من سبع شبان وسبع فتيات، حتى قرر "ثيسيوس" ابن أيجيوس حاكم مدينة أثينا أن يخرج أهالي مدينته من هذا الذل الذي فرضه مينوس عليهم في الذهاب بنفسه وقتل المينوتوروس، وما أن علم والده أيجيوس بما عزم ثيسيوس عليه حتى قام بإعطائه أشرعة بيضاء، إذ جرت العادة عندما يعود سائقوا القوارب من جزيرة كريت بعد إنزالهم للقرابين البشرية أن يقوموا برفع الأشرعة السوداء تعبيرًا عن الحُزن والحداد، ولكي يعلم أيجيوس إن كان ثيسيوس نجح في مهمته أم لا أعطاه ما أعطاه، إما أن تبقى الأشرعة سوداء في أثناء عودتهم فيعلم بأن مصير ابنه كسابقيه، أو أن ترفع الأشرعة البيضاء ويعلم بأن ثيسيوس نجح في مهمته وانتصر، وهنالك قابل ثيسيوس أريادني ووقعا بغرام بعضهما ما جعل أريادني تقوم بمساعدة ثيسيوس على أخيها بأن أعطته كرة من الخيط ربطت أولها في بوابة القصر والأخرى بجسمه كي لا يتوه في العودة في حال أن نجح في قتل المينوتوروس، وبعد نجاح ثيسيوس في مهمته قام بقية الشبان والشابات بالرقص واحتضان بعضهم بعضاً تعبيرًا عن فرحتهم في النجاة والخلاص، تشاركهم الفرح أريادني، وهم في غمرة الفرح وفي أثناء ما هم عائدين نسوا أن يرفعوا الأشرعة البيضاء بدل السوداء، وما أن رأى أيجيوس والذي كان يقف على الشاطئ منظر هذه القوارب وهي متوشحة بالسواد حتى ظن بأن ابنه العزيز ثيسيوس مات وانتهى أمره، الأمر الذي جعل أيجيوس يرمي بنفسه في الماء تعبيرًا عن حزنه لمفارقة ابنه، ومذ ذلك الوقت سمي هذا البحر ببحر إيجة نسبة إلى أيجيوس حاكم مدينة أثينا والمنتحر حزنًا على ابنه. وبعد زوال العصر المينوسي، المسيطر على البحر الإيجي، تنازع تلك السيطرة شعبان، وهما اليونانيون في الشمال، والفينيقيون في الجنوب. ويختلف هذا الشعبان عن بعضهما بعضاً كل الاختلاف، فالأول شعب آري، يتكلم اللغة الهندية الأوربية، والآخر شعب جزري يتكلم لغة هي أقرب إلى اللغتين العربية والعبرية.[28]

الحضارة الموكينية

هي الحضارة الثانية التي قامت مع الحضارة الإيجية في بلاد اليونان، وقد سُميت بالحضارة الموكينية نسبة إلى مدينة موكيناي، وهي تختلف عن الحضارة الإيجية في كونها أتت من أصل يوناني بحت على عكس الحضارة الإيجية التي كان اصلها من خارج اليونان، ويُرجع المؤرخون ظهورها إلى عام 1600ق. م، أي أنها عاصرت الحضارة الإيجية ما يقارب المئتي عام هذا إن علمنا بأن الحضارة الإيجية انتهت في عام 1400ق. م، واستمرت الحضارة الموكينية حتى عام 1100ق. م، حين سقطت ودُمرت على أيدي القبائل الدُورية تلك القبائل التي اجتاحت اليونان من شمالها وحتى جنوبها.[29]

هوميروس

أسمه يعني المنسّق من مواطني جزيرة كوس في البحر الأيجي وقد امتهن الشعر عاش في حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، ويُعد من أشهر الشعراء الإغريق على الإطلاق، أصيب بنهاية عمره بالعمى فأصبح ضريراً لا يرى، عاش مسكيناً فقيراً، يجوب المُدن اليونانية ينشدُ الأشعار لمن يعطيه أجراً لأشعاره ويتغنى بأمجاد اليونان القديمة والتي سبقته بثلاثة قرون، كانت ملحمتاه اللتان كتبهما وهما الإلياذة والأوديسة من أشهر الملاحم الشعرية واللتان تحدثتا عن حرب طروادة ومغامرات أوديسيوس بعد هذه الحرب. وبالنظر لبعد هوميروس عن مسرح الأحداث التاريخية ولعدم توافر المعلومات التاريخية الدقيقة عن تلك الحرب وأسبابها فقد اختلطت الحقيقة التاريخية بالأسطورة إلا أن نتائج التنقيبات الأثرية أوضحت العلاقة الوثيقة بين الألياذة التاريخ فأمكن التوصل إلى معرفة أسبابها الحقيقية وتاريخ وقوعها وكثير من تفاصيلها فضلا عن الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في أثناء الحرب.(30)

ملحمة الإلياذة والأحداث التاريخية

شهد أواخر العصر المايسيني وحقبة الهجرات الإغريقية إلى بلاد اليونان سلسلة من الحروب بين دول المدن أو القوى الكبيرة المتصارعة فيما بينها على أرض شبه جزيرة البلقان ،وقد كانت الدلائل الأثرية هي مصدرنا عن هذه الحقبة وقد عززت أشعار الملاحم والأساطير هذه المعلومات بل أنها ركزت على حروب معينة مثل الحملة على طيبة أو الحملة إلى البحر الأسود أو حرب طروادة(31) وتعد حرب طروادة من أبرز الحروب التي حدثت بين ملوك الإغريق في أواخر العصر المايسيني وفترة الاستيطان الأخير وبين مدينة طروادة الواقعة على الساحل الأسيوي بين مضيق الدردنيل والتي وقعت حسبما تذكر الدراسات التاريخية عام 1183 ق.م فما هي ملحمة الألياذة وماهي قيمتها التاريخية بالنسبة إلى معركة طروادة !

قصة الإلياذة هي خليط ما بين البشر والآلهة، فيحكى أنه كان لإله البحر "بوسايدون" ابنه حورية تُدعى "ثيتيس" اعجب بها كبير الآلهة عند الإغريق "زيوس" ولكنه علم إن هو تزوج بها فإنها ستنجب ابناً يكونُ أعظم من أبيه، وهذا لا يرضي زيوس على الإطلاق ولذا قرر أن يزوجها أحد الملوك وحضر حفل الزواج هذا مع زيوس كل الآلهة الأخرى ما عدا الهة الخصومة والنزاع كي لا تفسد عليهم هذا العرس فاغتاظت من ذلك وقررت إفساد العرس بأي طريقة وبأي شكل فأخذت تفاحة ذهبية وكتبت عليها جملة "إلى أجمل الحاضرات" كي يدُب الشقاق بين الآلهات أيهما الأجمل، وبالفعل حدث الشقاق بين زوجة زيوس "هيرا" الهة الزواج وابنتها "أثينا" الهة الفكر" و"أفروديت" الهة الجمال، فاحتكمن إلى زيوس إلا أن زيوس أرسلهن إلى شاب راعي في جبال "إيدا" يُدعى "باريس" قائلاً بأنهُ أعلم منه بأمور النساء، وهو بذلك لا

يريد أن يكون بموقف محرج بين زوجته وابنته الأخرى، فلما ذهبن الآلهات إلى باريس واحتكمن عنده كل واحدة منهن قامت بإغرائه لتكسب التفاحة الذهبية، هيرا وعدته بأن تجعله ملكًا ثريًا، وأثينا وعدته بأن يكون قائدًا عسكريًا عظيمًا، وأفروديت وعدته بأن تزوجه من أجمل النساء في ذلك الزمان، فمال لرشوة أفروديت على سواها فقام بإعطائها التفاحة فباتت هي المنتصرة، وبعد هذا أخبرته أفروديت بأنه من نسل الملوك وأن حاكم طروادة "بريام" هو أبوه وأن زوجته "هيكوبا" هي أمه، ولكنها حين كانت حامل به رأت في المنام حلمًا فسرته عند أحد العرافين الذين تنبؤوا لها بان مولدها سيجلب الخراب لطروادة بأسرها، فقرر والده ووالدته أن يتخلصا منه فامرا أحد الخدم أن يأخذه ويقتله في أحد الجبال إلا أن الخادم هذا كان رحيمًا به فتركه من غير أن يقتله لعل الظروف القاسية هي من تقتله كأن تأتيه أحد الحيوانات المفترسة فتلتهمه أو أن يموت جوعًا إلا أن أحد الرعاة رأى باريس وعطف عليه وقام بتربيته هو وزوجته حتى كبر وشب وهو يعتقد بأن هذا الراعي وزوجته هما أبويه، وبعد أن أخبرت أفروديت باريس بقصته دبرت له خطة يعود بها إلى أهله، وبعد أن عاد وفرح به والديه متناسين ما قاله العرافون وبخطةٍ أخرى دبرتها أفروديت أيضًا جعلت باريس يبحر نحو اليونان إلى مدينة إسبارطة والتي يحكمها "مينلاوس" والمتزوج من أجمل النساء على الإطلاق والتي تُدعى "هيلين" فأكرمه مينلاوس أيما كرم وفتح له قصره ولكن حدثت ثورة بسيطة اضطر على إثرها أن يغادر مينلاوس من إسبارطة تاركًا ومؤتمنًا باريس على بيته، إلا أن باريس هرب بهيلين إلى دياره فما أن عاد مينلاوس وعرف بما عرف حتى أجمع كل ملوك اليونان على أن يحاربوا طروادة وينتقموا من باريس ويسترجعوا شرفهم الذي دُنس، فغادر مينلاوس بجميع ملوك اليونان يتزعمهم عسكريًا أخوه "أجامنون"، إضافة إلى قائد عسكري آخر وهو ملك إيثاكا "أوديسيوس" والذي أقنع أحد الأبطال وهو "أخيل" بأن يشاركهم الحرب وهو ابن الحورية "ثيتيس" التي حضرنا زفافها في البداية، والذي تنبأت له الأقدار بأنهُ حين يكبر سيحارب مملكة طروادة ويقتحمها إلا أنهُ سيقتل في آخر الأمر، و لذا حاولت والدته أن تحميه فحينما كان صغيرًا بللت جسده بنهر الخلود كي لا يموت ممسكة به من كعبيه ومدخله بقية جسده في الماء متناسية أن تغسل الكعبين أيضًا، فحينما انتشر خبر رغبة أوديسيوس بضم أخيل أدخلته والدته مع نساء القصر متخفيًا بزي إمرأة كي لا يكتشفه أحدًا وكي لا يضطر لخوض هذه الحرب معهم، إلا أن أوديسيوس دخل القصر متخفيًا بزي بائع أقمشة وأخرج سلاحه فبانت حركة من إحدى النساء تنبئ على أن هذه الحركة لا تخرج إلا من فارس كبير فاكتشف أوديسيوس أمر أخيل وأجبره على خوض الحرب معهم[32]

هجرة القبائل الإغريقية وحركة الاستيطان اليوناني

يتفق التراث الشعبي مع الأدلة المادية على أن الإغريق الذين كانوا يسكنون بلاد اليونان وأيونية وجزر البحر الإيجي لم ينتسبوا إلى عرق واحد مميز،[33] و تختلف القبائل اليونانية العديدة في لهجتها وعاداتها لكنها ترجع إلى أصل واحد وتجمع بينها لغة واحدة في الأصل. فاليونانيون أمة واحدة أطلقوا على أنفسهم الآخيين أو الهيلينيين، بينما أطلقوا على كافة الأقوام التي تتكلم اللغة اليونانية أسم البرارة. وتنسب الأساطير اليونانية المتعددة إلى جد واحد هو دوقاليون الذي نجى مع زوجته في سفينة رست على جبل عندما أحدث رئيس الآلهة زفس الطوفان الكبير كعقاب للبشر على عقوقهم فلم ينج إلا الإنسان الطاهر دوقاليون وتشبه هذه السطورة أسطورة أوتنابشتم البابلية.[34] ويدور محور الأسطورة على النحو الآتي: أن دوقاليون وزوجته بيرها خلفا ولداً هو هيللين الذي ينسب إليه اليونانيون عامة والذي أصبح له ولدان هما دوروس وأيولوس، وحفيدان هما أيون وآخيئوس. ومن هؤلاء انحدرت القبائل اليونانية الأربعة وهم: الدوريون-الأيوليون-الأيونيون-الآخائيون. وقد أطلق على القبائل التي سكنت شبه جزيرة اليونان قبل مجئ اليونانيين إليها اسم (البلاسكيين أو البيلازج) ، وهم مجموعة من شعوب البحر المتوسط[35].

أما اليونانيون فهم من الشعوب الهندأوربية الذين جاءوا إلى بلاد اليونان من حوض نهر الدانوب على شكل موجات متعددة بين سنة 2000-1100ق. م فأول الموجات اليونانية كانت من الآخائيين الذين استقروا في البيلوبونيز حوالي 1400ق. مثم تبعهم الأيوليون والأيونيون واختلط الجميع مع السكان القدماء في شعب واحد ازدهر ت على يديه حضارة متطورة في مدينة ميكيني وكان البلاسكيون القدماء قد وضعوا أسسها الأولى. وقد ظهرت حضارتهم قبل الميلاد بخمسمائة وخمسين عاما. وهكذا أطلق اليونانيون القدماء على أنفسهم اسم الهيللنيين نسبة إلى هيللين أما تسميتهم بالإغريق فقد أطلق عليه الرومان نسبة إلى قبيلة غرايكوى التي كانت أقرب القبائل اليونانية إلى إيطاليا ومنها اشتق اسم غريكي أو غريسي وبالعربية إغريقي. كذلك اطلق الفينقيون على المستعمرات التي أسسها الأيونيون على الشاطئ الجنوبي من آسيا الصغرى اسم ياوون وحوره العرب إلى يونان وأصبح هذا الاسم يطلق على اليونانيين عامة.[36]

حين دخلت القبائل الدُورية البلاد اليونانية هاجر كل من يستطيع أن يهاجر من أصحابها هاربًا إلى آسيا الصغرى شرق بحر إيجة، حيث استوطنوا شمالها وجنوبها ووسطها، لما لقوه من قتل وتعذيب من قبل الدُوريين، ولصعوبة العيش في ظل وجودهم، وبعد أن امتزجت القبائل الدُورية مع من بقي من سُكان البلاد اليونانية مدة قرنين ومع ازدياد العدد السكاني أصبح

العيش شبه مستحيلاً في الأرض اليونانية مما أدى إلى خروج الكثير من السكان المزوجين ما بين اليونان الأصليين والدوريين إلى بلدان أخرى يستوطنوها بحثًا عن حياة سياسية واقتصادية واجتماعية أفضل، فالوضع أصبح لا يُطاق بالنسبة لهم إذ تغيرت أشياء كثيرة في حياتهم وانتقلوا من حال إلى حال آخر، فمن الناحية السياسية تغير الحكم من النظام الملكي إلى النظام الأرستقراطي الأمر الذي جعل الحكم في أيدي كبار الأسر دون سواهم، والذي تسبب في جعل فجوة طبقية بين عامة الشعب الفقراء وبين هؤلاء المُتحكمين الأغنياء من الناحية الاجتماعية ما جعل هنالك إحساس لدى هؤلاء الفقراء من عامة الشعب بأنهم أقل بكثير من هؤلاء الأرستقراطيين، كما أنهُ بعد استيلاء هؤلاء الأرستقراطيين على الأراضي الزراعية من الناحية الاقتصادية أبعدوا العُمال الأحرار الذين كانوا يعملون بهذه الأراضي بأجر واستبدلوهم بعبيد كانت أجورهم أقل بكثير منهم، وبالتالي أصبحوا عاطلين بلا عمل، كما أن صغر الأرض اليونانية كما ذكرنا وضيقها كان لهُ أثره في الهجرة إذ بعد دخول الدوريين ازداد العدد وأصبحت الأرض صغيرة على كليهم مما ساهم في محاولتهم الاستيطان، وتوزعت هذه المستوطنات ما بين بلاد العالم القديم، مصر، وجزيرة قبرص، وجنوب إيطاليا، وجزيرة صقلية.(37)

ويمكن تقسيم تاريخ بلاد اليونان القديمة إلى ثلاثة مراحل رئيسة هي:-

1- العصر المبكر والذي يمتد من حوالي 2600 ق. م إلى حوالي1200-1100 ق. م.

2- عصر ظهور دولة المدينة وينقسم إلى مرحلتين الأولى وهي التي تسمى أيضا بعصر الظلام نظرا لندرة المعلومات التاريخية عنها وتمتد من حوالي 1000 ق. م حتى حوالي800 ق. م والمرحلة الثانية وتمتد من حوالي 800 ق. م حتى حوالي 500 ق. م.

3- العصر الكلاسيكي: ويشغل القرن الخامس ق. م ومعظم القرن الرابع ق. م وهو العصر الذي وصلت فيه حضارة دولة المدينة اليونانية أقصى صعوداً لها ثم أخذت في الانحدار حتى انتهت بالغزو المقدوني لبلاد اليونان سنة 338 ق. م .

وبالنسبة للعصر المبكر فقد شهد ظهور حضارتين رئيستين هما الحضارة الكريتية نسبة إلى جزيرة كريت المركز الرئيس لهذه الحضارة والتي تسمى أيضا بالحضارة المينوية نسبة إلى بيت مينوس الذي سيطر على جزيرة كريت لفترة طويلة وقد بدأت حوالي 2600 ق. م ويرجح أنها انتهت حتى قبل غزوات القبائل الدورية التي هبطت من شمال بلاد اليونان حوالي 200-1100 ق. م واجتاحت جنوب بلاد اليونان وجزر بحر إيجة. أما الحضارة الثانية فهي الحضارة الميكينية والتي نشأت في مدينة ميكيني في جنوب بلاد اليونان الأصلية حوالى سنة

1600 ق. م أي بفترة زمنية متأخرة عن الحضارة الكريتية واستمرت بعدها بزمن قليل حتى انتهت فى حدود 1100 ق. م بسبب غزوات القبائل الدورية.

1- وفيما يخص الحضارة الكريتية (المينوية) فقد انتشرت مظاهرها في جميع أنحاء الجزيرة وخاصة في مدينة كنوسوس في وسط الساحل الشمالي للجزيرة ومدينة فايستوس في وسط الساحل الجنوبي للجزيرة. وقد عرف أهل كريت الكتابة في مرحلة مبكرة من تاريخهم وكانت فى شكل صور على نمط الكتابة الهيروغليفية ثم تطورت وأصبحت تكتب على شكل خطوط يمثل كل منها معنى. وقد دُمرت كنوسوس حوالى سنة 1700ق. م ربما على أثر حدوث زلزال ولكن ذلك لم يسبب تدهورا في حضارة كريت فقد أعقب ذلك عصر نهضة تحديدا بين الفترة 1400-1600 ق. م تمكنت فيه كنوسوس من توحيد الجزيرة وأصبح ملوكها سادة بحر إيجة وسيطروا بأساطيلهم على الجزر الموجودة بهذا البحر والتي تأثرت بنمط الحضارة الكريتية. ولم يقتصر تقدم كريت على الجانب السياسى ففي الجانب المعماري نجد أن القصور فى كنوسوس بدأت تقام على طراز أعظم كما نجد أن السكان بدأوا يعرفون مظاهر أخرى من مظاهر التقدم الحضارى فقد عرفوا المسرح وعرفوا بعض أنواع الترف كمصارعة الثيران كما عرفوا نوعا أكثر تقدما من الكتابة. وقد أطلق المصريون على أهل كريت اسم الكفيتو وكانت لهم بهم علاقات تجارية منذ عصر مبكر وصلت إلى درجة كبيرة من الانتظام فى القرن الخامس عشر ق.م في أثناء ذروة وقوة الحضارة الكريتية كما تذكر لنا النصوص المصرية أن ملوك بلاد الكفيتو وجزر البحر العظيم كانوا يحضرون الهدايا والقرابين للملوك العظماء من الأسرة الثامنة عشرة في عصر الامبراطورية. وقد انتهت الحضارة الكريتية قبل غزو القبائل الدورية خلال الفترة 1200-1100م.

2- أما فيما يخص الحضارة الميكينية فقد كانت يونانية الأصل وقد ظهرت بوادرها في مدينة ميكيني بجنوب بلاد اليونان وقد تأثرت تأثرا كبيرا بالحضارة الكريتية في بداية نشأتها لكنها تمكنت من تطوير شخصيتها الحضارية الخاصة بمرور الزمن تمثلت في اختلاف نماذج بناء المقابر واختلاف أنماط الأواني الفخارية والدروع والسيوف والخوذ المعدنية. وقد صاحب هذا الاستقلال الحضاري ازدياد في قوة ميكيني وسيطرتها على بلاد اليونان إلى الدرجة التى جعلت ملوك المدن اليونانية الأخرى يستجيبون لنداء ملك ميكيني ويندرجوا تحت لوائه فى مشروع حرب طروادة. أما عن علاقات ميكينية الخارجية فقد امتدت تجارتها شرقا إلى مصر وشواطئ آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة وغربا إلى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا. وكذلك فقد كان هناك علاقات سياسية بين اليونان والحيثيين

كما تدل على ذلك مجموعة من الوثائق الإمبراطورية الحيثية والتى يشار فيها بشكل متكرر إلى لك أهيا وحيث يجمع كل الباحثين أن كلمة أهياوه هى التحريف الحيثى لكلمة أخيين وهو الإسم الذى سمى به اليونان فى أشعار هوميروس. على أن القوة الميكينة ومعها قوة اليونان لا تلبث أن تبدأ في الغروب ابتداء من أواخر القرن الثالث عشر ق. م حتى نهاية القرن الثاني عشر. وفى هذه الفترة من الغروب أو التدهور نستطيع أن نضع من الناحية التاريخية حصار اليونان لطروادة والذي خلده هوميروس شاعر الإلياذة كومضة أخيرة من ومضات الصراع اليوناني في سبيل القوة الخارجية وفى وقت كانت فيه قوتهم قد شارفت نهايتها من الناحية الفعلية. وفى الواقع فإن حصار طروادة وبما كان يرمز إليه من استخدام القوة في سبيل التوسع الخارجي كان هو آخر منجزات الحضارة الميكينية.[38]

الغزوات الدورية

تشير الدلائل التاريخية لحوض البحر المتوسط إلى أن معظم مناطقه قد تعرضت إلى هجرة كبيرة خلال القرنين الثالث والثاني عشر وعزى وبعض المؤرخين أسباب اندفاع بعض القبائل الغازية من آسيا الصغرى شرقاً وغربا إلى حدوث سلسة الزلازل في مناطق تواجدهم حوالي1100 ق. م بدأت تتدفق على بلاد اليونان(جنوب شبه جزيرة البلقان) موجات عارمة من قبائل بربرية عرفت باسم الدوريين انقضوا على أماكن الحضارة الميكينية وعلى ما تبقى من مراكز الحضارة المينوية فدمروا كل شئ وحطموا كل شئ ودفعوا أمامهم كل شئ وأدت غزواتهم المندفعة من الشمال إلى هجرات أخرى فرعية قام بها الذين فروا أمامهم من أهل البلاد الأصليين فى بلاد اليونان فهاجروا عبر بحر إيجة شرقا حتى وصلوا إلى الساحل الغربي لشبه جزيرة آسيا الصغرى واستقروا هناك وهذه هي الفترة التاريخية نفسها تقريبا التي تشير فيها النصوص المصرية إلى شعوب تسمى بشعوب البحر هاجمت الشواطئ المصرية ويعتقد أيضا أنه في هذه الفترة التاريخية الغامضة هاجرت قبيلة البالستو من جزر بحر إيجة واستقرت بسواحل فلسطين وأعطت لها اسمها التاريخي. وقد كان من جراء هذا الغزو الدوري الذي استمر حتى حوالي سنة 1000 ق.م أن دخلت المنطقة في عصر من الظلام نسيت فيه منجزاتها الفنية والثقافية وحتى حروف الكتابة التي كانت تستخدمها وخرجت السيطرة البحرية في بحر إيجة من يد اليونان إلى يد الفينيقيين وضعفت سلطة البيوت الحاكمة القديمة وأصبح النظام السائد في المجتمع اليوناني يقوم على أساس من التجمعات السكانية القبلية أو القروية. وقد امتدت هذه الفترة من عهود الظلام من 1000ق. م إلى800 ق. م (39) ورغم حرص الدوريين على الانعزال داخل تجمعاتهم القبلية وابتعادهم عن الاختلاط بالسكان الأصليين رغبة في الحفاظ على نقاوة عرقهم فقد تنازلوا شيئاً فشيء عن تزمتهم هذا

واختلطوا بالسكان الأصليين وبخاصة في منطقة تساليا ثم شاع الاختلاط في كافة أرجاء البلاد.[40]

معالم حضارة بحر إيجة

لم يخلّف الشعب الإيجي أيّ تاريخ مكتوب؛ غير أن سلالته رَوَتْ قصصًا عن الآلهة، والملوك، والأبطال المشاهير، والحروب الدموية. وقد تكون بعض تلك القصص قائمة على أناس حقيقيين، وأحداث حقيقية. وقد شكّلت تلك الأحداث الأساس للمحمتّي الإلياذة والأوديسةّ، المنسوبتين للشاعر الإغريقي هومر. كما حفظ الشعب الإيجي بعض السجلات المكتوبة على ألواح من الصلصال التي لم تُحل رموزها إلا عام 1953م كشف علماء الآثار النقاب عن معظم المعلومات المعروفة عن حضارة بحر إيجة. وفي سبعينيات القرن التاسع عشر، شرَع عالِم الآثار الألماني هنْريش شليمان في إجراء البحوث حول تلك الحضارة. وكان يؤمن بأن معظم قصص الأدب اليوناني القديم مبنية على أحداث واقعية، ومن ثم بحث عن مواقع المدن الأسطورية. وفي عام 1870م، قام شليمان مستخدما الأساطير كدليل ـ بعملية التنقيب الرئيسة الأولى في موقع طروادة. واستهل دراسة الثقافة المسينية عام 1876م كما اكتشف شليمان قبورًا ملكية في مدينة مسِّيني بأرض اليونان في الثمانينيات من القرن التاسع عشر، قام العالِم البريطاني جيمس ت. بِنْت، باستكشاف الثقافة السيكلادية. وفي عام 1900م، بدأ عالِم بريطاني آخر هو السير آرثر إيفانز، في حفر قصر مينوس، بمدينة كنُوسوس، بجزيرة كريت. وقد زوّدتنا بحوثه بمعظم ما نعرفه حاليا عن الثقافة المينوية.[41] أولى حضارات الإغريق حيث كانت على أرض دائرية صغيرة تدعى " Cyclades" في بحر إيجه، كان السكان يزرعون فيها الحبوب العنب الزيتون ويربون الحيوانات لغرض الحليب اللحم وكانوا ينتجون القدور الفخارية وتماثيل النحت من الرخام باستعمال أوراق النباتات والنقوش المصنوعة من الصخور البركانية والبرونز. بعد عدة قرون، حلت كارثة على أصحاب هذه المدينة حيث وقع زلزال مدمر يليه انفجار بركاني ضخم حرق معظم أراضيCyclades، في حين أزدهرت مناطق أخرى وهي جزيرة كريت. نشأت أقدم حضارات المنطقة في الجزر المنتشرة بشرق البحر المتوسط ثم انتقلت فيما بعد إلى بلاد الإغريق وكانت جزيرة كريت هي المركز والأساس لتلك الحضارة التي شملت بعد ذلك جزر بحر إيجة ورودس وقبرص ثم بلاد اليونان. وترجع أقدم آثار تلك الحضارة إلى ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد واستمرت قرابة الألفي عام، وقد قسمت تلك الحضارة إلى عصور ثلاث كما نذكر. وقد أطلق على هذه الحضارة اسم الحضارة المينوسية نسبة إلى مينوس وهو ملك ورد في أساطيرهم القديمة أنه حكم جزيرة كريت. وكانت هناك علاقات تجارية واتصالات حضارية تربط بين أصحاب تلك الحضارة ومصر، فنقل الكريتيون

الكثير عن مصر، ووجدت آثار مصرية بكريت وكذلك وجدت أوان ومصنوعات كريتية عثر عليها في المناطق الأثرية في مصر.(42)

وفي الوقت الذي بدأت فيه الحضارة الكريتية بالانهيار والاضمحلال بدأت في الازدهار حضارة لقبائل هاجرت إلى شبه جزيرة البلقان (الجزء الجنوبي من بلاد الإغريق) بعد أن تمكنوا من الاستقرار بها لقرون، ولم يكن للإغريق أول ظهورهم دولة موحدة تجمعهم جميعًا تحت سيطرتها ولكن كانت لهم ولايات متعددة منفصله عن بعضها وكان لكل ولاية حكومتها وقوانينها وجيشها ولعل السبب في ذلك أن بلاد الإغريق بلاد جبلية يصعب قيام دولة موحدة فيها، ولكن على الرغم من استقلال الولايات الإغريقية بعضها عن بعض فقد كانوا من أصل واحد ودينهم وحضاراتهم واحدة. (43)

بلاد اليونان في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد

عاش الآخائيون أول الأمر في مرحلة النظام القبلي وكانت ملكية الأراضي عامة للجميع ثم أخذت أملاك القبائل أو العشائر بالتفتت عن طريق البيع والشراء أو الاغتصاب فتستأثر القبائل الكبيرة والأسر القوية بأفضل الأراضي. وهكذا ظهرت لديهم الملكية الخاصة ومن ثم أولى أشكال الدول، ونشأت السلطة الملكية التي كانت في أول الأمر تشبه سلطة رؤساء القبائل في كثير من الأمور.(44)

بلاد اليونان في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد: الدوريون

اجتاحت بلاد اليونان في أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد وتحديداً في القرن الثاني عشر قبل الميلاد شعب بربري ينتمي إلى العرق الهند أوروبي، وكانوا يسمون بـ"الدوريين"وكانوا السبب في انهيار وانحطاط الحضارة الميكنيية (نسبة إلى مدينة ميكيني على الساحل الشرقي من البيلوبونيز) التي اقتبسها وطورها. الآخائيي كانوا جزءاً من هجرة كبيرة تحركت من منطقة جنوب روسيا وباتجاهات متعددة واستقرت أول أمرها في شمال البلاد ثم أخذت بالتوغل في بحر إيجة وكان هذا التوغل أوله سلمي حيث استوطنت القبائل الأولى إلى جانب المستوطنين القدامى وكانت بشكل مجاميع ضمت التساليين والبيوسيين والدوريين. ومما ساعد على نجاح هجومهم حالة الفوضى والاضطراب التي عمت بلاد اليونان بعد حرب طروادة والتي استمرت مدة عشرة سنوات تكبد خلالها الآخائيون خسائر كبيرة في الأرواح والأسلحة والعتاد وخاصة السفن رغم تمكنهم من تدمير طروادة في نهاية المطاف كما أن استخدام الدوريين للأسلحة الحديدية ساهم في التغلب بسهولة على الآخائيين الذين كانت أسلحتهم تصنع من البرونز. وقد دمرت تلك القبائل مع الدوريين الذين جاؤا من الشمال عبر مقدونيا في

أثناء غاراتهم المدن اليونانية القديمة وحرقوا القصور وقتلوا الكثير من السكان وفر بعضهم واستعبد البعض الآخر كما تابع الدوريون زحفهم نحو الجزر فهاجموا جزيرة كريت وهدموا مدنهم ثم احتلوا ميلوس وكوس ورودس وغيرها من الجزر اليونانية.[45]

وأمام هجوم الدوريين على بلاد اليونان اضطر قسم من الآخائيين إلى مغادرة البلاد والتوجه إلى جزر بحر إيجة والشواطئ الجنوبية والغربية من آسيا الصغرى[46]. وقد استقر بعض هؤلاء في تلك المناطق الجديدة وأسسوا مدناً جديدة نشأت فيها حضارة سبقت في تقدمها حضارة المدن التي أنشأها الدوريون في بلاد اليونان. ولكن الأساطير اليونانية (في الألياذة والأوديسة) تذكر أن قسما من الآخائيين المهاجرين قد عادوا فيما بعد إلى موطنهم الأصلي في شبه جزيرة اليونان. وأدى ذلك إلى تطور كبير في المجال الاقتصادي والصناعي على شواطئ آسيا الصغرى وإيطاليا وصقلية وشمال أفريقيا ،ومنذ ذلك الحين يدخل تاريخ اليونان في مرحلة جديدة.[47] حيث امتدت سيطرتهم على بلاد اليونان لمدة قرنيين من الزمن بدأت الأوضاع تستقر واختلط الفاتحون تدريجيا مع السكان الأصليين فنشأ جيل جديد ونشيط قادر على الإبداع الحضاري. كما أن إدخال الدوريين معدن الحديد إلى بلاد اليونان واستخدامه في صنع الأسلحة والأدوات الزراعية، ومع أن القبائل الدورية كانت متخلفة حضاريا إلا أنها تمكنت من السيطرة على أجزاء كبيرة من بلاد اليونان وتأثرت أجزاء أخرى بالحالة العسكرية التي سادت شبه الجزيرة فعم التدهور والتخلف المنطقة كما أثر تخلفهم على النظم السياسية التي أقاموها في المدن التي استوطنوها مثل أسبارطة وميكارا وكورنثا وغيرها من المدن في أقليم البيلوبونيز وبذلك يمكن القول أن البلاد شهدت تدهورا حضاريا على يد الآخائيين ثم اشتد التدهور على يد الدوريين والذي استمر حتى أواخر القرن التاسع قبل الميلاد حيث بدأت البلاد تستعيد حيويتها ونهضتها من جديد [48]

الهوامش:

(1) نعيم فرح: تاريخ حضارات العالم القديم، مطبعة الحلبوني، دمشق-1975، ص284

(2) عادل نجم عبو؛ عبد المنعم رشاد: اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل -1993، ص12؛ مفيد رائف العابد: دراسات في تاريخ الإغريق ، ط2، منشورات جامعة دمشق -1991، ص5.

Betten, F, S. ,The Acient World from the earliest Times to 800 A. D (New York-1916) ,P. 101

جدير بالذكر هنا أن قسما من سكان الإغريق الأصليين الذين يعرفون بالأيونيين اضطر إلى الهجرة والهرب

على أثر هجوم قام به الدوريون فعبروا جزر بحر إيجة إلى ساحل أسيا الصغرى فسميت على أثر ذلك المنطقة التي يقيمون فيها نسبة اليهم مع هذا فهناك خلط مابين كلمتي يوناني وإغريقي فكلمة يوناني تطلق على السكان الذين لهم صلة بآسيا الصغرى أما الإغريق فتطلق على سكان شبه الجزيرة اليونانية عن هذا الموضوع ينظر حسن عون: العراق وما توالى عليه من حضارات. ط٢،القاهرة –1952 ،ص101-103

(3) محمود فهمي: تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة –1999، ص17-18؛ فرح: المصدر السابق، ص284-285.

(4) كان لهذا السبب أثره الواضح في سياسة أثينا الخارجية التي سارت منذ البداية في أتجاه واضح يسعى أن يضمن لها ما يسد حاجة أبنائها من الخبز وهكذا بدأت تنظر إلى المناطق المحيطة بالبحر الأسود الغنية بمحصولها من الحبوب وقد ظهر هذا التيار في بادئ الأمر في شكل استيراد الحبوب من المناطق التي تتوافر فيها الحبوب ولكن تغير هذا التيار فيما بعد في السعي نحو تأسيس المستعمرات والمراكز التجارية من أجل تأمين السفن الأثينية المحملة بالحبوب عن هذا الموضوع ينظر: لطفي عبد الوهاب يحيى: أثر العامل الجغرافي في تاريخ أثينا، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة–1956، ص5-7.

(5) وقد اعتنى اليونانيون بشجرة الزيتون فاتخذوها رمزا للحكمة حتى انهم لم يسمحوا بقطع أكثر من شجرتين من الزيتون في العام الواحد، وكانت النساء تتزين بإكليل زهور الزيتون في بعض المناسبات، كما أن حكام الألعاب الأولمبية كانوا يختارون من القضاة وعددهم أثنى عشر قاضيا كانوا يرتدون البسة أرجوانية وإكليل أغصان الزيتون فوق رؤوسهم وكان الفائز في الألعاب يحصل على جوائز(وهي عبارة عن إكليل من شجرة الزيتون المقدس) في اليوم السادس للمهرجان وعند وصول الأبطال إلى مدنهم كانت هذه المدن تحتفل بهم احتفالا كبيرا وجرت العادة أن يقدم الفائز إكليل الزيتون الذي فاز به إلى معبد إله المدينة. ومسح الملوك والمواليد به وأوقدت نيران أثينا ومقدونيا بزيت الزيتون حتى أصبح رمز الإغريق وثقافتهم التي سادت قرونا طويلة ودارت رحى المعاصر وصوت (ثفل) الزيتون الذي يخرج بعد عصره في حضارة الإغريق التي غزت الدنيا ووصلت حتى مشارف الصين وقد أدى الزيتون وزيته دورا مهما في تجارة حوض البحر المتوسط إذ إن المستعمرات الإغريقية في منطقة البحر المتوسط لم تزرعه فكانت تعتمد على ما يردها من بلاد الشام ونظرا لهذه الأهمية فقد أولى ساسة أثينا واقتصاديوها اهتماما بزراعته ففي عهد (صولون) solon الذي يعد أحد ابرز الساسة اليونان 640-561 ق.م) ينسب إليه انه قام بثورة اقتصادية كبيرة بأن عمل على تحويل الاقتصاد القائم على الزراعة بقصد الاكتفاء الذاتي إلى نظام اقتصادي أساسه التخصيص في نوع الإنتاج سواء أكان صناعيا ام زراعيا بقصد الحصول على واردات من المواد الغذائية والمواد الخام مقابل السلع المصدرة من هذا الإنتاج. ومنع تصدير الغلات الزراعية كافة عدا زيت الزيتون، فشجع على زراعته وزراعة العنب بقصد إنتاج زيت الزيتون والنبيذ وهما سلعتان مهمتان يمكن المقاضية بهما بغلال بلدان الشرق الأدنى ولا شك أن صافي الربح سيزداد زيادة كبيرة إذا

ما نقل إنتاج الأراضي من هذه المواد إلى المستهلك في أوعية فخارية مبرقشة ومزخرفة على نحو مميز وجذاب، وتشجيعه إلى هجرة الصناع (الخزافين) الأجانب وغيرهم من الصناع المهرة إلى البلاد. وعمل بستراسوس (520-527 ق. م) خليفة صولون في الحكم على تشجيع زراعته فمنح الفلاحين والزراعين له قروضا لزراعته مما كان له الأثر الكبير في تطوير أنواع الزيتون المزروعة هناك وقد عمل اليونانيون وفيما بعد الرومان على زراعة هذه الأنواع الجديدة في بلاد الشام مما كان له الأثر الكبير في ظهور أنواع جديدة ومتميزة من الزيتون الشرق ينظر: ارنولد توينبي : تاريخ الحضارة الهيلنية ، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة د. صقر خفاجة، القاهرة– 2003 ، ص129-130عن زراعة الزيتون ينظر ابتهال عادل إبراهيم الطائي: زراعة الزيتون ومعاصره في بلاد الشام أواخر العهد البيزنطي بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات تاريخية بيت الحكمة بغداد

(6) ف. دياكوف ،س،كوفاليف:الحضارات القديمة،ترجمة نسيم واكيم اليازجي،منشورات دار علاء الدين،ط٢،دمشق– 2006، ص 261.

(7) فرح. المصدر السابق،ص582-482؛ للمزيد من التفاصيل عن مناجم المعادن في بلاد اليونان ينظر يحيى: المصدر السابق، ص91-61

(8) فهمي: المصدر السابق،ص10؛ يحيى: المصدر السابق، ص3؛ دياكوف وكوفاليف:المصدر السابق، ص261.

A History of Greece to322B. C (Oxford-1961) P. 1 Hammond, N ,G, L. ,

(9) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط1، بغداد–1956، ج2، ص526؛ وقد ظل الملح عبر العصور مادة أساسية ومهمة لحفظ اللحوم والأسماك والأجبان ومشتقات الحليب إضافة إلى كونه يدخل مكونا أساسيا في التوابل وقد وفر بذلك أفضل حافظ غذائي معروف وخاصة بالنسبة للحوم، مما جعله يلعب دورا بارزا في تشكيل ميثولوجيا الشعوب قاطبة ويميل كثير من شعوب الأرض إلى الاعتقاد بان الأرواح الشريرة لا تتحمل الملح الذي يقدر على طرد تلك الأرواح ولا يزال إلى يومنا هذا يرش اليابانيون الملح على خشبة المسرح قبل بدء العرض ليحمي الممثلين من الأرواح الشريرة. ويصعب التفكير في أي مادة أخرى نالت نصيب مواز من الأهمية في فكر الإنسان ومعيشته بأكثر مما فعل الملح فقدرته على المحافظة على الأشياء ووقايتها من التحلل وكذلك قدرته على حفظ الحياة البشرية أعطته رمزية كبيرة على الرغم من كونه مادة متوافرة بكثرة وشائعة لكن الوعي البشري يربط بينه وبين الديمومة والحياة الطويلة وتلك المسائل أعطاها الإنسان دلالات وطقوس مهمة وللمزيد من التفاصيل عن الملح ينظر: ابتهال عادل إبراهيم الطائي: " الملح في طقوس ومعتقدات الدينية عند الشعوب العربية"بحث مقبول للنشر في المؤتمر السابع للثقافات الشعبية جامعة فيلاديفيا/ الأردن2110.

(10) وتشير الأدلة إلى تأسيس مدينة أوتيكا من قبل الفينيقيين في حدود (1100 ق.م) واحتلالهم جميع شواطئ البحر المتوسط وتأسيسهم للعديد من الموانئ الطبيعية والتي يسهل الدفاع عنها وتشير النصوص التاريخية إلى استقرارهم في القرن التاسع قبل الميلاد في قرطاجة (وهي المدينة الفينيقية أو المدينة الجديدة) Karthago (بالفينيقية قرت حَدّشتْ) وقد ظلت قرطاجة مدينة صغيرة قليلة السكان إلا أن بدأت صراعاً مع المدن اليونانية التي كانت قد بدأت عملية توسعها التجاري في الغرب ويورد أحد المؤرخين الكلاسيكيين رقماً مبالغاً فيه حول عدد المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون على هذه السواحل حيث وصل عددها إلى (300) مدينة ودخلوا في صراع أيضا مع القبائل الايتالية الذين حاولوا منع الفينيقين من التجارة مع صقلية وشواطئ إيطالية الجنوبية الأمر الذي دفع القرطاجيين إلى التحالف مع الاتروسكيين ضدهم فكانت الحروب البونية الأولى والثانية واستطاعت أي قرطاجة تكوين امبراطورية بحرية كبيرة تمتد من ليبيا إلى جبل طارق وأخذت تنافس روما من أجل السيادة على البحر المتوسط فنشبت بينهما حروب دامت أكثر من مئة عام انتهت بأن أحرقها الرومان: ينظر احمد الفرجاوي بحوث حول العلاقات بين الشرق الفنيقي وقرطاجة،المعهد الوطني للتراث،ط1،بنغازي-1993 ، ص52؛

Moscati, S,The World of Phoenicians London-1968, p.21fff

(11) عادل زيتون:"تراث الشرق في حضارة اليونان"مجلة العربي ،العدد596،الكويت-2008،ص7وما بعدها؛عن دور كريت وبحر أيجة وفينيقية في نقل الحضارة الشرقية القديمة فقد ساعدها موقعها لجغرافي على القيام بذلك الدور الحضاري المهم فبالنسبة الى بلاد الشام وتحديدا الساحل السوري فأن موقعها الجغرافي بين بلاد الرافدين وبلاد النيل من جهة أخرى ووقوعها على طرق المواصلات التجارية جعلها مسرحاً وملتقا طبيعياً للحضارة والتجارة والهجرات والحروب بين القوى الكبرى آنذاك فتهيأت لها فرصة القيام بذلك الدور الحضاري أما دوركريت وبحر أيجة فعملت على نقل واستعارة المقومات الحضارية عن هذا الموضوع ينظر سامي سعيد الأحمد: حضارات الوطن العربي كخلفيةللمدنية اليونانية، بغداد-198ص9-10.

*هيكاتا الميلتي ولد عام 550 ق.م ونشأ في ملطية وكان واحد من اليونانيين الذين هاجروا إلى آسيا الصغرى واستقروا فيها وعرفوا الكثير من معارفها العلمية ؛المعلومات عنه قليلة وأكثر المصادر تذكر انه زار مصر القرن السادس قبل الميلادوذكر في كتابه الذي فقد الكثير منه بعض المعلومات التاريخية التي أخذها من الكهنة ورجال الدين منها معلومات عن فيضان نهر النيل وتكوين الدلتا وحيوانات مصر أكثر من اهتمامه بسكان البلد وتاريخه ينظر: هاري المر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية ترجمة محمد عبد الرحمن برج، القاهرة-1987،ص48.

(12) ولد المؤرخ هيرودتس والملقب بابي التاريخ في مدينة هاليكارناس الواقعة إلى الجنوب الغربي من ساحل أسيا الصغرى التي كانت تحت السيطرة الفارسية ولكنها تمكنت من التخلص من سيطرتهم واستطاع

القيام برحلات متعددة إلى مختلف أنحاء العالم القديم فتجول في آسيا الصغرى وفارس وبلاد الرافدين ومصر وليبيا وصقلية وبلاد اليونان في البلقان وزار مقدونيا وتراقيا. ربما تعود أسباب سفره إلى كونه تاجراً حيث تعرف من خلال مدوناته التاريخية ولعله بالسفن والقوارب واهتمامه بالمياه الصالحة للملاحة ومعرفته بالأوزان والمقاييس وذكره للمواد التجارية واجتهاده في ذكر وسائل المواصلات الخاصة ببلاد الرافدين وبلاد النيل ويدعي معرفته بتفاصيل حياة الملاح وذكره لأشكال غريبة من التجارة كانت سائدة في أفريقيا الغربية. إلى أن حط رحاله في أثينا زمن حكم بركليس وأصبح من المقربين إليه وفي سنة 433 ق.م هاجر إلى جنوب إيطاليا وساهم في تأسيس مستعمرة يونانية هناك تابعة لأثينا وهي مستعمرة توري وقد عاش بقية حياته في توري وتوفي فيها عام 435ق. م وقد وضع كتابه التاريخ العام الذي قسمه إلى تسعة أجزاء بعدد العلوم والفنون المتعارف عليها هناك وسمي كل منها باسم أحدى الآلهات التسع المختصة بتلك الفروع من العلوم والآداب ويرجح أن هذه التسميات من وضع الناشرون اليونان من مدرسة الإسكندرية وقد خصص الجزء الاكبر للحديث عن الحروب اليونانية الفارسية للمزيد من التفاصيل ينظر: أ. ج. أيفانز. هيرودوت، ترجمة أمين سلامة،الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة–بدون تاريخ، ص5-12؛ بارنز:المصدر السابق،ص49-15؛ ينظر سامي سعيد الأحمد: "هيرودوتس وكتاباته"=، المؤرخ العربي، ع27، بغداد– 1986 ، ص182-186

(13) المؤرخ بلوتارخ (أوبلوطرخس) ولد في مدينة شارونة الصغيرة من أعمال بيوتي التي اشتهرت بانتصار فيليب واستعباد اليونان لا نعرف تاريخ ميلاده بالضبط ولكن تأسيسا على ما ذكره أنه كان يتلقى العلم في دلفى على عهد أمنيوس في أثناء سياحة نيرون في اليونان وعليه يمكم القول أنه ولد في أواخر عهد كلوديوس أي من منتصف القرن الأول قبل الميلاد وهو من عائلة توارثت الميل إلى درس العلوم والآداب وقد شهد في طفولته والده وجده ووالد جده ونشأ تحت تأثير العادات والأخلاق القديمة في ظل هذه الأسرة الهادئة وقد ترك العديد من المؤلفات الأدبية والفلسفية والروحية للمزيد من التفاصيل ينظر : بلوطرخوس: العظماء ،عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم ، ترجمة ميخائيل بشارة داود ،تقديم أبو اليسر عبد العظيم فرج، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة–2011، ص16-45.

(14) عن تأثيرات الحضارات القديمة في حضارات اليونان ينظر

Livingstone, R. W., The Legacy of Greece, Oxford-1962, p. 107-196

** وقد بلغ من مهارتهم في هذا المجال انهم كانوا يصنعون السفن والأساطيل لحساب الدول والشعوب الأخرى فقد استقدم الملك الاشوري سرجون (721-704 ق. م) مجموعة من الصناع الفينيقين إلى مدينة (ارابخًا) كركوك حالياً من اجل صناعة سفن لاستخدامها ضد المتمردين في القسم الجنوبي من بلاد الرافدين. وفي عهد الملك سنحاريب (704-681 ق. م) استخدم هذه المدينة ايضاً كمعمل لصناعة السفن حيث تشير المصادر إلى إحضار الفينيقين للعمل على بناء السفن وقام بالإشراف على تسيير هذه السفن

بحارة فينيقيون وقبرصيون في نهر دجلة. كما أمدوا سيدنا سليمان (ع) بالسفن الجيدة وفي عهد الفرعون المصري ينخو، القرن السادس قبل الميلاد استخدمهم هذا الفرعون في الدوران حول إفريقيا حيث استطاعوا بقيادة البحار حانون من السير على طول شواطئ إفريقيا الغربية حتى الكاميرون الحالية حيث يعدون اول من طاف من البشر حول إفريقيا لحساب فرعون مصر وقد أتمو رحلات في ثلاث سنوات. ونحن نعلم أن الفرس حينما سيطروا على بلاد الشام أصبح الاسطول الفينيقي ملكاً لهم حيث صار ملك صيد القائد العام للأسطول الفارسي. للمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر :ابتهال عادل إبراهيم الطائي: "صناعة السفن الفينقية في ضوء منحوتات العصر الأشوري الحديث 911-612 ق.م" بحث مقبول للنشر في المؤتمر الدولي للمخبر البناء الحضاري الموسوم الموانئ الجزائرية عبر العصور،الجزائر-2009؛ علي ياسين الجبوري : "رسائل طاب- صلى- ايشارا حاكم مدينة اشور إلى سرجون الأشوري الثاني"، مجلة اداب الرافدين، ع36، الموصل- 2003، ص154.

(15) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، القاهرة-196، ج3ص27.

Hammond: op. cit.P. 14

(16) ديورانت: المصدر نفسه؛ يحيى: المصدر السابق، ص 22 وما بعدها .

(17)شيشرون خطيب وسياسي ذاع سيطه في العصر الأخير من الجمهورية الرومانية وله مجموعة مؤلفات عبارة عن ٨٥ خطبة وسبع مؤلفات عن الخطابة وما يقرب من عشرين مؤلفا في الفلسفة فضلا عن الخطابات والسبب الذي يكمن وراء وصول معظم أعماله ترجع إلى تحكمه باللغة اللاتينية ينظرحسين الشيخ:دراسات في تاريخ اليونان والرومان ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-1997،ص249 فهمي: المصدر السابق، ص10-11.

(18) العابد: المصدر السابق، ص7؛ لطفي عبد الوهاب يحيى: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، بيروت-1979، ص36؛ لطفي عبد الوهاب يحيى: التاريخ اليوناني العصر الهيلادي، بيروت-1979، ج1، ص30.

(19) فهمي: المصدر السابق، ص11. جورج كونتينو : الحضارة، ترجمة محمد عبد الهادي شعيره، مركز الشرق الأوسط القاهرة، 1948 ، ص318؛ محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر-1979، ص56 ؛ Unsted, R.J.,&

forman, W., The Assgrian, London- 1980,p. 4-6

simo parpola:state archivesof Assyria ,Helsinki-1988,vol.1p.26.

(20) عامر سليمان، أحمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم، وزا رة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، الموصل -1978ص 384؛ العابد: المصدر السابق، ص6.

(21) العابد: المصدر السابق، ص6-7؛ يحيى: المصدر السابق، ص20-21.

(22) فهمي: المصدر السابق، ص15-16؛ عبوو رشاد: المصدر السابق، ص13؛ بتري، أ: مدخل إلى تاريخ الإغريق وآثارهم ، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز،الموصل-1977، ص7.

(23) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص386.

(24) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص23؛

.p. 27 .Hammond: op.cit

(25) محمد زهير البابا:"أثير الحضارتين و اللغتين،اليونانية و السريانية، في العلوم العربية"، مجلة التراث العربي، دمشق العددان71-72 - السنة 18 - تموز "يوليو" 1998،ص121.

(26) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص387؛ عبو ورشاد: المصدر السابق،ص25؛

.Betten:op.cit, p. 119

(27) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص24.

(28) لقد ظل نص العهد القديم المكتوب في القرن الخامس قبل الميلاد ، نوعا من الكتاب المقدس والمرشد لدى المؤرخين والباحثين وعلماء الحضارات وفلاسفة التاريخ من الغربيين والعرب حتى لو ضللهم ، وتعارضت خرافاته مع حقائق علوم الاثار واللغات والاجناس ، والمتابع لكتب الرحالة الغربيين عن الاقطار العربية يلمس كيف بنيت في الذهنية الغربية صورة هذه الاقطار وهذا التصور التوراتي ، والمفارقة ان هؤلاء الرحالة كانوا ينظرون الى كل الاقطار العربية بمنظار توراتي حتى في القرن العشرين فقد كان الهم الرئيسي لهؤلاء المستشرقون ذوي الخلفية التوراتية السعي نحو اثبات كل ما ورد ذكره في العهد القديم وان كل ماورد فيه حقيقي وصحيح لا يقرب اليه الشك ، لقد اصبحت تواريخ وجغرافيا واجناس المنطقة واصولها رهنا بما علمه(العهد القديم) للغرب بينما لم يكن هذا بالنسبة لعمق المنطقة الحضاري غير قشرة على السطح. من هذا المنطلق فقد تبنى اوجست لود فيج شلوتزتسمية (السامية) لاول مرة عام (1781) في مقاله عن الكلدانيين (Von den Chaldaen)؛ في "فهارس الادب الشرقي والتوراتي" المجلد8، صفحة 161 ،وتلقف مستشرق اخر اسمه يوهان جوتفرايد ايشهورن هذه التسمية وذكرها في كتابه المبوع (Repetoriam Furbibilische und Morgenlandische Literature) في جوتنجن عام 1807 في مقاله عن الكلدانيين في "فهارس الأدب الشرقي والتوراتي" المجلد8،صفحة161،اذجاء ما نصه:"من المتوسط الى الفرات،ومن بلاد النهرينالى شبه الجزيرة العربية تسودها كما هو معروف لغة واحدة،وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا امة واحدة والفينقيون الحاميون يتكلمون بهذه اللغةالتي اود ان ادعوها سامية وسعى لتعميمها بين العلماء والمؤرخين وذلك باعتبارها علما على الشعوب الاسيوية الغربية المقيمة في الهلال الخصيب وفي شبه الجزيرة العربية،ومن المستشرقين الغربيين الذين تبنوا هذه

النظرية المستشرق الفرنسي أرنست رينان ففي كتابه"تاريخ عام ودراسة مقارنة في اللغات السامية يدعي ان الساميين مفطورون على التعصب الديني وان شعرهم كله ذاتي ولاتنويع فيه ولم تنشأ لديهم لا فلسفة ولم يكن لديهم علم وانهم منحطون عسكريا لعجزهم عن التنظيم كما انهم مفطورون على الأنانية والأندفاع الأحمق ولم تنشأ عندهم الملاحم . فمدى فداحة الخطاء التاريخي الذي سببه هؤلاء المستشرقون فقد التصقت هذه التسمية بالشعوب العربية ولهجاتها وحضارتها وللاسف فان معظم من درس في الغرب من العرب عادوا وهم يحملون هذه الفكرة الخاطئة ونشروها وروجوا لها وانشأوا اقسام اللغات السامية والدراسات السامية والحضارة السامية .مما روج اليه هؤلاء المستشرقون ان الساميون(العرب)انفراديون متعجلون لم ينتجوا تراثا أو فنا أو تجارة أو حضارة وبشكل عام فانهم يشكلون تركيبا دونا للطبيعة الأنسانية فالرجل الأري قياسا الى السامي كالرسم المخطط الى الصورة الزيتية وغير ذلك من الأوصاف التي تملىء كتبهم ودراساتهم . وقد تنبه الى ذلك عدد من الباحثين العرب وسعى الى تقديم المسميات البديلةوالتي تنطبق مع الواقع التاريخي والجغرافي . فمن هو سام الذي نسبت اليه شعوب ولغات جزيرة العرب ؟ لقد اقتبس العالمان الالمانيان شلوتز وايشهورن هذه التسمية مما ورد في سفر التكوين نسبة إلى (شم) وهو سام بن نوح حيث جاء في سفر التكوين اخر الاصحاح السادس "وولد لنوح ثلاثة بنين ساما وحاما ويافث" وجاء في الاصحاح العاشر من نفس السفر "وهذه مواليد بني نوح سام وحام ويافث الكبير ولد له أيضا بنون بعد الطوفان ... سام ابو كل بني عابر وولد لعابر ابنان احدهما فالج لان في ايامه قسمت الارض واسم اخيه يقطان ، ويقطان ولد له المودد وشالف وحضرموت ويارح وهدورام واوزال ودقلة وعوبال وابيمائيل وسبا واوفير وحويلة ويوباب وكان هؤلاء بنو سام حسب قبائلهم والسنتهم" لقد تسرب الشك في نفوس بعض الباحثين من صحة ما جاء في سفر التكوين ، فالملاحظ ان سفر التكوين قد اعتمد في تقسيمه هذا على الروابط السياسية والثقافية والدينية والجغرافية اكثر من اعتماده على الظاهر اللغوية او التاريخية"ينظر: تكوين:7-11-21,31 لمياء الكيلاني وسالم الآلوسي:اوائل العرب من القرن التاسع وحتى ا لسادس قبل الميلاد،لندن –1999،ص15 .عبد الوهاب محمد الجبوري:اللاسامية في الفكر الصهيوني الجذور التاريخية والأهداف،بغداد–1982،ص32.

(29) مُكتشف الحضارة الموكينية: هو الألماني شليمان الذي ولد في عام 1822م والذي قضى فترة طفولته يستمع لقصص والده المتخصص بالتاريخ القديم عن ملحمة الإلياذة والتي تحدثت عن حرب طروادة، وملحمة الأوديسة والتي تحدثت عن مغامرات أوديسيوس بعد انتهاء حرب طروادة، واللتين كتبهما الشاعر الإغريقي المشهور هوميروس، وقد كانت الإلياذة والأوديسة عند معاصري شليمان من الناس ضرباً من ضروب الخيال، ولكن شليمان آمن بصدقها، ولكي يثبت بأن ملحمتي الإلياذة والأوديسة ليسا كما يظن الأخرون ليست حقيقة قرر أن يكرس حياته لإثبات عكس ذلك، وما أن أنهى دراسته الإعدادية وهو في سن الرابعة عشر حتى قرر الهجرة من موطنه ألمانيا إلى أميركا الجنوبية بقصد جمع ثروة تساعده على

التنقيب عن مدن طروادة التي وقعت بها الحرب، وموكيناي وتيرنس اللتين قامت الحرب في حضارتهما، إلا أن الباخرة والتي كانت ستقل شليمان إلى وجهته قد غرقت في البحر فقذفته الأمواج نحو شواطئ هولندا، والتي استمر بها أربع سنوات هاجر بعدها إلى روسيا والتي استمر بها عشرون عامًا عمل خلالها وجمع ثروة طائلة وتعلم أربعين لغة ليقرأ كل ما كُتب عن الإلياذة والأوديسة، بعد ذلك وفي عام 1870 ذهب شليمان إلى المكان الذي يقال بأن طروادة تقع به وهو الجزء الشمال غربي من آسيا الصغرى وبدأ في عمليات الحفر والتي استمرت سنة كاملة من غير أن يعثر على شيء، بعد ذلك عثر أحد عماله على إناء كبير عندما فتحه سليمان وجد به تسعون ألفَ قطعة من الذهب والفضة فاعتقد بأنهُ قد توصل لأموال ملك طروادة فاستدعى كل أصحابه الأثريين في أوروبا ليشاركوه عملية الحفر، فعثر هو وأصحابه بعد هذا على تسع مدن فوق بعض وكانت مدينة طروادة هي المدينة السادسة من أسفل إلى أعلى: عن هذا الموضوع ينظر فرح: المصدر السابق، ص279.

(30) عبو رشاد: المصدر السابق، ص32؛ الأحمد:الآلهة زوس المصدر السابق،ص193-212؛ علي حسن الجابري،الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان ،دار آفاق عربية للصحافة والنشر،بغداد– 1985 ،ص162.

Hammond: op. cit,p. 61.

(31) فهمي: المصدر السابق، ص82 وما بعدها.

(32) للمزيد من التفاصيل عن تأثير ملحمة كلكامش في ملحمتي الإلياذة والأوديسة المنسوبة إلى هوميروس ينظر: سلمان داود الواسطي: "ملحمة كلكامش ودورها الرائد في أدب الملاحم العالمي"آداب المستنصرية، العدد8، بغداد–1984، ص87 وما بعدها؛ يحيى: تاريخ اليونان المصدر السابق، ص20 وما بعدها.

(33) ويبدو أن المؤرخين القدماء قد اعتادوا في سبيل تعليل وحدة العرق واللغة عند الأمم الكبيرة والعريقة أن ينسبوها إلى جد معين وأولاده وأحفاده وكانوا يقبلون الأساطير الشعبية المتعلقة بذلك كأنها حقائق تاريخية مسلّم بها ينظر العابد: المصدر السابق، ص34؛ فهمي: المصدر السابق، ص19-20.

34) أوتنابشتم هو بطل قصة الطوفان العراقية ويشبه دور ديوكاليون بطل الطوفان في القصة الإغريقية وتتشابه القصتان في تصميم الآلهة على القضاء على البشر ودمار العالم بطوفان كبير نتيجة لفسادهم وكفرهم وتفاصيل أحداث الطوفان والفلك ومهمة ديوكاليون وأوتنابشتم وأخذ أسرته ومعهم جميع أصناف الحيوانات متشابهة في الاثنين وتنتهي القصة بمجازاة الآلهة لبطل الطوفان بمنحه الخلود عن هذا الموضوع ينظر: Graves, R. , The Greeks MythsVol. 1,London-1966,P41-42.

(35) أدت الكارثة المناخية الشاملة خلال الفترة الانتقالية من عصر البرونز الأخير إلى عصر الحديد إلى هجرات واسعة وتحركات سكانية شملت شرقي أوروبا واليونان وبحر إيجة والأناضول وأقطار شرقي

المتوسط ، فانطلقت شعوب البحر من مواطنها في بحر إيجه إلى الأصقاع المجاورة، وحلت المجاعة في جميع أرجاء المملكة الحيثية وفي مناطق سوريا وفلسطين ، ويبدو أن المملكة الحيثية قد انهارت قبل وصول شعوب البحر إليها . ثم توجهت جماعة منهم نحو سوريا وفلسطين فسقطت أمامها ممالك سوريا الشمالية التي كانت مزدهرة خلال عصر البرونز الأخير (1600-1200 ق. م) مدينة أوغاريت إلى كركميش، فقد أثبتت التنقيبات الأثرية أن مدينة أوغاري قد أحرقت وفر منها سكانها نتيجة لغزو شعوب البحر. ثم بعد ذلك تقدمت هذه الشعوب نحو أواسط سوريا حيث أقامت لها محطة مستقرة في مملكة "أمورو" ونتيجة لذلك هجرها أهلها لعدم قدرتها الاقتصادية على إعادة البناء، وربما تحول هؤلاء السكان إلى رعاة متنقلين أو أنهم أوغلوا شرقا بحثا عن أماكن أكثر ملائمة لاستقرار جديد. وبذلك تكون شعوب البحر قد وصلت إلى مناطق، مقفرة، ومهدمة لم تشجعها على الاستقرار، لذلك فقد تابعت هذه الجماعات، التي كانت ترتحل مع نسائها وأطفالها وأدواتها المنزلية الخفيفة، مسيرتها نحو مصر حيث قضى الفرعون رعمسيس الثالث حوالي عام1191 ق. م على كل طاقاتها وزخمها القتالي، ولم تمض بضعة عقود حتى ذابت هذه الجماعات في الأمكنة التي توقفت عندها وضاع أثرها.

B. C. Sander, N. K. ,The Sea Peoples Warriors of the Ancient Mediterranean 1250-1150 .London- 1985, p.166-165

وعن مصادر تاريخ هذه المنطقة في هذه الحقبة ينظر :

Orientalia, 'Sources for Early Biblical History. The Second Millennium B. C' ,MaLamat, A. Vol. 50,fasc. 1,1987, p. 111

(36) فرح: المصدر السابق، ص286.

(37) تدل التنقيبات الأثرية أن الامبراطورية الحثية قد سقطت بموجب هذا الغزو كما أن بعض الكتابات المصرية من عام(1223ق. م) تشير إلى غزوتين قامت بهما هذه الشعوب على مصر ومن الواضح أن هذه الغزوة قد حطمت الامبراطورية الحثية عن طريق البروان غزوتا مصر جاءت عن طريق البحر أما بالنسبة إلى بلاد الإغريق فمن المؤكد أن هذه القبائل انحدرت برا وبحرا بدليل أن بعض الجزر وبخاصة جزيرة رودس قد بلغت ذروة مجدها التجاري انذاك ينظر:

Starr, C. G. ,A history of Ancient World,Oxford-1965,p. 189;

Ehrenbery, V. ,Man State and Deity. London-1974,p. 4-5

(38) فرح: المصدر السابق، ص286.

(39) لقد غير إعصار شعوب البحر الذي داهم المنطقة العربية حوالي 1200 ق. م الخارطة البشرية والسياسية لبلاد الشام فتدمير المدن الكنعانية في فلسطين قد سهل تسرب الجماعات الهامشية التي

كانت تتنقل دون هدى باحثة عن مأوى في منطقة شرقي الأردن وتدمير الممالك الكنعانية في سوريا الداخلية من كركميش إلى مشارق فلسطين، خلق فراغا أخذت تملؤه تدريجا القبائل الآرامية التي كانت جوالة في المنطقة منذ زمن بعيد، فاستقرت وشكلت ممالك قوية رسمت تاريخ بلاد الشام خلال الألف الأول قبل الميلاد، ونحن نعرف على وجه الحدس تاريخ الهجرة المفترضة لهؤلاء الآراميين إلى مناطق الهلال الخصيب ولا نعرف البدايات الأولى لتواجدهم فيها . ولعلهم كانوا هنا منذ أقدم الأزمنة يعيشون حياة البداوة والتنقل عن هذا الموضوع ينظر جورج كونتينيو:الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرا ، القاهرة – بدون تاريخ ؛ علي حسين خلف: الحضارة الكنعانية والتوراة ، ط1، بيروت – 1999، ص 29-30.

Legacy of Canaan, London -1957 Gray, J. ,

ماجدة حسو منصور: الصلات الآشورية الآرامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد – 1995، ص 1 وما بعدها .

(40) العابد: المصدر السابق، ص38.

(41) المصدر نفسه.

(42) كان لاحتكاك المصريين بحضارات الشعوب المجاورة بعد تحرير مصر من سيطرة الهكسوس أثره البالغ في توجهاتهم الجديدة للعالم ولقد توضحت هذه النظرة في فنونهم وكتاباتهم ولا ينكر دور الكنعانيين – الفينقيين كشعب وسيط في عملية النقل الحضاري بين المصريين وسكان العراق كما لعبوا الدور البارز في ربط الحضارة المصرية بأكثر من علاقة مع التجمعات السكنية في شمال أفريقية ومع بلاد اليونان ،وقد كان لوصول الفينقيين إلى صقلية وإسبانيا واستقرارهم فيها أثره المهم ولقد أشار اليونانيون إلى وجودهم هناك ونافسوهم في محاولات تغلغل نفوذهم في الجزيرة ويضاف إلى ذلك طابع بناء الموانئ المعروفة بالطابع الفينيقي في الأجزاء الشمالية الغربية من الجزيرة. ينظر: وليد الجادر: "دور التراث الفني في النهضة الفكرية"مجلة كلية الآداب، العدد 22، بغداد–1986، ص363 وللتوسع في المعلومات عن حركة الفينقيين في البحر المتوسط واستقرارهم في موانئ عديدة على شواطئه نحيل القارئ إلى:

.Barnett, R. D. ,"Early Shipping in the Near East" Antiquity, xxx11,1958. p. 226

(43) فهمي: المصدر السابق، ص13-14.

(44) فرح: المصدر السابق، ص286.

(45) فرح: المصدر السابق، ص287؛ Hammond:op.cit,p.56

(46) يرى عدد من المؤرخين وراء هذه الهجرة واستقبال الأثينيين تقف عوامل كثيرة منها الزيادة الكبيرة في عدد السكان في أثينا في تلك الحقبة لدرجة تجعلنا نرجح ذلك إلى عوامل أخرى كالارتفاع في معدل الولادة كما يؤكد ذلك ما أظهرته التنقيبات الأثرية من انتشار استخدام أسلوب الحرق في تلك الحقبة بدلا من الدفن الذي كان سائدا في فترة سابقة وهذا ما جعل بعض المؤرخين يذهبون إلى الاعتقاد بأن الكثرة السكانية وضيق المساحة كانت السبب في اعتماد أسلوب حرق الجثث الذي لا يكلف كثيراً ينظر العابد: المصدر السابق، ص39.

(47) عن الاتصالات المبكرة لبلاد الرافدين مع بلاد اليونان ينظر

A Sketch of North Syrian Economic Relations In Middle Bronze"JESHO,Vol.'Sasson. J. M. , 9,part. 3,p164ff;

The Important of Trade" Iraq, Vol. 39,part.1,1977,p1ff'Leemans, M. ,

Hammond:op.cit,p.51. (48)

2

الفصل الثاني

بلاد اليونان في عصر ظهور دولة المدينة

(1000 ق.م- 500 ق.م)

مدخل: نشوء المدن اليونانية
دور المدينة بين التكتل والانهيار
عهد الطغاة 625-525 قبل الميلاد
العصر الكلاسيكى 500 ق. م – 400 ق. م
صولون وإصلاحاته القانونية
بيزستراتوس وخلفاؤه
كليسثينس508 ق.م والديمقراطية في أثينا
العهد الديمقراطي وقيام الإمبراطوريةالاثينية
نظام الحكم في أثينا
نظام الحكم في أسبارطة
عصرالمستعمرات الإغريقية
التنظيم السياسي لأثينا
نشوء اسبارطة وتنظيماتها الداخلية
حضارة أثينا
التربية والتعليم
الجمعية اليونانية القديمة
الاقتصاد
الألعاب الأولمبية
فلاسفة اليونان
سقراط
أفلاطون
أرسطو طاليس
الهوامش

مدخل: نشوء المدن اليونانية

عندما انتهى عهد الميسينيين، حلت باليونان أزمة كبيرة حتى سميت هذه الفترة بالعصر المظلم والذي استمر لمدة 400 سنة، حتى اعتقد بأن الناس لم تعد تذكر كيفية الكتابة لعدم وجود أي وثائق أو علامات تدل على ما كانوا يفعلونه. بدأت الناس يتملكها الجوع شيئا فشيئا، حتى عزموا الرحيل عن هذه الأراضي للبحث عن أرض جديدة تشبع حاجاتهم، فذهبوا إلى ساحل اسيا الصغرى وتوقفوا عند أرض إيجه. في القرن الثامن قبل الميلاد بدأ اليونانيون يستعيدون حضارتهم وازدهارهم وكان المهاجرون منهم قد انتشروا حول البحر الأسود إلى الشمال الشرقي وغرباً إلى جنوب إيطاليا، حتى وصل انتشارهم إلى إسبانيا وفرنسا. معظم المهاجرين اشتغلوا كمزارعين وقليل منهم من اهتم بدعامة التجارة. بدأ استقرار اليونانيين عندما بدأ المنتجون بالرجوع إلى اليونان ليحرروا النقص هناك، حيث تحول مرفأ البحر الأسود في تلك الأيام من مرفأ حبوب وأشجار إلى مرفأ مكتظ بالخمر والزيتون والزيت والعسل. بحلول القرن السادس قبل الميلاد، ظهرت العديد من المدن على النحو السائد في الشؤون اليونانية: أثينا وإسبارطة. في اليونان القديمة كان الناس يتكلمون لغة واحدة لا أكثر، ويعبدون نفس الإله ويتشاركون نفس الملابس حتى القرن الثامن قبل الميلاد. فبسبب انفصال المدن وتقسيمها على حسب حواجز البحر أو الجبال. فمعظم المدن كأثينا وأسبارطة وكورنث عرفت بمبانيها العالية وبمناطقها المحاطة بالمزارعين الذين كانوا ينمون المحصول ويربون الحيوانات. فكل مدينة أصبح لها نظام خاص في الحكومة وطرائق للقيام بالأعمال، حتى أنهم جعلوا لكل مدينة إله ليحميهم على نحو خاص عن المدن الأخرى، فيبنون له معبداً في قلعة أثينا وهو الأكربول. كانت المعارك بين المدن مستمرة حيث كانوا يقاتل بعضهم بعضاً، ومن أقوى مدن اليونان في تلك الفترة أثينا وإسبارطة اللتين كانتا في صراع دائم لشدة المنافسة بينهما. ولكن في وقت الشدة كان شملهم يلتئم من جديد، فمثلاً عند غزو الفرس لبلادهم لم يجدوا بداً من التوحد للانتصار على الغزاة.[1]

وبعد أن أستتبت الأوضاع للدوريين نشأت المدن اليونانية في شبه جزيرة اليونان وعلى سواحل آسيا الصغرى. كذلك بدأت الحياة الاقتصادية بالازدهار فنشطت زراعة الزيتون والكروم كما توسعت صناعة الزيت والنبيذ والأواني الفخارية وصناعة الصوف والنسيج والحلي والأسلحة وغير ذلك. ونتيجة للتطور الصناعي كان لابد للمدن اليونانية أن تبحث عن

أسواق لتصريف منتوجاتها من جهة، واستيراد المواد الخام التي تحتاج إليها الصناعة من جهة أخرى ،فضلا عن حاجتها إلى استيراد الحبوب التي يحتاج إليها بلاد اليونان والتي أخذت تنقص في بلاد اليونان خصوصاً بعد ازدياد عدد المدن وسكانها وبالتالي ازدياد الأستهلاك المحلي من المواد الغذائية.[2]

ففي بداية الأمر برزت مكانة أسبارطة من الناحية الاقتصادية والعسكرية ففرضت نفوذها وزعامتها على بعض المدن المجاورة مثل مسينا وغيرها. وبعد ذلك ازدهرت مدينة أثينا وأخذت تنا فس أسبارطة على احتلال مكانة الصدارة وزعامة المدن اليونانية. أما مصير المدن اليونانية الواقعة على شواطئ أسيا الصغرى الجنوبية والغربية فقد حققت ازدهاراً اقتصادياً أيضاً أكثر من مدن شبه جزيرة اليونان نفسها،ولكن المدن اليونانية الآسيوية تعرضت في القرن الخامس قبل الميلاد للاحتلال من قبل دولة ليديا (في آسيا الصغرى)[3] ومن ثم للاحتلال من قبل الفرس سنة 546 ق. م لقد كان القرن الخامس قبل الميلاد بالنسبة لتاريخ اليونان حافلا بالأحداث المهمة في تاريخ وحضارة اليونان: وهي الحروب اليونانية الفارسية؛ محاولة أثينا تأسيس امبراطورية كبرى، وأخيرأحرب البيلوبونيزية بين اسبارطة وأثينا والمدن المتحالفة مع كل منهما.

وهكذا اندثرت الحضارة الميكنية حوالى 1000 ق.م نتيجة لغزو القبائل الدورية الذي بدأ قبل ذلك بقرن تقريبا. وكانت نتيجة هذا الاندثار فترة من التخلخل والتخلف سادت المجتمع اليونانى لحوالى قرنين من الزمان (1000-800 ق. م). ولكن رغم مساوئ هذه الحقبة المظلمة فإنها أتاحت للمجتمع اليونانى الفترة الزمنية لاستيعاب العناصر الجديدة التى٥٩٥٩جاءت من الشمال وما كان لابد أن يتلو ذلك من امتزاج بين العناصر السكانية القديمة وهذه العناصر القديمة بما يعنيه ذلك من صراع وتداخل وتفاعل أدى في النهاية إلى قيام مجتمع جديد وقد اتخذ هذا المجتمع الجديد التكوين الذي عرف بنظام دولة المدينة الذي لا تصبح فيه كل بلاد اليونان كيانا سياسيا واحدا وإنما تصبح فيه كل منطقة منه كيانا مستقلا قائما بذاته له كل أبعاد الدولة ويكون محوره – عادة – مدينة واحدة يحيط بها امتداد من الأراضي تختلف مساحته من حالة لأخرى وتتناثر فيه مجموعة من الضواحي أو القرى وقد توجد فيه ميناء صغير أو أكثر إذا كانت المنطقة تطل على البحر. وكانت الظروف الجغرافية التي جزأت بلاد اليونان إلى مناطق. منعزلة أو شبه منعزلة هي التي أدت إلى ظهور هذا التكوين. كما كانت هذه الظروف نفسها – بالإضافة إلى الظرف التاريخى الآمن من الأخطار الخارجية هي التي

أتاحت لنظام دولة المدينة إمكانية التطور من نظام الحكم الفردي إلى نظام الحكم الشعبي الذي عرفته بلاد اليونان في عدد كبير من أقسامها.[4]

دور المدينة بين التكتل والانهيار:

من المعروف ان الحضارة اليونانية نشأت تحت تاثير عوامل شرقية وخصوصا التاثير الكنعاني الواضح إلا انهم في تطورهم السياسي لم ينتهجوا النموذج الشرقي ففي الشرق نعرف أن كل طائفة من الممالك الصغيرة التي كانت كل واحدة منها عبارة عن مدينة وضواحيها تتحد وتؤلف دولة قطر مركزية كمصر وبلاد الرافدين اما في بلاد اليونان فكان نظام الحكم عند الإغريق يتمثل بدويلات المدن، ويغلب على الظن ان الأحوال الجغرافية قد ساعدت على قيام هذا النموذج في بلاد اليونان لتصل إلى هذه النتيجة، فحال دون اتحاد اليونانيين في أمة واحدة موانع قوية اهمها انقسام البلاد الطبيعي بجبالها وخلجانها انقساما متعدد مما جعل مدنها منفصلة عن بعضها بعضاً؛ فضلا عن انفصالها عن مدن اليونان الأخرى في الجزر وآسيا الصغرى. غير أن الأحوال الجغرافية لا تفسر وحدها قيام دول المدن، فاختلاف المصالح الاقتصادية والسياسية باعد بين المدن وجعلها تحارب بعضها بعضا للحصول على الأسواق أو تكوين أحلافا متنافسة للسيطرة على المسالك البحرية هذا إلى جانب عامل أخر ساعد على هذا الانفصال هو اختلاف أصول السكان. صحيح أن اليونان كانوا يرون أنفسهم من عنصر واحد ولكنهم في الوقت نفسه أحسو باختلاف القبائل التي ينتمون إليها كالقبيلة الأيولية والأيونية والأخية والدورية وهذا مادفع أثينا وأسبارطة إلى ان تحقد كل منهما على الأخرى حقدا لا يقل عن حقد العناصر المختلفة، هذا إلى جانب الانقسامات السياسية والانقسامات الدينية وخصوصا الطقوس الدينية التي اختصمت بها بعض القبائل في بعض المدن عن القبائل والمدن الأخرى.[5]

لقد كانت دولة المدينة عند اليونان خير ما يستطيعون الوصول إليه، وكان رأى أغلب الفلاسفة أن تتكون بلاد اليونان من مدن مستقلة ذات سيادة تتعاون كلها داخل نظام مؤتلف وملسجم وكانت فكرة أرسطو عن الدولة انها جماعة من الافراد يخضعون لحكومة واحدة ويلتقون في جمعية واحدة، ويرى ان الدولة إذا زاد عدد مواطنيها على 10,000 الاف تعجز عن إدارة شؤونها. إن هذا التفكك السياسي قد جر على بلاد اليونان كثيرا من المآسي بسبب ما قام بينها من نزاع.

كان من نتيجة هذا الانقسام أنه وجد في بلاد اليونان عشرات من الممالك الصغيرة

المستقلة التي كان كل منها عبارة عن مدينة صغيرة. هذا إلى جانب هذه المدن الصغيرة كان هناك أربع مناطق كل منطقة منها مستقلة بحدودها الطبيعية كشبه جزيرة أسبارطة وشبه جزيرة اتيكا وخالفت سائر المناطق الأخرى في اتحاد مدنها التي كانت في الأصل ممالك صغيرة مستقلة فتكون من مدن منطقة منها مملكة كبيرة وأقدم تلك المناطق عهدا ارغوس التي استولت على قلاع ميكاني وتيرنس وقلاع أخرى في جوارها والفت الامة الارغوسية ودعت السهل المجاور باسمها، وتغلب ملوك إسبارطة على شبهي الجزيرة اللذين إلى جنوبها، فكان في حوزة مملكتي ارغوس وأسبارطة جزء كبير من شبه جزيرة المورة (البلوبونيز)، كذلك ضمت أثينا في شبه جزيرة اتيكا جميع الممالك الصغيرة التي كانت كل منها مدينة تتبعها الأراضي المحيطة بها وبسطت سلطتها على كل شبه الجزيرة.[6]

ونفهم من هذا أنه لم يكن في بلاد اليونان اتحاد ثابت إلا الاتحاد الأثيني ترأسه مدينة أثينا والاتحاد الأسبارطي ترأسه مدينة أسبارطية أما بقية مدن اليونان فهي مستقلة بذاتها. لقد عرفت الأمة في شبه جزيرة اتيكا بالأمة الأثينية وبسطت نفوذها على كل شبه الجزيرة ودعى كل إنسان فيها أثينيا. لقد بلغت مدن اليونان الصغيرة درجة كبيرة من التطور وخصوصا في سنة 75 قبل الميلاد ونهض عامة الشعب اليوناني وجاهدوا قرونا عديدة لتحسين مركزهم وكان نتيجة جهادهم في بعض الممالك الصغيرة أن نالوا نصيبا مهما في إدارة الأمور حتى صار يصح القول أن الحكم قد تحول إلى الديمقراطية ولم يكن الباعث على هذا الجهاد حكم الملوك الفاسد فقط بل ظلم النبلاء الذين بلغت منهم القسوة أن صاروا ينهضون حقوق الفلاحين. من غير رأفة. وهيمنتهم على الأملاك الزراعية واستغلالها لانفسهم بحيث نرى أن هذه الطبقة الجديدة من الملاكين الحاصلة على الثروة أصبحت على قدر كبير من البأس والقوة فقضوا على الملوك وبدلوا نظام الحكم من الملكية إلى نظام الحكم (الاوليغاركي) أي حكم الأقلية الاستقراطية. لقد تمكن ذوو القوة منهم وأصحاب الدهاء من توسيع نطاق أملاكهم بالخداع والإغتصاب والنفوذ الشخصي فصاروا أصحاب ثروات طائلة وعقارات شاسعة يتوارثها الخلف عن السلف جيلا بعد جيل... لقد امتدت أراضيهم بضعة أميال حول مدنهم والقرى المجاورة لها ولكنهم كثيرا ما كانوا يغادرون أرضيهم ويسكنون المدينة لكي يكونوا قريبين من الملك ويحصلوا على عضوية المجلس فيكون لهم نصيب في إدارة الأحكام. لقد أصبحت الأمور في المدن اليونانية متدهورة وذلك لهيمنة هذه الطبقة على الأملاك الزراعية هذا إلى جانب أن أغلب هؤلاء الملاك الجدد أصبحوا أعضاء في مجلس الدولة...

أدت هذه الأمور إلى ضعف المجلس نتيجة الضعف الذي اعترضه فصار يجتمع فيه عدد

قليل من الفلاحين القرويين وعدد أقل من أهل المدن ثم هجره الفلاحون وعادوا إلى حقولهم الصغيرة وضعف ميلهم إلى الاجتماع فيه سنة بعد سنة فآل أمره إلى الاختفاء ولم يعبث النبلاء بحقوق عامة الشعب فقط بل تطاولوا على الملوك أيضا معتبرين أنفسهم مساوين لهم لأن الملك لم يكن في وسعه أن يثير حربا من غيرهم ولا أن يدير الأحكام من غير مناصرتهم له.[7]

وما أن حل عام 750 قبل الميلاد حتى صارت وظيفة الملك في بعض الممالك اسما بلا مسمى، بل أن الملك في بعض الممالك كان يخلع بالقوة وينتخب النبلاء من بينهم بعض الضباط ليديروا شؤون الحكومة التي كان أمر إدارتها منوطا بالملك نفسه. ففي أثينا عينوا منهم قائدا حربيا وحاكما ليعاون الملك في إدارة أعمال المملكة وبالتدريج جرد الملك من السلطة والنفوذ الذين كان يتمتع بهما. أما في أسبارطة فإن سلطة الملك ضعفت بتعيين ملك ثان يشاطره السلطة. وما أن حلت سنة 650 قبل الميلاد حتى كانت وظيفة الملك ملغية ولا أثر لها بحيث أصبحت سلطة النبلاء هي المسيطرة على الحكم في كثير من الممالك[8]

لقد أصبحت أوضاع عامة الناس في وضع يتميز بالبؤس والشقاء بحيث أدت إلى هجرة الفلاحين وغيرهم من الطبقات المرهقة المظلومة تخلصا من سطوة وطغيان هؤلاء الطغاة فأدت هذه الأمور إلى أن يتصرف الناس إلى امتهان الصناعة والتجارة حتى لايموتوا جوعا ذاهبين إلى ما وراء العالم الإيجي فأنشأوا لهم مستعمرات مهمة خارج بلاد اليونان في منطقة البحر الأسود وفي منطقة الدانوب. لقد حدث في عصر النبلاء تغير مهم في الحياة اليونانية ونشأ عن هذا التغير تطورا اقتصاديا أدى إلى ثورة اجتماعية قسمت معه البلاد إلى معسكرين معسكر زراعي يسيطر عليه النبلاء ومعسكر صناعي تجاري يسيطر عليه أبناء الشعب أدى إلى الازدهار في بعض البلاد اليونانية وذلك لأن التجار اليونانيين فرضوا سيطرتهم التدريجية على زمام التجارة البحرية ولما كانت هذه التجارة تقتضي سفنا، انتدبوا لبنائها أهل الصناعة من اليونان فبنوها على النمط الكنعاني فبلغت التجارة اليونانية درجة كبيرة في المدن اليونانية الواقعة على الجانب الآسيوي الشرقي، هذا وقد برع اليونانيون في الأسفار البحرية بحيث أصبحت الطرق البحرية أسهل عليهم من الطرق البرية. وكان حكم النبلاء الجائر الذي أدى إلى اضطهاد الفلاحين عاملا مهما لهجرتهم حتى كانوا قد طوقوا البحر الأسود بقراهم ومستعمراتهم وبلغوا إلى الدانوب الأسفل.[9]

وقد اصطدم الإغريق الذين انتشروا إلى سواحل آسيا الصغرى في منطقة كيليكية سنة 700 قبل الميلاد بالآشوريين في زمن سنحاريب حيث دحر جيشا منهم وكانت نتيجة هذا

التصادم الأول بين اليونان ودولة آسيا الصغرى وظلت قبرص أقصى مستعمرة في العالم اليوناني شرقا. وفي سنة 750 قبل الميلاد بدأت طلائع مستعمراتهم في العالم الغربي الجديد ولم يمضي عليهم قرن من الزمن حتى كانوا قد طرقوا جنوب إيطاليا بحيث أصبح القسم الجنوبي من إيطاليا يدعى بلاد اليونان ولما كان اليونان أرقى حضارة من الإيطاليين، كان تاريخ حضارة إيطاليا يبتدئ من دخول اليونان إليها. لقد أصبحت هذه الأوضاع الجديدة عاملا في ظهور طبقة برجوازية جديدة تنافس طبقة النبلاء الارستقراطيين وليس من السهولة رسم صورة الارستقراطيين وبين البرجوازيين التجار، إلا أن الصراع أصبح بينهم عنيفا جدا لأن النبلاء كانوا يعتقدون أن التجار يسعون لإلغاء امتيازاتهم فأدى ذلك إلى ظهور نظام جديد في بلاد اليونان[10]

وقد اتخذت دولة المدينة في بداية تكوينها شكل التجمعات القبلية التي يسيطر عليها كبار ملاك الأراضي وكان صاحب أكبر مساحة من الأرض برأس التجمع القبلي الذي يوجد فيه ويحمل لقب الملك (باسيليوس) وقد استعمل الأثنيون هذا اللقب من أجل تسمية السنة باسم الأرخون باسيليوس (الأرخون الملك) والذي يتم انتخابه كل سنة من قبل مجموع ذكور المدينة البالغين. وكان يوجد إلى جانبه مجلسان أحدهما يضم الأعيان أو الأرستقراطيين من رؤساء القبائل ومجلس آخر للعامة من سكان التجمع القبلي. وقد لعب هؤلاء الملوك دور الموحد لهذه التجمعات القبلية المتجاورة في شكل دولة المدينة فيما بعد وجمعوا في أيديهم معظم السلطات. ولكن منذ أوائل القرن الثامن قبل الميلاد بدأت الطبقة الأرستقراطية تزحف على سلطات الملوك في المدن اليونانية حتى إذا جاء القرن السابع قبل الميلاد كانت الحكومات الملكية قد سقطت في أغلب المدن اليونانية لتحل محلها حكومات جماعية تتكون من الطبقة الأرستقراطية التي تسيطر على المورد الإقتصادي الرئيس وهو الأرض. وقد ظلت هذه الطبقة تسيطر بدورها على دويلات المدن اليونانية حتى القرن السادس قبل الميلا حين بدأ اليونان موجة جديدة من موجات الهجرة المنظمة إلى شواطئ البحر المتوسط وأخذوا يساهمون مساهمة فعالة – إلى جانب الفينيقيين – في تجارته وهكذا ظهرت في المدن اليونانية طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة التجار وكان طبيعيا أن تسعى هذه الطبقة إلى تأمين مصالحها عن طريق المشاركة في السلطة وهكذا شهد القرن السادس قبل الميلاد ظهور نوع جديد من الحكومات في المدن اليونانية تتحالف فيها الطبقات التجارية الجديدة مع الطبقات الأرستقراطية القديمة من ملاك الأرض وهو ما يعرف في بلاد اليونان باسم النظام السياسي الأوليجركي أو نظام حكم الأقلية.[11]

ولكن هذا الوضع الجديد كان يحمل في طياته بذور تطور آخر أصبح بشكل العامل الحاسم الذي دفع بمجتمعات المدن اليونانية نحو استكمال المراحل الأخيرة من تطور نظمها السياسية والمقصود بذلك هو صعود وتطور الطبقات الشعبية التي اعتمدت عليها الحركة التجارية بحيث أوجد ازدهار التجارة أمامها فرصا واسعة ومجالا للحركة لم يكن موجودا من قبل. وهكذا بدأت الكتلة الشعبية العريضة تشعر بكيانها وبوزنها في مجتمعات المدن اليونانية وتثور على تحكم الحكومات الأوليجركية في مصائرها. ولكن حدث في هذه اللحظات من تاريخ المدن اليونانية أن تسلل إلى قيادة الحركات الشعبية أشخاص من خارجها تمكنوا من الإطاحة بالحكومات الأوليجركية لكنهم انتكسوا بمجتمعات المدن اليونانية إلى الحكم الفردى مرة أخرى ودخلوا بها إلى عصر يسمى في التاريخ السياسى اليوناني بعصر الطغاة. لكن الحركة الشعبية مالبثت أن استأنفت مسيرتها الطبيعية مرة أخرى وذلك في صورة سخط عام على هذا النوع من الحكم انتهى به في أواخر القرن السادس ق.م إلى ثورات قضت على هؤلاء الطغاة وبدأت مرحلة جديدة من المراحل التي تطورت خلالها النظم السياسية اليونانية– مع بعض الاستثناءات – إلى مرحلة الحكم الشعبى أو الديموقراطي.[12]

عهد الطغاة 625-525 قبل الميلاد:

كان التطور السياسي لبلاد اليونان ينحصر منذ منتصف القرن السابع حتى منتصف الرابع قبل الميلاد حول قطبي المدنيتين أسبارطة وأثينا اللتين تعدّان نموذجين للعبقرية اليونانية. لقد حدث التطور المفاجئ في حياة هاتين المدينتين من جراء الاتساع الاستعماري الذي صاحب اتساع التجارة والصناعة، كذلك الطلب المتزايد على البضائع الإغريقية كان حافزا لهاتين المدينتين، إلى جانب المنافسة المتمثلة بالسيادة العربية الكنعانية في مجال التجارة والمستعمرات التجارية.[13]

نشأت من جراء صيغ وممارسات انتهت بقوانين صارمة وواضحة شرعت مرة واحدة كان من نتيجتها القضاء على النظام السابق حيث حل محل حكم النبلاء حكاما مستبدين ابتدأوا بالظهور منذ 650 أو 625 قبل الميلاد في المدن اليونانية في آسيا الصغرى وفي الجزر القريبة واشتهر منهم في أثينا أعلام مشهورون مثل درايكو وصولون.[14]

إن هذا الانتشار اليوناني الاستعماري المصحوب بتقدم الصناعة في مدن الوطن الأصلي أدى إلى تغييرات جوهرية، مهمة لأن المستعمرات الجديدة فضلا عن حاجتها الخاصة كانت لها علاقات تجارية مهمة مع الدويلات اليونانية الداخلية تزداد مع الأيام بحيث أصبحت

المستعمرات سوقا للسلع اليونانية مما حدا بمدن اليونان الأصلية أن تقدم المطلوب من البضاعة على اختلاف أنواعها لهذه المستعمرات مما حدا بالمدن اليونانية أن تنزل إلى هذا الميدان التجاري فانبرت أثينا وكورنثوس في تعزيز التجارة التي كانت قد أخذت في النمو والتقدم وما أن مر قرن من الزمن حتى صارت سفن الهلينيين تجوب جميع سواحل البحر الأبيض المتوسط حاملة معها إلى المناطق البعيدة السلع اليونانية من معدن وأصواف وخزف وكانت في عودتها تشحن بالمواد الأولية الخام لتصنع في المدن الرئيسة اليونانية. وقد بذل الصناع جهدهم لتحسين إنتاجهم كي يساير المتطلبات التجارية المتزايدة ولكي يكونوا منافسين للتجارة العربية الكنعانية التي سبقتهم[15]

لقد اضطر اتساع التجارة كل يوناني إلى أن يوسع دكانه الصغير وأن يقوم بصنع البضائع اللازمة ولما لم يجد العمال اللازميين له عمد إلى شراء العبيد وتمرينهم على العمل ثم حول دكانه إلى معمل يشتغل فيه العشرات من العمال بحيث أصبح عمل العبيد في المعامل أمرا حتميا لا مفر منه في حياة اليونان الصناعية. فقد دخلت مدينة أثينا معترك الصناعة بعد جميع المدن الأيونية بوقت ليس بالقصير ولكنها استطاعت بفترة قصيرة أن تحقق فوزا كبيرا لا يقل عن فوزها في مضمار الفنون والأدب والفلسفة والحرب، ولا بد أن معامل أثينا كانت ذات درجة كبيرة من العظمة لم يبلغها معمل آخر في جميع بلاد اليونان وهذا مادلت عليه التنقيبات الأثرية حيث وجدت كؤوس مزخرفة بالنقوش والتصاوير عليها اسم صانعها واسم معمل صناعتها. من الأقاصيص الطريفة الشائعة في بلاد اليونان أن أول قدح للشراب قد شكل فوق ثدي هلن فإذا كان هذا صحيحاً فإن القالب الذي صنع على هذا الطراز قد ضاع عقب الغزو الدوري ، لأن ما وصل إلينا من الآنية الفخارية من العهود اليونانية القديمة لا يذكرنا قط بهلن ؛ وما من شك في أن هذا الغزو قد أثر أسوأ الأثر في تطور هذا الفن ، وأفقر الصناع، وشتت المدارس، وقضى إلى حين على انتقال أصوله ؛ ذلك بأن المزهريات اليونانية تبدأ من بعد هذا الغزو بسيطة بدائية فجة ، كأن كريت لم تسم بصناعة الفخار فتجعلها فناً جميلاً. ويغلب على الظن أن أسلوب الفاتحين الدوريين الذي كانت تغلب عليه الخشونة هو الذي أخرج مما بقي من قواعد الفن المينوي الميسيني ذلك الطراز الهندسي الذي كانت له السيطرة على أقدم الفخار اليوناني بعد العصر الهومري. لقد محى من هذا الفخار ما كانت تزدان به الآنية الكريتية من رسوم الأزهار والمناظر الطبيعية، والنباتات ؛ وكانت النزعة الصارمة التي أقامت مجد الهياكل الدورية هي التي قضت على صناعة الفخار اليونانية. وليس في الجرار الضخمة التي يمتاز بها هذا العصر ما يمت بصلة إلى الجمال، فقد كان

الغرض من صنعها حفظ الخمر أو الزيت أو الحبوب، ولم يكن يقصد بها أن تكون متعة للفنان الخبير بصناعة الخزف. ويكاد نقشها كله أن يكون وحدات من مثلثات أو دوائر او سلاسل، أو خطوط متقاطعة، ومعينات، وصلبان، أو خطوط أفقية متوازية بسيطة تتكرر مرة بعد مرة. وحتى الرسوم الآدمية التي تتخلل هذه الأشكال كانت رسوماً هندسية ، فجذع التمثال العلوي كان مثلث الشكل، وفخذاه وساقاه كانت مخروطية. وانتشر هذا الطراز الهين من الزينة في جميع بلاد اليونان، وكان هو الذي حدد صورة المزهريات الدبيلونية Dipylon في أثينة. ولكن الآنية الضخمة (التي كانت تصنع في العادة لتوضع فيها جثث الموتى) كانت ترسم عليها بين خطوط الأشكال الهندسية صور جانبية لوجوه النائحين، وعربات، وحيوانات غاية في السماجة. فلما آذن القرن الثامن بالانتهاء رسمت على الفخار اليوناني صور حية أكثر من الصور السابقة، واستعمل لونان لأرضية الصور، واستبدلت الدوائر بالخطوط المستقيمة، وظهر على الصلصال سعف النخل ، والأزورد، والجياد القافزة ، والآساد المصيدة، وحلت الزخارف الشرقية محل الطراز الهندسي الساذج.

وتلبية لدعوة التجارة المتزايدة كانت الحاجة ماسة إلى السفن التي تشحن هذه التجارة لذلك هب صناع السفن في بلاد اليونان لبناء سفن جديدة محسنة من حيث المساحة والصناعة لم تؤدي الغرض المطلوب هذا إلى جانب ضرورة صنع السفن الحربية لحماية الأساطيل التجارية في منطقة البحر المتوسط وفي أثناء ذلك كانت الحياة التجارية اليونانية قد دخلت عصرا جديدا وهو عصر إدخال النقود المسكوكة وقد اعتمدت المدن اليونانية على هذا التسهيل.[16] وكافة الجزر اليونانية ومناطق البحر المتوسط لذلك لعبت النقود دورا مهما في الحياة العامة اليونانية فقد كانت ثروة الشخص في العهود الماضية تقاس بما في حوزته من العقارات والمواشي أما الآن فصارت ثروة الشخص تقدر بالنقود المسكوكة باعتبارها رأس المال وأخذوا يعقدون قروضا بفائدة معلومة تقدر الفائدة السنوية بـ 18% وهذا ما شجع الذين لم يستطيعوا أن يجمعوا ثروة من الزراعة أن يغنوا في التجارة لأن تقدم الصناعة والإقدام على الأسفار البحرية أوجد ثروات بأيدي طبقة من السكان كانوا قبلا معدومين فكان نتيجة ذلك أن أصبح صنف من الناس من الطبقة الوسطى من تجار وأرباب صناعين ناجحين وطلبوا أن يكون لهم صوت في الحكومة وما لبثوا أن أصبحوا من أرباب السياسة وأهل النفوذ فاضطر النبلاء إلى احترامهم وفيما كان أصحاب المال من التجار يزدادون رقيا كان الفلاحون يزدادون بؤسا وشقاء لأنهم كانوا يستدينون الأموال من أربابها ويرهنون ما عندهم من الأراضي فإذا استحقت الديون وعجز الراهنون عن الإيفاء في الأوقات المحددة وغلقت الرهون

استولى عليها المراهنون وباعوا أصحابها عبيدا في بلاد أجنبية وكان النبلاء الذين بيدهم الحكم يبذلون قصارى جهدهم للانتفاع من ضعف الفلاحين وصغار المزارعين وبينما كان القرن السابع قبل الميلاد يقترب من نهايته كان حد الفقراء على الأغنياء المتمتعين بحماية القنون قد أوشك أن يسبب ثورة في أثينا إذ بلغ التفاوت بين الأغنياء والفقراء غايته حتى بدا أن المدينة أضحت في حالة تخشى مغبتها وأن ليس ثمة وسيلة تنجيها من اضطربات السلطة الاستبداية ولاحظ الفقراء أن زمام الحكم والجيش بيد سادتهم والمحاكم فاسدة مرتشية تحط في كل نزاع في غير مصلحتهم فأخذوا يتحدثون عن الثورة وعن توزيع الثروة توزيعا جديدا.[17]

وقام في هذا الوقت أعداء جدد يناهضون النبلاء ويقاومونهم وكان هؤلاء الأعداء من الأغنياء الجدد ومن عامة الشعب الذين أصبحوا قادرين على اقتناء السلاح لرخص ثمنه. فارتفعت بذلك منزلتهم وزادت أهميتهم في الجيش خلافا لما كانوا عليه قبلا وهم عزل من السلاح ومما زاد الموقف سوءاً هو قيام طبقة من النبلاء بمناوئة بعضهم بعضاً مما جعل اتفاقهم مستحيلا والت المنازعات بين الأسر النبيلة في كثير من الأحوال إلى تفرق شملهم وانقسامهم إلى أحزاب متطاحنة فيما بينها وكثيرا ما أظهر بعض النبلاء ميلهم إلى طبقات الشعب الساخطة مراءاة أو أخلاصا وجعل بعضهم من نفسه زعيما لهم فينضوي تحت لوائه الفلاحون والتجار وحين يرى نفسه بهذه القوة يلجأ إلى التنكيل بخصومه من النبلاء و طردهم من البلاد والاستئثار بالحكم بلا منازع والحاكم الذي من هذا النوع كان في الواقع ملكا إلا أنه يختلف عن الملوك الذين سبقوه في أنه ليس من الأسرة المالكة بل أنه مغتصب للملك اغتصابا بالقوة لذلك لم يكن يتمتع بشيء من الاحترام الذي كان يقدم إلى الملك المتسلسل من عائلة ملكية لذلك كان مركز الملك من هذا النوع غير مضمون ولا ثابت. لذلك اصطلح اليونانيون أن يسموا حاكما كهذا بالطاغية إلا أنه لم يكن في هذه التسمية شئ من التحقير أو المهانة في ذلك الزمان القديم ، بل أن الطاغية في العرف اليوناني كان اسما للمنصب السامي الذي كان يتمتع به الحاكم اليوناني. ومع ذلك كان الشعور الطبيعي العام في نفوس اليونانيين أن الإنسان إذا حكم كهذا الحكم ليس حرا ومن فتك بطاغية كان يُعد منقذا لشعب وكان هؤلاء الطغاة مع سوء اعتقاد الشعب بهم حماة الديمقراطية حريصين على حمايتها بحيث امتاز عهد هؤلاء الطغاة بنشؤ أقدم القوانين المدونة في تاريخ اليونان الإغريق بعد أن كانت الشرائع الإغريقية تعتمد على العرف المتداول إلى حدود عام 624 قبل الميلاد. لقد كان كثير من الطغاة يهتم بمصالح الشعب ويعني كل العناية بالأشغال العامة كتشييد الهياكل وبناء المرافق العامة والاعتناء بالفنون والأدب.[18]

العصر الكلاسيكي500ق. م – 400 ق.م

ظهرت أثينا وأسبرطة كأبرز دول المدينة في العصر الكلاسيكي وقد قطعت أثينا الشوط كله حتي وصلت إلى الحكم الشعبى الديموقراطي بينما توقفت أسبارطة عند نوع من الحكم الملكي المقيد ولكن قدر لهاتين المدينتين أن يلعبا الدور الأكبر في تاريخ اليونان في العصر الكلاسيكي. وفيما يخص اثينا فقد حققت وحدتها في عهد ملك اسمه ثيسيوس في تاريخ غير محدد. وحين انتقل الحكم إلى الطبقة الأرستقراطية توزعت صلاحيات الملك بين عدد من المناصب شغلها أفراد من الطبقة الأرستقراطية هي:

1- وظيفة الحاكم أو الأرخون وهو رئيس الجهاز التنفيذي.

2- وظيفة المشرف على الشؤون العسكرية أو البوليمارخوس.

3- ستة قضاة

4- رئيس للشؤون الدينية.

5-أما الصلاحيات التخطيطية والتشريعية فقد انتقلت إلى مجلس يسمى مجلس الأريوباجوس.

لقد كانت الشرائع في بلاد اليونان يتناقلها الخلف عن السلف ويحفظونها عن ظهر غيب لذلك الشرائع المكتوبة لم تكن متداولة بعد فكان يسهل على القاضي أن ينحاز في حكمه لمصلحة من يقدم له أكبر رشوة، لذلك ثار الشعب في اليونان يطالب بوجوب تدوين الشرائع الموروثة في كتاب مخصص يحفظ هذه القوانين من تلاعب القضاة المرتشين وبعد جهاد طويل كاد أن يؤدى إلى حرب أهلية في أثينا نتيجة السخط من قبل كل الطبقات صار من اللازم إبعاد شبح الحرب الأهلية بسن قانون وإصلاح جذري في نظام القضاة لذلك حصل الأثينيون على قوانين مكتوبة وبعد دراكو وصولون وكلسيثن-و بركليس من بناة دولة أثينا تحت حماية القانون.[19]

لقد كانت أقدم القوانين التي حصل عليها الأثنييون هي تلك التي نسق موادها ورتبها رجل مهم يدعى دراكو وذلك في عام 624 قبل الميلاد وكانت هذه المواد القانونية التي وضعها دراكو بمنتهى القسوة حتى أنها نسبت إليه فقيل شريعة دراكوية أي بالمعنى الواسع انه كان أكثر مشرعي العالم القديم قسوة وأشدهم بطشا حتى جرى المثل بوصف كل قانون شديد بانه قانون دراكوني وشدة هذه القوانين متناهية حيث نصت على أن الموت عقاب أية مخالفة لحكم من الأحكام، ويظهر أن دراكو قد جمع في قوانينه ماكان سائدا من عادات وتقاليد في النظام الإقطاعي ولم يفعل شيئا لإنقاذ (المدنين) المرتهنين من العبودية أو للتقليل من استغلال

الأغنياء للفقراء بحيث بقيت الأوضاع الاقتصادية والسياسية سيئة جدا بالنسبة للفلاحين وصغار التجار والعمال. وبالرغم من أن دراكو قد وسع دائرة من لهم حقوق سياسية بعض التوسع إلا أنه ترك لزعماء الإقطاع السيطرة التامة على دور القضاء ومنحهم حق تفسير كل ما يمس مصالحهم في تلك القوانين.[20]

وبينما كان القرن السابع قبل الميلاد يقترب من نهايته كانت الأحوال الاقتصادية والسياسية تزداد سوءاً فلقد بلغ التفاوت بين الفقرء والأغنياء غايته حتى كان متوقع لأثينا أن تكون مقبلة على ثورة داخلية هذا أدى إلى ازدياد سوء الأحوال السياسية في أثينا نتيجة تفاقم العداوة بينها وبين الحكومات المجاورة التي أدت إلى الاستيلاء على جزيرة سلاميس المشرفة على ميناء أثينا فازداد غضب الاثينيين من جراء خسارتهم لسلاميس وعجز النبلاء عن استرجاعها فقام فيهم رجل من الأسر الشريفة اسمه صولون[21] فتزعمهم وأضرم نار الحماسة في صدور مواطنيه مستنهضا هممهم بأبيات الشعر فسترجع الأينيين سلاميس وأصبح صولون الرجل الأول المحترم من قبل الشعب وكانت النتيجة أن انتخبه (ارخون) أي القاضي أو الحاكم العام وخوله السلطة المطلقة لإصلاح هذا المجتمع. يبدو أنه كان من الأرستقراطية المعتدلة كما كان يعمل بالتجارة فقام بوضع بعض التشريعات بغرض التوفيق بين المصالح المتضارية بين طبقات هذا المجتمع وخفض الأسعار ونقص من قيمة العملة مما سهل على الناس وفاء الديون وأفرج عن المدينين من عقال الأسر والعبودية.

صولون وإصلاحاته القانونية

إن صولون أول سياسي يوناني لدينا صورة حقيقية لأخلاقه منتزعه من قصائده الخالدة، وقد امتاز باعتداله وأصالة رأيه بحيث أنقذ أثينا من ضائقة اجتماعية عظيمة وذلك بالشرائع التي سنها والإصلاحات التي أجراها والتي رفعت عادة المهانة عن الشعب بحيث جعل لكل فرد من أفراد الشعب صوت في الحكومة. استطاع صولون من غير اللجوء إلى العنف إقناع الأغنياء والفقراء على السواء لتسوية امورهم تسوية حالت دون الفوضى الاجتماعية وإقامة نظام سياسي واقتصادي جديد بقيت أثينا مدينة مستقلة خلاله.[22]

ولد صولون من أب ينتمي إلى أسرة كريمة وقد انفق هذا الأب ثروته في مساعدة الناس والإحسان إليهم، واشتغل صولون بالتجارة في شبابه وأصبح من التجار الناجحين ووجد له مصالح كبيرة في أقطار بعيدة اكسبته خبرة واسعة ومكنته من السفر والتنقل في بلاد بعيدة وكان يسير في عمله على المبادئ التي يدعو بها فاشتهر بين جميع الطبقات الناس بالإستقامة

وفي عام 594 قبل الميلاد أقبل عليه ممثلو الطبقات الوسطة يدعونه إلى الترشيح ليكون حاكما على أن يمنح سلطة مطلقة لإخماد نار حرب الطبقات ووضع دستور جديد للبلاد وإعادة الاستقرار للدولة. ووافقت الطبقات العليا على هذا الاختيار وهي كارهة والباعث لها على هذه الموافقة ثقتها بأن رجلا من أصحاب المال لابد أن يكون محافظا.[23]

كانت أعماله الأولى تتناول الإصلاحات الاقتصادية وكان أول عمل مباشر له هو إلغاء الرهون العقارية والديون القائمة سواء أكانت للإفراد أم للدولة وهكذا حرر أراضي أثينا من جميع الرهون وجميع مطالب الدائنين التي تمس حرية المواطنين الشخصية وكان صولون سياسيا محنكا فلما قام العامة يطالبون بقسمة الأراضي التي في حيازة النبلاء قسمة جديدة رفض أن يلبي طلبهم ولكنه حدد مساحة الأراضي التي يحق للنبيل اقتناؤها ولو قام بتقسيم الأرض من جديد لأشعل الحرب الأهلية. هذا إلى جانب أنه أطلق سراح جميع من استرقوا وأعاد كل من بيع رقيه من خارج البلاد وحرم الاسترقاق وأصدر عفوا عاما أطلق به سراح كل من سجن وأعاد إلى البلاد كل من نفي منها لأسباب سياسية إن لم تكن محاولة لاغتصاب مقاليد الحكم في البلاد كما أنه ألغى معظم شرائع دراكو ولكنه أبقى على القانون الخاص بعقاب القتلة.[24]

طبقت قوانين صولون علي جميع السكان الأحرار بلا تمييز فأصبح الأغنياء والفقراء على السواء مقيدين بقيود واحدة وتفرض عليهم عقوبات واحدة. ولرغبة صرلون في التعاون مع التجار والصناع لتنفيذ إصلاحاتهم قسم الشعب إلى أربع طبقات على أساس نسبة الدخل السنوي لأفرادها الأولى إلى 500 مكيال من الحاصلات الزراعية أو ما يعادلها والثانية يتراوح دخل أفرادها بين 300 و 500 مكيال من الحاصلات أو ما يعادلها والثالثة بين 200 و 300 والرابعة أقل من 200 مكيال. من فحواء هذا التقسيم يتبين أن افراد الطبقة الأولى وحدهم هم اللذين يمكن اختيارهم إلى منصب الحاكم وإلى مناصب قيادة الجيش وأفراد الطبقة الثانية يمكن اختيار افرداها في فرق الفرسان، وأفراد الطبقة الثالثة في فرق المشاة الثقيلة، والرابعة يمدون الدولة بالجنود وأن من حق كن فرد من هذه المجموعات أن يصوت في مجلس الأمة.[25]

أضعف هذا التقسيم نظام القرابة الذي تعتمد عيلة قوة الاقلية وأحل محله حكم ذوي النزلة من الاثرياء كما أبقى صولون على مجلس الشيوخ القديم بعد أن جرده مما كان له من سلطان وأنشأ مجلس جديد مؤلف من 400 عضو يلي مجلس الشيوخ في السلطة وتختار كل طبقة من

الطبقات الأربعة 100عضو وكان هذا المجلس يبحث في المسائل التي تعرض على مجلس الشيوخ كما أوجد نظام المحلفين في المحاكم الذي يقرر في جميع القضايا ماعدا قضايا القتل والخيانة. وجعل صولون الثروة الفردية التي قررتها العادات معترف بها وإذا كان للرجل أولاد وجب عليه أن يقسم ثروته بينهم قبل وفاته فإذا لم يكن له أفراد يجوز أن يوصي إلى أي إنسان بأملاكه. وهكذا بدأ حق الوصية يظهر لأول مرة في قانون صولون.

وإذا كان صولون معدودا من رجال الأعمال فقد شجع الصناعة والتجارة بمنح حق المواطنة لجميع الأجانب الذين يجيدون مهنة والذين جاءوا مع أسرهم للإقامة الدائمة في أثينا وحرم، تصدير الغلات الزراعية عدا زيت الزيتون وكان يرجو من ذلك أن يحول الناس من إنتاج المحصولات الزراعية الزائدة عن الحاجة إلى الاشتغال بالصناعة، وسن قانون يقضي بأن الولد غير ملتزم بمساعدة أبيه إذا كان هذا الأب لايعلمه حرفة خاصة، كما أنه، أي صولون أصدر تشريعات خاصة بالأخلاق والآداب العامة وأصر على اعتبار البطالة جريمة كما انه فرض غرامة على كل من يعتدي على إمرأة وحدد معنى الزواج ونهى النساء عن امتلاك الملابس الكثيرة وحدد لها ثلاثة فساتين كما طلب أن يسن قانون يضيق به على العزاب.

وكتب صولون قوانينه على ملفات خشبية وضعت في ساحة عامة يقرؤها الناس ولم يدع كما ادعى أغلب المشرعين السابقين، بأنه إله من الآلهة انزلت عليه هذه الشرائع، إلا أن بعض الناس وجه انتقادا إلى صولون لأنه لم يساو بين الملك والسلطان كذلك انتقده المحافظون لأنه منح العامة الحقوق السياسية وأجلسهم فوق منصة القضاء. ويفضل قانون صولون حرر زراع أثينا من العبودية وقامت فيها طبقة من المزارعين الذين يملكون الأرض وحررت الصناعة والتجارة من القيود السياسية المفروضة عليها وبدأت فيها تطورات نشيطة وأصبحت أثينا بفضل هذه التطورات زعيمة التجارة في البحر الأبيض المتوسط وتشع العلم والتعليم وتمد السبيل المادي والعقلي للأعمال الثقافية. ولما بلغ صولون في عام 572 قبل الميلاد الخامسة والستين من العمر أثر على اعتزال منصبه والانصراف لما تبقى من حياته الخاصة بعد أن حكم 25 سنة اشتهر فيها بالاعتدال والزهد وأنقذ أثينا من ويلات ومحن. لقد تسنى لأثينا أن تسير قدما في نهضتها الصناعية والتجارية والثقافية والسياسية، وبعد أن أخذ العهد على سكان أثينا بإطاعة قوانينه من غير تغيير أو تبديل فيها لمدة عشر سنين، سافر بعد ذلك إلى مصر وأقطار الشرق الأدنى للإطلاع على حضارة هذه الأقطار.[26]

بيزستراتوس وخلفاؤه

ما أن غادر صولون أثينا حتى عادت الجماعات المتنازعة التي سيطر عليها مدة من الزمن

إلى ما كانت عليه من خصام ومؤامرات سياسية متواصلة وكان في طليعتها آنذاك ثلاثة أحزاب سياسية تسعى أو يسعى كل منها ليكون صاحب السلطة. الحزب الأول هو حزب الساحل ويتزعمه تجار الثغور والموانئ الذين يميلون إلى صولون. والحزب الثاني هو حزب السهل ويتزعمه الملاكون للأرض الذين يكرهون صولون، والحزب الثالث هو حزب الجبل ويتألف من خليط من الفلاحين وعمال المدن والرعاة والحطابين.

وكان هذا الحزب أجرأ الأحزاب كلها حيث طالب بإعادة توزيع الأراضي كما أن أفراد هذا الحزب لا يملكون شيئا يخشون من المغامرة عليه وكان يرأس هذا الحزب ببستراتوس حيث كان رجلا قويا حازم عارف بما يريد وكثير الطموح وكان صولون لا يطمئن إليه إلا أنه استطاع الوصول إلى السلطة. لقد استطاع ببستراتوس أن يتزعم حزب العامة وإن كان هو من الاشراف ثروة وميولا. وفي إحدى الجلسات للجمعية قال أن أعداء الشعب أصابوه بجرح وطلب تعيين حرس خاص له واحتج صولون على ذلك لأنه يعرف ماذا يقصد به، وأنه أحدث الجرح في جسمه لطلب الحرس الخاص ليمهد السبيل إلى إقامة الدكتاتورية. ومع ذلك وافقت الجمعية على تكوين حرس خاص له مؤلف من 50 رجلا ولكن ببستراتوس جمع 400 رجل واستولى بهم على الاكروبولس وأعلن نفسه دكتاتورا. إلا أن قوة أصحاب المال في حزبي الشاطئ والسهل اتحدت فيما بينها واستطاعت أن تطرد الطاغية من البلاد في عام556 قبل الميلاد. إلا أن ببستراتوس استطاع أن يرجع إلى أثينا وهزم الجيش الذي سار لقتاله وبقي في هذه المرة دكتاتورا لمدة 11 عاماً.[27]

لقد استطاع ببستراتوس أن يقبض على أعنة الحكم وكان في أحكامه حازما وموفقا فأيده كثيرون من أهل أثينا وأخلصوا له وكانت أخلاقه مزيجا نادرا من الثقافة وقوة العقل والكفاءة الإدارية والشخصية الجذابة والوفاء يقاتل من غير أن تأخذه رحمة بأعدائه ويعفو عنهم دونما تردد وفي استطاعته أن يعيش في أكثر التيارات الفكرية تقدما في أيامه وأن يحكم من غير أن يتأثر بما يتاثر به الرجل المفكر في الهدف والإحجام عن الأمور.

لقد احتفظ بدستور صولون ولم يدخل شيء مهم على تفاصيله وظل الحكام كما كانوا في السابق يحكمون بالانتخاب وظلت الجمعية والمحاكم ومجلس الاربعمائة ومجلس الشيوخ تجتمع وتقوم بواجباتها كما كانت تفعل قبل أيامه وكل ما حدث فيها من تغيرات أن اقتراحات ببستراتوس كانت تلقي أذنا صاغية ورضى الناس بحكمه على مر السنين وكان أكثرهم رضا أقلهم وما لبثوا أن تفاخروا به وفي أخر الأمر أحبوه.

أما خططه الاقتصادية فقد واصل بها تحرير الشعب وهو التحرير الذي بدأ به صولون وحل المشكلة الزراعية وتوزيع ما تمتلكه الدولة من الأراضي على الفقراء وتوزيع ما يمتلكه الإقطاعيون الذين نفوا إلى خارج البلاد وهكذا استقر في الأراضي الزراعية آلاف من الأثينيين الذين كانت بطالتهم خطرا على البلاد، كما أنه أوجد عملا للمحتاجين وذلك في إقامة المنشآت الواسعة والمرافق العامة في الدولة.

هذا إلى جانب بنائه أسطولا حربيا مؤلفا من ثمان وأربعين قطعة استولى بها على مدخل الدردنيل، فكان عمله هذا ذا نفع كبير لاثينا لانه جعل أثينا مدخل البحر الأسود. كما ازدهرت الصناعة والتجارة من جراء إقامة مستعمرات في النقاط المهمة على الدردنيل وعقد معاهدات تجارية مع كثير من الدول وراجت التجارة في أيامه رواجا عظيما وازدادت الثروة وشملت هذه الزيادة الناس بوجه عام .

لقد تبدلت أحوال أثينا في أيام بيستراتوس فأصبحت دولة من الدرجة الأولى بحيث أقيمت المباني الفخمة والمعابد المهمة وأقيمت دور العلم والثقافة وأصبح عيد أثينا عيداً قوميا لشعب اليوناني كله.[28]

كليسثينس (508 ق. م والديمقراطية في أثينا)

وفي ذلك الوقت كان يرأس الجهاز التنفيذى في أثينا شخص اسمه كليستنيس فأقدم على وضع دستور يصقل دستور سولون ويستكمله ويقضى على عوامل الشقاق والصراع الحزبي.

دستور كليستنيس

وقد بدأ كليستنيس العمل على وضع دستوره الجديد حوالى سنة 503-502 ق. م وقام على ثلاثة أركان رئيسة هي:

1- بدأ كليستنيس أولا بإعادة تقسيم المجتمع الأثينى إلى قبائل من نوع جديد تقوم على أساس مكاني لتصبح قاعدة للتنظيم الإدارى وللحقوق السياسية بدلا من التقسيم القديم الذي كان يقوم على رابطة القرابة أو الدم فأعاد تقسيم أتيكة (أثينا) إلى عشرة قبائل أساس كل منها هو المكان – بعد أن كانت أربعة قبائل تقوم على رابطة الدم –وقسم كل قبيلة إلى ثلاثة أقسام موزعة بين أقسام أتيكة الطبيعية (الساحل والسهل والجبل) ويقسم كل من هذه الأثلاث إلى عدد من الأحياء يدعى كل منها ديموس وتعد عضويته الأساس للمواطنة وللحقوق السياسية كما جعل هذه الأحياء أساسا للتنظيم الإداري وهكذا قضى

على أسباب التناحر بين حزب الساحل الذي يمثل التجار وحزب السهل الذي يمثل أصحاب الأرض وحزب الجبل الذي يمثل الرعاة.

2- وبناء على الرابطة المكانية الجديدة التي حلت محل رابطة الدم القديمة أعيد تنظيم مجلس الشورى الذي ظهر في تشريعات سولون فبعد أن كان هذا المجلس مكونا من أربعمائة عضو، مائة من كل من القبائل الأثينية الأربعة على أساس رابطة الدم أعيد تنظيمه ليصبح مكونا من خمسمائة عضو خمسين من كل قبيلة مكانية جديدة. فأصبح بذلك ممثلا للمجتمع الأثيني ككل وليس ممثلا للروابط الأسرية القديمة.

3- أما الركن الثالث الأساسي في دستور كلسيثنيس فكان قانون النفي السياسي وبموجب هذا القانون أصبح الأثينيون يستطيعون خلال دورات محددة من دورات مجلس الشعب أن يصوتوا على نفي أي زعيم سياسي يرون فيه خطرا على الديموقراطية بشرط ان يدلي ستة آلاف شخص على الأقل من المجتمعين بأصواتهم حتى يصبح النظر في أمر مسألة النفي قانونيا وتكون مدة نفي الشخص الذي توافق أغلبية الأصوات على نفيه هي عشر سنوات[29]

العهد الديمقراطي وقيام الإمبراطورية الأثينية

نظام الحكم في أثينا

عد عصر الطغاة من أعظم أزمنة تاريخ اليونان لأنه نبغ فيه أعظم الرجال وأكبر قادة الأفكار فكانت أثينا في هذا العهد صاحبة قصب السبق في التجارة والسياسة والهيئة الاجتماعية ودخلت عالماً جديدا، عالم العلم والفلسفة فتجلت جميع العبقرية في حياة اليونان المملوءة نشاطاً في مختلف نواحي الحياة السياسية والآداب والدين والتصوير والهندسة وفن البناء ، فكان الحكام – وأكثرهم كانوا طغاة – قد أحدثوا تأثيرا في بيئتهم لم تستطع الأيام أن تقضي علها فكانوا أول سياسيي اليونان ومفكريهم ولذلك شغف الناس باقتباس امثالهم الحكيمة التي منها (أيها الإنسان اعرف ذاتك) ومنها قول صولون (لاتفرط في شيء)، ولكن بعد أن توفي بيستراتوس في عام527 قبل الميلاد وورث السلطة من بعد لأبنائه هبارخوس وهيياس، وكانت حكمة بيستراتوس قد اجتازت كل اختبار بنجاح إلا اختبار واحد أخفق فيه وهو كسب رضا أبنائه. وقد عد هيارخوس عادلا في حكمه وظل مدة 13 عام يسير على نهج أبيه وكان أخوه الأصغر هبياس غير رزين وأمين على مصلحة الأمة اليونانية، بل أن الاثنين لم يكونا راضين على طريقة الحكم وأخذوا يدركون أن الدكتاتورية مكنت لهم كل شيء الا الحرب فانفجر بركان الحماسة في أثينا وهب شابان هما هرموديوس وارستوجينون وضحيا

بحياتهما وقتلا أحد الطاغيتين هيبارخوس وأما هبياس الطاغية الآخر فاضطر أن يلوذ بالفرار ويسلم وهكذا تحررت أثينا من طغاتها بعد عام 500 قبل الميلاد.[30]

استطاع كلسيثينس وهو أحد النبلاء أن يكسب تأييد الطبقات الدنيا من الشعب وأن ينال الفوز في انتخابات الجمعية وينال تأييد الشعب له وكان أول عمل قام به بمثابة ضربة للقواعد الاستقراطية الأثينية أي القبائل الأربعة والبطون التي كانت تتولى زعامتها جريا على التقاليد، فقد الغى كلسيثنس التقسيم العام القائم على صلة القرابة والدم واستبدله بنمط آخر جعل الناس بمقتضاه عشرة أقسام يتألف الواحد منها من عدد من المراتب. لقد عمل كلسيثنس على تفتيت القسمة القديمة المبنية على قاعدة قرابة الدم وجعل مكانها قسمة مبنية على الفوارق المحلية فمزق شمل العشائر النبيلة وغيرها ورحلها في محلات مختلفة حيث كونوا أقليات، فكان هذا سدا حائلا بينهم حتى لايتمكنوا من العمل وبذلك كسرت شوكتهم[31]

ومنعا لقيام طاغية جديد سن كلسيشنس قانون يخول الناس مرة في كل سنة حق التصويت لإبعاد أي شخص أوجسوا منه شراً على الحكومة مدة عشر سنوات، وما كان على الواحد منهم إلا أن يكتب على قطعة فخارية اسم الشخص المستحق الإبعاد ويلقيها في مكان الاقتراع وعلى الجمعية إذا حضر العدد القانوني أن تنفي هذا الشخص من البلاد لمدة عشر سنوات وبهذه الطريقة أضطر الزعماء أن يسلكوا مسلك الحذر وكان باستطاعة الجمعية أن تتخلص ممن يتآمرون عليها من غير الابطاء الذي تستلزمه الإجراءات القانونية. وبهذه الوسيلة حصلت أثينا على نوع من الحكومة أعطي فيها الشعب درجة عالية من السلطة أي أن الحكومة كادت أن تكون ديمقراطية محضة.[32]

وبذلك يمكن القول أن إصلاحات كلسيثنس جاءت مكملة لإصلاحات صولون وكانت البداية الحقيقية لنهوض أثينا الفعلي في مجال الديمقراطية. لقد ارتبط الاثينيون بهذا العمل الذي يستهدف سيادة الشعب، فقد عرفوا في ذلك الوقت لذة الحرية في القول والعمل والتفكير وبدأوا يتزعمون بلاد اليونان كلها والأدب والفنون والسياسة والحرب وتعلموا طاعة قانون جديد يعبر عن إرادتهم وأحبوا الدولة التي كانت تمثل وحدتهم وسلطانهم وفي غضون ذلك كانت أسبارطة قد بلغت درجة عالية من السؤدد فإن الأسبارطيين قاموا بأعمال عسكرية عقد لهم فيها الفوز حتى انهم أكرهوا الحكومات المجاورة على عقد تحالف أشتمل على كل شبه جزيرة المورة (البلوبونيز) وكانت أسبارطة زعيمة هذا التحالف مكونة اقوى حكم في اليونان هذا مع العلم ان أسبارطة لم يكن فيها صناعات بل كان يحكمها نفر من طبقة الأسر النبيلة

وكانت تنظر إلى أثينا وديمقراطيتها الواقعية بعين لحسد والسخط لأنها كانت ضد هذا النوع من الحكم أي حكم الشعب. إلا أن خطر الأعداء الخارجين على بلاد اليونان في أوائل القرن الخامس أوجبت على اليونانيين جميعا أن يفكروا بالدفاع عن مدنهم ضد هجوم الإمبراطورية الإخمينية فاستعدوا لدره الخطر وأدرك الأسبارطيون مسؤولياتهم تجاه أسبارطة كما أدركت أثينا مسؤوليتها تجاه اليونان فاستعدوا بشجاعة للحرب على الرغم من خلافاتهم واختلاف أنظمة الحكم. أما الأثينيون فإنهم هبوا إلى الصفوف الأولى يحملون السلاح للدفاع عن المكتسبات الديمقراطية التي حصلوا عليها بعد جهد وكفاح طويلين. خلال النضال المرير عبر قرون عديدة ولإنقاذ أعز ممتلكاتهم وهو الدستور الذي تركه لهم صولون ونظمه لهم كلسيثنس.

نظام الحكم في أسبارطة

أما فيما يخص أسبارطة فقد عرفت نظام حكم متداخل يجمع بين النظام الديموقراطي والنظام الملكي وترجع أصول المجتمع الأسبارطي إلى القبائل الدورية الغازية التي سيطرت على منطقة لاكونيه في جنوب بلاد اليونان وقد نشأت مدينة أسبارطة في وسط هذه المنطقة التي أصبحت المركز الحصين لهؤلاء الغزاة الذين أطلقوا على أنفسهم إاسم اللاكديمونيين. وقد سيطر الأسبارطيون على المقيمين في منطقة لاكونيه ورغم أن هؤلاء السكان ظلوا أحرارا وعرفوا باسم البيريوكي أي السكان المحيطون بأسبارطة فقد جردوا من كل حقوق سياسية. بعد ذلك دخل الأسبارطيون في حربين مريرتين مع منطقة مسينا الواقعة إلى غربي منطقة لاكونيه مرة في القرن الثامن ق.م ومرة في القرن السابع ق.م انتهت باستيلائهم على هذه المنطقة والهبوط بأغلب سكانها إلى مرتبة العبيد. وفي ظل هذه الظروف أصبح الأسبرطيون أقلية حاكمة وسط محيط معادي مما جعلهم يتبعون نظاما اجتماعيا وسياسيا يمكنهم من المحافظة على تماسكهم وسيطرتهم وسط هذه الأغلبية المعادية.[33]

وهكذا نشا التنظيم الاجتماعي والاقتصادي الأسبارطي تنظيما عسكريا إقطاعيا فكان للدولة جيشا نظاميا بعكس المدن اليونانية الاخرى التي كانت تعتمد على التعبئة المؤقتة أوقات الحروب. وبمقتضى النظام الأسبرطي كان الأصحاء من أطفال العائلات الأسبرطية يخضعون لإشراف الدولة عندما يبلغون السابعة من العمر فتأخذ على تنشئتهم تنشئة عسكرية فإذا بلغ الأسبارطي سن الرشد يبدأ في مزاولة الحياة العسكرية كجندي في الجيش الوطني. ورغم انه كان مسموحا له بالزواج وتكوين أسرة إلا انه كان لايعيش في بيته أو مع أسرته كما لم يكن يشغل وقته في العمل لتهيئة أسباب العيش لأسرته ولذا فقد كانت الدولة تمنحه قطعة كبيرة من

الأرض الصالحة للزراعة وعائلة أو أكثر من العبيد لفلاحتها وكان على هؤلاء العبيد أن يعطوا الأسبرطى الذين يعملون في أرضه نصف العائد من هذه الأرض كما كان عليهم أن يقوموا على خدمته هو وأسرته سواء في أوقات السلم أو في ميدان القتال. كذلك لم يكن مسموحا للأسبارطى التعامل في التجارة أو الصناعة والتى تركت لطبقة البيرى أو يكوى.(34)

التنظيم السياسي الأسبارطي:

أما بالنسبة للتنظيم السياسى فإن الدستور الأسبارطي والمنسوب إلى شخصية يحمل صاحبها إسم ليكورجوس في مدينة أسبارطة والذي يعود إلى أحد الأسر الملكية فقد قام على أربع دعائم تتمثل في :

1- ملكين على رأس الحكم

2- مجلس للشيوخ

3- مجلس شعبي

4- عدد من المشرفين

وبالنسبة للملكية فقد بقيت قائمة في دستور المدينة حتى بعد أن بلغت آخر مراحل تطورها ولكنها إذا كانت قد بقيت إلا أن سلطات الملك قد تقلصت إلى حد كبير بسبب عاملين رئيسين أولهما هو وجود ملكين على رأس السلطة بحيث أصبح كل منهما رقيبا على الآخر على نحو أعطى نظام الحكم شئ من الديموقراطية فلم يعد هناك داع للتخلص من الملكية لإنها لم تكن ملكية مطلقة. ويبدو أن أصل هذه الملكية المزدوجة يرجع إلى وجود قبيلتين رئيستين قامت مدينة أسبرطة نتيجة لاتحادهما هما قبيلة الآجيدين وقبيلة اليوريبونتين. أما العامل الثاني فهو زحف الطبقة الأرستقراطية على سلطات الملك كما حدث في المدن اليونانية الاخرى.

أما عن مجلس الشيوخ أو مجلس الجيروسيه فقد كان يتكون من ثلاثين عضوا من بينهم الملكان بحكم منصبهما وفيما عدا الملكين فقد كان سن الأعضاء الثمانية والعشرين يجب أن يكون فوق الستين وكانت عضويتهم تمتد مدى الحياة وكانت صلاحيتهم تشمل تحضير المسائل التي تعرض أمام مجلس الشعب كما كان في أيديهم الفصل في القضايا الجنائية ورغم أن مجلس الشعب كان هو الذي ينتخبهم فقد كان شرط انتخابهم أن يكونوا من أعضاء الأسر الأرستقراطية.

أما مجلس الشعب أو مجلس الأبلة فقد كانت عضويته تشمل كل أسبرطى فوق الثلاثين.

وكانت صلاحيات هذا المجلس تشمل انتخاب أعضاء مجلس الشيوخ (الجيروسيه) وهيئة المشرفين وأعضاء الجهاز التنفيذي كذلك كان في يد المجلس الشعبي تقرير المسائل الخاصة بالحرب والسلام والسياسة الخارجية وحسم المشكلات المتعلقة بوراثة عرش الملكين.

أما الركن الرابع من أركان النظام السياسي في اسبارطة فيمثله المشرفون أو الإيفورين وقد استحدثه ليكورغوس فأصبحت الجمعية تنتخب سنوياً من بين جميع المواطنين، وكان عدد هؤلاء المشرفين خمسة أفراد ومن المرجح أن هذا العدد كان مرتبطا بعدد القرى الخمس التي قامت إسارطة نتيجة لاتحادها أو توحيدها كما يبدو أنه قد ظهر في البداية لمساعدة الملوك في الإشراف على القضايا المدنية في هذه القرى. على أن هذه الصلاحيات القضائية سرعان مانمت وتطورت بحيث أصبحوا في أخر الأمر يضمون إلى جانبها صلاحيات سياسية على جانب كبير من الأهمية من بينها الرقابة على تصرفات الملوك والمحافظة على النظام العام وتطبيق القانون ومع هذا التطور لم يعد الملوك هم الذين يعينون المشرفين وإنما أصبحوا يشغلون مناصبهم عن طريق الاقتراع العام من بين صفوف كل الأسبارطيين من غير أي تحديد. ويبدو واضحا أن التطور الذي أدى إلى اتساع سلطاتهم السياسية بهذه الصورة قد اكتسبوه في أثناء الصراع الذي دار في القرن السابع ق.م بين الطبقة الأرستقراطية التي كانت تحكم أسبارطة بالإشتراك مع الملوك من جهة وبين طبقة العامة أو الطبقة الشعبية من جهة أخرى فكانت هذه السلطات السياسية التي حصل عليها المشرفون في حقيقة الأمر تشكل نوعا من التوازن الذي يحفظ ماحصل عليه العامة من مكاسب في أثناء هذا الصراع وبين ما استطاع الملوك والأرستقراطيون أن يستبقوه في أيديهم من سلطات.[35]

عصر المستعمرات الإغريقية:

إذا كانت أسبارطة تأسست في إقليم لاكونيا الزراعي فإن أثينا تأسست في إقليم اتيكا الذي أصبح كل سكانه مواطنين أثينيين في إشارة إلى بسط أثينا سيطرتها الكاملة على الإقليم عندما انتهى عهد الميسينيين، حلت باليونان أزمة كبيرة حتى سميت هذه الفترة بالعصر المظلم والذي استمر لمدة 400 سنة، حتى اعتقد بأن الناس لم تعد تذكر كيفية الكتابة لعدم وجود أي وثائق أو علامات تدل على ما كانوا يفعلونه. بدأت الناس يتملكها الجوع شيئا فشيئا، حتى عزموا الرحيل عن هذه الأراضي للبحث عن أرض جديدة تشبع حاجاتهم، فذهبواإلى ساحل آسيا الصغرى وتوقفوا عند أرض إيجه. في القرن الثامن قبل الميلاد بدأ اليونانيون يستعيدون حضارتهم وازدهارهم وكان المهاجرون منهم قد انتشروا حول البحر الأسود إلى الشمال الشرقي وغرباً إلى جنوب إيطاليا، حتى وصل انتشارهم إلى إسبانيا وفرنسا. معظم

المهاجرين اشتغلوا كمزارعين وقليل منهم من اهتم بدعامة التجارة. التي ازدهرت في اليونان القديمة من عام 480 إلى430 ق.م كما لم تزدهر في المستقبل إلا بعد أن قضى بمبي على القرصنة في عام 67ق.م . وكانت أرصفة إبيرية ومخازنها، وأسواقها ومصارفها تقدم للتجارة كل ما تستطيعهُ من أسباب التيسير ؛ وسرعان ما أضحى هذا الثغر النشيط العامل أهم مراكز التصدير وإعادة الشحن للتجارة المتبادلة بين الشرق والغرب.٠وفي ذلك يقول سقراط: لقد كان من اليسير أن يبتاع الإنسان في أثينا جميع ما يصعب عليهِ أن يجدهُ إلا في أماكن متفرقة سلعة منه في هذه المدينة وسلعة في تلك ". ويقول توكيديدس " إن عظمة مدينتنا تجذب غلات العالم كله إلى مرفئنا، حتى أصبحت ثمار البلاد الأخرى من مواد الترف المألوفة للأثيني كثمار بلده نفسه ". وكان التجار يحملون من إ بيرية ما تنتجه حقول أتيكا وحوانيتها من الخمور، والزيت، والصوف، والمعادن، والرخام، والخزف، والأسلحة، ومواد الترف، والكتب، والتحف الفنية ؛ ويأتون إلى إبيرية بالحبوب من بيزنطية، و سوريا، ومصر، و إيطاليا، وصقلية؛ وبالفاكهة والجبن من صقلية و فينيقية، وباللحوم من فينيقية و إيطاليا؛ والسمك من البحر الأسود؛ والنُّقل من بفلاجونيا ؛ والنحاس من قبرص؛ والقصدير من إنجلترا؛ والحديد من شواطئ بحر البنتس؛ والذهب من ثاسوس وتراقية؛ والخشب من تراقيا و قبرص؛ والأقمشة المطرزة من بلاد الشرق الأدنى؛ والصدف والكتان والأصباغ من فينيقية؛ والتوابل من قورينة ؛ والسيوف من خلقيديا؛ والزجاج من مصر ؛ والقرميد من كورنثا؛ والأسرة من طشيوز وميلتوس؛ والأحذية والبرنز من اتروريا ؛ والعاج من بلاد الحبشة؛ والعطور والأدهان من بلاد العرب ؛ والرقيق من ليديا و سوريا و سكوذيا. ولم تكن المستعمرات أسواقاً فحسب، بل كانت فوق ذلك وكالات شحن ترسل البضائع الأثينية إلى الداخل، ومع أن مدائن أيونيا قد اضمحلت في القرن الخامس قبل الميلاد لأن التجارة التي كانت تمر بها من قبل تحولت إلى البروبنتس وكاريا أيام الحرب الفارسية وبعدها، فإن إيطاليا وصقلية قد حلتا محلها وأصبحت بلادهما ثغوراً لتصدير ما زاد عن الحاجة من غلات بلاد اليونان الأصلية وسكانها، وفي وسعنا أن نقدر قيمة تجارة بحر إيجة الخارجية إذا عرفنا أن حصيلة ضريبة الخمسة في المائة المفروضة على صادرات مدن الإمبراطورية الأثينية ووارداتها قد بلغت في عام 413 ألفاً ومائتي وزنة. وكان الخطر الكامن وراء هذا الرخاء هو اعتماد أثينا اعتماداً متزايداً على الحبوب المستوردة من خارجها؛ ومن ثم كان حرصها على السيطرة على مضيق الهلسبنت والبحر الأسود، وإصرارها على استعمار السواحل والجزائر الواقعة في طريقها إلى المضايق، وحملتها المشؤومة على مصر عام 459 ق.م وعلى صقلية في عام 415ق.م. واعتمادها هذا هو الذي

أغراها بتحويل حلف ديلوس إلى إمبراطورية أثينية ؛ ولما أن دمر الأسبارطيون الأسطول الأثيني في مضيق الهلسبنت عام 405ق.م، كان لابد أن تعاني أثينا الام الجوع وأن تستسلم نتيجة لهذا التدمير. غير أن هذه التجارة هي التي جلبت الثراء لأثينا، وكانت مع خراج إمبراطوريتها عماد رقيها الثقافي، ذلك أن التجار الذين كانوا ينتقلون مع بضائعهم إلى جميع بقاع البحر الأبيض المتوسط كانوا يعودون إليها بوجهات نظر إلى الحياة تختلف عن نظراتهم قبل خروجهم من بلدهم، وبعقول متيقظة متفتحة؛ وكانوا يأتون معهم بأفكار وأساليب جديدة، يحطمون بها القيود القديمة والخمول القديم، ويستبدلون بالتحفظ الأسري الذي هو من طابع الأرستقراطية الريفية نزعة فردية تقدمية هي طابع الحضارة التجارية.

بدأ استقرار اليونانيين عندما بدأ المنتجون بالرجوع إلى اليونان ليعوضوا النقص هناك، حيث تحول مرفأ البحر الأسود في تلك الأيام من مرفأ حبوب وأشجار إلى مرفأ مكتظ بالخمر والزيتون والزيت العسل. بحلول القرن السادس قبل الميلاد، ظهرت العديد من المدن التجارية المهمة وكان الأكثر تميزا وشهرة في الشؤون اليونانية هما : أثينا وأسبارطة. في اليونان القديمة كان الناس يتكلمون لغة واحدة لا أكثر، ويعبدون الإله نفسها ويتشاركون في الملابس نفسها حتى القرن الثامن قبل الميلاد. فبسبب انفصال المدن وتقسيمها على حسب حواجز البحر أو الجبال. فمعظم المدن كأثينا وأسبارطة وكورنث عرفت بمبانيها العالية وبمناطقها المحاطة بالمزارعين الذين كانوا يتمون المحصول ويربون الحيوانات. فكل مدينة أصبح لها نظام خاص في الحكومة وطرائق للقيام بالأعمال، حتى أنهم جعلوا لكل مدينة إله ليحميهم على نحو خاص عن المدن الأخرى، فيبنون له معبداً في قلعة أثينا وهو الأكربول. كانت المعارك بين المدن مستمرة حيث كانوا يقاتل بعضهم بعضاً، ومن أقوى مدن اليونان في تلك الفترة أثينا وأسبارطة اللتين كانتا في صراع دائم لشدة المنافسة بينهما. ولكن في وقت الشدة كان شملهم يلتئم من جديد، فمثلاً عند غزو الفرس لبلادهم لم يجدوا بدأ من التوحد للانتصار على الغزاة.[36]

وقد نشأت أثينا نتيجة لاتحاد جماعات كانت تعيش على تل الاكروبول الشهير في ممالك أو قرى صغيرة لكل منها نظامها السياسي الخاص إلا ان سياسياً كان يدعى "ثيسيوس" قام بحل كل الأنظمة السياسية لهذه القرى وجعل منها نظاماً واحداً في مدينة واحدة هي أثينا التي نمت وتزايد نفوذها حتى سادت الإقليم كله.

وإن كانت هذه الجماعات المختلفة قد استمرت في العيش على أراضيها السابقة إلا أنها كانت مدرجة ضمن سكان أثينا، وكان افرادها يقصدون أثينا في جميع امورهم الحياتية باعتبارها عاصمة لهم.

وهكذا ولدت واحدة من أعظم مدن العالم القديم وأشهرها من غير أن يصاحب ولادتها العنف ولا الحرب ، وعلى عكس ما حدث مع مدينة أخرى هي أسبارطة إذ إن سكان أثينا كانوا جميعاً من الأحرار ولم يكن هناك أثيني واحد قد فقد حريته حتى غيرت بعض الظروف هذه الحقيقة بغيرها.[37]

وقد انقسم سكان أثينا إلى التركيبات الآتية :

1- النبلاء :

كانوا من نسل ملاك الأراضي في القرى السابقة قبل تكوين المدينة وكانوا يتمتعون بكافة المزايا في المجتمع الأثيني بالإضافة إلى ثرائهم وحيازتهم للنصيب الأكبر من ثروة المجتمع. لم يكن الفرق الأساسي بين الناس في دولة المدينة هو الفرق بين الأغنياء والفقراء ولا بين الأحرار والعبيد، بل كان بين المواطنين وغير المواطنين. لقد كان هناك الكثير من الفقراء بين مواطني دولة ديمقراطية مثل أثينا، وكان تزايد فقر الفلاحين في أماكن كثيرة مشكلة تتكرر باستمرار، كما يبدو أن عدد الأحرار الذين لا يملكون أرضاً كان يزداد بمرور الزمن، وكانت أعداد الأجانب المقيمين تزداد حيث تزدهر التجارة، أحد التقديرات يقول أن حوالي أربعين بالمئة من سكان أثينا الذكور في القرن الخامس ق.م كانوا من غير المواطنين على اختلاف أنواعهم. إلا أن هذه المدينة تبقى حالة خاصة، فقد كانت أكثر اعتماداً على التجارة والصناعة من أكثر المدن، لذلك كانت فيها نسبة أعلى من الرجال الأثرياء، وكان بعضهم ينتمون للعائلات الأرستقراطية القديمة، ويعيش هؤلاء على الدخل الذي تؤمنه له أملاكهم وهذا ما يفسر استهجان الإغريق لكسب المال عن طريق ممارسة المهن أو التجارة. إلا أن طبقة الأثرياء هذه كانت تتسع عن طريق انضمام التجار الأغنياء إليها أيضاً.

2-الفلاحون :

لم يكن الفلاح في بداية تأسيس أثينا يملك الأرض، لكنه كان يزرعها لأصحابها النبلاء. وفي العالم الإغريقي كان أكثر الناس يحصلون معيشتهم من الأرض، حيث ظلت الزراعة شاقة وبدائية حتى مع ظهور الأدوات الحديدية لقد بقيت الزراعة عماد الاقتصاد، مثلما هي الحال اليوم في كثير من دول العالم، ولكنها لم تنتج ثروة كبيرة، ولو أن الزيتون والكروم قد وسعا من إمكانياتها، لأن تربة اليونان ليست غنية في العادة، فظلت المحاصيل قليلة وضعيفة النوعية طوال الأزمنة الكلاسيكية. وكانت بقع الأرض صغيرة جداً ، فحتى الرجل الغني لم يملك إلا 20-30 هكتاراً من أراضي الحبوب والكروم معاً كما يبين تصنيف لمواطني أثينا بحسب الثروة

وضع في القرن السادس. وقد ظل الاتجاه العام هو تقسيم الأملاك مرة بعد الأخرى عند الميراث، وكان أكثر الرجال الأحرار من صغار الملاك بمقاييسنا. وقد اقتضى الاعتماد على الزراعة في أراضٍ صغيرة أن تكون الحياة شاقة وبسيطة، فإنك حين تنظر إلى آثار اليونان العظمية مثل بناء البانثيون في أثينا أو المعابد الإغريقية الكثيرة الباقية فقد تشكل انطباعاً خاطئاً عن الحياة في اليونان القديمة، لأن هذه كانت أبنية عامة تمول بموارد جماعية، ولكن الحقيقة أن أكثر الإغريق كانوا يعيشون في بيوت صغيرة متواضعة ويأكلون طعاماً بسيطاً، ولم يكن لديهم عبيد ولا حتى خدم.

3-الصناع :

كانوا يتمركزون حول المدن المزدهرة، وكانوا يزاولون مختلف أنواع الصناعات الصغيرة التي كانت تشكل جانباً من النشاط الاقتصادي لأثينا. وإن كانت صغيرة في حجمها دقيقة شديدة التخصص في نوعها، فقد كانت تستخرج الرخام وغيره من الحجارة من محاجرها، وتصنع آلافاً من أشكال الآنية الخزفية، وكانت تدبغ الجلود في مدابغ كبيرة كالتي يمتلكها كليون منافس بركليس و أنيتس الذي وجه التهمة إلى سقراط. وكان من أهلها فوق ذلك صانعو العربات، وبناؤا السفن وصانعو السروج وسائر عدد الخيل ، والحذاءون، وكان من صانعي السروج مَن لا يصنعون إلا الأعنة ومن الحذائين مَن اختصوا بصنع أحذية الرجال أو النساء. وكان من المشتغلين بحرف البناء نجارون وصانعون للقوالب، وقاطعون للأحجار، ومشتغلون بالمعادن، ومصورون، وطالون للجدران والأخشاب. وكان فيها حدادون وصانعون للأسياف والدرو ع، والمصابيح، والقيثارات، والطحّانون، والخبازون ، والوزامون والسماكون- وجملة القول أنها كانت تحتوي على كل ما تطلبه الحياة الاقتصادية الكثيرة العمل المتنوعة الأشكال.

4- المعدمون :

كانوا أقل الطبقات أهمية وأكثرها فقراً وحاجةً وكانوا في أسفل السلم الاجتماعي للسكان إلا أنهم مع ذلك لم يكونوا عبيداً مثلما كان الحال مع الهيلوتس في أسبارطة.[38]

التنظيم السياسي لأثينا

عرفت أثينا الملكية مثلما عرفتها اسبارطة إلا أنها اختلفت عنها في كونها بدأت تسير نحو الديمقراطية بخطوات جادة بدأت بانتزاع السلطات العسكرية للملك وتسليمها للبوليمارخ ثم إنشاء وظيفة الأرخون أي نائب الملك الذي أوكلت إليه السلطة المدنية وكانت مدة ولايته مدى الحياة قبل أن تعدل إلى سنة واحدة فقط ، وعندما زادت أعباء المدينة وكثر عدد المواطنين تمت

زيادة عدد الأراخنة إلى سبعين ليصبح العدد الإجمالي تسعة بمن فيهم الملك الذي تقلصت سلطاته بذلك إلى أبعد الحدود مفسحاً المجال لقيام الديمقراطية الأثينية.

وقد كان مجلس الشيوخ هو الهيئة الرئيسة الحاكمة في أثينا بعضوية الأراخنة التسعة فيه وقد سمي باسم الأريوباجوس نسبة إلى المكان الذي كان يعقد فيه اجتماعاته ممارساً فيه دوره القضائي المهم.

أما مجلس الشعب فقد كان يضم كل طبقات المجتمع الأثيني إلا أن دوره السياسي لم يكن واضحاً مثل مجلس الشيوخ.

على أن هذا التقسيم السياسي لم يصمد طويلاً أمام التغيرات الاقتصادية التي عصفت بأثينا فقد ظهرت مع مرور الزمن طبقة جديدة في المجتمع هي طبقة ملاك الثروة والأغنياء من غير ملاك الأرض، وهم أولئك المشتغلون بالتجارة البحرية، وصاحب ذلك تدهور أحوال الزراعة وازدهار التجارة والصناعة وحركة الاستعمار الإغريقي الكبرى وقيام الإغريق بالتعامل بالعملات بدل المقايضة، وبذلك أصبحت الثروة متركزة في أكثر من طبقة وطالب الرأسماليون الجدد بحقهم في السلطة كما زاد عدد الفقراء وكثرت الديون عليهم حتى اضطروا لفقدان حريتهم بسبب عجزهم عن السداد مما أدخل أثينا في عدد من المراحل التاريخية التي أدت بها في نهاية المطاف إلى المزيد من الإصلاحات على يد ساسة متمكنين مثل كيلون وصولون وبيزاستراتوس وكليستيس مما كان له أكبر الأثر في إعادة تشكيل الخارطة الاجتماعية والسياسية لأثينا معيداً تقسيم المجتمع الأثيني إلى طبقات جديدة على أساس الثروة وحدها ثم ظهور أحزاب جديدة تستند إلى المواقع الجغرافية بدل الثروة وهي حزب السهل وحزب الساحل وحزب الجبل.[39]

نشوء أسبارطة وتنظيماتها الداخلية:

عندما اجتاح الدوريون إقليم لاكوني اختار بعضهم نظاماً فريداً لحكم هذا الإقليم فقاموا بتأسيس مدينة أسبارطة بعد دمجهم لخمس قرى كان يسكنها الآخيون ، وقد أسسوا مدينتهم على أساس الطبقية الواضحة والتفرقة بينهم وبين السكان الأصليين الذين اسموهم " الهيلوتس" وأنزلوهم إلى مرتبة العبيد وكان من بين الدوريين من اختلطوا بالسكان الأصليين لكن الأسبارطيين قاموا بوضعهم في طبقة منفصلة عنهم واسموهم " البريكوي " أو السكان المحيطون فيما احتفظوا هم بالمكانة الاجتماعية الأولى كسادة للمدينة وأصحاب للقرار السياسي فيها.[40]

وبهذا تشكل المجتمع الأسبارطي على النحو الآتي:

1- المواطنون الأحرار:

وهم الدورويون وكانوا أقلية مسيطرة تحتكر الممارسة السياسية والمناصب العليا في الجيش والدولة معاً.

2- طبقة البيروكوي:

وهي طبقة السكان الذين كانوا يقنطون المناطق المحيطة باسبارطة وتكونوا من الآخيين السكان القدامى للإقليم والدوريين الذين اختلطوا بالسكان الأصليين، وكانوا يكلفون بالأعمال التي عدّها السادة الأسبرطيون أقل من مكانتهم الاجتماعية، ورغم أنه قد أعطي لهم حق الخدمة في الجيش إلا أنهم كانوا محرومين من الحقوق السياسية، ولكنهم رغم ذلك كانوا افضل حالاً من طبقة الهيلوتس الذين كانوا في أسفل السلم الاجتماعي لأسبارطة وإن كان القانون الاسبرطي لم يسمح للأسبارطيين بامتلاكهم فإنهم كانوا عبيداً للدولة لا يحق لهم التملك ولا المشاركة في الجيش وقد تكون التنظيم السياسي لأسبارطة على النحو الآتي:

1- الملكان:

انفردت أسبارطة بهذا النظام دون غيرها من المدن، إذ كان يحكمها ملكان بدلاً من ملك واحد وكان يتم اختيارهما من بين أفراد الأسرة الكبيرة الغنية من طبقة السادة بطبيعة الحال، وكان الملكان عضوين في مجلس الشيوخ بحكم منصبهما.

2- مجلس الشيوخ:

وكان يتكون من ثمانية وعشرين عضواً بالإضافة إلى الملكين ، فيصبح عدد أعضائه ثلاثين عضواً ، وكان يشترط أن تتجاوز أعمالهم الستين ينتخبون من قبل مجلس العامة ويكونون الهيأة الاستشارية للملكين مع احتفاظهم بحق الرقابة على تصرفات الملكين وقيامهم بإعداد المواضيع التي ستعرض على مجلس العامة.

3- مجلس العامة:

ويتكون من جميع المواطنين الأسبرطيين الذين تجاوزا سن الثلاثين ، ولم يكن يتمتع بسلطات مهمة حيث أن عمل أعضائه كان مقتصراً على الموافقة أو رفض ما يقره مجلس الشيوخ من غير حق إبداء التعديل.

4- هياة الافاورة:

وهم القباء الشعبيون، وكان عددهم خمسة ينتخبهم مجلس العامة لمدة سنة واحدة وهم

يمثلون الأحياء الخمسة التي تكونت منها أسبارطة، وكانوا مكلفين بمراقبة تصرفات الملكين وتقييم النظام العام أخلاقياً وقانونياً، ومع هذه السلطات كانوا يتمتعون بسلطات واسعة تعد الأكبر بين المجالس.

وإن كنا نعرف أن بداية نشوء أسبارطة قد ارتبط بقدوم الدوريين، فإننا لا ندري لماذا انفرد غزاة إقليم لاكونيا بالذات بانتهاجهم لهذا النظام الفريد إذ إنهم رفضوا مخالطة السكان الأصليين بشدة ولم يقبلوا حتى بالاختلاط بهم أو التأثر بهم أو التأثير فيهم وعدّوهم عبيداً لاحق لهم في شيء ، ثم أقاموا بعد ذلك في جماعات قروية اندمجت بمضي الوقت لتكون مدينة واحدة هي أسبارطة فيما عرف في التاريخ الإغريقي باسم "السون وايكزم" وهكذا أصبحت أسبارطة مكاناً مثالياً للعنصر الدوري في أنقى صوره حتى أن الأسبارطيين السادة رفضوا الاختلاط ببني جنسهم من الدوريين الذين اختلطوا مع السكان الأصليين، وقد كانت هناك طبقة ارتبطت بالهيلوتس العبيد إلا أن أفرادها كانوا أحراراً لكنهم لم يكونوا مواطنين كاملي الأهلية وربما كانوا من أمهات من طبقة الهيلوتس إلا أن آبائهم كانوا من السادة الأسبارطيين، وكانت هذه الطبقة المختلطة تسمى "الموثونيز".

وربما احتاج النظام الأسبارطي الصارم إلى وجود العبيد على هذا النحو حفاظاً على انعزال السادة وتخصصهم في الحياة العسكرية ورغم تملكهم للأراضي إلا أن أمر زراعتها كان موكلاً إلى الهيلوتس فقط الذين كانوا يمدون سادتهم بالطعام ويكتفون من خيرات الأرض بالقليل فقط.

أما عن التنظيم الاجتماعي لأسبارطة فقد كان بدوره متميزاً عن غيره من مدن الإغريق الأخرى إذ إن المولد هو الذي يحدد جنسية الأسبارطي، وكان الفرد الأسبارطي يخضع منذ ولادته لاختبارات شاقة تبدأ بفحصه للخلو من العاهات والأمراض ثم التحاقه منذ سن السابعة بمعسكرات تدريب خاصة يؤدي الفرد من خلالها واجباته تجاه مجتمع الدولة، وكان يطلق على الأفراد الذين يؤدون هذه الواجبات اسم "الأنداد" أما من كان يفشل فقد كان يفقد حقوقه السياسية.[41]

وقد كان الأسبارطي مجبراً على امتلاك أرض يزرعها له الهيلوتس، وكانت ملكيتها تنتقل منه إلى ورثته إلا انه لكن حراً ببيعها إذ إنها تعود إلى الدولة في حال عدم إنجابه للذكور، وهكذا ارتبطت الملكية في أسبارطة بحق المواطنة وربما كان هذا هو السبب في قلة عدد المواطنين الكاملي الأهلية في أسبارطة إذ إن ملكية الأراضي الزراعية كانت محدودة جداً. هناك جماعة أخرى هامة من سكان دولة المدينة كان لها وضع قانوني خاص، هي جماعة

العبيد، ففي الأزمنة البعيدة القدم كان المهزومون في الحرب يستعبدون أحياناً، ولكن الرجال كانوا يقتلون في العادة بينما يبقى على النساء للاستفادة منهن في أشغال البيت واستغلالهن جنسياً. وعدا عن حالة الحرب هذه، كان الإنسان يصير عبداً إما بحكم ولادته أو بحكم محكمة أو بأن يشترى من أحد أسواق الرق الكبيرة في آسيا الصغرى. لقد نما بين القرنين الخامس والرابع ق.م شعور أن استرقاق الإغريق للإغريق أمر ظالم وشاذ، ولكن بقي هناك عبيد إغريق بالرغم من ذلك. كان عدد العبيد في اليونان اقل منه في إمبراطوريات الشرق الكبيرة أو في الأمبراطورية الرومانية اللاحقة، وإن لهذا الأمر علاقة أساسية بصغر حجم الأراضي الزراعية في اليونان، فقد كان بإمكان المزارعين أن يدبروا معيشتهم بالاعتماد على أنفسهم وعلى عائلاتهم، ولم يكونوا قادرين على شراء عبد ولا على إطعامه، لأنه لا ينتج ما يقوم بأود نفسه. ولم تكن هناك أملاك كبيرة تعتمد على عمل العبيد، وكان أكثرهم يعيشون في المدن، حيث يؤدون أنواعاً مختلفة من الأعمال كخدم وحرفيين. وقد ذاعت شهرة أحدهم وهو القاص ايزوبس. يبدو أن ربع عدد سكان أثينا في القرن الخامس كانوا من العبيد، ولكن لم يكن هناك أي قطاع في الاقتصاد يعتمد عليهم اعتماداً مطلقاً، ماعدا مناجم الفضة التي كانت تملكها الدولة، وكان بعض العبيد لا يعملون في خدمة شخص واحد بصورة دائمة بل يستأجرون ضمن جماعات ويدفع لهم أجر مثل العمال الأحرار، وكانوا يعملون إلى جانبهم في الأشغال نفسها، وكان على العبد أن يعطي سيده جزءاً من أجره، ولكن وضعه لم يكن يختلف كثيراً من الناحية العملية عن وضع عامل حر فقير.كان من الممكن تحرير العبيد، كما كان بإمكانهم شراء حريتهم، ولكن يبدو أن هذا الأمر لم يكن شائعاً. على كل حال ما كان وضعهم ليتحسن كثيراً إذا تحرروا مادامو‌ا يعملون مقابل أجر. إننا لا نسمع عن ثورات العبيد ماعدا ثورات عبيد الأرض الهلوت في إسبارطة، وهي حالة خاصة، ولكن هذا الصمت لا يعني الكثير، إذ يبدو أن أكثر العبيد المنزليين لم يعاملوا معاملة سيئة، ولكنهم كذلك كانوا معرضين لظروف قاسية جداً في مناجم الفضة بسهل الأتيك. إلا أن هذا الأمر لم يكن يصدم الإغريق القدامى كما يصدمنا اليوم، والحقيقة أن كل الناس كانوا يعيشون حياة قاسية بالنسبة إلى معاييرنا الحديثة، ويبقى الشيء الذي يميز العبد هو أن هناك إنساناً آخراً يملك عليه سلطة مطلقة.

حضارة أثينا

وصلت أثينا إلى زعامة المدن الإغريقية في القرن الخامس قبل الميلاد أي منذ ألفان وخمسمائة سنة تقريباً وبلغت مبلغاً عظيماً من الرقي والحضارة ويَعد المؤرخون تلك الفترة من تاريخها هي أزهى الفترات لا في تاريخ أثينا بل في تاريخ الإغريق بأكمله.

وكانت أثينا عاصمة إقليم جبلي فقير مقفر فيما عدا بعض الأودية الضيقة بين الجبال حيث كان يزرع القمح والكروم والزيتون كما أمدتها الجبال بالكثير من المعادن والأحجار وخاصة الرخام الذي صنع منه الأثينيون العديد من تماثيلهم كما وجد الأهالي على شواطئ الأنهار طينا نقيًا صنعوا منه أوانيهم الفخارية وقد عوضهم البحر عن كثير مما افتقدوه في أرضهم فهيأت لهم الطبيعة سواحل ذات موانئ وخلجان طبيعية كما اهتم الأثينيون بالتجارة اهتماما كبيرا وتوصلوا إلى اختراع العملة التي ساعدت على انتعاشها، فالعملة سهلة الجمع والتخزين أكثر من المنتجات الزراعية أو الثروة الحيوانية وغيرها من أدوات المقايضة التي كانت تستخدم للتبادل في مصر وغيرها من بلاد الشرق القديم ولعل أهم ما قدمته أثينا للإنسانية هي فكرة الديموقراطية رغم اختلاف مفهومها في عصرنا الحاضر، وكلمة الديموقراطية تتكون من مقطعين (ديموس) بمعنى شعب و(كراتوس) بمعنى حكم أي (ديموس كراتوس) وهو (حكم الشعب). ولكن مما لا شك فيه أن قامت في أثينا وغيرها من المدن الإغريقية المجالس النيابية وأضحى للمواطن حق إبداء الرأي والاشتراك في اتخاذ القرارات بشأن كل ما يهمه وظهر المشرعون الذين يسنون القوانين ويضعون اللوائح. لقد كانت هناك هوة كبيرة تفصل بين الأغنياء والفقراء في أثينا، فلجأ الفقراء إلى الاستدانة من الأغنياء وكان العرف السائد أن من يعجز عن تسديد الديون ذات الفوائد الباهظة يصبح عبدًا لدائنه ويعمل في مزارعه ويباع في سوق العبيد. واستمر الحالة تسوء والهوة بين الفقراء والأغنياء تزداد وتتسع إلى أن عين " سولون " حاكمًا عليهم. ولد سولون في أثينا لعائلة نبيلة. واشتهر في البداية بوصفه شاعرًا. وقد أدت قصائده دورًا كبيرًا في حث الأثينيين على استرداد جزيرة سلاميز التي كانت تحت أيد أجنبية لفترة طويلة. أُعطي قيادة القوات التي ارسلت لاسترداد الجزيرة. وقد قام بإخضاعها على نحو سريع. وتم اختياره بعد ذلك أرخونًا (الحاكم الأول) وأوكلت إليه سلطة تغيير القوانين.

وكانت أثينا في حاجة ماسة للتغيير السياسي والاقتصادي. وكان القدر الأكبر من الثروة متمركزًا في يد قلة من المواطنين ذوي النفوذ وكان المزارعون قد أُجبروا على رهن أراضيهم مقابل استدانة المال مقدمين أنفسهم وأسرهم ضمانات للدين. فأصدر سولون قانونًا يلغي كل تلك الديون والرهونات، ويُحَرِّر الذين أصبحوا أرقاء. وقام أيضًا بتعديل النظم المالية، مما سهَّل التجارة الخارجية. وكان التعديل الوحيد الذي أدخله سولون في تجارة أثينا الخارجية هو إصدار قانون يمنع تصدير الحبوب. أعادت إصلاحات صولون الدستورية، تقسيم المواطنين إلى أربع طبقات وفقًا للدخل. ويسمح للمواطنين من كل الطبقات بأن يُصبحوا أعضاء

في الجمعية التشريعية وفي المحاكم المدنية. وقد أسس سولون مجلسًا من 400 شخص، ليضطلعوا بالسلطات السياسية في الأريوباغوس (المجلس القضائي) واقام المحاكم الشعبية التي يستطيع المواطنون أن يحتكموا إليها ويستأنفوا ضد قرارات موظفي الدولة. وقد أبقى سولون على الشروط القديمة التي بموجبها يحق فقط للطبقات الثلاث العُليا تولي المناصب العامة العُليا ويحق فقط لأعلى طبقة بتولي منصب الأرخون. وقد أبقت هذه الشروط على الأوليغاركية – أي حكم الأقلية – ولكن إصلاحات سولون كانت خطوة مؤكدة في طريق الديمقراطية.

وقد قيل أن صولون جعل الأثينيين يعهدون إليه بالالتزام بقوانينه لمدة 10 سنوات. وسافر بعد ذلك إلى الشرق وزار مصر حيث مكث مدة طويلة ليطلع على حضارتها، وعندما رجع بعد 10 سنوات وجد البلاد تخوض حربًا أهلية وسرعان ما سيطر بيزيستراتوس على الأمور. وبعد معارضته بيزيستراتوس، تقاعد صولون وابتعد عن الحياة العامة.[42]

التربية والتعليم

وبالنسبة للتعليم في التاريخ اليوناني تبدأ التربية الاثينية من الاسرة حيث يعهد اليها بتربية الطفل حتى يبلغ السابعة من عمره فيتم ارساله الى المدرسة ويبقى فيها حتى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره وكان يرافق التلميذ في ذهابه الى المدرسة وايابه شيخ كبير يقوم بمراقبة سلوك الصبي وعاداته في الحديث ومعاملة الآخرين والمشي في الطريق كما اوكلت اليه مهمة تقويم اخلاقه ومعاقبته عند اخلاله بآداب اللياقة. وكان هدف التربية الاثينية يتمثل في ((اعداد المواطن الاثيني المتكامل من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية بحيث يتمكن من الدفاع عن وطنه ويسهم بشكل فاعل في اغناء ثقافته)) .

التربية الاسبارطية :

تمثل التربية الاسبارطية التربية اليونانية القديمة في اوضح صورها ومظاهرها اذ لم يطرأ على هذه التربية أي تغير أو تعديل الا في حالات استثنائية نادرة حدثت عند انهيار دولة اسبارطة. تبدأ التربية الاسبارطية منذ مولد الطفل حيث يعرض على شيوخ الدولة ليقرروا ان كان يستحق الحياة او الموت وذلك بعد اجراء عدد من التجارب والفحوص عليه لاختبار قوة احتماله – اذ كانت الدولة هي المسيطرة على التعليم بجميع مراحله المختلفة – وبعد التثبت من صلاحيته للحياة يعاد الى امه لتقوم بارضاعه وتربيته حتى السابعة من عمره ولكن الام كانت تسير على نظام نصحت به الدولة في تربية الطفل وتنشئته وهو عدم تقييد نموه وحركاته وان

تقسو عليه في معاملته وأن لاتستجيب لمطالبه وكذلك تمنعه من البكاء وتتركه في الظلام حتى يتعود على الصبر وتحمل المشاق وكذلك تحمل الجوع والالم، وعند بلوغه السابعة يرسل إلى المعسكر العام لتلقي التدريب العسكري.

أما هدف التربية الاسبارطية فكان يتمثل في ((اعداد المواطن الاسبارطي المزود بقدر كاف من الكمال الجسماني والشجاعة المتحلي بعادات الطاعة العمياء للقانون حتى يكون الجندي المثالي الذي لا يهزم)). كما وجدالتعليم الخاص، ما عدا في اسبارطة. وخلال الفترة الهيللينية انشأت المدارس العامة في بعض المدن والدول. تعلم الفتيان القراءة والكتابة واقتبسوا من الأدب. كما أنهم تعلموا الغناء والعزف على آلة موسيقيه واحدة وكما تم تدريب الرياضيين لاداء الخدمة العسكرية. درسوا ليس من اجل الوظيفة، ولكن ليصبح المواطن فعال في المجتمع.

كانت النساء الحرات أيضاً مستثنيات من المواطنة، وتشير بعد الأدلة إلى أن حياتهن كانت مقيدة ومحددة من نواح أخرى أيضاً، وإن اختلفت العادات من مكان لآخر. يبدو أن أكثر الإغريق كانوا يرون أن الفتيات الاسبارطيات يتمتعن بحرية زائدة، وكانوا يستهجنون ارتدائهن السراويل الصغيرة أثناء ممارستهن التمارين الرياضية مع الفتيان. أما في منزل غني بأثينا مثلاً فكانت النساء يعشن في قسم منفصل من البيت تقفل أبوابه أثناء الليل، وهذا يذكرنا بعزلة النساء في الحرملك الشرقي، والهدف منه كان على الأرجح هو منع الرجال من الوصول إلى الخادمات، لأنهن إذا حملن أو ولدن فسوف تضعف فائدتهن في العمل، وسوف تصير في البيت أفواه جديدة لابد من إطعامها. ونحن نعلم أيضاً أن النساء المتزوجات المحترمات كن يرتدين الحجاب عند الخروج من المنزل عادة، ولا يغادرنه وحدهن، ولا يجوز أن يتكلمن مع أحد في الطريق، كان الإغريق يحبون الحفلات كما تدل أعمالهم الخزفية. لم يكن أي نشاط متاح خارج البيت لأي سيدة إغريقية من عائلة كريمة، كان بإمكان النساء الفقيرات أن يعملن في بيوت الأغنياء ولم يكن أمام المرأة أن تصبح ممرضة أو ممثلة أو كاتبة أو أي شيء من ذلك لأن هذه المهن لم تكن متاحة للإناث. ويبدو أن الإغريق كانوا في العادة يعتبرون الفتيات غير جديرات بالتعليم ومع هذا فان الفتيات ى تعلمن القراءة والكتابة والحساب البسيط ليتمكن من إدارة الاسرة و تدبير الحياةالمعيشية إلا انهن تقريبا لم يتلقين التعليم إلا بعد مرحلة الطفولة.أما في البيت فكانت هناك أشغال كثيرة، إذ كن يغسلن الملابس ويصنعنها ابتداءً من غزل الخيوط ثم حياكتها لصنع النسيج، وقد كان تدبير أمور البيت شاقاً ومضنياً.

تذكر المصادر أن الأطفال كانوا يعيشون في منازلهم حتى سن السابعة من العمر تحت إشراف أمهاتهم، والعائلات الغنية كانت تحضر لأبنائها مربيات يعتنين بتربيتهم وعندما يبلغ الأولاد سن السابعة من العمر يذهب الأولاد إلى المدرسة الخاصة ليكتسب التعليم على نفقة ذويه، أو يذهبوا إلى الثكنه، اما إذا كانوا يعيشون في أسبارطة. فهناك ثلاثة أنواع من التعليم هي: الحساب، الموسيقى والرقص، والرياضة.

يحضر الفتيان من الأسر الثريه الدروس في المدارس الخاصة وشملت دروس في القراءة، الكتابة، والرياضيات، والغناء، ولعب على القيثاره والفلوت. عندما يصبح الصبي 12 عاما يبدأ التدريس ليشمل الرياضة والمصارعة والجري ورمي القرص والرمح. وفي أثينا حضر بعض الشباب الاكبر سنا أكاديميه لأدق التخصصات مثل الثقافة، والعلوم، والموسيقى، والفنون. وقد انتهت الدراسة في سن ال 18، تليها دورة تدريب عسكرية في الجيش عادة لمدة سنة أو سنتين.

عدد قليل من الفتيان واصلوا تعليمهم بعد الطفولة، و تابع أغنى الطلبة تعليمهم من خلال دراسة مع أشهر المعلمين. بعض أعظم هذه المدارس شملت صالة حفلات وكذلك الأكاديمية.[43]

الجمعية اليونانية القديمة

جمعية اليونان القديمة هي واحدة من أولى الجمعيات المعروفة وهي شكل من أشكال الحكم الديمقراطى أو وسائله "الجمعية اليونانيه للمدينة الدولة. " أصولها هي من (هومري أغورا) وتعني 'اجتماع الناس'. وقد عقدت الجمعية الأولى في وقت عهد دراكو في 621 قبل الميلاد وكانت الجمعية العامة تعقد في المكان (الذي كان على تلة غرب الأكروبول). هذا هو مكان الاجتماع. وكان أعضاء الجمعية يجتمعون أربع مرات كل شهر (حوالي مرة كل أسبوع). في كل اجتماع للجمعية تناقش المواضيع و يتم التصويت عليها. الجمعية كانت تجتمع أيضاً في حالات الطوارئ والمحاكمات في قضايا القانون في الجمعية التي أصبحت هيئة المحلفين. وكانت الأصوات تحصى بحصر الأيدي. على الرغم من انه كان أول شكل من أشكال الديمقراطيه إلا أنها كانت قاصرة على الأحرار من الذكور. وكان من حق أي مواطن التحث للجمعية ويحرم منها من لا يمتلك أرضاًأو لم يدفع الضرائب للدولةاو أساء الأخلاق العامة أو تزوج زواجا غير شرعي وقد تميزت هذه الجمعية بفاعليتها ودورها المؤثر في تمشية أمور الدولة وكانت النموذج الذي حذت حذوه كثير من دول المدن ذات النظم الديمقراطية[44]

عملة أثينية مبكرة تعود للقرن الخامس قبل الميلاد تحمل صورة الربة اثينا في وجه وصورة طائر البوم في الوجه الآخر.



الاقتصاد

كان الاقتصاد اليوناني القديم الأكثر تقدما في العالم ووفقا لبعض المؤرخين أنه كان واحدا من أكثر الاقتصادات المتقدمه صناعيا كان لكل مدينة نظامها الخاص في الموازين والمقاييس، وعُملتها التي لا تشاركها فيها مدينة أخرى. وكان على الإنسان عندما يصل إلى أحد التخوم التي تكاد تبلغ المائة عداً أن يبدل نقوده وأن يكون على حذر في هذا التبديل لأن كل حكومة يونانية ، عدا حكومة أثينا ، كانت تسلب الأجانب عنها أموالهم بتخفيض قيمة نقدها. وكانت بعض المدن تسك نقوداً من خليط من الذهب والفضة ، وينافس بعضها بعضاً في إنقاص ما في هذا الخليط من الذهب. أما الحكومة الأثينية منذ أيام صولون فقد أخذت على نفسها تشجيع التجارة إلى أقصى حد بإيجاد عملة موثوق بها طبعت عليها بومة أثينا؛ وكان قولهم: "يُأخذ البوم إلى أثينا" وهو المثل اليوناني الذي كان معروفا آنذاك. وإذا كانت أثينا قد أبت خلال صروف الدهر أن تخفض من قيمة درخماتها الفضية، فقد كانت سائر بلاد حوض البحر المتوسط تقبل وهي راضية هذهِ "البومات" التي أخذت تحل شيئاً فشيئاً محل العملة المحلية في جزائر بحر أيجة . وكا ن الذهب في هذهِ المرحلة لا يزال سلعة تجارية تُباع بالوزن، ولم يكن وسيلة يُستعان بها على الاتجار ، ولم تكن أثينا تسكّه عملة إلا في حالات الضرورة النادرة، وكانت النسبة المعتادة بينه وبين الفضة كنسبة 14 إلى 1 وكانت أصغر النقود الأثينية تُسك من النحاس، وكانت ثمان قطع منها تكوّن أبولة – وهي عملة من الحديد أو البرونز سُميت بهذا الاسم لمشابهتها للأظافر أو السفود.وكانت ست أبولات تكوّن الدرخمة أي الحفنة؛ والدرخمتان تكوّنان استاتر Stater والمائة درخمة تكوّن مينا Mina وستون مينا تكوّن وزنة Talent وكانت الدرخمة في النصف الأول من القرن الخامس يُبتاع بها بشل Bushelمن الحبوب. ولم يكن في أثينة عملة ورقية ، ولا صكوك حكومية، ولا شركات محاصة، ولا مصفق للأسهم والسندات. لكن أثينة كان فيها مصارف مالية لاقت صِعاباً شديدة في توطيد دعائمها لأن الذين لم تكن بهم حاجة إلى القروض ينددون بالربا ويرونه جريمة ، ويتفق معهم الفلاسفة في هذا الحكم. وكان الأثيني العادي في القرن الخامس ممن يكنزون المال، فكان إذا ادخر شيئاً منه آثر أن يُخبئه بدل أن يودعه في المصارف.

وكان بعض الناس يقرضون مدخراتهم نظير رهون بفائدة تتراوح بين 16، 18 في المائة،

ومنهم مَن يقرضونها من غير فائدة إلى أصدقائهم أو أقاربهم، أو يودعونها في خزائن المعابد والتي كانت تعمل عمل المصارف فتقرض المال إلى الأفراد والحكومات بفائدة معتدلة ، وكان معبد أبلوفي دلفي إلى حد ما مصرفاً دولياً لجميع بلاد اليونان. ولم تكن الحكومات تقترض من الأفراد ، ولكن الدول كانت في بعض الأحيان يقرض بعضها بعضاً. وفي القرن الخامس بدأ مبدل النقود الجالس أمام منضدته(يقبل المال وديعة لديه ، ويقرضه للتجار بفوائد يتراوح سعرها بين 2 ، و300 في المائة حسب ما تتعرض له من الأخطار. وبهذهِ الطريقة أصبح ذلك الصراف مصرفياً، وإن كان قد احتفظ إلى آخر تاريخ اليونان باسمه الأول (صاحب المنضدة (Trapezite وقد أخذ أساليبه عن بلاد الشرق الأدنى ، وحسَّنها ، ونقلها إلى رومة فأسلمتها هذهِ إلى أوربا الحديثة.

إنشاء المصارف

لما آذن هذا القرن بالانتهاء أنشأ أنتستثيز Antisthenes وأرخستراتس المؤسسة التي أضحت في عهد باسيون Pasion أشهر المصارف اليونانية التي يملكها الأفراد ، وعن طريق هؤلاء الصيارفة كانت الأموال تتداول بحرية وسرعة أكثر من تداولها قبل وجود هذا النظام، وكانت لهذا تيسر من الأعمال أكثر مما كانت تيسره قبل وجودهم. وبفضل هذا التيسير راجت التجارة الأثينية واتسعت أسواقها ونشطت أكثر من ذي قبل. وكانت التجارة، لا الصناعة ولا الأعمال المالية، روح الاقتصاد الأثيني. ذلك أنه وإن ظل الكثيرون من المنتجين حتى ذلك الوقت يبيعون منتجاتهم إلى المستهلك مباشرةً، فإن عدداً متزايداً منهم كان في حاجة إلى وساطة السوق التي كانت وظيفتها شراء السلع وخزنها حتى يستعد المستهلك لشرائها. وبهذه الطريقة نشأت طبقة من بائعي التجزئة يعرضون بضائعهم في شوارع المدن، أو في مؤخرة الجيوش، أو في الأعياد والاحتفالات العامة، أو يعرضونها للبيع في حوانيت أو "أكشاك" في الأماكن المزدحمة أو غير المزدحمة في المدن. وكان الأحرار والغرباء والأرقاء يذهبون إلى هذه الأماكن ليساوموا التجار ويبتاعوا ما تحتاجه البيوت. وكان من أقسى القيود المفروضة على النساء "الحرائر في أثينا أن العادات لم تكن تبيح لهن أن يخرجنَ إلى الأسواق ليشترين منها حاجتهنّ. وتقدمت التجارة الخارجية لبلاد اليونان أسرع من تقدم التجارة الداخلية نفسها، لأن الدول اليونانية أدركت مزايا توزيع العمل بين بعضها البعض الآخر فتخصصت كل منها في إنتاج نوع من المنتجات. فصانع الدروع مثلاً لم يعد ينتقل من مدينة إلى مدينة تلبية لطلب مَن يحتاجه بل أخذ يصنع دروعه في حانوتهِ ويبعثُ بها إلى أسواق العلم القديم. وهكذا انتقلت أثينا في قرن واحد من الاقتصاد المنزلي- الذي يصنع فيهِ كل منزل جميع ما يحتاجهُ

تقريبا– إلى الاقتصاد الحضري– الذي تصنع فيه كل مدينة جميع ما تحتاجه تقريبا– ثم إلى الاقتصاد الدولي– الذي تعتمد فيه كل دولة على ما تستورده من غيرها، والذي لا بد لها فيه أن تصدر من السلع ما تؤدي به أثمان وارداتها.[45]

الألعاب الأولمبية

بدأت في عام 776 ق. م في مدينة "أولمبيا" تلك المدينة التي لا يسكنها البشر والتي تقع بمقاطعة "أليس" تلك المقاطعة المليئة بالمعابد المختصة للآلهة، والمليئة كذلك بالخضرة والأعشاب ومختلف النباتات، والمناطق الصالحة للرعي، وكان هذا الاحتفال يقام كل أربعة سنوات مرة واحدة، وقبل أن يبدأ الاحتفال بعدة أشهر كان ينطلق. من مقاطعة أليس ثلاثة أشخاص يطلق عليهم اسم معلني الهدنة" إلى كل مُدن ومقاطعات اليونان لإخبارهم بيوم انعقاد الدورة، وكذلك لإعلان الهُدنة فيما بينها، تلك الهُدنة التي تتوقف فيها الحروب ويحرم فيها الاعتداء ليصل كل المشاركين سواءً أكانوا لاعبين أو جمهور بأمن وسلام إلى مدينة أولمبيا، وتبدأ هذه الهُدنة بمجرد خروج هؤلاء الأشخاص الثلاثة من مقاطعة أليس، وكانت هذه الهُدنة في البداية تستمر مدة شهرًا، ولكن مع مرور الوقت مُددت إلى ثلاثة أشهر ليضمنوا سلامة العائدين لديارهم من اللاعبين والجمهور، وعلى ذلك فإن كل مدينة يونانية عليها حماية العابرين من خلالها، كما أنه يحرم حمل السلاح داخل مقاطعة أليس بأكملها، وعلى من يحمل سلاحًا أن يتركه على حدود المقاطعة حتى خروجه لاستلامه، وعلى اللاعبين المشاركين الحضور إلى مدينة أليس قبل بدء الأولمبياد بشهر كي يتسنى لهم التدريب والوقوع تحت أعين الحُكام لتسجيل ملاحظاتهم على اللاعبين. إذا كان الدين قد عجز عن توحيد بلاد اليونان، فإن الألعاب الرياضية الموسمية قد أفلحت في توحيدها. ذلك أن الناس لم يكونوا يذهبون إلى أولمبيا، و دلفي، و كورنثا، ليعظموا الآلهة – لأن الآلهة يمكن تعظيمها في أي مكان – بقدر ما كانوا يذهبون ليشاهدوا مباريات البطولة بين الرياضيين المختارين ، والاجتماع العام لمختلف الطوائف اليونان المختلفين. ومن الشواهد الدالة على أثر هذه المراكز في تاريخ اليونان أن الإسكندر – وهو الذي كان في وسعه أن يشاهد بلاد اليونان من خارجها – كان يعد أولمبيا عاصمة العالم اليوناني. في هذه الأماكن نجد دين اليونان الحقيقي تسيطر عليه قواعد الألعاب الرياضية وتعاليمها ، وهذا الدين هو عبادة الصحة والجمال ، والقوة. وفي ذلك يقول سمنيدس: "إن أحسن ما يستطيع الإنسان أن يتمتع به هو الصحة الجيدة ، ويأتي بعد الصحة جمال الشكل وحسن الطبع ، ثم تلي ذلك الثروة ينالها الإنسان من غير غش أو خداع ، ويأتي في المرتبة الرابعة أن يكون الإنسان في نضرة الشباب بين الأصدقاء والخلان".

وتقول الأوديسة:"ليس ثمة مجد يستطيع الإنسان أن يناله طوال حياته أعظم مما يناله بيديه وقدميه". ولعله كان من أوجب الواجبات على شعب أرستقراطي يعيش بين جماعات من الرقيق أكثر منه عدداً ، ويطلب إليه المرة بعد المرة أن يرد عن حماه المغيرين من أمم أكثر منه، لعله كان من أوجب الواجبات على هذا الشعب أن يحافظ على قوته الجسمية ، ذلك أن الحرب في الزمن القديم كانت تعتمد على القوة والمهارة، ولقد كانت القوة والمهارة الغرض الأول من المباريات التي طبقت شهرتها الآفاق في جميع هيلاس. وإن من الخطأ أن نفكر في الرجل اليوناني العادي على أنه طالب مولع بإسكلس أو أفلاطون ؛ ذلك أن هذا اليوناني العادي كان مولعاً بالألعاب، وكان أبطالها المحبوبون هم آلهته على هذه الأرض. وكانت الألعاب اليونانية أنواعاً مختلفة – منها ألعاب خاصة، وألعاب محلية ، وألعاب بلدية ، وألعاب يونانية جامعة.

وإن الآثار القديمة حتى المحطم منها لتكشف عن سجل طويل ممتع من الألعاب الرياضية. ففي متحف أثينا حجر على أحد وجهيه نقش يصور مباراة في المصارعة ، وعلى الوجه الآخر مباراة لعبة الهوكي Hockey أما السباحة، وركوب الخيل العارية الظهر، ورمى القذائف واتقاؤها أثناء الركوب، فكانت كلها من مستلزمات اليوناني المهذب أكثر منها ألعاباً ومباريات. كذلك أصبح الصيد من ضروب الرياضة بعد أن لم يعد من وسائل العيش الضرورية. ولم تكن ألعاب الكرة أقل تنوعاً أو انتشاراً وكانت كلمتا شاب ولاعب كرة مترادفتين في إسبارطة. وكانت تبنى في ساحات التمرين حجرات خاصة بألعاب الكرة يسمونها اسفيرستيريا sphairisteria، وكان معلموها يسمون اسفيرستاي Sphairistai ونشاهد على نقش آخر رجالاً ترتد إليهم الكرة من أرض الحجرة أو جدارها ، ثم يردونها هم براحة اليد. وكان من بين ألعاب الكرة لعبة تشبه لعبة اللاكرس Lacrosseالكندية وهي ضرب من لعبة الهوكي تلعب بالمضارب ويصفها بولكس Pollecx، وهو كاتب من كتاب القرن الثاني بعد الميلاد ، بعبارات كأنها من عبارات هذه الأيام فيقول: "يجتمع بعض الشبان ويقسمون أنفسهم جماعتين متساويتين في العدد ويتركون في أرض منبسطة – أعدوها من قبل وقاسوها – كرة مصنوعة من الجلد ، تقرب من حجم التفاحة ؛ ثم يهجمون عليها ، كأنها جائزة وضعت بينهم ؛ من نقط الابتداء المحددة لهم، وفي يمين كل منهم مضرب ...rhabdon ينتهي بانحناء مستو وسطه نسيج من خيوط مأخوذة من أمعاء الحيوان. مجدولة كالشبكة. وتحاول كلتا الطائفتين أن تدفع الكرة من جزء الساحة المخصص لها إلى طرف الجزء المقابل لها". ويصف هذا المؤلف نفسه لعبة أخرى تحاول فيها فرقة من اللاعبين أن تقذف بالكرة من فوق رؤوس الفرقة المضادة لها او من بين لاعبيها ، وتستمر في هذا "حتى يرد أحد الطرفين الطرف الآخر إلى ما وراء خط

مرماه". ويصف أنتفانيز في جذاذة ناقصة من القرن الرابع قبل الميلاد أحد مهرة اللاعبين الممتازين فيقول: "ولما أخذ الكرة سره أن يعطيها إلى أحد اللاعبين ، ثم تفادى لاعباً آخر؛ ثم استولى عليها من لاعب وضربها واستحث لاعباً آخر بأصواته العالية. وهاهي ذي خارج الملعب، ثم رمية طويلة، ثم تمر به من فوق رأسه، ورمية قصيرة.."

ومن هذه الألعاب الخاصة نشأت ألعاب محلية ، وأخرى في مناسبات معينة كما يحدث عقب وفاة بطل من الأبطال مثل أو نجاح مشروع عظيم كزحف رجال زنوفون العشرة الاف إلى البحر. ثم نشأت بعدئذ ألعاب البلديات التي يمثل فيها المتبارون أماكن أو طوائف مختلفة في داخل إحدى دول المدن. أما ألعاب الجامعة الأثينية التي كانت تقام كل أربع سنين فهي أقرب ما تكون إلى الألعاب الدولية وإن لم ينطبق عليها هذا الوصف كل الانطباق. وقد أنشأها بيسستراتوس في عام ٦٦٥ ق.م؛ وكانت كثرة المشتركين فيها من أتكا ، ولكن غير الأتكيين كان يرحب باشتراكهم فيها. وكانت تشمل ، فضلاً عن الألعاب الرياضية المألوفة ، سباق العربات ، وسباق المشاعل ، وسباق التجديف ، ومباريات موسيقية في الغناء والعزف على القيثارة و المزمار و الناي ، والرقص ، وإلقاء أكثر ما يكون من شعر هومر. وكان يمثل كل قسم من أقسام أتكا العشرة أربعة وعشرون رجلاً يختارون من بين أصح السكان أجساماً وأقواهم بنية وأجملهم منظراً ، وكانوا يعطون جائزة للأربعة والعشرين الذي يكون لهم في النظارة أعظم الأثر ، وتسمى جائزة "الرجولة الباهرة".إذ كانت الرياضة ضرورية للحرب ، ولكنها تنعدم إذا لم تعقد لها مباريات ، فقد أنشأت المدن اليونانية الألعاب اليونانية الجامعة لتكون أكبر حافز لليونان أجمعين على إتقان هذه الألعاب. وكانت أولى هذه المباريات الجامعة هي التي تقام بانتظام مرة كل أربع سنين في أولمبيا ؛ وقد أقيمت للمرة الأولى في عام ٦٧٧ ق.م وهو أول تاريخ محدد في حياة اليونان بأجمعها. وكانت هذه الألعاب في أول أمرها مقصورة على الإيليين Eleans، وقبل أن يمضي قرن على بدايتها كان يشترك فيها لاعبون من جميع بلاد اليونان ؛ ولم يحل عام ٦٧٤ق.م حتى كان ثبت الظافرين فيها يشمل لاعبين من جميع البقاع المتدة من سينوب إلى مرسيليا ؛ وأصبح عيد زيوس على مر الزمان يوماً مقدساً دولياً ، وكان الشهر الذي يقع فيه هذا العيد شهراً حراماً يتهادن فيه المحاربون في جميع بلاد اليونان ، ويفرض فيه الإيليون غرامات على كل دولة يونانية يلحق في أرضها أذى بأي قادم إلى هذه الألعاب. وقد أدى فليب المقدوني هذه الغرامة عن يد وهو صاغر لأن بعض جنوده سرقوا مال أثيني وهو في طريقه إلى أولمبيا. وفي وسعنا أن نتصور الحجاج واللاعبين يبدءون رحلتهم من المدن النائية قبل بدء المباريات بشهر كامل ، فإذا ما حان الموعد المحدد اجتمعوا

كلهم في صعيد واحد ؛ وكانت أيام المباريات سوقاً عامة وعيداً في وقت واحد ، وكانت الخيام تنصب في السهل لتقي الزائرين حر شمس يوليه اللافح ، وإلى جانبها المظلات يستظل بها البائعون ويعرضون تحتها بضاعتهم على اختلاف ألوانها ، من خمر وفاكهة وخيل وتماثيل ؛ وترى اللاعبين على الحبال والمشعوذين يعرضون ألاعيبهم على الجماهير. فمنهم من يقذف بالكرة في الهواء ومنهم من يلعب ألعاباً تشهد بالخفة والمهارة ، ومنهم من يأكل النار أو يبتلع السيوف. ذلك أن ضروب التسلية ، كأنواع الخرافات ، قديمة العهد يخلع عليها هذا القدم ثوباً من التقديس والإجلال.

وكان أشهر الخطباء اليونان وكتابهم يلقون خطبهم أو يتلون أقوالهم من أروقة معبد زيوس. وكانت هذه الأيام أعياداً مقدسة للرجال خاصة لأن النساء المتزوجات لم يكن يسمح لهن بالحضور في هذه الساحة ، بل كانت لهن ألعاب خاصة تقوم في عيد هيرا. ولم يكن يسمح لغير اليونان الأحرار بالاشتراك في مباريات الألعاب الأولبية ؛ وكان المتبارون (Athletes المشتقة من Athlosبمعنى مباراة) يختارون بعد اختبارات محلية وبلدية يستبعد بها غير اللائقين، ثم يدربون بعدئذ عشرة شهور كاملة تدريبا صارماً على أيدي مدربين محترفين يسمون بيدترباي paidotribai (ومعناها اللغوي مدلكو الشبان) ورياضيين يدعون gymnastai (أي العراة). فإذا جاءوا إلى أولبيا اختبرهم موظفون مختصون وأقسموا أن يراعوا جميع قوانين الألعاب. ولم يكن يحدث في الألعاب غش أو خروج على السنن الصحيحة إلا القليل النادر؛ منها ما قيل من أن يوبوليس Euopolis قد رشا الملاكمين حتى ينهزموا له؛ ولكن ما كان يفرض على هؤلاء المخادعين من عقاب، وما كان يلحقهم من مهانة، كان كبيراً إلى حد يحول بينهم وبين الإقدام على مثل هذا العمل؛ فإذا ما تم استعداد اللاعبين أخذوا إلى ميدان الألعاب؛ فإذا دخلوه نادى منادٍ أسماءهم وأسماء المدن التي بعثت بهم. وكان المتبارون جميعاً ، أياً كانت سنهم ومنزلتهم ، يجردون من الثياب إلا من منطقة تحيط بالحقوين في بعض الأحيان.ولم يبق من هذا الملعب نفسه إلا الألواح الحجرية التي كانت توضع بين أصابع أرجل المتسابقين في بداية السباق. وكان النظارة البالغ عددهم 45,000 يحتفظون بأماكنهم في الملعب طوال النهار يقاسون الأمرين من الحشرات والحر والظمأ ؛ ولم يكن يسمح لهم بلبس قبعاتهم ، وكان الماء الذي يسقون منه رديئاً غير صالح للشرب ، كما كان الذباب و البعوض يملأ جو المكان كما يملأ أمثاله في هذه الايام. وكانت القرابين تقرب مراراً وتكراراً إلى زيوس طارد الذباب. وكانت أهم المباريات في هذه الألعاب هي التي يطلقون عليها اسم المباريات الخمس (pentathlon) وأراد اليونان أن يكون اللاعبون متمكنين في هذه الألعاب جميعاً،

فكانوا يحكمون على من يتقدم للمباراة في واحدة منها أن ينازل غيره فيها جميعاً، ولا يعد اللاعب منتصراً إلا إذا فاز في ثلاث لعبات من خمس. وكانت أولاها هي القفز الواسع، فكان اللاعب يمسك بيديه ثقلين شبيهين بكتل الحديد المستديرة ويقفز بهما من موضع معين، ويؤكد لنا الكتاب الأقدمون أن بعض القافزين كانوا يقفزون إلى مسافة خمسين قدماً، ولكنا غير ملزمين بأن نصدق كل ما نقرأ.

واللعبة الثانية هي قذف القرص وهو لوحة مستديرة من المعدن أو الحجر تزن نحو اثني عشر رطلاً، ويقال إن أكبر القاذفات كانت تصل إلى مسافة مائة قدم. وكانت اللعبة الثالثة هي قذف الحربة أو الرمح بالاستعانة بشِرعة من الجلد متصلة بوسط السهم. وكانت المباراة الرابعة هي الجري مسافة قصيرة بأقصى سرعة في الملعب نفسه، وكانت هذه المسافة تبلغ نحو مائتي ميل في الغالب. وكانت المباراة الخامسة هي المصارعة، وهي من المباريات المحببة كثيراً إلى اليونان ، ومنها اشتق لفظ Palaistraنفسه، وما أكثر ما يروى من القصص عن الأبطال المصارعين. وكانت الملاكمة من الألعاب القديمة، ونكاد نوقن أنها مأخوذة عن كريت المينوية وبلاد اليونان الميسينية. وكان المتبارون ينازل بعضهم بعضاً بكرات للكم معلقة بمحاذاة الرأس ومحشوة ببذور التين أو الدقيق أو الرمل. وفي عصر اليونان الزاهر (أي في القرنين الخامس والرابع) كان الملاكمون يلبسون "قفازات لينة" من جلد الثيران ، معالجة بالدهن ، وتكاد تصل إلى المرافق، وكانت الضربات مقصورة على الرأس ولكنهم لم تكن لديهم قواعد تحرم ضرب اللاعب إذا وقع على الأرض. ولم تكن هناك أشواط أو فترات للراحة، بل كان الملاكمان يواصلان اللعب حتى يستسلم أحدهما أو يعجز عن الملاكمة. ولم يكونوا يقسمون حسب أوزانهم، بل كان في مقدور أي إنسان مهما يكن وزنه أن يشترك في المباريات. ومن ثم كان ثقل الجسم ذا نفع كبير لصاحبه، وانحطت الملاكمة لهذا السبب في بلاد اليونان وتحولت من مباراة في المهارة إلى منازلة بالقوة العضلية. وازدادت وحشية اللاعبين على مر الزمن فجمعوا المصارعة والملاكمة في مباراة جديدة سموها لعبة القوى مجتمعة. وكان يسمح في هذه اللعبة بكل شيء عدا العض وفقأ العين، وحتى الركل في البطن كان مسموحاً به أيضاً. وقد وصلت إلينا أسماء ثلاثة من أبطال هذه المباراة هزموا من نازلوهم لأنهم كسروا أصابعهم ، وكال أحدهم لغريمه ضربات وحشية بأصابعه الممدودة وأظافره الطويلة القوية التي اخترق بها جلده وانتزع بها أمعاءه من بطنه. لكن ميلو الكروتوني كان ملاكماً أظرف من هؤلاء وأحب إلى النفوس، ويروى عنه أنه نمى قوة جسمه بحمل عجل صغير في كل يوم من حياته حتى كبر هذا العجل وأصبح ثوراً كامل النمو. وكان الناس يحبونه لحيله ودهائه ، فقد كان

يمسك في يده الرمانة ويقبض عليها بقوة لا يستطيع معها أي إنسان أن ينتزعها منه، ومع ذلك كانت الرمانة تبقى سليمة لا ينالها أذى؛ وكان يقف على قرص من الحديد مدهون بالزيت ويقاوم كل ما يبذل من الجهد لزحزحته عن مكانه ؛ ويربط حبلاً حول جبهته ثم يقطع الحبل بوقف نَفَسُه ودفع الدم إلى رأسه. وقضت عليه مواهبه هذه آخر الأمر "ذلك أنه التقى مصادفة بشجرة ذابلة كما يقول بوزنياس "دقت فيها أوتاد لتفصل خشبها بعضه عن بعض، فخيل إليه أن يفصل هذا الخشب بيديه، ولكن الأوتاد انخلعت من الشجرة وانطبق خشبها عليه، وافترسته الذئاب". وكانت الألعاب تشمل فضلاً عن السباق السريع القصير المدى مسابقات أخرى في العدو، منها مسابقة طولها أربعون ياردة ، وأخرى طولها أربعة وعشرون شوطاً أو ميلان وثلثا ميل، ومنها سباق مسلح يحمل كل عداء فيه ترساً، وليس لدينا ما نستدل منه على الأرقام القياسية في هذه المسابقات. وكان الشوط يختلف باختلاف المدن، ولم يكن لدى اليونان آلات يقيسون بها أجزاء الزمن الصغيرة. وتحدثنا الأقاصيص عن عداء يوناني كان يسبق الأرنب، وعن آخر سابق جواداً من كرونيا إلى طيبة (حوالي عشرين ميلاً) وسبقه ، وعن فيدبديس الذي جرى من أثينا إلى إسبارطة – 150 ميلاً – في يومين ، ونقل إلى أثينا بشرى النصر في مرثون التي تبعد عنها أربعة وعشرين ميلاً ، ثم مات متأثراً بما عاناه من التعب. ولكن بلاد اليونان لم تكن فيها "مسابقات مرثونية". وقد أنشأت أولمبيا في السهل الواقع في أسفل الملعب مضماراً لسباق الخيل خاصة. وكان للنساء والرجال على السواء أن يتقدموا بخيولهم إلى هذا السباق، وكانت الجائزة في ذلك الوقت تعطى لصاحب الجواد – كما هي الحال في وقتنا هذا – لا لراكبه ، وإن كان الجواد في بعض الأحيان يجازى بأن يقام له تمثال، وكانت آخر المباريات هي مباراة المركبات ، وكان يجر كل مركبة جوادان أو أربعة جياد تسير جنباً إلى جنب. وكثيراً ما كان يشترك في المباراة الواحدة عشر مركبات في كل منها أربعة جياد، وكان على كل مركبة أن تدور حول الأنصاب المقامة في الحلبة ثلاثاً وعشرين دورة في آخر السباق ، ولذلك فإن حوادث خطيرة كانت تحدث وقتئذ ، وكانت هذه الحوادث أهم ما يثير المشاعر في الألعاب. وقد حدث في سباق منها بدأ بأربعين مركبة أن لم تتمه إلا مركبة واحدة. وفي وسعنا أن نتصور اهتياج النظارة وجدلهم حول من يناصرون، وأسفهم وهم منفعلون حينما يطوف الظافرون آخر طواف لهم حول الأنصاب. فإذا انتهت هذه المباريات المجهدة بعد خمسة أيام كاملة، نالوا جوائزهم، ولف كل منهم عصابة من الصوف حول رأسه، ثم وضع المحكمون على هذه العصارة إكليلاً من أوراق الزيتون البري وأغصانه، ونادى مناد أسماء الظافرين وأسماء مدنهم. وكان هذا الإكليل النباتي هو الجائزة الوحيدة التي تعطى في

الألعاب الأولمبية، ولكنه مع ذلك كان الشرف الذي يبذل المتبارون في بلاد اليونان أقصى جهودهم ليظفروا به.وقد بلغ من أهمية هذه الألعاب وحرص اليونان عليها أن الغزو الفارسي نفسه لم يحل بينهم وبين إقامتها، فبينما كانت حفنة من اليونان تقف في وجه خشيارشاي في ترموبيلي كانت آلاف مؤلفة منهم تشهد كعادتها ثيجنيس الثاسوسي، في اليوم الذي دارت فيه المعركة ، يظفر بإكليل ألعاب القوى المجتمعة. وصاح جندي فارسي في وجه قائده يقول: "رباه! أي صنف من البشر أولئك الأقوام الذي أتيت بنا لنقاتلهم؟ - إنهم رجال لا يقاتل بعضهم بعضاً من أجل المال بل من أجل الشرف!". وما من شك في أن هذا الجندي الفارسي، أو اليوناني الذي اخترع القصة ، قد جاوز الحد في الثناء على اليونان بقوله هذا، وليس ذلك لأنه كان من واجبهم أن يكونوا في ذلك اليوم في ترموبيلي بدل أن يكونوا في أولمبيا فحسب، بل لهذا السبب ولغيره من الأسباب ؛ ذلك أن الظافرين كانوا يحصلون على جوائز أخرى كبيرة من طريق غير مباشر وإن كانت الجائزة المباشرة التي ينالونها في الألعاب نفسها كانت قليلة لا تسمن ولا تغني من جوع. لقد كانت مدن كثيرة تمنح الظافرين جوائز مالية كبيرة بعد أن يعودوا من الألعاب الأولمبية ، وكان بعضها يعينهم قواداً لجيوشه، وكانت الجماهير تقدسهم تقديساً يحسدهم عليه الفلاسفة ويشكون منه. وكان بعض الظافرين أو أنصارهم يستأجرون شعراء مثل سمنيدس أو بندار لينشئوا القصائد في مدحهم وتكريمهم، وكانت هذه الأشعار تغنيها جماعات من الغلمان في الموكب الذي يخرج لاستقبالهم، وكانت الأموال تدفع للمثالين ليخلدوا ذكراهم بالتماثيل البرونزية أو الحجرية، وكانوا في بعض الأحيان يطعمون بلا ثمن في ردهة المدينة. وفي وسعنا أن نقدر ما يتكلفه هذا الطعام إذا عرفنا - من مصدر مشكوك في دقته - أن ميلو أكل عجلة بنت أربع سنوات، وأن ثيجنيس أكل ثوراً، في يوم واحد.

وكان القرن السادس قبل الميلاد هو العهد الذي بلغت فيه الألعاب الرياضية أعظم روعتها وتغلغل حبها في قلوب الشعب إلى أبعد حد. ففي عام ٢٨٥ق.م أنشأ الحلف الاثنا عشري الألعاب الفيثية في دلفي تكريماً لأبلو. وفي تلك السنة نفسها أنشئت ألعاب البرزخ في كورنثة تكريماً لبوسيدن ، وبعد ست سنوات من ذلك الوقت أنشئت الألعاب النيمية تكريماً لزيوس النيمي ، وأضحت هذه المواسم كلها أعياداً يحتفل بها اليونان على بكرة أبيهم. وقد نشأت منها ومن الألعاب الأولمبية دورة ، وكان أعظم ما يطمع فيه اليوناني الرياضي أن ينال أكاليل فيها جميعاً. وقد أضيفت مباريات في الموسيقى والشعر إلى المباريات الجسمية في الألعاب الفيثية ، والحق أن هذه المباريات الموسيقية كانت تقام في دلفي قبل إنشاء الألعاب الرياضية فيها بزمن طويل. وكان موضوع المباريات في بادئ الأمر أنشودة يخلد بها انتصار أبلو على

الأفعى الدلفية ؛ ثم أضيفت إليها في عام 582 ق.م مباريات في الغناء وفي العزف على القيثارة والنفخ في الناي. وكانت مباريات موسيقية مثلها تقام في كورنثة، ونيميا، وديلوس، وغيرها من المدن؛ وذلك لأن اليونان كانوا يعتقدون أنهم يستطيعون بهذه المباريات العامة أن ينموا مقدرة العازفين وذوق الجماهير في وقت واحد. وكانوا يسيرون على هذا المبدأ نفسه في كل فن من الفنون تقريباً – كصناعة الخزف، والشعر، والنحت، والتصوير، والغناء الجماعي، والخطابة، والتمثيل. وبهذه الطريقة وغيرها من الطرق أصبح للألعاب أكبر الأثر في الفنون، والآداب، بل كان لها أيضاً أعمق الأثر في كتابة التاريخ نفسه؛ وذلك لأن أهم طريقة لحساب السنين في كتب التاريخ المتأخرة كانت هي التاريخ بالفترات الأولمبية، وكانت كل فترة تميز باسم الظافر في سباق الجري شوطاً واحداً. وكان الكمال الجسمي الذي بلغه الرياضيون البارعون في الألعاب جميعها في القرن السادس قبل الميلاد هو الذي أوحى إلى اليونان بالمثل الأعلى في نحت التماثيل، وهو المثل الذي بلغ غايته على يدي ميرون Meironوبليكليتوس.[46]

فلاسفة اليونان:

لم يكن للإغريق كتب مقدسة أو عقائد محددة يخضعون لها، ولم يعرفوا أي نوع من الإلهيات المنظمة، بل امتزجت عندهم دائمًا نزعتان متناقضتان: نزعة شعرية وأسطورية تمثلهما الإلياذة والأوديسة المنسوبتان لهوميروس، ونزعة عقلية وعلمية تمثلهما قلة قليلة من مفكريهم، لكنها لا تقتصر على رجال العلم والفلسفة وحدهم، بل يشاركهم فيها التجار الذين كانوا عمليين إلى حد كبير، بحيث لم يكن للميثولوجيا أي دور في أعمالهم التجارية والمالية مع أن رجال العلم كانوا يسلّمون أحيانًا بالأساطير على أنها أوصاف شعرية لأشياء لا تخضع للتفسير العلمي .كانت هذه القلة من مفكري الإغريق أول من فطن إلى فساد عقيدة تعدد الآلهة وعدم منطقيتها، واقتربوا من فكرة خالق وحيد للكون والموجودات، لكنهم اختلفوا في خصائصه عندما لاحظوا أن الكون آلة محكومة بمبادئ وقوانين صارمة، غاية في الدقة والتنظيم، وأنها لا بد من أن تكون صادرة عن خالق واحد مطلق القدرة ولا يشاركه في عملية الخلق أحد، إلا أنه زوّد الإنسان بعقل يستطيع فهم وإدراك هذه القوانين ودرسها. وقد غرس هذا التفكير الجديد عقيدة التفاؤل بمستقبل الإنسان وعلاقته بالكون، وأصبح جزءًا رئيسيًا من تراث الإنسانية الفكري الذي جسّدته فلسفة التنوير الأوربية.

كانت الفلسفة اليونانية هي الأساس الفكري لكثير من المذاهب الفلسفية اليونانية التي ظهرت فيما بعد وقد بدأت الفلسفة بالأفكار الساذجة حول نشوء الكون ثم تطورت الى وضع

الحكم والأمثال وفي أواخر القرن السابع قبل الميلاد خطت خطوات واسعة فظهرت مذاهب فلسفية شاملة ومتعددة في تفسير الكون والحياة ولكنها تميزت في تلك الحقبةبالتلاحم الوثيق بينها وبين العلوم بحيث من الصعوبةالتفريق بينهما .

طاليس:

كان طاليس على رأس مجموعة من مفكري اليونان الذين نبغوا في منطقة أيونيا على الشواطئ الآسيوية الغربية لتركيا الحالية التي استعمرها اليونانيون بين القرنين الثاني عشر والتاسع ق.م. وجعلوا منها منطقة مزدهرة للعلم والفلسفة والتجارة والمواصلات البرية والبحرية، واشتهرت فيها مجموعة من المدن أهمها ميليتوس وساموس وشيو وايفيز وكولوفون وتيوس وفوسيه.وقد نبغ إلى جانب طاليس كسينوفان (نهاية القرن السادس ق.م.) الذي هاجم ديانة تعدد الآلهة هجومًا عنيفًا، والفيلسوف وعالم الفلك انكسيماندر (610-547 ق.م.) الذي طوّر أفكار طاليس العلمية، ونشر في أواخر حياته بحثًا في الطبيعة يعتبر أول بحث في فلسفة الطبيعة في تاريخ الفكر البشري. والفيلسوف وعالم الطبيعة انكساغوراس (510-428 ق.م.) الذي اعتقد أن لا شيء يولد من لا شيء، وأن العالم ليس سوى مجموعة غير متناهية من العناصر المادية المتشابهة التي تتألف منها الأشياء، وأن العقل نفسه يتكون من هذه العناصر، لكنها عناصر سامية. ويقول المؤرخ اليوناني (ديوجين لايريتوس) (القرن الثاني الميلادي) الذي يعتبر أحد المصادر الرئيسية للفلسفة اليونانية وعلومها، ، وأستطاعت تلك المجموعة من المفكرين طوّرت نموذجًا جديدًا للمعرفة وفهم العالم يرتكز على البرهان والمنطق والاستدلال الذي كان من ثماره ظهور طائفة من العلماء والفلاسفة في كل فروع المعرفة كهيبوقراط في الطب، وأرخميدس في الرياضيات والفيزياء، وأرسطو في الفلسفة والعلوم والمنطق، وبروتاجوراس وديموقريطس... إلخ.

ولد طاليس حوالي سنة 640 ق.م. في مدينة ميليتوس الواقعة على مصب أحد الأنهار على الساحل الشرقي لبحر إيجه، وكانت أكثر المدن اليونانية ازدهارًا ومركزًا تجاريًا وثقافيًا ودينيًا مهمًا. وأكبر الظن أنه من أبوين فينيقيين كما يقول المؤرخ هيرودوت، وتلقى معظم تعليمه في مصر وبلاد ما بين النهرين، وبذلك تمثل فيه انتقال الثقافة من الشرق إلى الغرب.يعزى إلى طاليس إدخال العلوم الرياضية والفلكية إلى بلاده اليونان، ويقال إنه قاس ارتفاع الأهرام أثناء دراسته في مصر إلى جانب تعلمه طائفة من الحقائق الهندسية فيها. ولما عاد إلى أيونيا واصل دراسة الهندسة النظرية التي خلبته بمنطقها السليم، وما فيها من الاستدلال العلمي

الخالي من الشعوذات والأساطير، وقام بشرح كثير من النظريات التي أفضت بالتدريج إلى أصول إقليدس وإلى جميع النتائج الهندسية العجيبة. وكانت هذه النظريات الأساس الذي قام عليه علم الهندسة النظرية في اليونان، كما كانت دراسته لعلم الفلك الأساس الذي قام عليه هذا العلم في الغرب بعد أن خلّصه من التنجيم الممتزج بالأساطير، التي ادخلها فيه الشرقيون. وقد أذهل سكان مدينته ميليتوس عندما تنبأ بكسوف للشمس وقع في 28 مايو سنة 585 ق.م. وكذلك عندما أخبرهم أن الشمس والنجوم التي يعبدونها كآلهة ليست سوى كرات من نار، فكان بذلك أول رائد للعلم بمعناه الحقيقي في الغرب.أراد طاليس أن يفسر كيفية نشوء الكون والمخلوقات تفسيراً حسياً، يمكن فهمه دون اللجوء إلى التفسيرات الخرافية التي استعملها سابقوه ومعاصروه، فقال إن الماء هو المادة الأساسية التي صنع منها العالم المادي الذي يحيط بنا من كل جانب، أي أنها المبدأ الأول لجميع الأشياء، وشكلها الأصلي ومصيرها النهائي.لم يكن هذا الاستنتاج صحيحاً من الناحية العلمية، ولا مبتكراً لأن الماء لا يدخل في تركيب جميع الأشياء في الطبيعة، باستثناء الأحياء، كما جاء في القرآن الكريم: }وجعلنا من الماء كل شيء حي .{ولكن أهم ما جاء به طاليس هو إرجاع جميع الأشياء إلى مادة واحدة وأصل واحد. لقد طرح سؤالاً فلسفياً، وأجاب عنه إجابة علمية مجردة من أي أثر للآلهة او الميتافيزيقا. وعلى الرغم من هذه الآراء المادية، كما وصفها أرسطو فإن طاليس أضاف إلى مقولته السابقة أن الحياة صفة لكل جزء من أجزاء العالم، وأن المادة والحياة وحدة لا تنفصل، وأن للمعادن والجمادات والنباتات (نفساً) خالدة كما الإنسان والحيوان، وأن القوة الحيوية تتغير صورتها، لكنها لا تموت أبداً.اقترب طاليس من تصوّرات المنهج العلمي عندما تساءل عن ماهية الكون وموجوداته، وكان للبيئتين الطبيعية والثقافية التي ولد وعاش فيها دور رئيسيٌ في صياغة استنتاجاته.كان الإغريق يعتقدون أن مياه الأطلسي تحيط بالأرض من كل جوانبها، بينما اعتقد طاليس أن الأرض عبارة عن أسطوانة ضخمة طول قطرها آلاف الكيلومترات تعوم على بحر من المياه بغير حدود، وتخترقها الأنهار، وتنتشر على سطحها البحيرات، وتتفجر من باطنها الينابيع، وعندما تجف المياه، وتتبدد في الهواء، تعود لتتحول إلى أمطار بين حين وآخر، واستنتج من كل ذلك أن الماء يحيط بنا من كل الجهات. وذهب به الظن إلى أن اليابسة نفسها مكوّنة من المياه، وأنه تثبّت من ذلك عندما زار مصر في شبابه، ورأى كيف تفيض مياه النيل على الأراضي المحاذية فترويها، وكيف يترسّب الطمي الخصيب عندما تنحسر تلك المياه إلى مجاريها الأصلية، وكيف أدى تراكم الطمي مع مرور الزمن إلى تكوين مساحة كبيرة من الأرض على شكل مثلث يشبه حرف (دلتا) في الأبجدية

الإغريقية، لذلك أطلق عليها اسم دلتا النيل. وبعد أن فكر طاليس مليًا بكل ذلك توصل إلى ما اعتقده نتيجة منطقية لما رآه ولاحظه، وهو أن الماء أساس كل شيء.كانت فكرة تكوّن الأشياء من الماء معروفة عند البابليين إلى جانب معارف مهمة في علمي الفلك والرياضيات. وكان طاليس قد زار بابل مرات عدة في شبابه، فكان من الطبيعي أن تؤثر تلك الحضارة بعمق في شخص مثله يقظ التفكير والتأمل، ولاشك أنه نقل الكثير من معلومات بابل العلمية إلى بلاد الإغريق.وكان اعتقاد البابليين أن اليابسة عبارة عن قرص يرتكز على طبقة من المياه العذبة تتشكّل منها الأنهار والبحيرات والينابيع، وهي (أي الأرض) محاطة بالمياه المالحة من جميع جوانبها .ويشبه ظاهر هذا الاعتقاد ما قال به طاليس، إلا أن فروقًا عميقة تفصل بين المفهومين فالبابليون على عكس طاليس، لم يعتبروا المياه كمياه بل كمجموعة من الكائنات فوق الطبيعية المتصلة بالآلهة، لكن طاليس تناول الفكرة البابلية من ناحية أخرى تستغني عن الآلهة، وعمّا يقوم بينها من المعارك الكبرى كما تحكي الأساطير، لذلك اختصر جوابه عن السؤال الذي طرحه على نفسه بالقول إن جميع موجودات الكون مركّبة من المياه، ولم يزد عليه أي دور للآلهة. وقد تابع مع تلامذة مدرسته (الأيونية) البحث عن تعليل لنشأة الكون دون اللجوء إلى الآلهة، وبذلك وضعوا تقليدًا في البحث العلمي مازال قائمًا حتى اليوم.

كان من الأهمية القصوى تعليل نشأة الكون بعيدًا عن تدخل الآلهة، لأنه سمح للعلم بالتطور بعد انعتاقه من الخرافات والأساطير. أن الكون خلق وحكم بواسطة مجموعة من الآلهة، وأن هذه الآلهة كانت تتصرّف وفق أهوائها المتضاربة، لاستحال عندئذ الاعتماد على سلوك كوني ثابت يمكن دراسته وإدراكه، لأن كل شيء فيه متعلق بالنزوات المتغيرة للآلهة.بالنسبة لطاليس ومدرسته، لا دخل للآلهة في عمل الكون، لأنه لا يخضع إلا لطبيعته الذاتية. وأدى هذا الاعتقاد بطاليس وتلامذة مدرسته إلى وضع فرض علمي أساسي مؤداه أن الكون يسير وفق مبادئ ثابتة لا نستطيع تبديلها، ولا إلغاءها ولا إخضاعها لنزواتنا. فلو خضع الكون لنزوات آلهة الأساطير خيرها أو شرها، لما استطاع الإنسان ولا العلم التنبؤ بما سيحصل في المستقبل.إن الافتراض الطاليسي الأول، يقودنا إلى افتراض آخر فحواه أن العقل الإنساني يمكنه استكشاف طبيعة النواميس التي تسيّر الكون، وفكّ طلاسمها. ومن هذين الفرضين: وجود نواميس طبيعية تسيّر الكون، ثم قدرة العقل الإنساني على اكتشافها تتألف فكرة العلوم، التي هي اليوم في قمة عنفوانها.كانت هذه الفكرة شبه منطفئة في أوربا منذ سقوط الإمبراطورية الرومانية، لكنها بدأت تفرض نفسها فجأة منذ القرن السادس عشر تحت تأثير ترجمة معظم العلوم العربية ومناهجها التجريبية إلى اللغة اللاتينية، أي منذ بدأت تنفصل عن التصوّرات اللاهوتية عن الكون.[47]

سقراط:(469-399 ق.م):

ولد سقراط في أثينا حوالي العام وكان أبوه نحاتا وأمه قابلة. ولا يعرف عن حياته الأولى سوى أنه لما بلغ منتصف العمر أصبح شخصا مرموقا في المدينة، اذ جعلت منه أفكاره الجديدة وشخصيته الفريدة رجلا مشهورا. وكان سقراط قبيح المنظر جاحظ العينين، أفطس الانف، ولكن كان يملك قدرات خارقة للعادة من حيث ضبط النفس والصبر صرف سقراط حياته تمامًا للبحث عن الحقيقة والخير. لم يعرف لسقراط أية مؤلفات، وقد عُرِفت معظم المعلومات عن حياته وتعاليمه من تلميذيه المؤرخ زينفون والفيلسوف أفلاطون، بالإضافة إلى ما كتبه عنه أرسطو طاليس وأرسطو. وُلد سقراط وعاش في أثينا. وكان ملبسه بسيطًا. وعُرِف عنه تواضعه في المأكل والمشرب. وتزوج من زانْثِب التي عُرِف عنها حسب الروايات أنها كانت حادة الطبع ويصعب العيش معها. وقد أنجبت له طفلين على الأقل.

كانت الفلسفة قبل سقراط تختص أساسا بمسائل تتعلق بوجود العالم وماهيته. ولقد اقتنع سقراط بأنه من المستحيل الإجابة عن هذه التساؤلات، وأن دراسة هذه المسائل لن تلقي على أية حال ضوء على السبيل الصحيح للحياة، هذا السبيل الذي كان بالنسبة له هو الموضوع الوحيد ذو الأهمية الفعلية. وهكذا فإن هدفه كان جعل الناس يفكرون بوضوح في الطبيعة المجردة للأخلاقيات كالعدل والشجاعة مثلا، وذلك بدلا من مجرد المضي في حياتهم خلف العقائد التي جرى العرف عليها. وهو لم يطالب بتدريس أية تعاليم، اكتفاء بالتساؤلات التي تعين الناس على انتزاع الحقيقة من داخل أنفسهم بالتفكير.لقد آمن سقراط بأن الآثام كلها وليدة الجهل، وأن الناس لو عرفوا فقط ما هو الحق، إذن لما وجدوا صعوبة في اتباعه.كان سقراط يعلم الناس في الشوارع والأسواق والملاعب. وكان أسلوب تدريسه يعتمد على توجيه أسئلة إلى مستمعيه، ثم يُبين لهم مدى عدم كفاية أجوبتهم. قُدِّمَ سقراط للمحاكمة وُوجهت إليه تهمة إفساد الشباب والإساءة إلى التقاليد الدينية. وآراءه وأفكاره لم تسجل في عهده بل سجلها له طلبته من بعده ومن أبرزهم الفيلسوف أفلاطون، والذي سجلها بشكل حوارات، كان سقراط زاهدًا يعيش في زير مكسور يقيه من البرد، وحين تبزغ الشمس لتصل أشعتها إلى سطح الأرض يخرج من زيره المكسور ليتمتع بحرارة الشمس ويستجمم، كان قصير القامة قبيح الشكل، وقد خالف جميع اليونان في عبادة الأوثان إذ نادى بوجود إله واحد فقط، وأن الروح خالدة، وحاجهم بالأدلة والبراهين الإلهية، وكان سقراط يُلمحُ إلى أن الحكام يجب أن يكونوا من أولئك الرجال الذين يعرفون كيف يحكمون، وليس بالضرورة أولئك الذين يتم انتخابهم. سجن في أواخر أيامه مدة ثلاثين يومًا، إذا حكمت عليه المحكمة بالموت بتهمة إفساد

عقول الشباب رفض خلالها خطة مُعدة من قبل طلابه للهرب إلى روما قائلاً بأن أهل روما لن يكونوا احن علي من أهلي، وقد قضت هيئة المحلّفين بثبوت التهمة على سقراط وأصدرت حكمها عليه بالإعدام؛ فمات بابتلاع السم في عام 399 ق. م حيث نفذ الحكم بكلِّ هدوء متناولاً كوبًا من سم الشوكران.[48]

من أقواله:–

"المرأة مصدر كُل شر"

" إني أعلمُ شيئًا واحدًا في الحياة وهو أني لا أعلمُ شيئًا"

"خلق الله لنا أذنين ولسانًا واحدًا لنسمع أكثر مما نقول"

"متى أتيح للمرأة أن تتساوى مع الرجل أصبحت سيدته"

"ليس مهمًا أن يكون كلامي مقبولاً المهم أن يكون صادقًا"

"لاتكرهوا أولادكم على آثاركم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم"

"إذا وليت أمرًا أو منصبًا فأبعد عنك الأشرار فإن جميع عيوبهم منسوبة إليك"

افلاطون

بعد سقراط جاء تلميذه أفلاطون ولد في عام 429 ق. م، في مدينة أثينا، وهو من عائلة أرستقراطية "غنية"، واسمه الحقيقي أرسطوقليس، وما أفلاطون إلا لقب لُقب به لضخامة جسمه، وحين بلغ العشرين من عمره التحق بطلبة سقراط، وبقي يتعلم منه مدة خمس سنين، وعندما توفي سقراط لم يطق أفلاطون البقاء في أثينا، فغادر إلى قورنية، ومن ثم مصر، ومن ثم إلى جزيرة صقلية، حتى عاد إلى أثينا وتوفي فيها في عام 347ق. م، أوجد أفلاطون ما عُرِفَ من بعدُ بطريقة الحوار، التي كانت عبارة عن دراما فلسفية حقيقية، عبَّر من خلالها عن افكاره عن طريق شخصية سقراط، الذي تمثّله إلى حدٍّ بات من الصعب جدًا، من بعدُ، التمييز بين عقيدة التلميذ وعقيدة أستاذه الذي لم يخلِّف لنا أيَّ شيء مكتوب. هذا وقد ترك أفلاطون ثمانية وعشرين حوارًا مكتوباً، يتألق فيها، بدءًا من الحوارات الأولى، أو "السقراطية"، وصولاً إلى الأخيرة، حيث شاخ ونضج، صورة سقراط التي تتخذ طابعًا مثاليًا؛ كما تتضح من خلالها نظريته في المُثُل، ويتم فيها التطرق لمسائل عيانية مهمة.

ومن اشهرمؤلّفاته:

المأدبة أو "في الحب": يبيِّن هذا الحوار ، الذي جرى تأليفه في العام 384 ق م، كيف أن ولوج الحقيقة يمكن أن يتم بطرائق أخرى غير العقل، وليس فقط عن طريقه أساسية ومن أشهر

مؤلفاته كتاب "الجمهورية"، أو "جمهورية افلاطون"، أو ما يُسمى ب"المدينة الفاضلة" وكتاب الحاكم والقوانين وتناولت كتبه السياسة والأخلاق والمعرفة والله والطبيعة والنفس والفضيلة والحب والسعادة والحكومةالمثلى.[49]

من أقواله:-

"لكي تكون عظيمًا لابُد أن يُساء فهمُك"

"كل إنسان يصبح شاعرًا إذا لامس قلبه الحُب"

"لو أن الحقيقة صنعت امرأة جميلة لأحبها كل الناس"

أرسطو طاليس

أما في القرن الخامس قبل الميلاد فقد انتقلت الزعامة الفلسفية والعلمية كالزعامة السياسية إلى مدينة أثينا في شبه جزيرة اليونان وإذا لم يبحث سقراط وأفلاطون في الأمور العلمية فإن أرسطو بحث كعالم في الفيزياء والفلك والرياضيات والتشريح والزراعة[50] ووضع كتابا في التايخ الطبيعي صنف فيه الحيوانات فظل ذلك التصنيف أساسا لكل تصنيف وضع بعده حتى القرن التاسع عشرولد في عام 386 ق. م، في إقليم تراقيا، وكان والده طبيبًا لحاكم مقدونيا آنذاك أبيفانس الثاني والد فيليب المقدوني، وفي عام 342 ق.م استدعى فيليب المقدوني أرسطو إلى مقدونيا ليكون معلمًا لابنه الإسكندر، وحين خرج الإسكندر في رحلاته عام334 ق.م ترك أرسطو مقدونيا وارتحل إلى أثينا وبقي فيها، ونظرًا إلى أنهُ كان دائم المشي في أثناء شرحه أطلق على مدرسته اسم "المشائية"، توفي في عام 322 ق. م، بعد وفاة الإسكندر وبداية العصر الهيلينيستي بعام، ومن أقوال الإسكندر بمعلمه أرسطو "إن أبي هو الذي وهبني الحياة، ولكن ارسطو هو الذي علمني كيف أحيا". وقد وضع عدة كتب منها الدساتير الذي درس فيه اكثر من 150دستور من الدساتير اليونانية وغير اليونانية أما كتاب السياسة فقد ضمنه آراءه السياسية في نشوء الدولة.[51]

الآداب:

إلى وقت قريب كان الإعتقاد بأن اليونان والرومان هم منشؤا الملاحم والأساطير الشهيرة الآ أن التنقيبات التي أجريت في الشرق الأدنى القديم والكشف عن حضاراتها العريقة وقراءة نصوصها التاريخية والأدبية قد بينت لنا أروع وأجمل الأساطير والملاحم والقصص وغيرها من ضروب الأدب وقد كان للصلات المختلفة بين الساحل السوري وبلاد اليونان اثره في نقل تراث تلك الحضارات (بلاد الرافدين ؛الشام ومصر) إلى بلاد اليونان[52]

لقد كان الأدب من أحد أسباب فرقة الإغريق كما كان من أسباب وحدتهم ، شأنه في هذا شأن الدين سواء بسواء. ذلك أن الشعراء كانوا يتغنون بلهجاتهم المحلية ، وكثيراً ما كانوا يصفون مناظر أقاليمهم ، ولكن بلاد هلاس كلها كانت تستمع إلى أكثر الأصوات فصاحة. وكانت من حين إلى حين تستحثهم على أن يطرقوا موضوعات أعم وأوسع من تلك الموضوعات المحلية الضيقة. ولقد عدا الدهر كما عدت الأهواء الضيقة على هذا الشعر المبكر فأبادت أكثره حتى لم يعد في وسعنا أن نحس بما فيه من ثراء، وبما كان يطرقه من موضوعات ، وبما يعزى إليه من جزالة اللفظ وجمال الشكل؛ ولكننا حين نطوف بجزائر اليونان ومدنهم في القرن السادس قبل الميلاد لا يسعنا إلا أن نعجب بوفرة وجودة ما تطالعنا به هذه الجزائر والمدن من الأدب اليوناني قبل عصر بركليس. عكس الشعر الغنائي صورة لمجتمع أرستقراطي كانت فيه المشاعر والأفكار والأخلاق حرة مادامت تراعي واجبات الأدب وحسن التربية. وقد أخذ هذا الأسلوب من الشعر الحضري المصقول يختفي شيئاً فشيئاً في عهد الديموقراطية. وبينما كان أصحاب الشعر الغنائي يتغنون بالحب والحرب ، كان الشعراء الجوالون ينشدون في مجالس العظماء الملاحم في وصف ما قام به اليونان من جلائل الأعمال. ولقد أنشأت جماعات المغنين على توالي الأجيال طائفة من القصائد الغنائية تدور كلها حول حصار طيبة و [طروادة] وعودة المحاربين إلى أوطانهم. وكانت الأغاني شائعة مشتركة بين هؤلاء الشعراء ، وكان كل واحد منهم يؤلف قصته من قطع متفرقة أقدم منها عهداً ، ولم يكن منهم من يدعي أنه هو الذي ألف سلسلة متتابعة من هذه القصص. وقد وجدت في خشيوز جماعة من أولئك الشعراء أطلقوا على أنفسهم اسم الهومريدي Homeridae، وادعوا أنهم من نسل شاعر يدعى هومر ، وهو في زعمهم مؤلف الملاحم التي كانوا ينشدونها في شرقي بلاد اليونان بأجمعها. وقد يكون هذا الشاعر الضرير لا وجود له في الحقيقة بل كان أباً خيالياً لقبيلة أو طائفة من الناس ، شأنه في هذا شأن هلن، و دورس و أيون. ولم يكن اليونان في القرن السادس يعزون إلى هومر الإلياذة والأوذيسة فحسب، بل كانوا يعزون إليه كذلك كل الملاحم المعروفة وقتئذ. والقصائد الهومرية أقدم الملاحم المعروفة في التاريخ ، ولكن جودتها في حد ذاتها وما فيها من إشارات كثيرة إلى شعراء سابقين ، لتوحيان إلينا بأن هذه الملاحم الباقية هي الحلقة الأخيرة من سلسلة طويلة بدأت بالقصائد البسيطة القصيرة ثم تطورت حتى وصلت إلى هذه الأغاني الطويلة "المحيطة" بعضها في بعض.

انتقلت الإلياذة والأوذيسة من بين الملاحم الأدبية الباقية من القرن الذي قبله، أو لعلها جمعتها بعد مقابلة النسخ الموجودة منها وقتئذ ببعضها بعضاً، ثم عزتهما إلى هومر، ثم

نشرتهما- أو لعلها صاغتهما- في صورة هي في جوهرها صورتهما الحاضرة. ومن المعجزات الأدبية أن تصل قصيدتان مستمدتان من أصول متعددة مختلفة إلى هذه الدرجة الفنية العالية. ولسنا ننكر أن الألياذة تقصر دون الغاية في مبناها وفي لغتها، وأن الصور الإيولية والأيونية تختلط فيها اختلاطاً لا يقدر عليه إلا رجل من أهل أزمير يتكلم عدة لغات، وأن أوزان شعرها مأخوذة من هذه اللهجة تارة ومن تلك اللهجة تارة أخرى، وأن حبكتها قد أفسدها كثرة ما فيها من تناقض، وتغيير في الخطة، وتوكيد أهمية حادثة ما في بعض المواضع ثم الاستخفاف بشأنها في البعض الآخر، وتعارض في أخلاق أشخاصها، وأن أبطالها يقتلون هم أنفسهم مرتين أو ثلاث مرات قبل نهاية القصة ، وأن موضوعها الأصلي- وهو غضب أكليز ونتائجه- يقطعه ويطغى عليه عشرات القصص والحوادث المأخوذة على ما يظهر من قصائد أخرى أدمجت في الملحمة في أجزاء مختلفة منها ؛ لسنا ننكر شيئاً من هذا ولكن القصة في مناحيها الكبرى قصيدة واحدة، ولغتها جزلة قوية حية. وأشخاص الملحمة يكادون أن يكونوا كلهم من المحاربين أو من نساء المحاربين، وحتى الفلاسفة منهم أمثال نسطور يقاتلون بشجاعة يحسدون عليها. وكل شخصية من هذه الشخصيات كانت موضع تفكير وعطف من مصورها. ولعل أجمل ما في الأدب اليوناني كله هو نزاهته التي تجعلنا نعطف على هكتور تارة وعلى أكليز تارة أخرى. فأكليز في خيمته شخص قد تجرد من صفات البطولة، غير محبب إلى النفوس، يشكو إلى أمه أن حظه لا يتفق مع مقامه نصف الإلهي، وأن أغامنون قد سرق منه إبريسيز [البائسة وهي أعز ما يمتلك، ثم يترك اليونان يحصدهم الموت زمراً وهو غاضب في سفينته أو خيمته يأكل وينام، ويرسل بتركلوس ليلقى منيته دون أن يجد منه عوناً ، ثم يملأ الجو عويلاً ونحيباً لا يليق بالرجال. وحين يذهب إلى المعركة آخر الأمر، لا يذهب إليها مدفوعاً بوطنيته بل لأن حزنه على فقد صديقه قد سلبه عقله، وينسيه غضبه جميع الصفات الإنسانية فينحدر إلى الدرك الأسفل من القسوة الوحشية في معاملة ليكاءون Lycaon وهكتور؛ فهو في حقيقته ذو عقل ناقص غير ناضج ، غير مستقر ولا متزن، ولا سلطان له على نفسه، تنغص عليه حياته نبوءات الموت. انظر إلى ما يقوله لليكاءون بعد أن سقط على الأرض وأخذ يسترحمه: "لا يا صديقي ، مت كما مات غيرك! ماذا يفيدك بكاؤك الذي لا يرجى منه خير؟ لقد مات بتركلوس وهو خير منك. انظر إليَّ ألستُ وسيماً طويل القامة أنجبني أب كريم، وكانت أمي التي ولدتني إلهة؟ ولكن الموت رغم هذا يحوم حولي وتوشك المنية أن تنشب مخالبها فيَّ. ففي فجر يوم من الأيام أو ظهره أو مسائه تختطفني من بين الأحياء يد لا أعرفها" . ثم يطعن ليكاءون في عنقه دون أن يهم هذا بمقاومته ، ويقذف بجسمه إلى النهر ثم

يلقي خطبة من تلك الخطب الرنانة التي تزدان بها مذابح الإلياذة، ويضع بها أساس البلاغة والخطابة عند اليونان.

أعجب اليونان بهذه الملحمة وبأسلوبها الجميل وتم جمعها في عهد بستراتوس عام 534 ق.م وفي القرن الثالث الميلادي قسم نقاد الأسكندرية هذه الملحمةالمؤلفة من 15537 بيت من الشعر الى أربع وعشرين انشودة تبدأ الأنشودة الأولى بالدعاء لربات الشعر التسع (الموز)ليلهمن قريحة الشاعر بالإنشاد تنتهي الإلياذة بالنشيد الرابع والعشرين الذي يصف فيه بكاء هيكوبة أم هيكتو ونحيب زوجته أندرومك وصفا بليغاًومؤثراً .أحبها اليونان لأنها تمثل قصة حب أولا في أسلوبها البديع والمؤثر لأنها مفعمة بالشعور الدينيالذي يثير عواطف ومشاعر المتدينين الأغريق.ولهذا السببين لم ترض الإلياذة ذوق العرب المسلمين فعندما ترجمها الطبيب المارونيتيوفل بن توما الرهاوي(المتوفى 786) لم تلق الترحاب وعلى عكس ذلك عندما ترجمها الأديب اللبناني الماروني سليمان البستاني (1856-1925)ترجمها بديباجة شعرية فصيحة ووضع لها مقدمة تعتبر بحد ذاتها نموذجا في الأدب المقارن . وفي العصر الحديث إثارت الإلياذة مشاكل منها الشك بوجود هوميروس كلية فأسمه اليوناني يوحي مرة بأنه أعمى وأخرى بأنه رهينة أو أسير وقال الناقدالالماني فريدريك فولف عام 1795 إن هوميروس لم ينظم الإلياذة وإن معظمها منحول ولكن الناقد البلجيكي ألبرت سفبرنس عكف على دراستها لمدة نصف قرن وخرج برأيه القائل بأن الإلياذة هي من نظم هوميروس وحده رغم التعديلات التي أدخلها علماء الإسكندرية عليها.[35]

وتختلف الأوديسة عن هذا كله أشد الاختلاف حتى ليظن الإنسان لأول وهلة أن مؤلفها غير مؤلف الإلياذة ؛ وقد قال بهذا بعض علماء الإسكندرية أنفسهم. وتتفق الأوديسة مع الإلياذة في بعض العبارات القياسية "أثينا ذات العين الشبيهة بعين البومة" "اليونان الطوال الشعر" "قاتم كلون النبيذ" "الفجر ذات الاصابع الوردية" – وهي ألفاظ يبدو أنها لم تستعمل إلا بعد جمع الإلياذة أو تأليفها. ففي الملحمة الثانية يتكرر ذكر الحديد على حين أن الأولى تتحدث عن البرونز، كذلك نسمع فيها عن الكتابة ، وعن الملكية الخاصة للأرض ، وعن العبيد المحررين وتحرير العبيد، وهذه كلها لا يذكر منها شيء في الإلياذة ؛ بل إن الآلهة وأعمالهم ليختلفون في إحداهما عنهم في الأخرى. ووزن القصيدتين واحد وهو الوزن السداسي الأوتاد المكون كل وتد فيه من ثلاثة مقاطع وهو المتبع في جميع الملاحم اليونانية ؛ ولكن أسلوب الملحمة وروحها ومادتها تختلف كلها عن نظائرها في الإلياذة اختلافاً لا يتسر معه لشاعر واحد على أن ينشئ الملحمتين إلا إذا بلغ الذروة في التعقيد، وكان صاحب السلطان الأعلى على جميع الأمزجة

والحالات النفسية المتباينة. وما من شك في أن كاتب القصيدة الثانية أكثر تضلعاً في الأدب والفلسفة ، وأقل عنفاً ونزعة حربية من كاتب الأولى ؛ وهو أكثر منه تفكيراً وإدراكاً لذاتيته، وأملك منه لوقته وأكثر منه حضارة ؛ وقد بلغ من رقته أن ظن بنتلي Bentleyأن الأوديسة إنما كتبت لفائدة النساء خاصة.

ترى هل الأوديسة من قول شاعر واحد أو عدة شعراء؟ إن الجواب عن هذا السؤال أصعب في حالة الأوديسة منه في حالة الإلياذة. إن فيها هي الأخرى شواهد على الإضافة والتلفيق ، ولكن هذه الإضافات كانت من عمل كتاب أعظم حذقاً من كتاب الملحمة القديمة ؛ فحبكتها ، وإن كانت كثيرة اللف والدوران ، متناسقة تناسقاً عجيباً ، خالية من التناقض، لا يستحي أن يكتبها كاتب قصصي حديث ، يلمح الإنسان من بدايتها خاتمتها ، وكل حادثة من حوادثها تقرب القارئ من هذه الخاتمة ، وهي تربط كتبها الأربعة فتؤلف منها وحدة كاملة. وأكبر الظن أن الملحمة قد بنيت على قصائد كانت معروفة من قبلها شأنها في هذا شأن الإلياذة ، ولكن عملية التوحيد فيها أتم وأقوى منها في الإلياذة. وفي وسعنا أن نحكم بشيء كثير من التردد والإحجام أن الأوديسة أحدث من الإلياذة بقرن من الزمان ، وأن الجزء الأكبر منها من وضع رجل واحد. أما شخصياتها فأقل قوة وأقل وضوحاً من شخصيات الإلياذة ، فبنلبي شبح غير واضح ، ولا تبرز واضحة من خلف نسجها إلا في آخر الملحمة ، حين تطوف بعقلها لحظة من لحظات الشك ، أو لعلها من لحظات الندم ، بعد عودة سيدها. أما هلن بطلة الإلياذة فأشد منها وضوحاً ، وهي امرأة فذة منقطعة النظير ؛ فهذه المرأة التي من أجلها أقلعت ألف سفينة ولاقى الموت في سبيلها عشرة آلاف من الرجال لا تزال "إلهة بين النساء"، ناضجة الجمال في سن الكهولة ، أرق أخلاقاً وأهدأ طباعاً مما كانت من قبل ، ولكنها لم تفقد شيئاً من كبريائها وزهوها ، وتتقبل في لطف ورقة كل مظاهر الترحاب والتبجيل التي تحيط بربات التاج وتعدها حقاً لها تنعم بها دون سائر النساء. وإن تصوير نسكا ليعد مقالة بديعة تنطق بمقدرة الذكور على فهم الإناث ؛ والحق أننا لم نكن نتوقع أن يرسم يوناني هذه الشخصية الرقيقة الروائية. ولم يصور تلمكس تصويراً قوياً واضحاً ، فهو مصاب بداء التردد كأن به مساً من هملت. أما صورة أوديسيس فهي أكمل صور الشعر اليوناني وأكثرها تعقيداً. وقصارى القول أن الأوديسة رواية بديعة ساحرة في قالب شعري ، مليئة بالعواطف الرقيقة والمغامرات المفاجئة ، تستمتع بها النفس المسالمة التي في سن الكهولة أكثر مما تستمتع بالإلياذة الفخمة التي يراق فيها الكثير من الدماء. وقد أضحت هاتان القصيدتان– وهما كل ما بقي من سلسلة طويلة من الملاحم– أثمن العناصر في تراث اليونان الأدبي كله. وبفضلهما صارت دراسة هوميروس

العنصر الأساسي في نظام التعليم اليوناني ، ومستودع الأساطير اليونانية و المسرحيات، وأساس التدريب الخلقي؛ وأعجب من هذا كله أنه احتل قدسية دينية خاصة لدى اليونان. وفي ذلك يقول هيرودتس وأكبر الظن أن في قوله بعض المبالغة- "إن هوميروس وهسيود هما اللذان خلعا على الآلهة الأولبية صورة البشر، واللذان أدخلا النظام في مملكة السماء الكهنوتية وإنا لنجد في آلهة هومر كثيراً من أسباب العظمة والفخامة ".[54]

الهوامش:

(1) فرح: المصدر السابق، ص288.

(2) سليمان و الفتيان:المصدر السابق،ص420.

(3) تقع ليديا بين المدن الأيونية وفريجيا على ساحل غرب آسيا الصغرى وتحدها ميزيا من جهة الشمال وكاريا من جهة الجنوب فهي بذلك حلقة وصل بين الشرق والغرب عن مملكة ليديا وكيف انضوت تحت سيادة الفرس الاخمنيين ينظر:يزف فيزهوفر:فارس القديمة ، ترجمة محمد جديد، ط1 بيروت-2009، ص25-26 وما بعدها. Bury,j. b. ,Ahistory of Greece ,Vol. 2,London-1963,pp. 225ff

(4) أندرو روبرت برن: تاريخ اليونان، ترجمة محمد توفيق حسين، بغداد-1989، ص، ص129-130.

(5)العابد: المصدر السابق، ص80.

(6) برن: المصدر السابق، ص131.

(7) فرح:المصدر السابق، ص228.

(8) فرح:المصدر السابق، ص288-289

(9) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص421.

(10) فرح: المصدر السابق، ص289.

*طريقة التأرخة التي اتبعها الأثينيون هي تماثل الطريقة التي اعتمدها سكان بلاد الرافدين منذ عصور تاريخه المبكر ففي الغالب كان الشخص الذي يرأس مجلس الكبار السومري المعروف باسم الأين هو الذي يؤرخ الوثائق السومرية باسمه وقد اعتمد هذه الطريقة الآشوريون في مراكزهم التجارية في كبدوكيا وقد ظل الآشوريون يعتمدون هذه الطريقة حتى نهاية كيانهم السياسي عام 612 ق.م ولو أن طريقة الاختيار تختلف ما بين الآشوريين والأثينين ولكن لمسات التأثير العراقية واضحة ينظر:الأحمد:حضارات الوطن العربي القديم المصدر السابق،ص66.

(11) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص421.

(12) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص421.

(13) المصدر نفسه: ص423.

(14) فرح: المصدر السابق، ص289.

(15) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص423-424.

(16) المصدر نفسه،ص224؛ باقر: مقدمة، ص522.

(17) فرح: المصدر السابق، ص289.

(18) فرح: المصدر السابق، ص290.

(19) برن: المصدر السابق، ص132؛ ديورانت: قصة الحضارة المصدرالسابق،ج7، ص270.

(20) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص57-58.

(21) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص408.

(22) بتري: المصدر السابق، ص19.

(23) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص58؛ Hammmmond:op. cit,p. 158

(24)سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص409.

(25) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص55-56.

(26) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص59-60؛ Hammmmond:op. cit,p. 158

(27) ولد في حدود 640ق.م وتوفي عام 558ق.م من جزيرة سلاميس وكان أول أمره فقيرا ثم اشتغل بالتجارة وتجول بالبلدان فأفادته الأسفار ثروة وعلما وعرفانا وصار فيما بعد أحد حكماء اليونان المشهورين ولما عاد إلى أثينا كان عمره ثلاثين عاماً فوجد الفتن والثورات تمزق البلاد وأهلها ترزخ من استبداد الأشراف ويئنون تحت ثقل الديون والحكومة تشعر بالضعف في علاقاتها الخارجية ينظر:فهمي:المصدر السابق، ص46

(28) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص410.

(29) بلوطرخوس: المصدر السابق، ص131 وما بعدها.

(30) لطفي عبد الوهاب يحيى: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، بيروت-1979، ص126-127.

(31) فهمي: المصدر السابق، ص48-49؛ عبو ورشاد: المصدر السابق، ص66-67.

(32) فهمي: المصدر السابق، ص47-50؛ سليمان والفتيان:المصدر السابق،ص411.

(33) العابد: المصدر السابق، ص122؛ فهمي: المصدر السابق، ص50.

(34) فهمي: المصدر السابق، ص50-52.

(35) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص214.

(36) تكمن الأسباب الحقيقية وراء عملية الاغتيال نتيجة عودة أعداد كبيرة من المستوطنين المهاجرين الأثينيين إلى شمال بحر إيجة نتيجة لسيطرة الفرس على تلك المناطق فضلا عن عرقلة التجارة في بحر إيجة وتزايد نشاط المبعدين ادى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية معاُوكان من من نتائج ذلك عملية الاغتيال عن هذا الموضوع ينظر:عبو ورشاد:المصدر السابق،ص71-72؛ Hammmmond:op. cit,p. 181

(37) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص72-73. Hammmmond:op. cit,p. 148.

(38) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص79-80.

(39) يحيى: المصدر السابق، ص137؛ بتري: المصدر السابق، ص16؛ عبو ورشاد: المصدر السابق، ص46-47.

(40) برن: المصدر السابق ، ص125؛ فهمي: المصدر السابق، ص56-57.

(35) يحيى: المصدر السابق، ص145؛ عبو ورشاد: المصدر السابق، ص48-49؛ Hammmmond:op. cit,p102.

(36) للاستزادة في المعلومات عن مناطق المستعمرات اليونانية وأبرز خصائصها ينظر:عبو ورشاد. المصدر السابق، ص35-44؛ بتري: المصدر السابق، ص13. Hammmmond:op. cit,p,p110-122.

(37) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص36-37.

(38) عبوو رشاد: المصدر السابق،ص57-58؛ بتري: المصدر السابق، ص19.

Hammmmond:op. cit,p156.

(39) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص186-192؛ بتري: المصدر السابق، ص64-65.

(40) بتري: المصدرالسابق، ص139؛ عبو ورشاد: المصدر السابق، ص50-51.

(41) كان ارتباط الطفل منذ ولادته بالدولة أكثر من ارتباطه بأسرته فإذا كان ضعيف البنية ترك على قمة جبل قريب من أسبارطة ليلقى حتفه أو تلتقطه أحد افراد الطبقة الوسطى اما إذا كان قوي البنية أعيد إلى والديه ليلتحق فيما بعد بما يشبه المدرسة حيث ينتظم الأطفال بما يشبه المجموعات تحت قيادة أكبر افرادها سنا للمزيد عن طبيعة النظام السبارطي العسكري ينظر:عبوو رشاد: المصدر السابق، ص49-50؛ بتري: المصدر السابق، ص16.

(42) العابد: المصدر السابق، ص123.

(43) عبوو رشاد: المصدر السابق، ص186.

(44) فرح: المصدر السابق، ص310. بتري:المصدر السابق،ص65؛ وللمزيد من التفاصيل ينظر:إرنست

باركر:النظريات السياسية عند اليونان، ترجمة لويس أسكندرومحمد سليم سالم، مؤسسة سجل العرب،القاهرة– 1966،ص37 وما بعدها

(45) كان للتوسع في الفعاليات الاقتصادية من المكاسب المهمة والتي جعلت من أثينا سيدة العالم الإغريقي كما مكنها التوسع التجاري من التفاعل الحي مع الحضارات المحيطة بها فكانت أسبق من غيرها في التأثر بالعالم الخارجي والانفتاح الفكري كما كان له جوانب سلبية فإن هذا التوسع جعل اثينا تعتمد بشكل متزايد على الحبوب المستوردة ما نتج عنه حرصها الدائم للسيطرة على مضيق الدردنيل والبحر الأسود وحملتها على مصر وصقلية مما دفع إلى تحويل حلف ديلوس إلى امبراطورية كبيرة وحينها أصبحت عاجزة عن إدامة حمايتها للتجارة. وللمزيد من التفاصيل أكثر عن هذا الموضوع ينظر: عبو ورشاد: المصدر السابق، ص 192-198

(46) ديورانت:المصدر السابق،ج،ص فرح: المصدر السابق، ص293-296.

(47) محمد ضاهر :"الفيلسوف طاليس نشأة الفكر العلمي"،مجلة العربي،العدد 561،الكويت–2005،ص8-10

(48) فرح: المصدر السابق، ص305-306؛ عبوورشاد: المصدر السابق، ص210-214. ول ديورانت:قصة الفلسفة من أفلاطون الى جون ديوي، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، ط1، بيروت–2004، ص7 وما بعدها212. Livingstone,R. W. ,The Pageant of Greece,Oxford-1961,PP. 264-266

(49) فرح: المصدر السابق، 300؛ عبو ورشاد:المصدر السابق، ص212-214

Livingstone:op. cit,p. 283-3180

(50)جدير بالذكر أنه قد وضع كتاب في أحوال النفس وفي النبات وأحواله وما يلائمه من ظروف للحياة عن هذا الموضوع ينظر أرسطوطاليس: كتاب النفس كتاب النبات، تحقيق. موفق فوزي الجبر، ط3، دار الينابيع، دمشق–2007.

(51) فرح: المصدر السابق، ص301؛ عبوو رشاد: المصدر السابق، ص214-217؛ ديورانت:قصة الحضارة المصدر السابق،ج7، ص59 وما بعدها. Livingstone:0p. cit,p. 319-320.

(52) ابتهاج عمر الراضي:"التأثير العراقي القديم في الأساطير اليونانية والرومانية "مجلة كلية الآداب ،العدد 11،بغداد–1975،ص29 وما بعدها؛سلمان داود الواسطي:"ملحمة كلكامشودورها الرائد في أدب الملاحم العالمي"مجلة آداب المستنصرية،العدد8،بغداد–1984،ص 87 وما بعدها. إرنست باركر:النظريات السياسية عند اليونان ،ترجمة لويس أسكندرومحمد سليم سالم ،مؤسسة سجل العرب،القاهرة–1966، محمد ضاهر :"الفيلسوف طاليس نشأة الفكر العلمي"،مجلة العربي،العدد561،الكويت–2005،ص8-10

(53) محمد عبد الحميد الحمد:حضارات طريق الحرير،وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب، الطبعة الأولى ،دمشق–2007، ص239

(54) يحيى:اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري المصدر السابق،ص20 وما بعدها،

Graves,R.,The Greek Myths,London-1967,p.88-89

3

الفصل الثالث

الحروب اليونانية الفارسية والحروب البيلوبونيزية

الحروب اليونانية - الفارسية

شهد هذا العصر مواجهات مسلحة بين بلاد اليونان وبين قوتين كانتا موجودتين على المسرح الدولي آنذاك وهما قوة قرطاجة التى كانت تفرض سيطرتها عل الثلث الغربي للبحر المتوسط والامبراطورية الفارسية التي كانت تفرض سيطرتها عل الشواطئ الشرقية لهذا البحر.

وكان الصدام مع قرطاجة نتيجة طبيعية للمنافسة التجارية في غربي البحر المتوسط وقد امتد عبر القرن الخامس والرابع ق. م وتركز حول جزيرة صقلية. وقد وقع أول صدام سنة 480 ق. م وقد نشأ بسبب الصراع الذي نشأ بين المدن اليونانية نفسها في جزيرة صقلية واستنجاد خصوم جيلون حاكم سيراكوزة اليوناني بقرطاج الذي انتهزت الفرصة وأرسلت جيشا كبيرا بقيادة هاملكار في محاولة لانتزاع الجزيرة من اليونان. على أن المعركة انتهت بانتصار جيلون وفرضه تعويضا كبيرا على قرطاج. أما الصدام الثاني فقد وقع بين سيراكوزة في سنة 474 ق. م على عهد حاكمها هيرون وبين الأتروريين حلفاء القرطاجيين في إيطاليا وفي هذا الصدام انتصر اليونان أيضا. وحدث الصدام الثالث في سنة 409 ق. م حين تدخلت قرطاج مرة أخرى في النزاع بين المدن اليونانية بقيادة هانيبال حفيد هاملكار – وهو غير هانيبال الذي حارب الرومان في الحروب البونية. وفي سنة 405 ق. م سيطر القرطاجيون على القسم الأكبر من صقلية ولكن ديونيسيوس حاكم سيراكوزة اليوناني تمكن بعد ذلك من دفع السيطرة القرطاجية بحيث لم يتبق تحت هذه السيطرة إلا الطرف الغربي للجزيرة بينما ظل الطرف الشرقي خاضعا لليونان. وهكذا عاد الوضع إلى النقطة التي بدأ منها الصراع بين اليونان والقرطاجيين.[1]

كان لمدينة أثينا في العهد الديمقراطي مكانة مميزة في التاريخ السياسي ذلك لأن معظم المؤرخين الذين كتبوا عن هذه الحقبة كانوا من مدينة أثينا، فضلا عن دورها الحضاري في أنتاج معظم العناصر الحضارية التي كونت الحضارة اليونانية في معظم مجالاتها، هذا إلى جانب دور المدن اليونانية كإسبارطة وطيبة ومقدونيا وغيرها من المدن الأيونية. وعلى الرغم من أن أثينا قد لعبت الدور المتميز في أحداث التاريخ اليوناني القديم فإن دور المدن اليونانية الأخرى لا يقل عن الدور الذي ساهمت به أثينا في حروبها القومية مع الفرس الأخمنيين.[2]

لقد أدى هجوم الفرس واجتياحهم للمدن اليونانية الواقعة على ساحل آسيا الصغرى

أواخر القرن السادس قبل الميلاد إلى الاتحاد المفاجئ فتزعمت أثينا هذا الاتحاد لتدافع به عن بلاد اليونان، فقد أدى توسع الفرس الأخمنيين بعد سقوط بابل عام 538ق. م في مناطق اسيا الصغرى وخصوصاً في ليديا وفرض سيطرتهم على العاصمة سارديس على عهد ملكهم كروزوس وقسم ليديا إلى قسمين وولى عليهما ولاة من الفرس، ثم توجه الفرس نحو ضم المدن اليونانية إلى دولتهم ثم تقدمهم نحو جزر بحر إيجه بالقرب من المدن اليونانية ولكن كانت تلك المدن تتمرد ضد السيطرة الفارسية عندما تتاح لها فرصة التمرد، وتدعمها أو تحرضها على ذلك مدن شبه الجزيرة اليونانية مثل أثينا وأسبارطة وغيرهما، وذلك للحيلولة دون توطيد دعائم السيطرة الفارسية في آسيا الصغرى مما يسمح لهم فرصة إخضاع شبه الجزيرة اليونانية بالذات.[3]

الأسباب غير المباشرة للحرب (التوسع الفارسي)

كان من الطبيعي أن يفكر الملك كورش في التقدم غرباً للاستيلاء على الساحل الأيوني ومدنه التي اشتهرت بغناها كمنفذ تجاري مهم لطرق التجارة الشرقية، وازاء تقاعس المدن اليونانية عن القيام بأي عمل وحدوي مشترك تمكن الملك الفارسي من السيطرة على المدن اليونانية جميعها وقسم أيونية إلى ولايتين فارستين. ورغم قصر مدة حكم ابنه قمبيز(529–521ق. م) فقد استطاع هذا الملك من القضاء على ثاني أكبر مملكة في الشرق معاصرة كانت تتعاطف مع الإغريق الا وهي مملكة مصر عام (525ق. م) واستطاع بهذا العمل أن يسيطر على مركز حضاري مهم ولم يعد أمامهم سوى بلاد الإغريق القارية. ولكن القدر الذي أعطى قمبيز الكثير أنكر عليه تحقيق هذه الأمنية إذا مات في سوريا في ظروف غامضة وتربع على عرش الامبراطورية ضابط فارسي من نبلاء البلاط داريوش وتسميه المصادر العربية دارا (521–486ق. م) بلغت بلاد فارس في عهده أوج قوتها فقد استطاع أن يوطد الأمن وينشط الحركة التجارية في فترة وجيزة من عهده في كافة أرجاء البلاد باستثناء أيونية، ويبدو أن دارا قصد من وراء إهمال رعاية المصالح التجارية للمدن اليونانية ودعم النشاط التجاري الفينيقي ممارسة ضغط سياسي على هذه المدن وضرب الحركة التجارية فيها خشية تعاظم نفوذها ودرء لمخاطر ظهور قوة اقتصادية كبيرة بعيدة عن مركز الدولة تتحكم في مصائرها، أو قيام تكتل سياسي مناوئ لها. وقد أدرك الأيونيون أن الملك دارا كان يمهد لخنقهم اقتصاديا وسياسيا فهو لم يكتفي كسابقيه من الملوك الفرس بالاعتماد على الطغاة في المدن اليونانية بل قسم البلاد إلى عشرين ساترابيه(ولاية أو أقليم) يدير كل ولاية ساترابها ويرتبط الجميع بالقصر الملكي في سوسة بأوامر وتقارير رسمية متتابعة عن طريق نظام بريدي سريع[4]

فأصبحت أيونية لا تبعد عن العاصمة الفارسية أكثر من أسبوع بعد أن كانت تبعد ثلاثة أشهر، فشعر الأيونيون تبعا لذلك بقسوة المراقبة أكثر من السابق.[5]

الأسباب المباشرة (ثورة المدن اليونانية)

تُعد هذه الثورة وأحداثها من الأمور المهمة التي واجهت الفرس الأخمنيين وجرتهم مباشرة لخوض غمار حرب طويلة الأجل ضد المدن الهللينية وتوابعها وربما لم تهدأ إلا في الثلث الأخير من القرن الرابع قبل الميلاد أي مع ظهور الإسكندر المقدوني وغزوه لبلاد الشرق. لقد تنبه الفرس إلى مسألة مهمة الا وهي أنهم لا يستطيعون الاستقرار في مدن أسيا الصغرى اليونانية ما لم يخضعوا بقية المدن التي تمدهم بالرجال والسلاح وتحرضهم على الثورة، خصوصاً أن الظروف الداخلية في شبه الجزيرة اليونانية تساعدهم على تنفيذ مخططهم هذا. تتمثل الظروف الداخلية في المدن الأيونية بقيام حاكم مدينة ميلتوس (ملطية) هيستيايوس إلى مغادرة المدينة بأمر من الملك الفارسي والإقامة بين أفراد حاشيته، فعهد إلى خليفته وقريبه أريستاجوراس بإدارة شؤون المدينة أثناء غيابه الذي دام اثنا عشر عاما وفي تلك الأثناء عهد الملك الفارسي إلى أريستاجوراس بقمع الثورة في جزيرة ناكسوس وفي الوقت الذي فشل فيه أريستاجوراس في قمع الثورة وخشي غضب الفرس تلقى رسالة من قريبه هيستيايوس يحثه على الثورة فيها حيث توقع أن يعهد إليه الملك الفارسي مهمة القضاء عليها وبذلك يتخلص من الإقامة الإجبارية في القصر، فالمدن اليونانية كانت تتنافس وتتصارع فيما بينها على السيادة والنفوذ، كما أن الأحزاب السياسية والاجتماعية في كل مدينة تتنافس وتتصارع أيضا على السلطة المحلية.[6]

الحرب الفارسية الأولى الأوضاع العامة:

وبذلك حدثت المواجهة المرتقبة بين اليونان من جهة والفرس الإخمنيين من جهة أخرى، وكانت أسباب هذه المواجهة هو مساعدة الأثنيين للمدن اليونانية بإرسال قطع سفن ومحاربين إلى منطقة سارديس (العاصمة الأقليمية الفارسية) فأحرقوا جزءًا من هذه المدينة وكان هذا في عام 498ق.م فأثاروا بذلك ملك الفرس عليهم على الرغم من قناعة معظم المؤرخين بأن الانتقام من أثينا كان العامل الرئيس في الاستعداد للحملة، حيث إن سيطرة الفرس على معظم أصقاع العالم المتمدن انذاك خصوصاً بعد فتح مصر وقرب هذه البلاد من حدود الامبراطورية الشمالية الغربية في أيونية فضلا عن الأنظمة الديمقراطية التي كانت تتبعها بعض دويلات هذه المدن كل ذلك من شأنه أن يكون عاملا ممهداً للحملة العسكرية ومما لاشك فيه أن عيون

الملك الفارسية قد أسهمت اسهاماً مباشراً في تكريس الحملة وذلك عندما أكدت له أن الحالة السياسية في بلاد اليونان تسير في صالحه حيث كانت المدن في حالة صراع مستمر فيما بينها، وحتى داخل المدينة الواحدة، فقد كانت كورنثة لا تكف عن الإعلان عن أنانيتها واهتمامها بمصالحها الخاصة، كما استحكم الخلاف بين أرجوس وأسبارطة وبين أسبارطة وأثينا، وبين أثينا وجزيرة أيجينا القريبة منها ولم يكن الوضع الداخلي في أقوى مدينتين وهما: إسبارطة وأثينا بأفضل حال من الوضع الخارجي بين دويلات المدن المتنازعة، ففي أسبارطة تفاقم الخلاف بين الأسرتين المالكتين واضطربت الأمور مما أدى إلى لجوء الملك الأول إلى الملك الفارسي وهزوب الملك الأخير إلى تساليه. أما أثينا فلم تكن الحالة بأقل سوءاً، فقد فشلت زعامات الحزب الديمقراطي في تأمين حاجات السكان المعيشية بسبب سيطرة الفرس على بحر إيجة كما تسبب تدخلها وفشلها في الثورة الأيونية إلى نقمة عامة الشعب بتحريض من زعامات الحزب الأرستقراطي والحزب الموالي للطغاة (هيباس على نحو خاص).[7]

المرحلة الأولى (تدمير ارتيرية)

ففي ربيع عام 490 أبحر عدد كبير من سفن الأسطول الفارسي*، يحمل عددا من الجنود تبارى المؤرخون الإغريق في تضخيم عددهم، وأن لم يكن يزيد بأي حال من الأحوال عن خمسين الف عبروا من الساحل الكليليكي إلى جزيرة يوبوية وفيها امتنعت عليهم أرتيرية (المدينة التي شاركت أثينا في مساعدة ثوار أيونية) وقاومت مقاومة يائسة لمدة سبعة أيام استطاع بعدها الفرس بمساعدة بعض الخونة من أبنائها دخول المدينة واستباحتها وإحراقها وفرض العبودية على جميع سكانها. ولهذا حققت الحملة القسم الأول من غايتها وبقي عليها تنفيذ القسم الآخر وهو الاستيلاء على أثينا والانتقام منها.[8]

المرحلة الثانية (موقعة سهل ماراثون)

اتجه الفرس بعد ذلك إلى أثينا هدفهم الثاني وبدلا من الانتقال إليها مباشرة قرر الفرس وبإيعاز من طاغية أثينا الذي كان يرافق الأسطول الفارسي كما أشرنا إلى ذلك – نزل الجيش الفارسي عند سهل ماراثون – شمال شرقي أثينا – اعتقاد بأن هذا السهل يهيئ جواً ملائماً لأن يلعب فرسان الفرس المتميزين دوراً يحسم المعركة لصالحهم. كانت المدن اليونانية في حالة انقسام فيما بينها إذا إن أقوى مدينتين هما أسبارطة وأثينا لم تكونا على وفاق. مع بعضهما بعضاً إذا كانت أسبارطة ما تزال تشعر بالاستياء إزاء ما أبدته أثينا من روح التمرد والعصيان في حين رحبت تساليه بالفرس وانصرفت كورنثا إلى الاهتمام بمستعمراتها

وصناعتها وتجارتها أما أرجوس فقد كانت في حالة عداء مع أسبارطة وبالنسبة إلى أيجينا فقد كانت تتربص بأثينا الأمر الذي دفع بالأخيرة إلى التماس تدخل أسبارطة في الأمر لمنع انحيازها للفرس[9]. لذلك رفع الأثينيون لواء الثورة على الفرس وقلبوا ظهر المجن عندما أرسل الفرس في عهد دارا الأول (داريوس) " 522-486ق. م" جيشاً لتأديب الاغريق لمساعدتهم الأيونيين الا أن الجيش الفارسي لحقت به الهزيمة[10] عندما وجهوا قواتهم البرية والبحرية نحو شبه جزيرة اليونان فاحتلت المقاطعات الشرقية (تراقيا-ومقدونيا) ولكنها اضطرت القوات الفارسية إلى التراجع إلى آسيا الصغرى وما نجم عنه من تحطيم الأسطول الفارسي فاضطر الفرس إلى ترك بعض الحاميات العسكرية في المناطق التي احتلتها[11] فعدل الفرس عن خطة الهجوم بهجوم آخر عن طريق بحر إيجة ففي أوائل صيف سنة 490ق. م أقلع الفرس من جزيرة ساموس بأسطول كبير من السفن الحربية الثقيلة التي تقل الجنود في بحر إيجة ودخلت المضايق بين جزيرة يوبيا وأتيكا وتم حصار أيرتيري وجعلوها وقوداً للنيران ثم نزلوا على سواحل أثينا عند خليج ماراثون"مرثون" قاصدين الزحف نحو أثينا بقواتهم البرية والبحرية.[12]

عندما وصل الأثنيون خبر حصار ايرتيري ووصول الجيش الفارسي إلى سهل ماراثون وكان من الطبيعي أن يثير نزول القوات الفارسية في سهل ماراثون فزعا شديدا لاسيما وأن سمعة هذه القوات قد سبقتها عن طريق المروجين الذين أرسلهم الملك الفارسي كتمهيد للحملة، وكذلك عن طريق المؤيدين للطغاة في المدن اليونانية. ولما كانت المدينة الهدف وأول مدينة تتعرض لخطر الغزو هي أثينا، فقد اجتمع مجلس شعبها في جو من الخوف والقلق، وفي حين اتفقوا على إرسال رسالة يحملها أحد الرياضيين المشهورين لطلب المساعدة من أسبارطة[13] واختلفوا حول كيفية ملاقاة القوات الفارسية كما احتدم الخلاف حول إذا كان من الأنسب انتظار قدوم القوات الفارسية ومجابهتها على أبواب المدينة أم الزحف باتجاهها وقد انتصر الرأي الثاني الذي نادى به أحد قادة أثينا العسكريين ويدعى ميلتيادس والذي اتجه بصحبة عشرة الاف أثيني والف متطوع من مدينة بلاتيا وعدد من القادة العسكريين البارزين، وانتهت نتيجة المناقشات أن يتخذ الأثنيون خطة هجوم لخطة دفاع وأن يتسلم القيادة الإغريقية ملتيادس الذي أقنع الأثنيين بضرورة وضع خطة الهجوم لأنه يعرف الجيش الفارسي ويعتقد أن مواجهتم في سهل ماراثون أسهل من لقائهم أمام أسوار أثينا. عسكر الجيش الفارسي وراء التلال على بعد عدة كليومترات شمال شرق أثينا فارسل الأثنيون على وجه السرعة رسلا ومبعوثين إلى أسبارطة يحرضونهم على القتال مع تفكيرهم الجاد في الدفاع عن مدينتهم المحفوفة بالمخاطر.[14]

وتمكن الجيش الأثيني أن يباغت الجيش الفارسي في سهل ماراثون ويفرق قواته في معركة حامية الوطيس رغم التفوق العسكري عدداً وعدة للفرس. على الرغم من تأخر المساعدة الأسبارطية بدعوى أن الطقوس الدينية (عيد كارينا) تحرم عليها القتال أو القيام بأي عمل عسكري قبل انتصاف الشهر القمري وعندما علم الفرس بواسطة جواسيسهم أن الجيش الأسبارطي أصبح قريبا قرروا المسارعة بالهجوم في صباح يوم الثالث عشر من أيلول من عام 490 واستطاع ميلتيادس بخطته المحكمة أن يحقق النصر بأن يهجم على القوات الفارسية على شكل (كماشة) وأدى ذلك إلى هروب معظم أفراد الجيش الفارسي نحو سفنهم في عرض البحر وقتل عدد كبير منهم وقد حاول قادة الجيش الفارسي بما تبقى لديهم من الجنود الذين لم يشتركوا في المعركة أو الذين فروا منها وكذلك جنود الأسطول مهاجمة أثينا من البحر في أثناء انشغال الجيش الأثيني في جمع غنائمه وإحصاء قتلاه ولكن ميلتيادس فوت عليهم هذه الفرصة وذلك بتحركه السريع نحو أثينا بعد إبحار الأسطول الفارسي وعندما وصل الأسطول إلى المياه الأثينية كان الجنود الذين قاتلوا في ماراثون ينتظرونه على أبوابها ففروا وأقلعوا بسفنهم خائبين. وفي اليوم التالي للمعركة، وصل ألفي مقاتل إسبارطي إلى أثينا، وعندما علموا بأخبار الانتصارات الأثينية، قاموا بزيارة موقع ماراثون وفي أثناء عودتهم إلى بلادهم مروا بأثينا حيث قدموا التهاني بالنصر وعبروا عن أسفهم لعدم المشاركة في المعركة.[15]

وكان من نتائج معركة الماراثون أنها حسرت التوسع الفارسي عن بلاد اليونان مدة عشرة سنوات حيث تمكن من خلالها اليونانيون من استكمال استعداداتهم البرية والبحرية، كما تنبه عندهم الشعور القومي وأدركوا ضرورة التعاون للوقوف صفاً واحدا بوجه الخطر الفارسي الذي لا يزال يهدد وجود اليونانيين من غير استثناء كما أنها عززت الثقة في أنفسهم وبأنظمتهم الديمقراطية.[16]

فترة مابين الحربين وظهور ثيمستكلس :

خلال العشر سنوات الفاصلة بين الحربين حدثت في بلاد اليونان تغيرات كثيرة على الصعيد السياسي فقد ظلت الصراعات مستمرة بين رؤساء الأحزاب، فبعد النصر الذي حققه الأثينيون زادت شعبية ميلتيادس مما ولد عنده شعورا بالغرور ومن أجل المحافظة على مكانته بين الناس بدأ بالبحث عن مشاريع جديدة من أجل المحافظة على مكانته وشهرته ففي عام 489 أي بعد أقل من سنة من معركة ماراثون ادعى مياتيادس أن المصلحة العامة تقتضي إرسال حملة إلى جزيرة باروس من جزر الكوكلادس والتي رحبت بالفرس وقدمت لهم

المساعدة والتي اشتهرت بمناجم الذهب ويبدو أن هذا الأمر قد محى أية معارضة لتوجيه الحملة إليها وبالفعل فقد توجه ميلتيادس نحو الجزيرة والتي استبسلت بالمقاومة والدفاع عن نفسها مما اضطر ميلتيادس إلى العودة إلى أثينا حيث حكم عليه بالتهور وإهدار ممتلكات الأثنيين ويدفع جزاء نقدي كبير، ولكنه مات بعد مدة قصيرة متأثرا بجراحه التي أصابته في أثناء حصار باروس.[17]

لقد شهد معركة ماراثون سياسي له باع طويل في مجال السياسة والرأي وهو ثيمستكلس الذي كان حاكما أعلى في حكومة أثينا والذي اقترح بناء قوة بحرية على غرار القوة البحرية الفارسية لكي تقوم بحماية شواطئ أثينا وهذا ما لمسه أهل أثينا في صراعهم مع الأسطول الفارسي بحيث لو كان لديهم اسطول بحري لاستطاعوا أن يواجهوا تقدم القوات الفارسية في بحر أيجة. وتتلخص سياسة ثيمستكلس في أن ينهض بأثينا بحرياًوقد بدأ بالعمل باتجاه هذا الهدف منذ عام 493 عندما انتخب أرخون وقرر على اثره بناء ميناء أثينا وعندما انتخب لمنصب القائد (أستراتيجوس) طلب الأستمرار بتحصين المرفأ وقد واجه معارضة قوية من بعض المتنقدين لسياسته البحريةولكن اعلن جزيرة أيجينا الحرب على أثينا وعجز أثينا عن صد الأيجيين أعطى سياسة ثيمستكلس مبرراًكانت تحتاج اليه إلى جانب الرغبة في التحصن ضد احتمال غزو فارسي آخر وتأمين البضائع اللازمة من المقاطعات البعيدة. وأصبح لأثينا عام 480 أسطولا يبلغ عدد سفنه (200) سفينة بعد أن تم التغلب على المصاعب المالية باكتشاف مناجم الفضة في جبال أتيكا. أما أسبارطة فقد كانت منكفئة على ذاتها في مشكالها الداخلية منها عداءها مع أرجوس ثم مشكالها مع العبيد.[18]

معركة ثرموبولي

وفي هذه الأثناء مات الملك الفارسي دارا الأول قبل ان يثأر لخسارة الفرس في معركة ماراثون وكان قد بدأ بالأعداد لحملة عسكرية ثانية إلا أن الموت فاجأه فخلفه في الحكم أبنه أحشويرش (485-465ق. م) الذي أخذ على عاتقه مهمة أكمال ما بدأ به والده وأخذ يخطط للانقضاض على الإغريق في جميع المناطق التي يتواجد فيه اليونانيين من بلادهم وكان الجيش والأسطول اللذين أعداهما دارا وأضاف عليهما أبنه قد أحتويا على قوات من كافة أصقاع الإمبراطورية بما في ذلك قوات من أغريق آسيا الصغرى وأيونية المؤيدين للفرس وكذلك قوات من الهند ومصر وليبيا وأثيوبيا وفينقيا وغيرها ثأرا لخسارتهم وعندما وصلت الشائعات عن الاستعدادات الفارسية إلى درجة اليقين أدرك الإغريق لأول مرة في تاريخهم أن

الخطر قد أحدق بهم جميعاً وبخاصة أثينا وأسبارطة اللتين أتفقتا على دعوة جميع المدن اليونانية إلى مؤتمر عام للتباحث فيما يجب تحضيره ضد الفرس وعقد مندوبوا إحدى وثلاثين مدينة أغريقية لبت الدعوة اجتماعاً في معبد الإله بوسيدون بالقرب من خليج كورنثة ودعا ثميستوكلس إلى توحيد الكلمة ونبذ الخلافات في مواجهة الخطر فوافق الجميع واقسموا على القيام بواجب الدفاع المشترك وحددوا عدد المقاتلين الذين يتوجب على كل مدينة إرسالهم[19].

وبعد عشر سنوات على معركة ماراثون أي في سنة 480ق. م زحف الفرس براً وبحراً للمرة الثالثة على بلاد اليونان وفرضوا سيطرتهم على عدة مناطق يونانية وانتصروا عليهم في معركة برية كبيرة عند ممر ثرموبيلي المطل على خليج سلاميس وكانت خطة الحاكم اليوناني ثيمستكليس مطابقة لخطة هجوم الفرس وهي إعاقة تقدم الجيش الفارسي البري مع اتحاد كل من أسبارطة وأثينا لدرء خطر الحرب فاقنع أسبارطة بقيادة الحرب مجهزة 5000 مقاتل و 300 سفينة لحماية ممر ثرموبيلي. كانت جنود الفرس تقترب من مضيق ثرموبيلي كما أن الأسطول كان يسير موازيا له وكان عدد أفراد الجيش يربو على 200 الف مقاتل مع الأسطول المؤلف من ألف سفينة. وكان الثقل في مواجهة هذا الهجوم يقع على ملك أسبارطة ليونيداس مع خمسة الاف محارب و 300 سفينة استطاع أن يمنع تقدم القوات الفارسية لمدة يوم كامل لكن الفرس استطاعوا أن يقضوا على هذه المقاومة وأن يقتلوا جميع الأسبارطيين مع ملكهم وتمكنوا من دخول أثينا ودمروها بعد أن انسحب سكانها منها.[20] بإيحاء من ثميستوكلس وقامت السفن بنقل النساء والشيوخ والأطفال إلى الجزر القريبة مثل سلاميس وأيجينا، في حين أسند إلى بعض الرجال التحصن في هضبة الأكربول ومقاومة العدو أطول مدة ممكنة وعند وصول القوات الفارسية إلى أثينا وجدوها مخلية فضرب الحصار على أكروبولها الذي صمد مدة أسبوعين وفي 21 أيلول من عام 480 دخل الفرس الأكروبول وقتلوا المدافعين عنها ونهبوا ما تبقى في معابدها ثم أشعلوا النار في ما تبقى من المدينة من عمائر. [21]

معركة سلاميس

في أثناء تواجد القوات الفارسية في أثينا حاول ثميسكلس إقناع قائد الأسطول الأسبارطي بالهجوم على الأسطول الفارسي المرابط في فاليروم (ميناء أثينا القديم) ولما كان الأسبارطيون منشغلين في الدفاع عن البلوبونيز فقد رفضوا طلبه رغم أن الأسطول الأثيني كان أكبر الأساطيل المشاركة في أسطول الحلف. وكانت خطة القائد الأسبارطي تنطوي على محاولة استدراج الأسطول الفارسي ومنازلته عند مضيق كورنثه. كان على الاثنين أن يتحملوا عبء المعركة الفاصلة والمعروفة بمعركة سلاميس حيث توجه سكان أثينا وانتقلوا

بسفنهم إلى جزيرة سلاميس حيث شاهدوا الدخان يتصاعد من مدينتهم وألسنة اللهب تحرق. منازلهم فاشتعلت نار الشجاعة في نفوسهم وهاجموا الأسطول الفارسي وأغلقوا عليه جميع المنافذ ودام القتال طيلة النهار وكانت نتيجة المعركة تحطيم الأسطول الفارسي بأكمله.[22]

وعلى أثر انتصار الأسطول الأيثني على الأسطول الفارسي أمام جزيرة سلاميس اضطر الفرس إلى الانسحاب من بلاد اليونان بصحبة (60) ألف من جنوده إلى آسيا الصغرى عبر الهلسبونت بعد أن تركوا بعض من قطعاتهم بقيادة ماردونيوس (زوج ابنة الملك الفارسي) ترابط في شماله حيث انسحبوا إلى تساليه لإعادة تنظيم قواته وقضاء فصل الشتاء وتقصير طرق تموين الجيش التي ربما كانت أحد الأسباب التي دفعت الفرس إلى العودة لتعاود الهجوم في المستقبل القريب عند إكمال الاستعدادات العسكرية اللازمة.[22]

معركة بلاتيه

تنكر الأثينيون لثميستكلس وما حققه في سلاميس وأتهموه بالغرور والفشل في إقناع البلونيزيين بالمشاركة في الدفاع عن أثينا وأنتخبوا أكبر منافسيه أريستيدس وأكسانثيبوس قائدين، الأول لقيادة الجيش والثاني لقيادة الأسطول، ويبدو أن القيادة الأثينية الجديدة لم تستطع أقناع البلوبونيزيين بأهمية متابعة الحرب ضد القوات الفارسية المرابطة في الشمال فاستحكم الخلاف بين أعضاء الحلف الدفاعي. حاول القائد الفارسي ماردونيوس استغلال الخلاف لصالحهم فعمل على إقناع الأثينيين بعقد معاهدة صداقة حتى يفتت قوة الإغريق وأمام، فشله في استمالة حتى الأرجوسيين (أعداء أسبارطة التقليدين) قرر الزحف في ربيع 479 إلى أتيكا[23] حيث عاود الفرس هجومهم على اليونان للمرة الرابعة وعندما علم الأثينيون والميجاريون بتقدم ماردونيوس اتجه وفد منهم مع وفد من مدينة بلاتيه واضطر سكان أثينا للانسحاب منها ثانية ورفضوا عقد صلح منفرد عرضه عليهم الفرس وعلى أثر ذلك دخل الفرس أثينا وألحقوا بها الدمار للمرة الثانية. وهنا أدركت أسبارطة خطأ سياستها التهاونية وعدم مشاركتها الفعلية في الدفاع ضد الفرس إلى جانب أثينا، وقد شعرت بالخطر المحدق من حولها إذا ما أضطر الأثينيون إلى قبول عرض الفرس لهم بالصلح المنفرد، لذلك أرسلت أسبارطة قواتها التي انضمت إلى بقية القوات اليونانية واشتبكت مع الفرس (عند بلاتيه) وألحقت بهم الهزيمة للمرة الثالثة، بينما أنسحب الفرس إلى آسيا الصغرى.[24]

معركة ميكالي ونهاية الحروب اليونانية الفارسية

في ربيع عام 479 تحرك الأسطول اليوناني من جزيرة أثينا إلى جزيرة ديلوس في انتظار الفرصة المناسبة للانقضاض على الأسطول الفارسي وتحرير أيونية من سيطرة الفرس ونتيجة

لاندلاع الثورة في بعض أقاليم الإمبراطورية الفارسية الشرقيه اضطر أحشويرش إلى سحب بعض قواته في أيونية وكذلك التذمر الذي ساد المدن الأيونية التي أكرهت على تقديم المساعدة للفرس في حملتهم هذه فقد تناقصت كفاية الجيش الفارسي مما شجع الأسطول اليوناني على التحرك في بداية عام 478 نحو جزيرة ساموس ويبدو أن قائد الأسطول الفارسي أدرك عبث المقاومة فانسحب بإسطوله إلى الشاطئ المقابل للجزيرة عند سفح جبل ميكالي[25] فطاردهم الأسطول اليوناني والحق الهزيمة بالأسطول الفارسي وتمكنوا من حرق سفنهم، مما افقد الفرس امالهم في الاستيلاء على بلاد اليونان بعد تلك الهزائم التى لحقت بهم من قبل الجيش والأسطول اليوناني. وعلى أثر هذا الانتصار قامت المدن الأيونية بطرد حكامها المعينين من قبل الفرس وأعلنت استقلالها وانضمت بتأييد من أثينا إلى الحلف الدفاعي الهلليني رغم معارضة اسبارطة.[26]

نتائج الحروب اليونانية -الفارسية

يبالغ عدد من المؤرخين المعاصرين في نتائج الحروب اليونانية –الفارسية في حين يختلف بعض منهم في تقدير نتائج هذه الحروب سلباً أم ايجاباً. ففي حين يفترض القسم الأول من هؤلاء المؤرخين في أن الحضارة العالمية كان من الممكن أن تتأخر قرونا عدة لو نجح الفرس في بسط سيادتهم على بلاد اليونان، في حين يرى آخرون بأن الحضارة الأيونية لم تنهض إلا إبان الحكم الفارسي وأن الفرس لم يكونوا يريدون من فرض سيطرتهم على بلد ما إلا جعله يدور في فلكهم من الناحية السياسية ودفع الجزية التي كانت تفرض عليه، وأن الفرس لم يتدخلوا في السياسة الداخلية لأية دويلة أو مدينة خاضعة لهم إلا في أقل النواحي التنظيمية الإدارية البحتة. والحقيقة أن نشاط وازدهار المدن اليونانية تحت السيادة الفارسية لا يمكن أن يؤخذ مثلا على عدم تدخل الفرس في المجالات الاجتماعية والاقتصادية أو الفكرية لأن تبعية ايونية لبلاد فارس كانت تبعية سلمية نسبيا ولم تكن أيونية في يوم من الأيام[27]

ورغم ما يذكره بعض المؤرخين من أنه لم يكن لتلك الحروب نتائج خطيرة من وجهة نظر التاريخ العالمية، بدعوى أن الفشل الذي لحقت به الحملتان الفارسيتان لم يؤثر في كيان الدولة التي ظلت تسيطر على جميع المناطق التابعة لها من مصر وحتى بلاد السند، وأن خسائر الفرس المادية سواء من الرجال أم من الفن كان من الممكن تعويضها بسهولة في دولة يزيد عدد سكانها على الخمسين مليون وتتمتع بإمكانات اقتصادية كبيرة ومن جهة أخرى فإن انتصار اليونانيين لم يبدل من مكانتهم الدولية. ورغم ما يذهب إليه هؤلاء المؤرخون من حجج تدحض فكرة مساهمة هذه الحروب في تنمية الوعي والشعور القومي لدى الإغريق بدعوى أن

هؤلاء لم يتوقفوا عن التقاتل فيما بينهم ويدعمون كلامهم بحدوث الحرب البلوبونيزية بين أسبارطة وأثينا* بعد الحروب اليونانية -الفارسية ولكن هذا لا ينفي فكرة مساهمة هذه الحروب في تنمية الشعور الوطني والقومي الإقليمي والعام[28] لقد أظهرت هذه الحروب قوة الأثنيين في عهد الديمقراطية على يد ثيمستكليس الذي برهن على بعد نظره في إنقاذ بلاد اليونان وحضارتهم من الزوال. وكيف أن شعباً صغيراً استطاع أن ينتصر على أكبر امبراطورية في ذلك الوقت ويحبط أعمال الفرس التوسعية ضد بلاد اليونان في الشرق والغرب في سنة واحدة[29]

والذي يؤكد ويدعم دور هذه الحروب في تنمية هذا الوعي ما ستشهده بلاد اليونان من نشوء الأحلاف الكبيرة بقصد الدفاع عن بلادهم، والذي يؤكد ذلك رد الإسكندر المقدوني على رسالتي الملك الفارسي دارا الثالث في أثناء غزو الإسكندر لبلاد الشرق بعد حوالي مئة عام من هذه الحروب.[30]

محاولة أثينا تأسيس إمبراطورية كبرى

تحالفات أثينا

كان من الطبيعي أن يقوم الأثينيون الذين عادوا إلى مدينتهم في خريف عام 479 أثر معركة بلاتيه، بإعادة تعمير مدينتهم التي خربها الفرس مرتين والذي يبدو أن أثينا بعد تخريبها لم تكن إلا كتلة من الأنقاض كما أن الروح الوطنية والمحنة التي تعرض إليها الأثينيون ساهمت في تأليف القلوب بين الأحزاب المتنافرة، واتفق الجميع على ضرورة العمل بأسرع وقت ممكن لإعادة بناء المدينة ومرفئها الجديد في بيرايوس وربط الموقعين بسور ضخم، يكفل للأثنيين الدفاع عن مدينتهم سيما وأنهم اتفقوا على أن تتركز قوتهم في البحر وليس في البر.[31]

كما أن الهزائم التي لحقت بالفرس تعني نهاية الخطر الفارسي بالنسبة لأثينا ومدن جزر بحر إيجة وساحل آسيا الصغرى بصورة خاصة، حيث ظل الفرس يسيطرون على آسيا الصغرى وسواحل الحوض الشرقي للبحر المتوسط. فلا زالوا أقوياء في البر والبحر مما يثير خوف اليونانيين من معاودة الهجوم الفارسي على بلادهم وبعد أن انتهت الحروب الفارسية الإغريقية تشكل وضع سياسي واقتصادي جديد وهكذا رأت أثينا من الحنكة السياسية أن توحد وتنظم قوات المدن اليونانية وجهودها في حلف يكون تحت زعامتها.[32]

استفادت من هذا الوضع مدن كثل كورنثا وايجينا وتدفقت الثروات على إقليم أتيكا وأصبحت عملة أثينا الفضية هي العملة السائدة في كل أرجاء البحر المتوسط وانضمت تبعاً

لذلك العديد من المدن الإغريقية تحت لواء أثينا الغنية المسيطرة وكان لقائدها "بركليس" الفضل الأكبر في إكساب أثينا سمعة خاصة ومهمة. ومن الناحية الاقتصادية أرادت أثينا فرض سيطرتها على مدن اليونان كي تستأثر بالتجارة الخارجية مع سواحل إيطاليا وصقلية ومصر لتأمين المواد الخام اللازمة والضرورية لصناعاتها المتعددة التي أخذت بالتطور والازدهار ولتأمين الأسواق الخارجية لتصريف بضائعها ومصنوعاتها فضلا عن حاجتها لاستيراد الحبوب التي تفتقر اليها.[33]

حلف ديلوس

استغل الأثينيون عدم قدرة أسبارطة على التصدي لهم عسكريا نظرا للاضطرابات الداخلية التي عانت منها وقتئذ، وراحوا إلى إنشاء حلف دفاعي بهدف إتمام الحرب ضد الفرس والأخذ بالثأر للخسائر التي أوقعها الفرس في بلادهم، وتحرير باقي المدن الإغريقية الواقعة تحت الحكم الفارسي ونجح هؤلاء في دعوتهم، وقد قامت أثينا بإرغام مدينتي ميجارا وبويوتيا على الانضمام إلى حلفها الذي عرف في التاريخ باسم "حلف ديلوس" نسبة إلى هذه الجزيرة الواقعة في وسط بحر إيجة. الذي دخلته أيضاً مدينة كوركيرا ذات القوة البحرية الكبيرة، وضم الحلف كذلك مدينة بلاتيا وجزيرة ليزبوس وكافة المدن الموجودة في تراقيا.[34] واتفق الجميع على أن تساهم الجزر الكبيرة بعدد معين من السفن حسب إمكاناتها في حين طلب من المدن والجزر الصغيرة أن تساهم بمبلغ مالي يتوافق مع إمكاناتها على ألا تنقص المبالغ في مجموعها عن (460) تالانت (أي ما يعادل مئة وخمسين)[35]، وتقرر أن تحفظ هذه المبالغ في معبد الإله أبولون في دلفي حيث كانت خزانة الاتحاد تحت حماية الآلهة، المركز التقليدي للديانة الأيونية حيث يجتمع الأعضاء برئاسة المندوب الأثيني الذي يشرف على الموظفين الأثينيين المكلفين بجمع مساهمات الأعضاء وبذلك حظيت أثينا بأكبر سلطة تنفيذية ومالية من سلطات الاتحاد.[36]

نفي ثميستوكلس وتسلم كيمون الزعامة

في الوقت الذي كانت فيه اثينا تكرس زعامتها في الحلف الديلوسي بدأت أسبارطة العمل على توكيد سيادتها على جيرانها بالقوة. وفي الوقت الذي وجهت أسبارطة تهمة الخيانة والتعامل مع الفرس لملكها باوسانياس وأدانته وحكمت عليه بالإعدام، وجهت إلى ثميستوكلس تهمة مماثلة وجهها إليه زعيما الحزب الأرستقراطي أريستيس وكيمون ويبدو أن ثميستوكلس أحس بخطر الإدانة فالتجأ في عام 465 ق.م إلى الفرس ومات بعد فترة قصيرة في كنفهم

فكانت نهاية مزرية لبطل معركة سلاميس. وعندما آل الحكم إلى الأرستقراطيين الذي توفي بعد فترة وجيزة ثم تولى كيمون زعامة الحزب وكان رجلا ثرياً وأكتسب سمعة طيبة نتيجة كرمه وشجاعته في قيادة بعض قطع الأسطول الأثيني إبان الحروب الفارسية.[37]

وحدث في أعقاب الزلزال الذي الحق بأسبارطة أضرارا كبيرة 463-462 إذ استغلت طبقة المستبعدين فيها هذه الفرصة وقامت بثورة كبيرة لم يستطع الأسبارطيين التصدي لها بقوة مناسبة فطلبوا النجدة من أثينا، ووجد كيمون الفرصة سانحة للبرهنة على منافع التعاون بين أكبر مدينتين أغريقيتين وسار على رأس قوة من المشاة قوامها (4000) رجل لنجدة أسبارطة ويبدو أن الأسبارطيين استبطأوا المساعدة فقاموا بالإعداد إلى هجوم مباغت واستبعدوا اشتراك الأثينيين فيه لقناعتهم بعدم كفاية الأخيرين في معارك الجبال. وعندما وصل كيمون وقواته طلب إليهم الأسبارطيين العودة إلى أثينا فعادوا ساخطين ناقمين. ورداً على تلك الإهانة قام الأثينيون بإيواء ورعاية الفارين من حكم أسبارطة ووطنوهم في منطقة قريبة من أثينا وأنتهز خصوم كيمون هذه الفرصة أي فرصة فشل الحملة الأثينية وضخموا من الإهانة الكبيرة التي لحقت بالأثنيين ورلحوا يكيلوا التهم جزافاً لكيمون وسياسته، وقاد هذه الحملة الدعائية بريكلس وصديقه أفيالتس زعيما الجماعات الديمقراطية[38] وترتب على هذه الحملة نفي كيمون، كما قرروا عقد معاهدة صداقة مع مدينة أرجوس العدو التقليدي لأسبارطة وتسلم أمور الحكم لمدة ثلاثين عاماً رجل أثينا القوي بركليس فتفرغت أثينا لمعالجة مشكلاتها في بحر إيجة.[39]

فشل كيمون وظهور بركلس وإصحلاته في اثينا

ويبدو أن بركليس كان قد اتفق. مع صديقه أفيالتس قبل موته على خطة إصلاحية تعطي المزيد من الديمقراطية للشعب وهذا ما يوحي به السرعة التي تم فيها إعلان برنامجه الإصلاحي بعد تسلمه السلطة مباشرة. وقد شمل برنامج بركليس الإصلاحي على أربع نقاط رئيسة:[40]

1- تحديد صلاحيات محكمة الأريوباجوس في القضايا الجنائية التي تخص المواطنين الأثينيين وزيادة مجلس سلطات مجلس (البولي) على حساب سلطات المحكمة السابقة.

2- إدخال نظام الأجور لكل الوظائف التي يشغلها أصحابها بالانتخاب أسوة بالوظائف التي يعين أصحابها تعييناً. وذلك رغبة في إعطاء هذه الوظائف صفة الجدية والحد من عمليات الارتزاق منها وبذلك لم تعد لهذه الوظائف صفة شرفية يقدم عليها المقتدرون فقط بل فتح المجال أمام الفقراء لشغل هذه الوظائف.

3- إدخال نظام الأجور للمحلفين الذين كانوا يعملون في المحاكم الشعبية، وبذلك وجد الفقراء وظائف يتمتعون بعائداتها فسيطروا بذلك على الهيئة القضائية.

4- توسيع حق الانتخاب لمنصب الأرخون بحيث يشمل طبقات المجتمع الأثيني، وكانت سابقا تقتصر على الطبقتين الأولى والثانية، وبهذا منح بركليس للطبقات الدنيا أكبر سلطات حصلت عليها هذه الطبقات.

وقد أعاد بركليس تشكيل مجلس الجنرالات العشرة الذي أصبح بمثابة مجلس للوزراء وكانت قرارات وتوصيات المجلس تحول إلى الأرخنة لتنفيذها وكان هؤلاء الجنرالات ينتخبون انتخابا مباشراً من قبل الشعب الذي ينتخب رئيسه أيضا وقد حكم بركليس أثينا بصفته رئيساً لهذا المجلس طيلة حياته التي امتدت حتى عام 429ق. م[41] ادعى بركليس زعامة أثينا الثقافية وعدها مدرسة بلاد اليونان فضلا عن كونها العاصمة الساسية للاتحاد الأثيني، بتطور الأمبراطورية الأثينية أصبحت أثينا المركز الاقتصادي لبحر ايجة ومركز التبادل التجاري بين الشرق والغرب حيث تصل إليها البضائع من صقلية وإيطاليا وقبرص ومصر وليديا وسيطرت أثينا على تجارة أخشاب بناء السفن والحديد والنحاس والقصدير ونجم عن ذلك النشاط التجاري وتجمع الأموال في أثينا ازدهارا اقتصاديا وارتفاعا بمستوى المعيشة فيها حيث حصلت الطبقات الفقيرة على أجورها من الدولة لقاء حضورها مجالس الهيلياء[42] والمحاكمات واجتماعات الجمعية كذلك من جراء انخراطها في البحرية أو ضمن البعثات الاستيطانية في دول الحلف أو الخدمة في الثكنات. كما تضخمت أعداد الطبقة الوسطى بحيث تمكنت عام 431ق. م من تجهيز 43 الف جندي مشاة مقابل عشرة آلاف عام 490، كذلك تضخمت أموال الطبقتين الأولى والثانية بحيث امتلكوا أفضل الأراضي في اتيكا إلى جانب رؤوس الأموال التي يقرضونها بفوائد عالية.[43] وارتفع عدد العبيد بتطور وازدهار اقتصاد الدولة حيث كان العبيد يعملون عمالا ماهرين وغير ماهرين ،فكانت مناجم الفضة في لوريوم تستغل بوساطة أعداد هائلة منهم فامتلك أحد الأثرياء فرقة من ألف عبد كان يؤجرهم إلى أحد المقاوليين مقابل أدبول واحد على الرأس يوميا وقد عمل العبيد في الأعمال البيتية والزراعة والحرف وعملوا شرطة ومدراء أعمال وكتابا ومراسلين سواء أكان ذلك لحساب الدولة ام حساب الأفراد وفيما عدا العاملين في المناجم كانت معاملة العبيد في اثينا إنسانية مقارنة بغيرها من مدن بلاد اليونان.[44] فكان الازدهار الاقتصادي هو الضمان لنجاح واستمرار الديمقراطية الأثينية بحيث اعترف حتى أعداء أثينا من المحافظين باستقرارها من الناحيتين النظرية والعملية وقد منحت قيادة بركليس المتميزة الاستقرار السياسي للأثينيين ولم يكن تأثيره نابعا من وزنه التنفيذي فقط بل من فكره السياسي.[45]

تحالفات أسبارطة

ولئن نجح حلف ديلوس من طرد القوات الفارسية نهائيا في سنة 468 ق. م من مياه بحر إيجة وسواحل آسيا الصغرى، إلا أن أعضاء الحلف أخذوا يتملصون من سيادة أثينا عليهم التي أخذت تتدخل في شؤونهم الداخلية ونقلت خزينة الحلف من ديلوس إلى أثينا وفرضت الجزية على الخلفاء فراحوا يناصبونها العداء. واستأت أسبارطة كذلك باعتبارها المدينة الثانية في بلاد اليونان من محاولة أثينا فرض سيطرتها على بلاد اليونان واحتكار التجارة الخارجية علماً بأن أسبارطة لم تكن داخلة في الحلف. كانت القوى الكبرى في بلاد اليونان في ذلك الوقت هي بريوتيا وتساليا وأسبارطة بالإضافة إلى أثينا.[46]

هذا من جهة ومن جهة أخرى كان الصراع يدور على نحو دائم على التواجد السياسي أو عن طريق التحالفات في بلاد اليونان الوسطى والجنوبية وعلى الساحل الشمالي لشبه جزيرة البلقان ومحاولة بسط نوع من النفوذ التجاري على سواحل مقدونيا والدردنيل والبوسفور، مما يمهد السبيل للسيطرة على تجارة البحر الأسود، وكانت أسبارطة ومدينة أرجوس ومدينة ايجبينا تشكل تحالفاً ضد مصالح أثينا في المنطقة، وقد سمي بحلف لاكونيا لكي ينافس حلف ديلوس فضلا عن مدينة ميجارا كانت لا تجهر بالعداء لأثينا لكنها كانت على علاقة سيئة بها مما يمكن اعتبارها على هذا الأساس تقف في الصف الموالي لأسبارطة وقد انضمت فيما بعد ولعدد من الظروف المتعلقة بالمصالح الاقتصادية إلى هذا الحلف مدينة طيبة مما جعل أسبارطة تسيطر بالكامل على حلف مكون من الدويلات الموجودة في شبه الجزيرة البلوبونيز باعتبار أن أسبارطة كانت تستند في قوتها إلى النشاط الزراعي الذي يستند بدوره إلى ملكية الأرض مما جعل منها قوة برية أكثر منها قوة بحرية وكان هذا يعني بالضرورة أن مصالحها الخاصة تتعارض مع مصالح المدن التابعة لها في الحلف وهي مدن تستند في اقتصادها إلى التجارة والصناعة وليس إلى الزراعة مثل اسبارطة،[47] وربما لهذا السبب عمدت أسبارطة إلى السيطرة عسكرياً على المدن المنضمة إليها في الحلف مستغلة وجود حليفتها مدينة إيجينا على مدخل إقليم اتيكا، وكذلك انضمام مدينة كورنثة أخيراً إلى الحلف الأسبارطي ضد أثينا. وقد نشب القتال بين الحلفين واستمر أثني عشر عاماً (459-447ق. م) حتى مل وكره الطرفين الحرب وابرما صلحاً لم يكن إلا هدنة مؤقتة حيث لم تحل قضية النزاع على السيطرة بين أثينا وأسبارطة وكان من آثار ذلك الصراع الداخلي في بلاد اليونان أن فشلت الحملة البحرية التي كانت قد أرسلتها أثينا ضد المدن الفينقية التي كانت خاضعة تحت سيطرة الفرس والتي أخذت تجارتها تنافس التجارة اليونانية في حوض البحر المتوسط، كما فشلت

أيضاً للحملة اليونانية على شواطئ مصر التي كانت هي الأخرى واقعة تحت سيطرة الفرس وكان ذلك في عام 448 ق. م وأخيراً اضطر الأثينيون إلى عقد صلح مع الفرس مؤجلين تصفية الحساب معهم إلى المستقبل.[48]

الحروب البيلوبونيزية بين أثينا واسبارطة والمدن المتحالفة مع كل منهما:

اسباب نشوب الحرب 431 –404ق. م

بحلول عام 431 ق. م كانت أثينا وأسبارطة قوتين كبيرتين في العالم الإغريقي بأسره، وكان لكل منهما حلفه الخاص ولكل منهما نظامه السياسي المختلف تمام الاختلاف عن الآخر ولكل منهما مصالحه الاقتصادية وذلك بسبب الصراع والتنافس على السيادة والنفوذ في اليونان وكذلك السيطرة على الأسواق الخارجية من أجل احتكار التجارة فضلاً عن قبول أثينا محالفة جزيرة كوركورا (كورفو الحالية إلى الغرب من الساحل الغربي لبلاد اليونان) وكانت مستعمرة غنية من مستعمرات كورنثا كما تسيطر على الطريق التجاري الغربي، وقيام أثينا بمحاصرة مدينة بوتيداية وكانت مستعمرة أخرى لكورنثا في شبه جزيرة خاليكيديكي (شمال شرق اليونان) فشكل هذا القرار وهاتان الخطوتان أهم أسباب التذمر والشكوى من سلوك أثينا، أما السبب الحقيقي للحرب فهو اطراد نمو قوة أثينا إلى حد أفزع أسبارطة وهدد كيانها وهذا هو الرأي السائد والراجح.[49] في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد تجددت الحروب بين حلف ديلوس الذي تتزعمه أثينا وحلف لاكونيا الذي تتزعمه اسبارطة وقد بدأت تلك الحروب التي يطلق عليها اسم "الحروب البيلوبونيزية" (431–404ق. م) من غير أن يتمكن أي من الطرفين من توجيه الضربة القاضية لخصمه في نهايتها.[50]

ومع تأكد ادوار حلفي أثينا وأسبارطة قامت أثينا بعقد تحالف مع دمدينتي ارجوس وتساليا وكانت هذه الخطوة بالذات مؤشراً خطيراً دق ناقوس الخطر عند اسبارطة لأن ارجوس وتساليا عدوتان كبيرتان لأسبارطة، وكان لانضمامها إلى أثينا في الحلف معنىً خطيراً يؤكد نوايا أثينا السيئة ضد اسبارطة، وزاد الأمر سوءاً انسحاب مدينة ميجارا من حلف البلوبونيز وانضمامها إلى حلف ديلوس مما زاد في تردي العلاقات بين أثينا واسبرطة وتبع ذلك قيام أثينا بالسيطرة العسكرية على كورنثا وايجبينا والقيام بضم مدن أخرى إلى حلفها مثل زاكينثوس وكيفالينا مما جعل من أثينا الدولة الأقوى في كل بلاد الإغريق من غير منازع.

وبالمقابل كانت أسبارطة قد تنامت بدورها بفعل نظامها العسكري الصارم وسيطرت تماماً

على مدن شبه جزيرة البلوبونيز مكونة قوة برية هائلة قوامها اقتصاد زراعي يعتمد على ملكية الأرض متعارضةً بذلك مع مصالح أثينا التي كانت تعمل على تشجيع المد الديمقراطي المتعارض مع الديكتاتورية العسكرية الأسبارطية، بالإضافة إلى ما وصلت إليه أثينا من ازدهار اقتصادي وثراء فاحش جلب إليها الحسد من قبل اسبارطة التي حاولت جاهدةً أن تنافس أثينا بكل الطرائق المكنة.[51]

وإن كانت أثينا قد ازدهرت على حساب حليفاتها ونمت فيها كل أوجه الحياة فإن أسبارطة حافظت على نظامها السابق الذي يتسم بالتقشيف ولم يتمكن اقتصادها الزراعي من مقارعة اقتصاد أثينا الذي يعتمد على التجارة والصناعة وموارد المدن الحليفة، فظلت أسبارطة مدينة فقيرة بالقياس مع قرينتها أثينا وظلت عملتها تصنع من الحديد ولم تتمكن أبداً من إصدار عملة من الفضة مثلما فعلت أثينا ، ورغم أنها نجحت في قيادة الأساطيل الإغريقية ضد الفرس إلا أن ذلك لم يشفع لها بأن تكون القوة الاقتصادية الأولى لاعتمادها نظاماً اقتصادياً يميل نحو الملكية الجماعية والحد من ملكية الفرد.[52]

مجريات الحروب

الحرب الأولى: 459 – 446 ق. م

انتهت حرب الإغريق مع الفرس بانتصار المدن الإغريقية المتحالفة وكانت أثينا هي المستفيد الأكبر من هذا الانتصار إذ تنامت قوتها الاقتصادية على نحو كبير، وتمكن الإغريق. من السيطرة تماماً على التجارة البحرية وأصبحت مدينتا كورنثا وإيجبينا اكبر مراكز التجارة في بلاد الإغريق، وانضم ميناء بيريوس إلى قافلة الموانئ المزدهرة التي كانت تزدحم بالسفن والبضائع القادمة من كل أرجاء العالم القديم، وخاصة بعد أن أخلى الفنيقيون الساحة للتجار الإغريق بعد هزيمتهم العسكرية في البحر المتوسط، فتدفقت الثروات على إقليم اتيكا وأصدرت أثينا عملتها الفضية التي تم تداولها في كل أسواق البحر المتوسط.[53]

على العكس من ذلك لم تكن أسبارطة تتمتع بالدرجة نفسها من الرخاء لكنها احتفظت بحلفها العسكري مع مدن البلوبونيز وحافظت كذلك على قوتها العسكرية لكنها أصبحت تتخوف من قيام أثينا بتحريض مدن الحلف على الخروج على الطاعة وخاصة أن شعبية "بركليس" زعيم أثينا كانت طاغية وأنه بدأ بالقيام بتحصينات عسكرية وجعل من ميناء " بيريوس " مكاناً أمنا محصناً تحسباً لأي مواجهة مع أسبارطة.[54]

وقد بدات المواجهة فعلاً عندما اشتدت المنافسة التجارية بين أثينا وبين إيجينا حليفة

أسبارطة الواقعة على الحدود مع أثينا. فقد أدركت أثينا أنها لا تستطيع فرض سيطرتها على شبه جزيرة اليونان إلا بعد فرض سيطرتها على البحار وعلى المستعمرات اليونانية المنتشرة في جنوب إيطاليا وفي صقلية. بدأت الحرب وقامت أثينا بحصار إيجينا ثم استولوا عليها وسيطروا بعد ذلك على ميجارا وبيوتيا رغم أن أسبرطة قامت بواجبها نحو حليفاتها من غير أن تفلح في إنقاذهما من براثن أثينا.[55]

وقد استخدم" بركليس" أسطول أثينا في العمليات العسكرية وفي حصار السفن التجارية التابعة لكورنثا حليفة أسبارطة، وبلغ من ثقته في قوة أسطوله أنه بعث في الوقت نفسه أسطولا لمساعدة مصر في ثورتها ضد الفرس إلا أن هزيمة أسطوله هناك جعله مجبراً على نقل خزانة الحلف من ديلوس إلى أثينا إلا أن أثينا احتفظت في نهاية الحرب بإيجبينا وبسيطرتها على جزيرة بوبيوتيا مع اتفاق يقضي بأن تمتد الهدنة لثلاثين عاما.[56] وإن كانت هذه الحرب قد انتهت فإنها خلفت وراءها مدناً منهكة مثقلة بالديون سوءا كانت من حلف ديلوس ام من حلف البلونين، بالإضافة إلى أن بركليس لم يظهر بمواهبه نفسها كقائد سياسي محنك عندما تولى القيادة العسكرية، ولكنه رغم ذلك بدأ في العمل بكل جدية من اجل إعادة بناء أثينا وبعث القوة في اقتصادها حتى وصلت خلال نصف مدة الهدنة فقط إلى درجة عظيمة من التألق والعظمة في كل مجالات الحضارة وجعلها تتبوأ مكاناً كبيراً في العالم القديم وعرفت مع بركليس عصر الازدهار الذي لا مثيل له، لكن بعض دول حلف ديلوس أرادات شق عصا الطاعة على أثينا عاملتها بقسوة وأجبرتها على العودة إلى الحلف بالقوة العسكرية وبالغت في معاملتها بما يشبه الاستعباد حتى أنها كانت أحياناً تطرد سكانها ليحل محلهم سكان أثينيون، وأصدر بركليس قانوناً يقضي بمنح حق المواطنة للأثينين فقط وحرمان سكان المدن الحليفة لأثينا من هذا الحق ، وجعل من أثينا مقراً للمعاملات الإدارية لكل مواطني المدن الحليفة لأثينا مما جعل مواطني هذه الدول يراسلون أسبارطة سراً طالبين عونها للتخلص من سيطرة أثينا.

وكانت هذه فرصة ذهبية لأسبارطة التي حسدت أثينا على ثرائها فيما كانت أسبارطة تعيش في وضع اقتصادي صعب تصاحبه أمية بين السكان حيث لم يكن أغلبهم يعرفون القراءة والكتابة فيما كانت علوم الفلسفة والمنطق والرياضيات مزدهرة في أثينا، كما أنها كانت بلا أسوار ولا تحصينات.[57]

الحرب الثانية: 431 – 421 ق. م

أسست مدينة كورنثا مدينة تابعةً لها في مدينة " كوركيرا " كانت تملك أسطولاً قوياً في

ذلك الوقت، ورغم أن كورنثا تعد المدينة الأم بالنسبة لكوركيرا إلا أن هذه الأخيرة احتجت عندما تدخلت كورنثا في شؤونها وكعادة المدن الإغريقية دخلت المدينتان في حرب كبيرة انتصرت فيها كوركيرا فلجأت كورنثا المهزومة إلى حليفتها أسبارطة فيما لجأت كوركيرا إلى أثينا ومعها دول حلف ديلوس التي رحبت بدخول كوركيرا صاحبة الأسطول الكبير، وهكذا نشبت الحرب وبادر بركليس إلى مهاجمة ميجارا وطرد تجارها من موانيء الإمبراطورية الاثينية فأفلست ميجارات واتهم أعضاء حلف البلوبونيز أثينا بنقض الهدنة، وفي عام 432 ق. م، اتخذ حلف البلوبونيز قراراً بإعلان الحرب، وطيلة عام كامل كان الاستعداد للحرب ودخلت مدينة طيبة على الخط وهي حليفة أسبارطة،[58] ورغم أن أثينا كانت تمتلك أسطول حربي كبير إلا أنها كانت عاجزة عن مواجهة قوات العدو البرية البالغة ثلاثين ألف مقاتل اجتاحت الأراضي فهاجمت بلاتيا وساءت الأمور بين المدينتين ثم تبعتها العمليات العسكرية المتبادلة بين الحلفين حتى كان الهجوم الكبير لأسبارطة على إقليم اتيكا مما نجم عنه وباء الطاعون الذي انتشر على نحو كبير في أثينا حتى بلغ عدد الذين ماتوا في هذا المرض أكثر من ثلث سكانها وطال حتى بركليس زعيم أثينا. إن هذه الحوادث التي عصفت بأثينا جعلت سكانها يائسين لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا أي شيء تجاه مدينتهم إلى جانب تضاؤل نفوذ بركليس في تصريف أمور الحكم والإدارة في مجلس الشعب. ولكن سرعان ما مات من جراء مرض الطاعون بعد الخدمات الكثيرة التي قدمها إلى أثينا ثم قامت جيوش أسبارطة وحليفاتها بتدمير مزارع إقليم اتيكا لتضرب بذلك مركز التموين وجانباً من الاقتصاد.[59]

وتبع وفاة بركليس ما لحق بأثينا من خسارة سياسية فادحة لم يتمكن ساستها من تغطيتها حيث برز إلى الميدان أصحاب المصانع الأثرياء فكانوا من ذوي المقام الاجتماعي وتنقصهم الخبرة والحنكة السياسية بحيث لم تكن فيهم مميزات الزعامة التي تتطلبها ظروف المرحلة الراهنة في أثينا فضلا عن عدم تمكنهم من الحصول على ثقة الشعب واحترامه، وأخيراً آلت الأمور إلى كيلون الدباغ أحد أصحاب المصانع إلا أنه فشل في مهمته الحربية لأنه لا يملك الخبرة. ومع استمرار الهجوم الأسبارطي على أثينا وتركزه هذه المرة على بلاتيا التي لم يصلها عون أثينا فاستسلمت وتعرضت لانتقام جنود مدينة طيبة ثم الحق الأسطول الأثيني هزيمة كبيرة بأسطول البلوبونيز إلا أن ذلك لم يمنع جزيرة ليزبوس من الثورة على حلف ديلوس فأحكمت أثينا عليها الحصار واحتلتها من جديد وتبع ذلك الكثير من الاضطرابات داخل حلف ديلوس أنهكت قوة أثينا ثم كانت الهدنة الثانية التي نصت على معاهدة سلام تستمر لمدة خمسين وهو ما عرف باسم سلام نيكياس حيث جاءت مبادرة السلام من جانب رجل أثيني ثري يحظى بثقة الأسبارطيين كان من أهم شروطه:

1- أن يحتفظ الطرفان المتحاربان الها.

2- ان يتبادل الطرفان الأسرى بأسرع وقت ممكن.[60]

الحرب الثالثة: 421 – 404 ق. م

أما المرحلة الثالثة من الحروب البلوبونيزية فقد تمت بين الأعوام 406-404 ق. م وفيها لجأت أسبارطة إلى طلب المساعدة من الإمبراطورية الفارسية وحين تم لها ما أرادت أرسلت أسطولها تحت قيادة القائد الأسبارطي ليساندروس للاستيلاء على مداخل البحر الأسود حيث الخط التجاري الأساسي الذي يمون أثينة بما تحتاج إليه من قمح. وقد استطاع ليساندروس تدمير الأسطول الأثيني في موقعة إيجو سبوتامي ولم يكن أمام أثينا إلا الاستسلام لشروط الصلح التي أملاها ليساندروس والتي كان أبرز نتائجها انفراط عقد الإمبراطورية الأثينية وفشل أول محاولة جادة كان يمكن أن توحد المدن اليونانية.

رفضت كورنثا وميكارا وبيوتيا أن توافق على المعاهدة فأدى ذلك إلى تغير في التحالفات توج بتوقيع أسبارطة معاهدة دفاع مع أثينا حلت على إثرها العصبة البلوبونيزية وتغيرت خارطة التحالفات بين المدن إلا أن أثينا نقضت اتفاقها مع أسبارطة فوقعت الحرب مجدداً بينهما. فقد أدركت أثينا أنها لا تستطيع فرض سيطرتها على شبه جزيرة اليونان إلا بعد فرض سيطرتها على البحار وعلى المستعمرات اليونانية المنتشرة في جنوب إيطاليا وفي صقلية. لذلك أرسلت حملة بحرية كبيرة لضرب سيراكوزا عاصمة صقلية لكن أسبارطة علمت بتلك الحملة رغم كتمان أخبارها فسارعت إلى إرسال أسطولها لنجدة سيراكوزا وتمكنت من إلحاق هزيمة بالقوات الأثينية في البر والبحر.[61]

مما أنهك أثينا تماماً وعرضها للفوضى وأفقدها الحلفاء فهاجمتها أسبارطة هجوماً نهائياً وكان بإمكانها تدميرها تماماً وبيع أهلها كعبيد في السواق إلا أنها اكتفت بإجبارها على التنازل عن أسطولها والاكتفاء باثنتي عشر سفينة فقط وأن تصبح حليفة لأسبارطة. رغم هذا الانتصار الذي حققته أسبارطة فإنها لم تكن قادرة على تحطيم قوة أثينا نهائيا حيث ينقصها الأسطول اللازم والأموال الضرورية لتنفيذ هذا المشروع، لذلك اتجهت إلى طلب المساعدة من الفرس الذين أمدوها بالأموال مقابل تعهد أسبارطة بأن تعيد لهم المدن اليونانية في آسيا الصغرى في حال إحرازها النصر على أثينا وحلفائها. وبالرغم من مقاومة أثينا المستميته خسرت الحرب في نهاية المطاف بمعركة بحرية في مضيق الدردنيل عام 404 ق. م واضطرت لقبول شروط الصلح التي أملتها عليها أسبارطة عام 404 ق. م والتي قضت بأن:

1- تقتصر السيادة الأثينية على أقليم أتيكا وجزيرة سلاميس.

2- تزال كافة التحصينات عن العاصمة وميناؤها بيرايوس.

3- لا يسمح للأثينيين بامتلاك أكثر من اثنتي عشر سفينة حربية.

4- يسمح بعودة جميع المنفيين السياسيين.

5- تعترف أثينا بزعامة أسبارطة وهيمنتها على كل بلاد اليونان.[62]

وأجبرت على الانضمام إلى حلف لاكونيا الذي تتزعمه أسبارطة. وبذلك فشلت محاولة أثينا لتأسيس إمبراطورية كبرى تحت زعامتها وظل الوضع في بلاد اليونان على حاله من التجزئة والانقسام إلى عدد من الكيانات السياسية ولكن أصبحت إسبارطة أقوى دول المدن في شبه جزيرة اليونان[63]

نتائج الحروب البلوبونيزية

وبعد الانتصار الأسبارطي الساحق على أثينا في سنة 404 ق. م بدأت سيطرة أسبارطة على كل المدن التي كانت تشكل الامبراطورية الأثينية إلى جانب الدول الأخرى وبدا وكأن بلاد اليونان مقبلة على نوع من الوحدة أو الاتحاد وإن كان ذلك هذه المرة تحت السيطرة الأسبارطية بدلا من السيطرة الأثينية. لكن هذا لم يحدث بل على العكس فإن القرن الرابع ق. م شكل بالنسبة لبلاد اليونان ولنظام دولة المدينة الذي سارت عليه ما يمكن أن نسميه عصر الفوضى أو عصر الانحدار و خرجت المدن اليونانية من هذه الحرب منهوكة القوى وعاد وضع التجزئة والانقسام إلى بلاد اليونان وأخذ أعضاء حلف لاكونيا يتضجرون من فرض سيطرة اسبارطة عليهم وتمردت مقاطعة بيوشيا وعلى رأسها مدينة طيبة ضد السيادة الأسبارطية. هذا فضلا عن اندلاع الثورات الشعبية الداخلية في معظم المدن اليونانية وازدياد طبقة العبيد وتناقص عدد الأحرار المنوطة بهم فقط مهمة الحروب والدفاع، عدا عن فتور الروح الوطنية وضعف الروح القومية الكفيلة بتشكيل وحدة قومية تشمل كل دول المدن اليونانية.[64]

ذلك بسبب ثلاثة عوامل رئيسة أدت إلى هذه النتيجة وهي:

1- صراع الزعامة بين الدويلات اليونانية:

وفي هذا الصدد ابتدأت أسبارطة منذ انتصارها في 404 ق. م بإحكام سيطرتها على كل المدن التي كانت ضمن الامبراطورية الأثينية من قبل إلى جانب المدن التي تحالفت معها في أثناء حربها مع اثينا وكانت هذه جميعا تشكل غالبية المدن اليونانية. ولكن معاملة أسبارطة إلى

المدن الخاضعة لها وخاصة في آسيا الصغرى كان أسوء كثيرا من معاملة أثينا. كما كان على أسبارطة أن تدفع للامبراطورية الفارسية ثمن مساعدتها لها في صراعها ضد أثينا والتي طلبت ثمنا لذلك أن تعود المدن اليونانية الآسيوية إلى السيادة الفارسية وعندما تباطأت أسبارطة في تنفيذ ذلك أخذت الإمبراطورية الفارسية في تأليب المدن اليونانية الآسيوية عليها وكانت النتيجة أن اضطرت أسبارطة إلى عقد صلح مع الامبراطورية الفارسية سنة 386 ق. م [65] أعادت بمقتضاه معظم المدن اليونانية الآسيوية إلى السيادة الفارسية في سبيل إحكام قبضتها على المدن اليونانية الأوربية وقد مثل ذلك وصمة أدبية لأسبارطة أمام هذه المدن الأخيرة كما أثارت في الوقت ذاته توجسات كثيرة بينها. كذلك فإن اعتماد أسبارطة على القوة العسكرية في السيطرة على المدن اليونانية كان معناه إبقاء أعداد كبيرة من الأسبارطيين خارج أسبارطة بصفة مستمرة ونتيجة لهذه الظروف تمكنت مدينة طيبة من القضاء على السيطرة الأسبارطية وهزيمتها في موقعة ليوكترة قرب طيبة سنة 371 ق. م[66]

2- زعامة طيبة (371–362 ق.م)

وبعد ذلك بدأت طيبة سلسلة من التحركات العسكرية والسياسية لتفرض سيطرتها على بلاد اليونان لكنها فشلت بدورها. وفي الوقت الذى تعاقبت فيه سيطرة أسبارطة وسيطرة طيبة عل أغلب المدن اليونانية كانت أثينا تسعى لإقامة حلف جديد على نمط حلفها القديم (حلف ديلوس) لكن أثينا بدورها لم تحسن معاملة حلفائها خاصة حين بدأت بعض هذه الدول الخروج من الحلف بعد أن زال الخطر الأسبارطي بعد هزيمة ليوكترة. وقد أدى هذا الوضع المتأزم إلى حرب فعلية بين أثينا وحلفائها انتهت بعقد صلح بين الطرفين في سنة 354 ق. م اعترفت فيه أثينا باستقلال أهم المدن التابعة للحلف ولم تلبث المدن الباقية أن انسلخت بدورها وهكذا فشلت المحاولة الأثينية الثانية لتوحيد بلاد اليونان.[67]

3- التخلخل في الأحوال الداخلية للدويلات اليونانية

باءت كل محاولات الوحدة اليونانية بالفشل وهكذا تكرست النزعة الانفصالية بين الدول اليونانية ووصلت إلى طريق اللاعودة. كما تعرضت الحياة العامة في داخل المدن اليونانية خلال القرن الرابع ق. م إلى تخلل في أكثر من جانب من جوانبها وعلى سبيل المثال فقد تعرضت الموارد الاقتصادية لهذه المدن إلى تناقص ظاهر ومطرد بعد أن شهدت عهدا من الازدهار منذ أواسط القرن السادس ق. م إلى نهاية القرن الخامس ق. م وسبب هذا هو أن بعض البلاد التي كانت تشكل الأسواق الخارجية لبلاد اليونان بدأت تطور منتجاتها لدرجة تكفي احتياجاتها من السلع التي كانت تستوردها من قبل المدن اليونانية بل أخذت تنافس

السلع اليونانية في الأسواق الأخرى. وقد أدى هذا الوضع الاقتصادي المتدهور إلى انتشار العمل بين اليونانيين كجنود مرتزقة سواء في الجيوش الأجنبية أو في جيوش المدن اليونانية ذاتها وقد كان هذا الوضع من العوامل الأساسية من غير شك في تدهور نظام دولة المدينة فقد كان في حقيقته وضعا يتقلص فيه معنى المواطنة ويمثل انفصاما بين المواطن والدولة. وقد تعدى هذا الوضع الاقتصادي المتدهور إلى الجانب السياسي أيضا فلم يعد الصالح العام هو الهدف وأصبح هدف كل طبقة تامين مصالحها الخاصة من غير النظر إلى المصالح العامة للوطن وقد وصل هذا التسيب السياسي مداه في أثينا عندما وصل الأمر بالمواطنين الأثينين إلى أن يقدموا مصلحتهم الخاصة على حساب مصالح الدولة حين كان الخطر المقدوني غير بعيد بينما كان كل همهم هو الحصول على مايسمى بإعانة المسرح التي كانت تصرف للمواطنين المحتاجين من الأموال العامة حتى يتمكنوا من حضور الاحتفالات السنوية أو الموسمية بدلا من استخدام هذه الأموال في التجهيز للدفاع عن أثينا عندما كان الخطر المقدوني على الأبواب(68).

الهوامش:

(1) فرح: المصدر السابق، ص288.

(2) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص420.

(3) باقر: مقدمة المصدر لسابق، ج2، ص360.

(4) يقوم النظام الإداري الأخميني على تقسيم الامبراطورية إلى أقاليم (ستراب) في اللغة اليونانية ويتولى الإدارة فيها والي يطلق عليه خشريوان بالفارسية بمعنى الحارس او حامي المملكة وكان معظم الولاة من النبلاء أو الأمراء وكانوا يعينون مدى الحياة ولهم سلطات مطلقة تماثل سلطة الملوك في ولاياتهم كما يحق لهم القيام ببعض الاتصالات السياسية مع الدول المجاورة. ينظر: أحمد أمين سليم: دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت-1992، ص332؛ دياكوفوكوفاليف: المصدر السابق، ص201-202.

(5) دياكوف وكوفاليف: المصدر السابق، ج1، ص314-316.

(6) العابد: المصدر السابق، ص80.

(7) تتمثل الظروف الداخلية في المدن الأيونية بقيام حاكم مدينة ميلتوس(ملطية) هيستيايوس إلى مغادرة المدينة بامر من الملك الفارسي والإقامة بين أفراد حاشيته، فعهد إلى خليفته وقريبه أريستاجوراس بإدارة شؤون المدينة في أثناء غيابه الذي دام اثنا عشر عاما وفي تلك الأثناء عهد الملك الفارسي إلى أريستاجوراس بقمع الثورة في جزيرة ناكسوس وفي الوقت الذي فشل فيه أريستاجوراس في قمع الثورة وخشي غضب الفرس تلقى رسالة من قريبه هيستيايوس يحثه على الثورة فيها حيث توقع أن يعهد إليه الملك الفارسي مهمة القضاء عليها وبذلك يتخلص من الإقامة الإجبارية في القصر ينظر: العابد: المصدر السابق، ص81-82؛ جميلة عبد الكريم محمد: قورينا ئية والفرس الأخمينيون، دار النهضة العربية، ط1 بيروت – 1996، ص11؛ Olmstead,A.,History of the persian Empire, chicago, 1959p. 152.

* كان الأسطول الفارسي يضم سفنا فينقية ويونانية واستخدموا فيه المصريين والقبارصة والسوريين وغيرهم إلى جانب الفينقيين ويوناني آسيا الصغرى وكانت سفنهم على ثلاثة انواع: سفن الهجوم، وناقلات الجنود والخيول والثالث ناقلات الامتعة والذخائر والنوع الأخير كان صغير الحجم. ينظرسليم. المصدر السابق، ص337.

(8) فرح: المصدر السابق، ص228؛ العابد: المصدر السابق، ص82-83؛ Olmsteat: op. cit, p. 160.

(9) العابد: المصدر السابق، ص83-84.

(10) جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص125؛ يُعد ما كتبه المؤرخ هيرودتس عن سير العمليات العسكرية من اهم مصادرنا عن هذه الحرب إن لم يكن أهمها، ورغم ما يعيب عرضه من نقص واضح في المعلومات ومبالغة وخلط في بعض الأحيان عن هذا الموضوع ينظر العابد: المصدر السابق، ص85.

(11) العابد: المصدر السابق، ص84؛ فرح: المصدر السابق، ص288–289.

(12) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص421.

(13) فرح: المصدر السابق، ص289.

(14) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص421؛ جدير بالذكر أن مجلس الشعب في أثينا كان قد أرسل الرياضي فيديبيدس المعروف بالسرعة إلى اسبارطة لكي يخبرها بالسرعة القصوى من أجل مساعدة أثينا واستطاع هذا العداء قطع المسافة بين اسبارطة وأثينا ومقدارها 220 كم في أقل من ثمان وأربعين ساعة، ثم عقب انتصار الأثينيين في ماراثون نقل خبر الانتصار إلى سكان المدينة الأمر الذي أجهده فوقع عقب وصوله لأثينا مغشياً عليه ثم فارق الحياة.

(15) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص421؛ جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص128..

(16) المصدر نفسه: ص423؛ العابد: المصدر السابق، ص85.

(17) فرح: المصدر السابق، ص289؛ العابد: المصدر السابق، ص85–86

(18) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص423–424؛ العابد: المصدر السابق، ص86؛ جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص137.

(19) العابد: المصدر السابق، ص86–87.

(20) العابد: المصدر السابق، ص87–88.

(21) فهمي: المصدر السابق، ص

(22) العابد: المصدر السابق، ص88–89.

(23) فرح: المصدر السابق، ص289؛ العابد: المصدر السابق، ص89–90.

(24) فرح: المصدر السابق، ص 290؛ العابد: المصدر السابق، ص90.

(25) العابد: المصدر السابق، ص91.

(26) العابد: المصدر السابق، ص91–92.

(27) العابد: المصدر السابق، ص92.

(28) العابد: المصدر السابق، ص92–93.

(29) العابد: المصدر السابق، ص93.

(30) سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص422.

(31) العابد: المصدر السابق، ص93.

(32) ويذكر ثوكوديدس (471–400ق.م) -أحد كبار مؤرخي الفترة حيث أرخ الحرب بين أثينا وأسبارطة وكان قد اشترك بها وقد اهتم بتعليل أسباب الحروب التاريخية ولهذا لقب بأبي النقد التاريخي – إن الأسبارطيين

ساعهم قيام الأثينيين بتحصين مدينتهم، وبرروا خشيتهم من ذلك بأن تحصين أثينا شأنه أن يؤمن حصناً للفرس فيما إذا احتلوا أثينا مرة أخرى. ورغم تفاهة هذا التبرير، فقد رأى الأثينيون أن من صالحهم مراوغة الأسبارطيين حتى يتسنى لهم بناء ارتفاع معين من السور يكفل لهم الدفاع عن أثينا فيما لو قررت أسبارطة مهاجمتهم ومنعهم من الاستمرار في العمل. ويبدو أن الحماس الذي أبداه عموم الأثينين من رجال ونساء وأطفال في سبيل إنهاء العمل قد ساعد على نجاحه ولكن على حساب سخط ونقمة الأسبارطيين ينظر:الشيخ:المصدر السابق،ص24؛ العابد: المصدر السابق، 94.

(33) فرح: المصدر السابق، ص289.

(34) العابد: المصدر السابق، ص94.

(35) فرح: المصدر السابق، ص290.

(36) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص100؛ Hammond:op.cit,p.257

(37) العابد: المصدر السابق، ص95.

(38) عبو ورشاد:المصدر السابق، ص111؛ Hammond:op.cit,p.29

(39) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص115؛ برن: المصدر السابق، ص262–263 ؛ Olmstead:op.cit,p.301.

(40) عن أحوال أثينا في عهد بركليس والتي شهدت ازدهارا لا مثيل له ينظر: تشارلس الكسندر روبنصن: أثينا في عهد بيركليس، ترجمو أنيس فريحة، بيروت–1966.

(41) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص116.

(42) تعرف الهلياء أو محكمة الشعب والتي يعود تاريخ تشكيلها إلى زمن صولون وأعضائها يسمون هليستي أي قضاة الشعب وطريقة انتخابهم تتمثل في أن يتقدم كل سنة الأثينيون الذين يرغبون في الالتحاق في هذه المهمة فتعمل قائمة بأسماء من لا تقل سنهم عن ثلاثين سنة ويمكنهم القضاء في الناس بالعدل ثم يؤخذ منهم ستة الاف بطريق الاقتراع ويكونون فرق كل فرقة تتكون من 500 عضو وتقيم في جهة مخصوصة والالف الآخرون يبقون احتياطا ويمكن الجمع بين فرقتين أو جملة فرق للنظر في المسائل المهمة وكان كل عضو قبل تقلد عمله يقسم أمام الجمهور بانه يقضي بالعدل ولذلك كان هؤلاء يسمون بالمحلفين عن هذا الموضوع ينظر: فهمي: المصدر السابق، ص102.

(45) دياكوف وكوفاليف: المصدر السابق، ص325 وما بعدها.

(46) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص117.

(47) فرح: المصدر السابق، ص291.

(48) فرح: المصدر السابق، ص291.

(49) العابد: المصدر السابق، ص109.

(50) فرح: المصدر السابق، ص291-292.

(51) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص117–118.

(52) جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص174؛ دياكوف وكوفاليف :المصدر السابق، ص313 وما بعدها

(53) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص125 وما بعدها.

(54) جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص175–176.

(55) فرح: المصدر السابق، ص292.

(56) Raubitschek. A. E., The Treati between Persia and At hens"Greek,Roman and Bay-zantine Studies . V,1946 .p.151ff

(57) جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص؛ دياكوف وكوفاليف: المصدر السابق، ص355–360

(58) العابد: المصدر السابق، ص110؛ دياكوف وكوفاليف: المصدر السابق، ص360–362.

(60) العابد: المصدر السابق، ص114–115 ؛ Olmstead:op.cit,p.308

(61) فرح: المصدر السابق، ص292.

(62) جميلة عبد الكريم محمد: المصدر السابق، ص178–179.

(63) فرح: المصدر السابق، ص293.

(64) دياكوف وكوفاليف: المصدر السابق، ص365–366 .

(65) العابد: المصدر السابق، ص121–122. عرف هذا الصلح باسم "سلام الملك" وأصبحت اسبارطة بموجب الاتفاق، مسؤولة عن تطبيق نصوصه التي نصت على أن تؤول كل مدن آسيا الصغرى وجزيرة قبرص للملك الفارسي مقابل تعهد الأخير بحماية حرية باقي المدن الإغريقية في بلاد اليونان، واتفق الطرفان على محاربة كل من يرفضون هذه الشروط، مما اضطر اثينا وباقي الأطراف المتنازعة في بلاد اليونان إلى قبول نصوص هذا الاتفاق، مرغمين وإرسال ممثليهم إلى سارديس للتوقيع على الاتفاق بعد سماع نصوصه. ينظر العابد: المصدر السابق، ص125.

(66) Hammond:op.cit,p.292; Olmstead:op.cit,p.394ff

(67) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص154–159؛ Hammond:op.cit,p.293-502

(68) عبو ورشاد: المصدر السابق، ص160–162 Hammond:op.cit,p.511-516

4

الفصل الرابع

الأوضاع السياسية العامة في الولايات العربية أبان السيطرة الإخمينية

مدخل

أدى قيام الدولة الإخمينية في إيران، وسياستها التوسعية إلى وقوع العراق تحت سيطرتها عام 539 ق. م، والعمل على إجهاض حركته الحضارية، وتهيأ للفرس بسبب ذلك، -ولأن العراق يشكل البوابة الشرقية للوطن العربي- فرصة التجاوز على بقية أقسامه. فقد واصل الفرس غزوهم لأقسام من سوريا، وبلغوا في زمن قمبيز إلى مصر، كما توجه دارا في بعض خططه لاحتواء منطقة الخليج العربي والسيطرة على طرق التجارة ومنافذها هناك. لكن دارت الدوائر بالفرس الأخمينين ولعب العراقيون والسوريون والمصريون، كل من جانبه، دوراً في إضعاف البناء السياسي والعسكري لدولة كورش ودارا. فتكررت الثورات في الأقاليم العربية، وكانت تلك الثورات من العوامل الرئيسة التي عجلت بسقوط الدولة الإخمينية على يد الإسكندر المقدوني.

في حدود منتصف الألف الثالث قبل الميلاد شهدت الأقسام الغربية لقارة آسيا قدوم موجات بشرية انحدرت من سهل أواسط آسيا وعلى الأرجح من منطقة ايرانويج الواقعة ما بين نهري سيحون وجيحون، أي المنطقة التي تقع فيها مدن خوارزم وسمرقند وغيرها. وتعرف هذه الأقوام بأسماء متعددة معظمها اصطلاحية وهي الأقوام الهندية الإيرانية بموجب اسم الإقليمين الرئيسين لنزوح هذه الأقوام وهما إيران والهند أو الشعوب الهندية الأوربية بموجب أبعد الأقاليم التي بلغتها هجرات هذه الشعوب وهما الهند وأوروبا، أو الشعوب الارية بموجب اسم موطنها ايرانوفيج. بينما ترى وجهات نظر أخرى بأن منطقة هذه القبائل هي القفقاس، وإنهم استقروا بادئ الأمر حول بحيرة اورميا ومنها انتشروا جنوب المناطق المجاورة. وكانت تلك الأقوام تعيش في حياة رعوية بدائية وغير مستقرة شغلها الشاغل الحرب والفروسية وشرعت هذه القبائل في هجراتها من مواطنها الأصلية[1] في الألف الثاني قبل الميلاد وقد سلكت في هجراتها اتجاهات مختلفة ودخل كثير منهم أقطار الشرق الأدنى القديم فضلا عن أوروبا ومن هذه المجاميع التي دخلت إيران منذ الألف قبل الميلاد ونجح بعضها في إقامة العديد من الكيانات السياسية شملت بحكمها معظم مناطق الشرق الأدنى القديم: الميديون، ثم أعقبهم الفرس: الإخمينيون، والفرثيون، وأخيرا الساسانيون.[2]

إن أقدم ذكر للفرس في النصوص المسمارية الآشورية التي تعود بتاريخها إلى القرن التاسع قبل الميلاد[3] حيث ذكرت في كتابات الملك شلمنصر الثالث (858 –428 ق. م) أنهم

كانوا يسكنون المنطقة المسماة بارسوا Parsua الواقعة إلى الجنوب الغربي لبحيرة أورميا وفي حدود 800 ق. م هاجر الفرس من منطقة بارسوا بسبب ضغط الأوراتيون وساروا باتجاه الجنوب وسكنوا المنطقة المسماة ((سقيز)) وهي حالياً منطقة إيران وكردستان ومع هجرتهم هذه فإنهم كانوا خاضعين للآشوريين[4] والمعلومات المتوافرة تشير إلى أن هذه القبائل سكنت السهول الممتدة على طول جبال بختياري وفي السهول القريبة من عيلام واسست القبائل المذكورة الأولى هناك وكانت تسمى بارسوما ش Parsumas والتي تكونت من اتحاد القبائل الفارسية في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد.

تنتسب الدولة الإخمينية إلى مؤسسها إخمنيس الذي حكم ما بين الربع الأخير من القرن الثامن وحتى بداية القرن السابع قبل الميلاد، حيث كان مقر حكمه يقع ضمن سهول جبال بختياري، وبعد فترة قصيرة من تأسيس هذه الدولة أخذت بالتوسع في بلاد عيلام فمعروف أن العلاميين في هذه الفترة، القرن السابع قبل الميلاد، كانوا يمرون بفترة ضعف واضمحلال نتيجة الهجمات المتكررة التي وجهها إليهم الآشوريون في أواخر عهدهم[5] ففسح ذلك المجال أمام الإخمينين لتثبيت سلطتهم على المنطقة وإقامة دولتهم التي أخذت بالنمو تدريجياً واتبعت سياسة التوسع العسكري وكان ذلك في عهد ابنه جشيش، خلف الملك جشيش ولدين الأول كورش معروف بالأول والثاني اريارامنا وبعد وفاة والدهما صار كورش ملكاً على منطقة بارسوماش في حدود 650–600 ق. م أما الأخ الثاني فصار ملكاً على فارس وقد دان هذا بالولاء للملك الآشوري آشور بانيبال (668–626 ق. م) وأرسل إلى مدينة نينوى بعض الهدايا رمزاً لولائه. وبعد وفاة كورش خلفه في الحكم ابنه قمبيز الذي استطاع أن يوحد بلاد إيران تحت زعامته، وبعد وفاته جاء إلى الحكم ابنه كورش الثاني الملقب بكورش الكبير 431-559) ق.م).[6]

وسع كورش ممتلكاته بضم ميديا شمال إيران، وليديا شرق الأناضول ودحر الملك الليدي قارون ونهب عاصمته ساراديس وبعد هذا النجاح توجه لاحتلال المدن اليونانية الواقعة في آسيا الصغرى القريبة من ليديا وبين عام 545 –935 ق. م توسع كورش في بلاد ما وراء النهر وأفغانستان ووصلت حدود دولته حتى الحدود الشمالية الغربية لبلاد الهند.[7] لقد ساعدت الظروف التي كانت تحيط بمراكز القوى السياسية والعسكرية و المجاورة لفارس على تحقيق طموحات كورش السياسية والعسكرية والتي تمثلت بضعف الدولة الميدية يضاف إليها ظروف والمشكلات التي واجهت الدولة الكلدية فضلاعن وجود اليهود وتعاونهم مع الفرس

بحيث أصبح وجودهم يشكل الطابور الخامس الذي يمد العون والمساعدة للفرس على احتلال بابل ونتيجة لذلك فقد سمح كورش في السنة الأولى من حكمه بعد السيطرة على بابل بعودة اليهود المرحلين فيها إلى فلسطين وربما رأى كورش في وجود جالية يهودية في فلسطين تدين بوجودها له أنه سيشكل توازنا مهما تجاه الجماعات المؤيدة لمصر والتي طالما تدخلت في شؤون بلاد الشام[8]

الأوضاع السياسية في بلاد الرافدين

وبعد سيطرة كورش على المناطق المذكورة توجه صوب بابل من خلال بوابة آسيا وهي طريق همدان – كرمنشاه خانقين وبعد معركة صغيرة عند مدينة أوبس سنة 539 ق. م قتل فيها بيل شار اوصر ابن نبونائيد (556–539 ق. م) وتفرق الجيش البابلي على أثرها ثم تقدم صوب بابل ونجح في دخولها في السنة نفسها وبهذا التاريخ تنتهي آخر السلالات الحاكمة الوطنية في تاريخ العراق القديم فسقوط بابل ومن قبلها نينوى عام 612 ق. م[9] فلم تعد البلاد مركز القوة والسيطرة وإنما أصبحت ولاية من الولايات التابعة للدولة الإخمينية كما أنها لا تعد نهاية لتاريخ العراق القديم كدولة مستقلة فحسب وإنما مؤشراً مهما إلى نهاية سيادة الأقوام الجزرية وبدأت سيادة الأقوام الهندو – أوروبية من فرس إخمنين وفرثيين وساسانيين وإغريق ويونان والتي استمرت قرابة اثنا عشر قرنا حتى مجيء الإسلام وأصبحت فيه المنطقة العربية ساحة لصراعات القوى المتنفذة آنذاك وحتى عندما أصبحت بابل العاصمة الرابعة إلى جانب العاصمة الميدية القديمة اكبتانيا (همدان) إلى جانب مدينتي سوسة وبيرزبيولس فإننا لم نحصل إلا على القليل من اللقلى الأثرية التي تعود إلى القرنين الذان حكم فيهما الإخمنيون بلاد الرافدين(539–331ق. م).[10]

الأوضاع السياسية في بلاد الشام

وبسقوط بابل أصبحت جميع المقطعات التابعة سابقاً للدولة البابلية ملكاً للإخمينين ومنها على نحو خاص سوريا وفينقيا وفلسطين فقد اعترفت بالحكم الفارسي الجديد واعتمد قمبيز(529–255ق. م) على إمكانات المدن الفنيقية خاصة السفن على هجومه على مصر، كما ساعد الأسطول الفينقي والذي أصبح عماد البحرية الفارسية في هجومها على بلاد اليونان وإن كان الأسطول الفينقي قد هزم في (سارديس) إلا أنه أظهر فيما بعد مهارة كبيرة وشجاعة فائقة أدتا إلى هزيمة الأيونيين عند جزيرة (ليد) المقابلة لمدينة (ميلتس) فسرعان ما سقطت ميلتس وتقدم الفينقيون نحو جزر أرخبيل اليونان الآسيوية، ثم إلى شاطئ (تراقيا)

واستطاع الأسطول الفينقي بعد ذلك من احتلال جزر بحر إيجة، مما مهد الطريق للقوات الفارسية التوجه نحو(ماراثون) حيث انتهت المعركة بهزيمة الفرس الإخمنيين وذلك في عام 490 ق. م حتى أن المؤرخ اليوناني هيرودتس يذكر رواية مفادها أن الملك دارا الأول (522-486ق. م) كلف واحداً من عبيده بأن يذكره بتلك الهزيمة ثلاث مرات كل مساء بقوله"يا مولاي لا تنسى الأثنيين".

وعلى عهد الملك الخميني أكزركسيس الأول (خشارياشا 484-465ق. م) اشترك الفينقيون في الحرب اليونانية -الفارسية والذي يبدو من مجريات الأحداث أن الفينقيين قد رحبوا بفرصة ضرب منافسيهم البحريين اليونانيين وعلى هذا الأساس قدموا 207 سفينة، كما أظهرت مهارة الفينقيين الهندسية تفوقها في حفر قناة عبر البرزخ لتجنب العواصف حول جبل (آتوس) وخاضوا معركتين بحريتين في ملاتس وسلاميس، كما قام الأسطول الفينقي بدور مهم في حروب الأخمنيين ضد اليونان عام 465 ق.م على عهد الملك أرتاكزرس (أرتاخشاشا 465-424ق. م) والذي كان يعرف باسم (لوفيجمانوس) لأن أحد ذراعيه كانت أطول من الأخرى. وقد حطم الأسطول كله تقريبا في معركة سلاميس البحرية عام 380ق.م [11]

على أية حال فقد أصبحت الجزر الفينقية وفلسطين وسوريا وقبرص الولاية الخامسة من ولايات المملكة الأخمينية وعرفت باسم"مرزبانة عبر النهر" وفرض عليها جزية تعادل 350 وزنة أي ما يعادل نصف جزية مصر ولم يتدخل الإخمنيون في نظام الحكم الداخلي فتركوا لهم إدارة شؤون ولاياتهم ما داموا مستمرين في دفع الجزية. وهكذا أصبحت المدن الفينقية تحت سيادة المملكة الإخمنية منذ عام 526ق. م ومنحها الملك الإخميني قمبيز كثير من الإمتيازات واتخذ صيدا مركزا للمدن الفينقية وأقام فيها الفرس قصرا ملكيا تحيط به المتنزهات كما اقام والي صيدا الفارسي قصرا لنفسه ومنح هذا الوالي الكثير من الصلاحيات وأصبح قائدا عاما للأسطول الفينقي وقد تمتعت المدن الفينقية في عهد قمبيز بنوع من الاستقلال وكان ملوكها يضربون العملات المحلية التي تحمل أسماءهم وسمح لهم في عقد الاجتماعات السنوية في طرابلس للتباحث في شؤونهم المختلفة.[12]

الأوضاع السياسية في بلاد وادي النيل

ولم تبقى إلا مصر ففي الوقت الذي ترك كورش ابنه قمبيز في بابل يهيأ مستلزمات الحملة على مصر سار بنفسه على رأس جيش كبير لتهدئة الأوضاع على تخوم امبراطوريته الشرقية ولكنه قتل في هذه المعارك وكان ذلك في عام 530 ق.م[13]

تولى الحكم بعد كورش الكبير ابنه قمبيز (530 –255 ق. م) حكم الامبراطورية، وبدأ بتنفيذ خطة والده، حيث سار قمبيز على رأس جيش صوب مصر، وتمكن من استمالة بعض العسكريين اليونان المحالفين لاماسيس فرعون مصر الذين أخبروه عن الأسرار الدفاعية لمصر حيث تمكن من دحر الجيش المصري ودخول منفس العاصمة المصرية عام 525 ق. م ولاستكمال السيطرة على العالم القديم، أخذ يخطط لحملات مقبلة كانت واحدة منها ضد القرطاجيين الذين كانت لهم السيطرة على غربي البحر المتوسط، وحملة أخرى ضد واحة آمون، وحملة ثالثة ضد إثيوبيا، ولكن خطوات قمبيز العسكرية المنطلقة من مصر باءت بالفشل الذريع.[14]

وعلى أثر فشل هذه الحملات اندلعت نيران الثورة في مصر مما اضطر قمبيز إلى العودة مسرعاً إلى منفس في عام 523 ق. م وإخماده نيران الثورة التي نشبت في المدينة المذكورة ضد السيطرة الاخمينية، وحكم على الملك المصري بسماتيك الثالث بالموت. وفي عام 522 ق. م بلغته انباء ثورة أخيه (بارديا) الذي أعلن نفسه ملكاً على الدولة الإخمينية فقرر قمبيز العودة إلى بلاد فارس، إلا أنه مات وهو في طريق عودته، ويعتقد بعض المؤرخين أن قمبيز مات مسموماً بتدبير من الملك دارا الأول.[15]

أسباب الثورات ونتائجها وتأثيراتها على سقوط الدولة الإخمينية

أدت هذه الأوضاع المضطربة في البلاط الفارسي[16] مضافاً إليها سوء السياسة الإخمينة إلى تشكل الأجواء المناسبة لثورة الأقاليم العربية، وكانت من بين تلك الثورات ثورتي عيلام وبابل حيث كانتا سبباً في قيام بقية الثورات ضد الملك دارا، والحقيقة ان أخطر تلك الثورات هي ثورة بابل لأن انفصال بابل عن الدولة الإخمينية يعني انفصال كل الولايات الواقعة في الجهة الغربية من جسم الامبراطورية الإخمينية، ولقد كلف إخماد هذه الثورة جهداً كبيراً ولهذا فقد جهز دارا حملة كبيرة على بابل بقيادته.[17] كانت أسباب الثورة تتعلق بسوء الأوضاع الاقتصادية، والضرائب الكثيرة، وكانت جميع الصلاحيات تمنح للفرس فمنهم القادة وحكام الأقاليم والقضاة والموظفون الكبار والصغار، ولم يكن الفرس أو إقليمهم مشمولاً بالضرائب السنوية التي كانت كل الأقاليم ملزمة بدفعها، حيث يذكر هيرودتس أن ولاية بابل كانت تدفع أيام حكم الملك دارا أعلى نسبة من الضرائب تقدر بألف وزنة (طالنت) من الفضة. علماً بأن الطالنت الواحد يساوي 30.3 كغم وهذا يعني أن ولاية بابل وحدها كانت تدفع سنوياً ثلاثين الف طن و 300 كغم من الفضة، وولاية مصر كانت تدفع 700 كغم من الفضة مع كمية من الحبوب. وغالباً ما كانت تدفع هذه الضرائب على شكل انية معمولة من المعادن الثمينة أو

ملابس أو حيوانات.[18] فضلاً عن ذلك عمد الفرس هم وعوائلهم على الاستيطان في العراق وممارسة الأعمال التجارية عن طريق وكلائهم، ويظهر من إحدى الوثائق البابلية أن قمبيز ابن كورش كان يمارس أعمال الربا في أثناء حياة والده، ويقرض النقود لقاء ضمان وذلك عن طريق. مديره.[19] وكان الفرس في بابل ومصر يؤلفون أكبر طبقة من ملاك الرقيق وأقطاب الأراضي، فضلا عن تملكهم دور السكن والمخازن والأموال العقارية الأخرى[20] وجرى تعاون وثيق ما بين اليهود والفرس حيث توفر الوثائق شاهداً على حقيقة العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الأمراء وملكات الفرس وبين موراشو اليهودي فقد كان الأمراء وسيدات البلاط غالباً ما يؤجرون بيوتهم وحدائقهم إلى بيت موراشو أو إلى أشخاص آخرين، وغالبا ما كان يؤجر بيت موراشو الأراضي الملكية في شكل قطع صغيرة إلى تابعيهم أو المستأجرين الثانويين.[21]

يضاف إلى ذلك الشعور الوطني والقومي والرغبة في التحرر ونيل الاستقلال وأدل على ذلك تسمية الثوار أنفسهم بـ نبوخذ نصر من أجل تأجيج المشاعر الوطنية في نفوس العراقيين وتذكيرهم بالمنجزات والمآثر التي حققها ملكهم المعروف نبوخذنصر.[22]

كل هذه العوامل أدت إلى إشعال فتيل الثورة، حيث أعلن ندنتو – بيل Bel- Nidintu، سليل نبونائيد نفسه ملكاً على بابل باسم نبوخذنصر الثالث، ويظهر أن الزعيم العراقي الثائر قد استحوذ على معابر نهر دجلة وشكل قوة نهرية لهذا الغرض وهي خطة محكمة تمكن بها من منع الجيوش الفارسية من التقدم ضده في وقت ركز بها جيوشه عند الضفة اليمنى لمنع أية قوة فارسية قد تتمكن من عبور النهر. ورغم هذه الاستعدادات نجح دارا في عبور النهر واصطدم مع الثائر وحصره وسار باتجاه بابل. ولكن ما أن وصل الجيش الفارسي إلى (زازانا) قرية صغيرة على الفرات، حتى وجد نفسه وجهاً لوجه مع جيش نبوخذنصر الثالث الذي اندحر ثانية أمام دارا وانسحب إلى بابل وتحصن داخل أسوارها. ولم تكن إمكانات بابل الدفاعية آنذاك قوية حيث إنها لم تصلح منذ ما يزيد على عشرات السنين بحيث توقف الزحف الفارسي، ففي اليوم الثالث عشر من شهر كانون الأول من عام 522 ق. م تمكنت قوات دارا من دخول المدينة وقد أشار دارا إلى ذلك في نصه الثلاثي المنقوش على حجر بهستون حيث يذكر كيف: (أن شخصاً من بابل يدعى ندنتوبيل قد جهز جيشاً بعد أن ادعى بأنه نبوخذ نصر بن نبونائيد واستلم عرش بابل فزحف دارا بنفسه وسحق الجيش البابلي وطارد الثائر حتى عاصمته حيث القي القبض عليه وأعدمه)[23] ويذكر هيرودتس استعدادات البابليين لمواجهة الفرس فقد خزنوا من الطعام ما يكفي الجند المدافعين عنها مدة طويلة من

الزمن. وربما لجأ الفرس أيضاً إلى الخداع لاحتلال بابل حيث يخبرنا هيرودتس بأن دارا قطع أنف وأذني زوبيروس احد قواده وضربه ضرباً مبرحاً وأرسله إلى أهل بابل ليوهم الآخرين بهربه من سيده الفارسي غضباً ولجوئه إليهم ويزيد هيرودتس بأن البابليين قد مرت عليهم الخديعة فسلموا زوبيروس فرقة من جيشهم ففتح هو ابواب المدينة لدارا. ويضيف ما فعله دارا بأهل بابل مثل تخريبه أسوار المدينة وبواباتها وشنقة لثلاثة الاف شاب.[24].

وبينما كان دارا منهمكاً في القتال من أجل عرشه في ميديا وأرض فارس قام العراقيون بشق عصا الطاعة مرة أخرى ففي شهر أب من عام 521 ق. م أي بعد حوالي ستة اشهر من احتلال دارا لبابل، ثارت بابل ثانية بقيادة زعيم آخر اسمه اراكوس اطلق عليه دارا الأرمني الذي ادعى هو الآخر بأنه من نسل نبونائيد واطلق على نفسه اسم نبوخذنصر الرابع واتخذ لقب ملك بابل. وبدأت ثورته في مدينة دوبالا جنوب بابل وأرسل جيشاً تمكن من اخمادها والقبض على الثائر وقتله. حيث جاء في نص دارا ما يلي: (قلت له سر إلى الأمام ! قاتل هذا الجيش البابلي الذي يرفض أن يتبعني فزحف فندفارنا ضد بابل بجيشه ((الفارسي)) ومنحني أهوارامزدا دعواته وبإرادته قاتل فندفارنا البابلين وأسرهم وبعد انقضاء أثنين وعشرين يوماً من شهر مركزانا ألقي القبض على اراخا والنبلاء أنصارهم).[25]

أدت الثورات في بابل إلى قيام ثورات أخرى في عدد من الأقاليم العربية فبعدما تمكن دارا من إخماد الثورات في بابل، واصل سيره حتى أخمد الثورة في بلاد الشام[26] ولم تكن مصر بمعزل عن هذه الفتن، بل شاركت الأقاليم الأخرى في الثورة ضد الحكم الفارسي. وقد تضاربت الآراء حول سبب الثورة في مصر، فقد قال معظم المؤرخين بأن قمبيز عندما غادر مصر عام 522ق.م، وتوجه صوب الشام قاصداً إيران، ليقضي على مناوئيه ويسترد عرشه، ولى على مصر حاكماً فارسياً يدعى (آرياندس). وكان حاكماً قاسياً مستبداً ظالماً مما جعل المصريون ينفرون منه ومن الحكم الفارسي عامة، إلى جانب نفورهم ممن عينه والياً عليهم، ألا وهو قمبيز الذي أساء إلى المصريين إساءات بالغة قبل رحيله عنهم ولكن هناك رأي آخر يقول أن الثورة التي حدثت في مصر لم تكن ثورة شعبية ضد الحاكم الفارسي ممثلاً في آرياندس، بل كانت فتنة يقودها آرياندس نفسه، حيث كان يفكر في الاستقلال بمصر وما جاورها عن حكم الدولة الإخمينية منتهزاً فرصة رحيل قمبيز عن مصر، وانشغال دارا بالثورات التي حدثت في عيلام وبابل.[27] ولا نميل إلى هذا الراي والدليل على ذلك أنه عندما تولى دارا الحكم عمل على التودد إلى المصريين والقضاء على مبعث تظلمهم ونفورهم وإصلاح ما افسده قمبيز وآريانتس، فالثورة كانت شعبية وعربية وليست من صنع آرياندس

الحاكم الإيراني في مصر. وأمام هذا الشعور الذي أبداه دارا نحو مصر والمصريين، وما أقدم عليه من إصلاحات عدة نسى المصريون ثورتهم[28]، وظل الهدوء يسيطر على الجو العام في مصر من عام 517 – 486 ق. م، حيث بدأ المصريون بثورة جديدة ضد الحكم الفارسي.[29]

وعلى أثر الهزيمة التي لحقت بالفرس في معركة مراثون،[30] شجع ذلك ولاية مصر على إعلان العصيان والثورة مجدداً. بوجه الملك دارا عام 487 ق. م، أي قبل وفاته بعام واحد، يضاف لها سبباً آخر، وهو كثرة الضرائب التي كان يفرضها الحاكم الفارسي على مصر، حيث كانت المنطقة السادسة والتي تضم مصر وبرقة وليبيا، حيث يتوجب عليها دفع جزية سنوية للخزينة الإخمينية مقدارها سبعمائة طالنت من الفضة، يضاف إليها ما تقدمه مصر من غلال تفي باحتياجات مائة وعشرين ألف جندي يقيمون في القلاع الأربعة التي شيدها الفرس في مصر.[30] ونستطيع أن نضيف إلى هذين السببين والذان كانا من العوامل المساعدة على الثورة، سبباً آخر يتمثل بالشعور الوطني ومحاولة الحصول على الاستقلال، على الرغم من الإصلاحات العديدة التي أقدم دارا على تنفيذها في مصر والتي أشعرت المصريين بالرضا [31] إلا أن الإصلاحات مهما تعددت شئ والحرية الوطنية شيء أكبر لا تغني عنه أي إصلاحات.[32] لقد وصلت أخبار الثورة إلى دارا الذي كان مشغولاً بإعداد حملة ضخمة لمحاربة اليونانيين، فتملكه الغضب وتوعد وصمم على إخماد الفتنة ولكن المنية عاجلته في العام التالي أي 486 ق. م فترك لابنه احشويرش الأول (486 – 465 ق. م)، مهمة القضاء على الثورة، فنجح في ذلك عام 484 ق. م وعين أخيه أخمينس حاكماً على ولاية مصر.[33] كما أن المعلومات تؤكد بأن بابل قد ثارت مرة أخرى خلال الفترة الواقعة ما بين 484 –284 ق. م مرتين ضد السيطرة الإخمينية. هذا وإن النصوص المسمارية البابلية تعرفنا باسمي الثائرين البابلين، إذ كان بعضها مؤرخاً بحكم (بيل شيماني Bel -Simani وشمش اريبي Shamash -Eriba)، حيث وصلتنا وثائق. مؤرخة باسمه من دلبات (ربما قرب قصبة الكفل الحالية) وبورسيبا (برس نمرود) قرب الحلة. وقد تمكن الثوار من قتل الحاكم الفارسي زوبيروس، ويظهر أن صراعاً حدث بين بيل شيماني وشمش اريبي في السنة نفسها في بورسيبا، ثم استتب الأمر إلى شمش اريبي من غير معرفة بظروف البلد آنذاك ولكن انقسام الثوار العراقيين على انفسهم أدى إلى ضعفهم أمام عدوهم الفارسي. وقد أرسل الملك الفارسي زوج أخته لقمع الثورة فتمكن من إخمادها ودخل بابل. فخرب بابل ودمر معابدها وفي مقدمتها (ايساكيلا) معبدها الرئيس وزقورة بابل أيضاً. ويعتقد أنه خرب مدينة بورسيبا كذلك وإضافة إلى التخريب الذي أحدثه احشويرش الأول في مدينة بابل وبورسيبا. فإن

كتابات هيرودتس تشير إلى أنه قد نهب تمثالاً من الذهب للإله مردوخ وصهره والذي تذكر الأخبار أن طوله يبلغ 18 قدم وبإخفاء الإله مردوخ توقفت جميع الاحتفالات بعيد رأس السنة البابلية (عيدالأكيتو)،[34] مما أثار احتجاج كهنة مدينة بابل ولكن احشويرش الأول قابل احتجاجهم هذا بأن أصدر أوامره بأسر معظم الكهنة وقتل عدداً كبيراً منهم وخاصة الذين حرضوا على الاحتجاج. وقد كان يقصد من وراء ذلك توجيه ضربة معنوية بعمق الضربة العسكرية تمنعهم من التفكير بالثورة ضد الفرس. وقد جعلت هذه الثورات التي واجهها احشويريش الأول في بداية حكمه يتعصب للعنصر الفارسي وعدّ بقية شعوب الولايات مجرد رعايا تابعين. ولم يهتم إطلاقا بالمكانة الحضارية التي كانت تتمتع بها بعض ولايات الامبراطورية الإخمينية مثل ولاية بابل ومصر. ولذلك فقد تخلى عن اللقب الذي أوجده الملك كورش الثاني وهو ((ملك بابل))[35] وبالرغم من أن معظم المصادر الخاصة بالتاريخ الإخميني ترجع سبب تعصب الملك احشويريش إلى العنصر الفارسي إلى الثورات ضده، إلا أن الحقيقة على عكس ذلك إذ إن التسامح الذي أبداه كورش الثاني ودارا اتجاه البلدين التي خضعت لسيادة الامبراطورية الإخمينية كان جزءاً من الخطة التي كانت ترمي إلى تثبيت أقدام الامبراطورية الفتية. وبعد أن تم لها ذلك في أواخر حكم الملك دارا بدأ ملوكها اللاحقون يظهرون مشاعرهم الحقيقية تجاه شعوب الولايات التابعة لهم فمثلاً ثارت بابل مرتان بوجه دارا ولكنه لم يعاملها معاملة الملك احشويريش الأول. ولو كانت الثورات هي السبب الحقيقي للتعصب لكان الأولى بدارا أن يبدأ بهذا التعصب لكثرة الثورات التي قامت بوجهه.

والسبب الآخر في التعصب يرجع إلى أن الضرائب الكثيرة والخبرات الفنية التي كانت ترد إلى الامبراطورية الإخمينية قد ساعدت على رفع مستواها الحضاري مما دعى الملوك الذين خلفوا كورش ودارا أن يبتكروا للدور الحضاري الذي سبقتهم به بعض الولايات التي خضعت لسلطانهم[36]

أعقب احشويريش ابنه ارتحشستا الاول (465 – 424 ق. م)، والذي استهل مطلع حكمه باغتيال جميع اخوته متذرعاً بثورة أخيه حاكم بلاد البخت.[37] وبعد فترة قصيرة تجددت الثورة في مصر وكانت هذه الثورة بقيادة شخص يدعى ((اناروس Iaros)) الذي تمكن من السيطرة على منطقة الدلتا فقط، إذ إن مدينة منفس ومصر العليا بقيتا خاضعتان للسيادة الإخمينية[38]. وبعد ذلك قام ((اناروس)) بطلب المساعدة من اثينا التي أوعزت إلى أسطولها في قبرص للتوجه إلى مصر، وتمكن ذلك الأسطول من تقديم المساعدة للثورة المصرية، حيث تم قتل ((اخمينس)) أخ الملك احشويريش الأول وحاكم ولاية مصر، وبدأت السفن الأثينية

تنتقل بكل حريتها في مياه النيل حتى مدينة منفس[39]، إلا أن النصر لم يكن حاسماً فقد استمرت الحرب ست سنوات وعمل الملك ارتحششتا الأول على إضعاف التحالف بين المدن اليونانية فأغرق أسبارطة بالذهب الفارسي[40]، واستنفذت مصادر اثينا المالية كما افقدتها الكثير من رجالها وكان على اثينا أن تحتفظ بإسطولها في مصر ما دامت الحرب قائمة لم تحسم، وكان عليها الامداد المستمر لذلك الأسطول وبذلك تمكن من إضعاف موقف أثينا وبالتالي ساعده على إخماد الثورة. حيث أعد عام 455 ق. م حملة عسكرية على مصر بقيادة حاكم ولاية سوريا الفارسي والذي تمكن من محاصرة القوة الأثينية في إحدى جزر الدلتا، وتمكن الفرس من العبور إلى الجزيرة والقضاء على معظم القوة الأثينية والسيطرة على وحدتها البحرية التي استسلمت عدا القليل الذي التجأ إلى مستعمرة كيريني[41]. وتمكن قائد الحملة الفارسية من أسر الثائر ((انا روس)) وأرسله إلى بلاد فارس حيث صلب هناك عام 454 ق. م، وبعد القضاء على الثورة مباشرة جاءت بعض السفن الأثينية لتقديم نجدة إضافية لثورة مصر ولكنها ابيدت لانها لم تكن تعلم بالهزيمة التي لاقاها الأسطول الأثيني على يد حاكم ولاية سوريا[42]. وبذلك تم إخماد الثورة وإعادة السيطرة على مصر ولذلك بقيت ولاية مصر هادئة حتى نهاية حكم الملك الفارسي دارا الثاني (424 –404 ق. م). حيث إن الثورة قد تجددت مرة أخرى في مصر حيث أعلنت مصر استقلالها عن الحكم الفارسي عام 405 ق. م، وبقيت محافظة على استقلالها طوال ستين سنة، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الامبراطورية الإخمينية لم يعد بمكانها المحافظة على ولايتها، وأخذت هيبة الحكم الإخميني تتلاشى[43]. وكان لذلك مردوداته السلبية على الدولة حيث أدت ثورة الأقاليم العربية وعلى رأسها مصر أن ثاروا ضد الحكم الفارسي وولوا عليهم فرعون الأسرة الثامنة والعشرين أمون حر"(أمير تايوس) عام 404 ق. م وحاولو ا السيطرة على مدن الساحل الفينيقي حيث ادركوا أنهم يشكلون العمود الفقري للقوات الإخمينية من الناحية البحرية لكن خطط مصر باءت بالفشل ذلك لأن جماعات الفارين بعد هزيمة اليونان كانوا قد عادوا إلى فينقيا فغدا من الصعوبة على مصر أن تعيد سيطرتها هناك[44]. وقد حاول الملك اراتحششتا الثاني (404 – 953 ق. م) إعادة إخضاع ولاية مصر، التي ثارت في أواخر حكم الملك دارا الثاني، ولكن محاولته قد باءت بالفشل[45]. ولقد بلغ من ضعف الدولة الإخمينية أن تجرأ بعض الحكام للزحف صوب مقاطعات الدولة، وهذا ما فعلته مصر التي لم تكتفي بإعلانها الاستقلال عن الدولة الإخمينية وإنما محاولة الزحف نحو سوريا[46]. ومساعدة الثورة فيها، فلقد عزم الفينيقيون على الثورة ضد السيطرة الإخمينية وأسباب الثورة تكمن في المعاملة السيئة التي

سار عليها الموظفون الفرس وقد بدأت الثورة في طرابلس ثم انتشرت إلى صيدا عام (351 ق.م) وعمت الثورة كل الساحل السوري وعقد الفينقيون مؤتمرهم في طرابلس أعلنوا فيه خروجهم على الأخمنيين وكانت مصر تشجع على الثورة بل الاكثر من ذلك كانت المكان الآمن الذي يستطيع أن يوفر للثوار الذهب والحبوب على غير ذلك من المساعدات، وهكذا بدأت الثورة في الحي الصيدوني في طرابلس حيث أعلن ملك صيد "ستراتون الأول"العصيان وجهز جيشاً كبيراً شاركت فيه أسبارطة بالمال والسلاح والرجال وسرعان ما انتشرت الثورة إلى مدينة صيدا نفسها في عهد ملكها الجديد "تنس"الذي طرد الحامية العسكرية الفارسية.(47)

ولكن ارتحشستا الثاني اعد حملة كبرى من بابل وسار بها إلى بلاد الشام للقضاء على الثورة التي بلغت أوجها بحيث إن تسعة مدن كنعانية قد تحررت من الحكم الفارسي والحامية الفارسية وأعلنت الاستقلال لذلك ما أن سمع الثوار بقدوم الجيش الفارسي المكون من ٠٠٠، 300 من المشاة و ٠٠٠، 300 من الفرسان فلتمسى سكان صيدا المساعدة من مصر والتي زودتهم بفرقة يونانية على رأسها قائد عسكري من رودس يعرف باسم منثور. وعندما علم ملك صيدا تنس بحجم القوات الفارسية المتوجهة ضد مدينته خاف على مركزه فسعى إلى التقرب من الملك الفارسي بأن أرسل أحد نوابه والمعروف بأسم "تساليون" ليعد ملكهم ببذل العون له في اقتحام صيدا عن طريق الخدعة فضلا عن عزمه الاشتراك في الحملة التي سيجهزها الملك الفارسي ضد مصديهم طلبا للسلم والبقاء على قيد الحياة ولكن الملك لفارس بادرهم بالحكم عليهم بالموت وقضى بذلك على أخر أمل بالتفاوض مع أهل صيدا الذين أدركوا ما سيلحق بهم على أيدي الفرس من سوء المصير.(48)

ولم يلبث ملك صيدا أن تظاهر بعزمه على التوجه إلى طرابلس مع جماعة من رجاله بحجة التشاور مع ممثلي المدن الأخرى واصطحب معه مئة من خيرة شباب المدينة وبدلا من التوجه إلى طرابلس توجه بهم إلى المعسكر الفارسي وسلمهم إلى الاعداء فعمد الفرس إلى قتلهم جميعا على اعتبار انهم من المحرضين إلى الثورة. م توجه بعد ذلك الملك الفارسي أرتحشستا الثالث إلى صيدا فخرج إليه 500 من ممثلي المدينة يحملون الأغصان بأيديهم

وفي ضوء ذلك قرر سكان صيدا الدفاع عن مدينتهم حتى الموت فأقاموا التحصينات الدفاعية بحيث إن مركز الثورة في صيدا قد قام بقطع الأشجار وإشعال النار في مخازن التبن التابعة لخيالة الفرس ثم عبئوا الجنود والسفن والأسلحة والمؤن واستعدوا للصراع وفي ساعة بأسهم أحرقوا جميع السفن في الميناء كي لا يحاول بعض المواطنين الهرب واعتصموا ببيوتهم بينما كانت النار تلتهم وتلتهم ممتلكاتهم بحيث أدت هذه المعركة حسب تقديران بعض

الباحثين إلى موت أربعين ألف مواطن أما القلائل الذين أسروا فقد نقلوا إلى بابل وقد أصدر الملك الفارسي عفواً عن القائد اليوناني الخائن منثور وأما ملك صيدا الخائن تنس فقد أمر بقتله فحاول الانتحار ولكنه جبن وأحجم عن ذلك فقتلته زوجته ثم عمدت إلى قتل نفسها فوق جثته وبعد الكارثة التي حلت بصيدا استلمت بقية المدن الكنعانية وخضعت مرة ثانية للسيطرة الإخمينية.[49] وتمكن خليفته ارتحشستا الثالث (359-338 ق. م) من استعادة فينقيا التي بدأت تسعى للتحالف مع مصر واتجهت حملته نحو ولاية مصرعام 351-350ق. م ولكن انتهت حملته بخسارة كبيرة واستطاع الفرعون (نخت حرحب) 360-343ق. م أن يقيم لنفسه تمثالا كبيراًفي العاصمة ذكر فيه أخبار انتصاراته والهزيمة التي ألحقها بالإخمنيين.

أدى انفصال مصر عن جسم الدولة الإخمينية مدة ستين عاماً، إلى إلحاق أضرار كبيرة بالاقتصاد الإخميني وبالنظر لطول مدة استقلال مصر عن الدولة الإخمينية فقد أضر كثيراً بواردات الدولة الفارسية من الحبوب حيث صمم الملك ارتحشستا الثالث في شتاء 343/342 ق. م على استعادة مصر وتمكن من احتلالها وكانت حملته على مصر بقيادة شخص يدعى باكواس Bagoas، فقد عامل ارتحشستا الثالث ولاية مصر معاملة سيئة. إذ قام بذبح الثور المقدس ((ابيس)) وأكله في وليمة أقامها الملك المذكور لأصحابه وقدم للمصريين الحمار بدلاً من ثورهم المقدس. وبذلك استطاع أن يعيد للامبراطورية الإخمينية بعضاً من هيبتها ومكانتها. [50]

ولكن مؤمرات البلاط الفارسي قد تسببت في موت هذا الملك مسموماً. والحقيقة أن فترة حكم هذا الملك يمكننا أن نصفها بصحوة الموت بالنسبة للامبراطورية الإخمينية وظهور بوادر السقوط والانهيار في عهد دارا الثالث (336-330 ق. م)[51] فبالرغم من قدرة هذا الملك فإنه لم يتمكن من إنقاذ الامبراطورية الإخمينية من الخطر الذي كان يتهددها من جراء ظهور دولة مقدونية وشخصية الإسكندر المقدوني ففي تشرين الأول من عام 331 ق. م حدثت معركة كوكميلا (قريبة من الموصل على الطريق المؤدي إلى اربيل) الفاصلة والتي آذنت بانهيار الدولة الإخمينية، ووقوع الوطن العربي تحت سيطرة الإسكندر المقدوني..[52]

فسقوط الدولة الإخمينية كان نتيجة طبيعية نظراً لوجود عوامل ضعف تنخر في جسم الدولة تدريجياً، فقد كانت الثورات المتكررة في مختلف الأقاليم والبلدان، ولا سيما بابل، ومصر، تقلق الحكومة المركزية وتشغلها كثيراً إلى درجة كانت الحملات العسكرية توجه إليها للقضاء على الثوار، يضاف إلى ذلك تردي الأوضاع الاقتصادية في الأقاليم العربية حيث كانت النفقات الكثيرة التي تنفقها الدولة على تجهيز الجيوش باهظة جداً يقابل ذلك إهمال في

مشاريع الري وتحول في طرق التجارة الذي أدى بدوره إلى قلة الموارد الزراعية والتجارية مما دفع الملوك الإخمينين إلى زيادة الضرائب المفروضة على السكان وأخيراً التعصب العنصري في تمييز الفرس عن بقايا الأقاليم العربية فلا ريب أن تقوم الثورات ضد الحكم الإخميني الذي سيطر وبسرعة فائقة على بلدان وشعوب كثيرة ذات حضارات عريقة وتقاليد ونظم ناضجة وشخصية مميزة يمتد تاريخها لآلاف السنين كبلاد الرافدين وبلاد وادي النيل وبلاد الشام، بينما لم يكن الإخمينيون أنفسهم ذو حضارة ناضجة، فشعر الملوك الإخمينيون بصعوبة السيطرة على تلك الشعوب وبدأو يركزون اهتمامهم على إيران وينظروا إلى الأقاليم الأخرى كأقاليم تابعة فحسب. فلاحظنا في صفحات هذا البحث ظهور التحركات الوطنية ذات الطابع القومي في ثورات الأقاليم العربية ورغبتها في نيل الحرية والاستقلال والتخلص من السيطرة الأجنبية.

الهوامش

(1) Olmstead, A. T. ,History of the persian Empire, Chicago ,1959.P. 16-17.

عن هجرات وأسماء هذه القبائل ينظر حلمي، كمال الدين احمد: 3500 عام من عمر إيران، ط، كويت – 1979، ص 33-21 أما بخصوص أسباب الهجرة فلا نعرف جواباً محدداً، لأن منطقة استيطانهم الأصلية تعد الآن واحدة من المناطق الخصيبة الكثيرة الخيرات كما أن تحركات هذه الأقوام، صادفت في طريقها مواطن خيرات وخصوبة ونماء مشهورة تاريخياً وهذا يضعف حجة نقص الموارد الغذائية التي يتذرع بها بعض الباحثين لتفسير هجراتهم لذلك فالراجح أن مجموعة من العوامل حركت ودفعت بهذه الأقوام للهجرة وقد يكون أحدها ظروفاً جغرافية طارئة، كان تأثيرها على الأقوام الرعوية شديداً فدفعها إلى الهجرة، ومن بين الأسباب أيضاً تعرض هذه الأقوام لضغط أقوام زحفت صوب مواطنها من ناحية الشرق وهي مجاميع القبائل البدوية ومن بين الأسباب الأخرى الجديرة بالانتباه هي مناطق الجذب الحضارية في الهند والشرق الادنى حيث تواصل الموروثات التاريخية تأكيدها على استمرار الصراع بين البداوة والحضارة، فقد كانت مراكز الحضارة القديمة تشكل على الدوام نقاط جذب قوية للأقوام البدوية بسبب خيراتها الوفيرة ومظاهر الاستقرار والحياة المزدهرة، ينظر سامي سعيد الأحمد: تاريخ الشرق الادنى القديم بالاشتراك مع الهاشمي، رضا جواد، بغداد – بدون تاريخ، ص 80-79.

(2) Stronach , D. , "Achaemenid Village At Susa and persan Migration to Fars 'Iraq, Vol. 3 , 1974 , PP. 239-248 .

(3) Olmstead:op.cit, P. 22–23.

إن تاريخ الإخميني في الفترة التي سبقت عهد كورش الثاني غامضة نسبياً وذلك لقلة النصوص والمصادر التي تتحدث عنهم، سوى ما ورد من الإشارات المتناثرة في الكتابات الملكية الآشورية مضافاً إليها ما كتبه المؤرخون اليونان عن تاريخ الفرس ونستطيع أن نحدد مصادر معلوماتنا عن تاريخ إيران القديم على نحو عام بـ 1– الكتابات المسمارية 2– الكتاب الكلاسيكين 3– التوراة 4– المدونات الايرانية 5– المدونات العربية فضلاً عن المصادر المادية. ينظر: باقر، طه، تاريخ إيران القديم بالاشتراك مع رشيد، فوزي، الهاشمي، رضا جواد، بغداد – 1980، ص25–36.

(4) حلمي: المصدر السابق، ص 35-34.

Calilan, W. , The Medes & Persians , London- 1965, P. 43.

(5) للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع ينظر: عبد العزيز سلطان الياس الخاتوني: علاقات العراق القديم ببلاد عيلام حتى سنة 639 ق. م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل –1992.

(6) الأحمد :تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص80.

للمزيد من المعلومات عن ظروف نشوء الدولة الإخمينية ينظر: محسن أحمد عبد الله الزرقي، العدوان الفارسي على العراق في العصر الإخميني، جامعة الموصل – 1998، ص44-45.

(7) Gnirshman, , R., Iran, England - 1954. P. 128; Olmstead: op.cit, P. 38-41

(8) وقد كافأهم كورش بالسماح لمن أراد العودة منهم إلى فلسطين كما سمح لهم بإعادة بناء هيكل سليمان وقد ترسخت العلاقة الفارسية اليهودية واستمرت حسنة والدليل على ذلك كثرة المديح لحكام الفرس الإخمينيين الواردة في التوراة حيث خصصت العديد من الأسفار لتذكر ما قدمه هؤلاء الملوك من خدمات جليلة لليهود. ينظر: العهد القديم: الأسفار عزراونحميا واستير عن هذا الموضوع ينظر: نزار عبد اللطيف الحديثي: العلاقات العربية الفارسية دراسة تاريخية، بغداد 1982، ص21–23 ؛ حلمي: المصدر السابق ص122-124.

(9) عن أسباب وملابسات سقوط الدولة الآشورية ينظر: رضوان صباح محمد الحيالي– سقوط نينوى 612ق. م دراسة تحليلية في الاسباب والنتائج، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2009.

(10) Ghirshmanop.cit, P. 131-133

عن تفاصيل دخول كورش لبابل واوضاعها ومشكلاتها ينظر: هديب حياري عبد الكريم غزالة: الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها، بغداد – 1989، ص189-201، الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص99 –100.

(11) ايفا شترومنغر؛ رولف ستوكي: بلاد ما بين النهرين القديمة، في كتاب حضارة وادي الرافدين سبعة الآلف سنة من الفن والحضارة، ترجمة مطر التميمي، بيت الحكمة بغداد–2010، ص54.

(12) فيليب حتي: لبنان في التاريخ،ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة، بيروت–1985ص185.

(13) الزرقي: المصدر السابق، ص32–43.

.Olmstead. Op.cit, P 49-51

(14) الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص103–104، باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص 50–51.

.Ghirshman :op.cit , P. 136-139

(15) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص52، حلمي: المصدر السابق، ص125–126.

(16) عن ظروف وملابسات تولي دارا الحكم ينظر باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص 52–53.

.Culilan: op.cit, P. 64-66

(17) الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص104؛ حلمي: المصدر السابق، ص 126 –127.

(18) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص58.

(19) محمد دندمايف: "بلاد بابل في العهد الإخميني"، في كتاب العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي ط2، بغداد – 1986، ص458.

Olmstead, Ibid , P 77-85

(20) دندماييف: المصدر السابق، ص463.

(21) دندامابيف: المصدر السابق، ص464 –469.

(22) للاستزادة في المعلومات عن الملك نبوخذنصر ينظر حياة إبراهيم محمد: نبوخذنصر الثاني 604 –562 ق. م، بغداد – 1983.

(23) باقر، المصدر السابق، ص54؛ الأحمد :تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص104 رو، جورج: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد 1984، ص546.

Macquen , G. J. , :Babylon, London-1964 , P. 218

(24) سامي سعيد الأحمد: "الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد 933-331 ق. م "في كتاب الصراع العراقي الفارسي، بغداد –1983، ص83 –84.

.Herodotes :The History translated by Harry Carter , Oxford -1962P. 225-227

(25) الأحمد: الصراع خلال الأف الأول المصدر السابق، ص84؛ رو: المصدر السابق، ص546–547

.Macqueen : op.cit, P. 218-219, Olmstead : op.cit p. 134-138

(26) الأحمد: تاريخ الشرق الادنى، ص104–105.

Macqueen: op.cit , P. 218-219

(27) بديع محمد جمعة: "العلاقات المصريه الإيرانية في عهد داريوش الكبير 522–486ق. م" مجلة الشرق الأوسط، ع 3، القاهرة –1976، ص71–72؛ سليم حسن: مصر القديمة، القاهرة – بدون، ج13، ص31.

(28) ومما تجدر إليه الإشارة أن هذه الاضطربات والثورات قد دفعت دارا إلى إجراء جملة من التنظيمات الإدارية والاقتصادية خلال الفترة الممتدة 518–514 ق. م هدف من خلاله تمكنه من السيطرة على الدولة الواسعة الأرجاء ومعروف أحمد أن النظام الإداري الذي اتبعه دارا والقائم على تقسيم الدولة إلى مقاطعات والمقاطعة الواحدة بدورها تقسم إلى وحدات إدارية أصغر والوحدات الأخيرة تقسم إلى وحدات أصغر منها هو نظام عراقي اقتبسه الفرس من بين جملة المظاهر الحضارية العراقية، عن هذا الموضوع ينظر: ابتهال عادل ابراهيم الطائي: أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية، جامعة الموصل – 1996، ص159–165.

.Culilan: op.cit, p. 70-74

(29) جمعة: المصدر السابق، ص72.

.p227-228 ،op.cit :Olmstead

(30) شهدت الامبراطورية الإخمينية على عهد دارا صداماً قوياً بينها وبين الامبراطورية اليونانية وكانت أسباب هذه الحروب تتمثل بمضايقة السفن الفارسية للسفن التجارية اليونانية من جراء احتلال قمبيز لمصر ومن جراء سيطرة دارا على مضيق البسفور والدردنيل فضلاً عن تحريض اليونان لمدن الأقاليم اليونانية والتي تتمثل بجزر الأرخبيل اليوناني وفي آسيا الصغرى بضمنها كريت وقبرص وملاطية عاصمة هذه المدن وبداية سلسلة من الحروب والتي عرفت بالحروب اليونانية – الفارسية، وعرفها هيرودتس بالحرب الليدية ينظر: عبور رشاد : المصدر السابق، ص 80 –102.

.Culilan: op.cit, P 74-97

(31) سليم: المصدر السابق، ص4-5؛ رمضان عبده علي السيد: معالم تاريخ مصر القديمة، القاهرة – 1986، ص625.

Olmstead: op.cit, p234-235.

(32) عن إصلاحات دارا في مصر؛ ينظر جمعة: ص74 – 79.

(33) جمعة: المصدر السابق، ص 88–89.

(34) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص68؛ عبد الرحمن الرافعي: تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ إلى الفتح العربي، ط1، القاهرة – 1963، ص 174؛ السيد: المصدر السابق، ص625–626.

(35) الأحمد: الصراع خلال الألف الأول المصدر السابق، ص86، باقر: المصدر السابق، ص68؛ رو: المصدر السابق، ص 547–548.

.Macquae: op.cit, P. 220; Olmstead: op.cit, p 236-237; Herodotes: op.cit, p 78

(36) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص68 ؛ الأحمد: تاريخ الشرق الادنى المصدر السابق، ص122.

(37) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص68 –69 .

(38) هناك ظاهرة تلفت الانتباه في تاريخ الدولة الإخمينية، وهي ظاهرة قتل الأخوة ويكمن السبب في ذلك أن سيطرة الدولة على أجزاء واسعة من العالم القديم قد دفعت من مكانة ملوكها كثيراً فأثارت رغبة العديد من المقربين إلى البيت الحاكم في الحصول على هذه المناصب فبدأت المؤامرات تفعل فعلها وكان من نتاجها اغتيال احشويرش الأول، واغتيال ارتحشستا الأول لجميع أخوته، واغتيال احشويرش الثاني من قبل دارا الثاني ينظر باقر: المصدر السابق، ص69–70.

(39) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص70؛ حلمي: المصدر السابق، ص 133؛ الرافعي: المصدر السابق، ص175.

(40) عبو رشاد: المصدر السابق، ص113.

(41) الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص 124.

(42) عبو و رشاد: المصدر السابق، ص113.

(43) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص70؛ السيد: المصدر السابق، ص626 – 628.

Olmstead: op.cit, p 363-364

(44) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص71؛ الرافعي: المصدر السابق، ص175، وعن السلالات التي تولت الحكم في مصر في هذه الفترة؛ ينظر السيد: المصدر السابق، ص629 ومابعدها.

.Colilan : op.cit, p. 158

(45) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص125؛ محمد بيومي مهران: المدن الفينقية تاريخ لبنان القديم، دار النهضة العربية، بيروت– 1994، ص261.

.Olmstead:op.cit, p. 373-374

(46) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، 74 ؛ السيد : المصدر السابق، ص628.

(47) باقر: تاريخ إيران المصدر السابق، ص126.

(48) مهران: المصدر السابق، ص262.

.Olmstead:op.cit., p. 432

(49) مهران: المصدر السابق، ص262–263.

(51) حلمي: المصدر السابق، ص135؛ مهران: المصدر السابق، ص263.

(52) باقر: المصدر السابق، ص74–80؛ الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى المصدر السابق، ص 126–130؛ السيد : المصدر السابق، ص646.

.Olmstead :op.cit, p 406-407

5

الفصل الخامس

سيطرة الإسكندر المقدوني (356-323 ق.م)

الأحوال العامة في الشرق الأدنى قبيل غزو الإسكندر المقدوني

دوافع الحملات العسكرية للإسكندر المقدوني

شخصية الإسكندر المقدوني

طفولته ونشأته

شخصيته وأفكاره الشخصية الانسانية

الشخصية السياسية

حروب الإسكندر المقدوني

معركة ايسوس332 ق.م

حصار صور

غزو مصر

غزو العراق ومعركة كوكميلا

نتائج المعركة:

عسكرياً

سياسيا

وصية الإسكندر المقدوني

مؤتمر بابل

الهوامش

الأحوال العامة في الشرق الأدنى قبيل غزو الإسكندر المقدوني

مر الشرق الأدنى القديم بتحول كبير في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، فامبراطورية الفرس المترامية الأطراف، التي بلغت قمة توسعها بعد قضائها على الدولة البابلية الحديثة (الكلدانية)[1] في عام 538 ق. م بلغت قمت توسعها ما بين غربي الهند وساحل البحر المتوسط شاملة بذلك كل الهلال الخصيب ومصروآسيا الصغرى وشرقي اليونان. في ظل الظروف الصعبة كان الفرس الإخمينيون يعتزمون تثبيت نفوذهم في سواحل آسيا الصغرى ويتدخلون في الشؤون الداخلية للمدن اليونانية؛ بدأ الضعف يحل بالامبراطورية الفارسية منذ أواخر القرن الخامس بسبب ضعف إمكاناتها الاقتصادية على أثر الهزائم التي لحقت بها في حروبها مع اليونانيين كما ساهم أهمال ملوكها لشؤون الرعية وأنغماسهم في الملذات من بين الأسباب المهمة التي عجلت في سقوط الامبراطورية الإخمينية[2] في الوقت الذي بدأت بها مقدونيا تتخلص من التبعية الفارسية وتكون لنفسها كيانا مستقلا.

كانت قوة دولة مقدونيا والتي تقع إلى الشمال من بلاد اليونان وجنوب شرق أوربا في شبه جزيرة البلقان ممتدة من بحر إيجة باتجاه الشمال ما بين إيبروس غربا وتراقيا شرقا[3]. والمقدونيون سكانها يتكونون من أجناس عديدة، وكانت مقدونيا معزولة عن العالم الخارجي قبل أن تنصهر في بوتقة الوحدة السياسية منذ القرن السابع قبل الميلاد إذ لم تعرف نظام دولة المدينة الذي عرفه جيرانهم الهللينيون وكانت قد اقتبست عنهم كثير من مظاهرهم الحضارية بتأثير أو عن طريق المستوطنات التي أقاموها على سواحلها وبفضل ملوكها فيما بعد الذين أخذوا ينهلون من مناهل الحضارة الهللينية منذ القرن الرابع قبل الميلاد، أما بالنسبة إلى اللغة فإنهم يتكلمون اللغة اليونانية وكانوا أقل حضارة من محيطهم، إلاّ أنهم عرفوا بخشونتهم وشدة بأسهم في القتال[4].

كانت بلاد مقدونيا قبل أن تتهيأ لها فرصة السيطرة على شعوب العالم القديم يعتمد اقتصادها على مصادر متعددة، وكان المقدونيون يخوضون لأجل ذلك الحروب الأهلية والاغتيالات. قبيل وعقب تولي الحكام عروشهم وسط حالة تكثر فيها الفتن والتهديد بالاجتياح والغزو الخارجي وذلك قبل أن يؤول الأمر إلى عائلة أرجيد والتي تربعت على عرش مقدونيا لزمن طويل ظهر خلاله أكثر من ملك، وفي تطورها السياسي لم تتجاوز الطور القبلي وظل نظامها بدائياًمع أنها كانت أوسع رقعة من أي دولة هيللنية حيث كان يستكثر اليونانيين عليهم بأن يصفوهم بأنهم شبه هيللنين.[5]

لم يكن في تاريخهم ما يثير الاهتمام إلى أن استولى على العرش سنة 360ق. م شاب من أبناء البيت المالك يُدعى فيليب الثاني أو فيليبُس لقد كان لفيليب أعمالا كثيرة على البرالأوروبي لإخضاع ممالك هيلاس المجاورة لمقدونيا فاستطاع بوقت قصير إخضاعها إلى سيطرته وبذلك استطاع تكوين قاعدة قوية انطلقت منها حملات الإسكندر المقدوني إلى الشرق بعد أن أضاف عليها الإسكندر بعض التعديلات الضرورية. لقد أراد توحيد بلاد اليونان تحت سلطة مقدونيا سياسيا وعسكريا ولكنه كان يعلم أن تحقيق هذا المشروع لا يتم إلا بطرد الفرس من سواحل آسيا الصغرى، ولكن معظم المدن اليونانية كانت ترفض فكرة الانطواء تحت سلطة فيليب المقدوني وبذل الفرس الأموال بسخاء للمدن اليونانية لتحريضهم ضد ذلك المشروع. وأخيراً كان لا بد للملك فيليب من أن يعلن الحرب على المدن اليونانية حيث قهر جيش الحلفاء المؤلف من أثينا وطيبة ووضع حامية عسكرية في طيبة ولكنه ترك أثينا من غير أن يمسها بأذى فاستطاع إخضاع تلك المدن وشكل معها حلفا مركزه في كورنثا عام 336 ق.م[6] قرر أعضائه أشتراك جميع اليونانيين في الحرب ضد الفرس بزعامة مقدونيا ما عدا أسبارطة غير أنه اغتيل عام 336 ق.م ولم يقدر أن يقود هذه الحملة فخلفه الإسكندر في الحكم في السنة نفسها.[7]

كان أكثر الملوك المقدونيين شهرة هو الإسكندر الثالث الابن الأكبر لفيليب الثاني والذي اشتهر باسم الإسكندر المقدوني أو الإسكندر الكبير عندما تولى الحكم ثارت كل المدن ضده ظانين بأنهُ لا زال صغيراً ولن يكون كأباه إلا أن الإسكندر وبسبب ذكائه ترك كل المدن الثائرة واتجه إلى أقواها وهي مدينة طيبة في جنوب اليونان وأخضعها وبالتالي خضعت كل المدن الأخرى، وفي طريقه للعودة ذاعت إشاعة بأنهُ مات فثارت طيبة والمدن مرةً أخرى فعاد الإسكندر إلى طيبة وقتل منها ثمانية آلاف وباع في سوق الرقيق ثلاثين ألفًا مما بث الرعب في قلوب الجميع وجعلهم يحسبون للإسكندر ألف حسابٍ وحساب، وبعد هذا استطاع أن يعيد مدن حلف كورنثا لسيطرته و أقام الإسكندر مؤتمر كورنثا الثاني في عام 336 ق. م والذي ينص على ما نص عليه مؤتمر كورنثا الأول في عام 338ق. م[8] وتمكن من القضاءعلى تراقيا ومقاومتها وعبر نهر الدانوب وسيطر على الثورة هناك واقتحم مدينة طيبة ودمرها عندما أعلنت رفضها لزعامته في أعقاب سماعها إشاعة موته ونودي به في اجتماع قائداً للحملة المزمع إرسالها إلى آسيا في ربيع عام 334ق.م[9]، حيث سار. إلا أن الإسكندر كان مكان أبيه في هذه المرة، وبدأ الاستعداد وأخذ يحشد القوات الجيدة والمنظمة والمدربة أحسن تدريب

والمجهزة بأفضل الأسلحة لإسقاط الامبراطورية الفارسية ونظم قوة ثانية لحماية المدينة في أثناء غيابه مع القوة المعدة للحملات وأسند قيادة هذه القوة إلى أحد قواده وهو أنتباتروس.[10]

دوافع الحملات العسكرية للإسكندر المقدوني

تتمثل أبرز أسباب الحرب التي خاضها الإسكندر ضد الفرس بما يأتي:

- رغبة الإسكندر في القضاء على الخطر الفارسي الماثل دائماً في البر وعلى خطوط مصالح بلاده في البحر. حيث كانت الامبراطورية الإخمينية تسيطر على أحد طرفي الطريق التجاري المهم والذي يربط غربي آسيا بالبحر المتوسط في حين كانت بلاد اليونان تسيطر على طرفه الثاني.[11]
- الانتقام من الدولة الفارسية التي احتلت بلاده: حيث يضع المؤرخون الهللينيون وتبعهم المؤرخون والباحثون الغربيون عملية الأخذ بالثأر والانتقام في مقدمة أسباب غزو الإسكندر وهي فكرة نشأ عليها بتأثير معلمه أرسطو. وهي فكرة لا تختلف عن رأي غيره من فلاسفة زمانه"أن البرابرة جميعاً أعداء بالسليقة وأنه من اللائق أن يشن الهللينيون الحرب عليهم، ولو أدى الأمر إلى استرقاقهم أو إبادتهم"[12].
- يذهب بعض الباحثين إلى أن دوافع هذه الحملات سببها البحث عن المجد والشهرة والمغامرة حيث تظافرت عوامل مولده وفطرته وتنشئته وكانت وراء ذلك.[13]
- أراد معالجة التناقضات التي واجهت النظم السياسية الهللينية والتي لم يكن بالوسع إيجاد حل لها داخل بلاده إلا بقلب النظام القائم رأساً على عقب ولم يكن الزمان يساعده على ذلك ولذا لم يعد هناك سبيل للتخفيف من حدة التناقضات أو تجاوزها إلى المواجهة الخارجية، تحمل الحرب إلى الخارج والسلم إلى الداخل.[14]
- المحافظة على تحالف المدن اليونانية تحت حكمه وتوحيدها ضد عدوها الخارجي.
- رغبته في احتلال الشرق وبناء امبراطورية ينشر فيها افكاره التي أخذها عن معلمه أرسطو.
- إعجابه بمؤسس الامبراطورية الفارسية الإخمينية (كورش).[15]
- تؤكد الأبحاث والدراسات الحديثة والتي أستندت في آرائها على نتائج غزو الإسكندر للشرق، أن المبررات ذات صلة أوعلاقة بما كانت تعانيه بلاد الهللينيين من نقص في الغذاء والذي أشتدت وطأته في القرن الرابع قبل الميلاد. إذ إن حركة الاستعمار لسواحل

شرقي المتوسط والبحر الأسود والثورة الاقتصادية التي أعقبتها لم تكونا بكافيتين لتوفير الغذاء بصفة دائمة، وبفتح الامبراطورية الفارسية ستتوفر آفاق جديدة أمام المستعمرين الهلليينيين الجدد.(16)

ولقد اطلق على الفترة الزمنية الممتدة من وفاة الإسكندر عام 323 ق. م حتى قيام الامبراطورية الرومانية على يد أوغسطس في عام30 ق. م العصر الهللنستي وهي بطبيعة الحال تسمية إصطلاحية وهي الفترة التي امتزجت بها الحضارة الغربية متمثلة بمقدونيا واليونان مع الحضارة الشرقية متمثلة بدول آسيا آنذاك بعد استيلاء الإسكندر عليها إذ تداخلت العادات والتقاليد الغربية بالعادات والتقاليد الشرقية لتخرج لنا في نهاية الأمر عصراً تشاركت فيه هذه العادات والتقاليد مع بعضها بعضاً وقد سمي بهذا الاسم تمييزاً له عن الفترة الإغريقية وهي الهللينية الصحيحة وعلى أساس أن الحضارة الجديدة منتسبة إلى هذه الحضارة أو متأثرة بها. ويختلف المؤرخون في تحديد معنى لفظ هللنستي وإن كان الجميع يتفقون على أن الهللنستية عنوان مناسب للدلالة على حضارة القرون الثلاثة السابقة للميلاد التي كانت فيها الثقافة الإغريقية تسود، إضافة إلى بلاد اليونان بلاد الحضارات القديمة مصر وفارس والرافدين وآسيا الصغرى وسورية وفلسطين.(17)

شخصية الإسكندر المقدوني

تعد شخصية الإسكندر الأكبر من الشخصيات الكبرى في تاريخ البشرية ولها من الأثر في مجريات أحداث التاريخ ما جعلها تحتل هذه المكانة. ومن الطبيعي أن تحوم حول الكتابة عنه الأساطير التي كانت جزء من طبيعة ذلك العصر قبل الميلاد ومن الطبيعي أيضا أن نجد اختلاف في الآراء حول شخصيته و سلوكه، ذلك لأن الأغلب الأعم من الأفراد يكتبون من زواياهم الشخصية، فمن يكون مقربا منه سيراه من منظور يختلف عمن يكون بعيداً عنه أو معاديا له؛ وفي هذا تضيع الحقيقة بين نزعات الإنسان التي نادرا ما تحتكم إلى الموضوعية.

وعلى ضوء ما تقدم سندرس حياة الإسكندر المقدوني في جانبين مهمين أولهما: طفولته ونشأته و ثانيهما: شخصيته و أفكاره.

طفولته ونشأته

الإسكندر الأكبر هو الإسكندر الثالث وكان اسمه باليونانية الكسندروس وعرفه العرب بالإسكندر المقدوني، ولد في بيلا (أوبلة) عاصمة مقدونيا الجديدة في خريف 356 ق.م، أمه اسمها اوليمبياس Olympias وأبوه اسمه فيليب الثاني الذي تولى ملك مقدونيا 356 ق. م،

وله أخ غير شقيق اسمه فيليب ارهيديوس ويقال أنه أبله. صادفت ولادة الإسكندر انتصار لوالده فيليب على الالليريين كما صادفت انتصار لخيل لوالده فيليب في سباق الأولبياد آنذاك، ومن الأشياء التي تذكر عن الإسكندر أنهُ حين كان في الثانية عشر من عمره قال عن حروب والده "إذا ظل أبي يفتح البلاد، فلن يتبقى لي بلاد أفتحها"، وفي الثالثة عشر من عمره قابل وفد من بلاد فارس وظل يحكي معهم عن جغرافية آسيا الصغرى ومداخلها ومخارجها الأمر الذي استغرب منه كل الحاضرين نظرًا لصغر سنه وإلى أنهُ لم يزر آسيا الصغرى بعدا، وكان اليونان يعدون أباه وقومه من أعاجم أوروبا لانهم لا يتكلمون اللغة اليونانية بل لغة قريبة منها. و قد عمل الإسكندر بعد ذلك خلفا لأبيه على نشر اللغة والثقافة اليونانية في أرجاء مقدونيا(18).

و قد عني أباه به منذ طفولته فأحضر له ليسيماخوس وارسطو طاليس لتربيته تربية جسمية قوية صحيحة وبث فيه كل منهم روحه وحببه في الأخذ بمبادئه. وكان ليونداس من أنصار التربية الأسبارطية، فشب الإسكندر على حب الألعاب الرياضية والتي كانت تدفعه إلى اقتحام الحروب كأحد أفراد الفرسان، وقد ظهرت فروسيته وشجاعته على نحو واضح منذ نعومة أظفاره. و قام بتعليمه الأدب ليسمخوس حيث لقنه الأليادة فسرى ذلك في نفسه وتشبه به في جميع أطواره. وعندما كبر قليلا استلم تعليمه الفيلسوف اليوناني المعروف أرسطو طاليس وقضى معه ثلاث سنوات حاول أرسطو فيها أن يعلمه التغلب على نزوات النفس والاعتدال في السلوك وتغليب العقل على العاطفة وكان له الأثر الكبير في تهذيبه وتثقيفه وتعليمه كيف يسوس الأمم ويحكم الشعوب(19)، كما اجتهد أرسطو في تنمية الثقافة الأدبية والذوق الفني للإسكندر، فدرسه الإلياذة للشاعر اليوناني هوميروس، ويذكر أن الإسكندر كان يحتفظ بنسخة منها عليها شروح أرسطو وكان يربطه بهذه الإلياذة ادعاء والدته أنها تنتسب إلى أخيل ولذلك كان يضعها تحت وسادته ويقراها بين الحين والآخر، حتى قال الإسكندر عنه "إن أبي هو الذي وهبني الحياة ولكن أرسطو هو الذي علمني كيف أحيا"، ومن الأشياء التي كانت تدل على نبوغ الإسكندر مع معلمه أن ارسطو سأل الطلاب ومن بينهم الإسكندر ماذا يفعلون إذا صادفوا أمرًا ما فبدأ كل واحد منهم يجيب حسب خياله إلا الإسكندر الذي قال "لا ادري" فحين أواجه ذلك الموقف ساعرف!، وحين بلغ سن السادسة عشر جعله والده فيليب على عرش المملكة في فترة غيابه في حملة ضد إقليم بيزنتيوم "بيزنطة" فحدثت ثورة في فترة غيابه إلا أن الإسكندر ذهب إليها واخمدها، وفي سن الثامنة عشر شارك مع والده في معركة خيرونيا التي تحدثنا عنها مسبقًا في عام 338ق. م، وفي عامه التاسع عشر خرج مع والدته حين نفاها فيليب إلى مملكة أخيها في إبيروس، اعتلى الإسكندر عرش مقدونيا 336 ق. م

وعمره انذاك عشرين سنة ومما يذكر عن الإسكندر المقدوني أنهُ كان يتجنب الأطعمة الدسمة وقد رد أكبر الطهاة في عصره وكان يقول "إن مشيًا خفيفًا في الليل كافي إلى أن يقوي شهيتي للفطور، وإن فطورًا خفيفًا في الصباح كافي إلى أن يقوي شهيتي للغداء"، كما كان معتدلاً في الشراب أيضًا إلا في آخر أيامه التي ازداد فيها شربهُ للخمر، كما كان وسيم الشكل ذا عينين زرقاوين وشعر أصفر. وبعد انتصاره و قضائه على الامبراطورية الفارسية، تزوج من استاتيرا ابنة الملك الفارسي دارا الثالث في حفل اقامه 327 ق. م، كما تزوج من روكسانا التي انجبت ابنه الوحيد الإسكندر الرابع وكانت حاملا فيه عندما توفي الإسكندر 323 ق. م و قد توفي الإسكندر في بابل وهناك اختلاف حول تاريخ وفاته فهناك من يقول أنه توفي في 13 يونيو 323 ق. م و رأي آخر 11 يونيو 323 ق. م[20].

شخصيته وافكاره

الشخصية الإنسانية

تعلم من معلمه أرسطو حسن المعاشرة والالتحام بالآخرين ومحاربة الظلم ومناصرة الضعيف والصبر والحلم لأنه ورث عن أمه القلق والتهور رغم أنه ورث عنها الحنان والمحبة وقد غلب على شخصيته التأثر الديني فقد كان يسعى لتطبيق تعاليم الدين و كان شديد الميل للمخاطرة واكتشاف المجهول، وكان يجيد الألعاب الرياضية من عداء سريع وفروسية ومبارزة، ويذكر أنه استطاع ترويض الحصان الهائج بوسيفالوس وأصبح رفيق انتصاراته المتعاقبة. على حين أنه كان معتدلا في طعامه وشرابه نجده سريع الانفعال وشديد التحمس للدرس شغوفا بالقراءة.

الشخصية السياسية

مما زرعه أرسطو في تلميذه الإسكندر التحمس الشديد للوحدة وهو ما رفع رصيد انتصاراته شيئا فشيئا لتوحيد حضارتي الشرق والغرب، فكان جنديا باسلا توصل إلى انتصاراته بالجلد والعناد وعدم المبالاة بالعقبات. كما تأثر من أبيه في مواجهة الأمور بحزم لتذليل العقبات ومعالجة الأمور بدهاء ورؤية واقعية، وهذا ما صنع من الإسكندر سياسيا ماهرا وإداريا حازما وقائدا نابغاً، يحسن معاملة الناس ويكسب ودهم ويفي بالعهود التي يقطعها على نفسه ولم يسمح لموظفيه أو قواده بظلم رعياه واستبدادهم وتأثره الديني ظهر في رغبته في المزج بين الدين والسياسة مستندا إلى أن الدين دعامة السياسة ومؤازر لها. ونرى

من خلال استعراض أهم النقاط عن الإسكندر الأكبر، أن شخصيته السياسية كانت امتداد لشخصيته الإنسانية التي كانت بدورها ثمرة طفولته والظروف التي أحاطت به في نشأته. [21]

حروب الإسكندر المقدوني.

كان الإسكندر المقدوني قد أنهى خلال حياته القصيرة التي عاشها ما بين (356-323ق.م) الحكم الفارسي لمنطقة غرب آسيا ومصر وأسس إمبراطورية ضمت المناطق السابقة إضافة إلى بعض أصقاع الهند الشمالية وبعد موته احتدم صراع عنيف بين قادته استمر حتى عام 302ق. م وانجلى عن سيطرة القائد سلوقس (356-280ق.م)[22] على آسيا الغربية (سورية الشمالية وآسيا الصغرى والرافدين والهضبة الإيرانية) وعن سيطرة القائد بطليموس (367-283ق. م).[23] على مصر وقورينائية (برقة)[24] وبعض جزر البحر الإيجي إضافة إلى فلسطين وعن سيطرة القائد أنتيغونوس (306-301 ق.م)[25] على بلاد اليونان.

معركة ايسوس 333 ق. م

جهز الإسكندر جيشا متوسط العدد تراوح ما بين 32000 من المشاة و 500 من الخيالة ويساعده أسطول مؤلف من 160 سفينة كان أكثرهم من سفن الحلفاء. وسار على رأس جيشه عام 334 ق. م والتقى دارا الثالث بجيشه الذي كان يتكون من خليط من مختلف الشعوب والطوائف، وكان يفوق جيش الإسكندر بثلاث مرات حيث يبلغ عدد قواته ب 400 الف مقاتل، فضلا عن ذلك كان الفرس يملكون سيادة البحر وكان أسطولهم تحت أمرة بحار يوناني متمرس يدعى ممنون الرودوسي وكان لهم في البحر المتوسط وبحر إيجة قواعد بحرية فضلا عن استخدام المال لرشوة عدد من رجال الإسكندر ومنافسيه السياسيين ومن هؤلاء ديموستين ألدا أعداء الإسكندر المقدوني. وقبيل مغادرة البلد زار الإسكندر طروادة للتبرك بضريح أخيل الذي كان يزعم أنه جد من أجداده وأدى الطقوس الدينية الواجبة عليه من أجل تحقيق النصر. عَبر الإسكندر بجيشه مضيق الدردنيل[26]. إلى آسيا الصغرى لقد كانت مغادرة الإسكندر لأوروبا مخاطرة كبيرة وإن كانت دول المدن اليونانية قد أخضعها لسيطرته. ففي أوائل شهر نوفمبر من عام 333ق. م التقت جيوش الإسكندر المقدوني بالملك (دارا) داريوس الثالث (335-331 ق. م) آخر الملوك الإخمنيين عند إيسوس في منطقة كيليكيا شمال سورية التي تعرف اليوم بمنطقة أضنة في آسيا الصغرى على خليج الإسكندرونة الواقعة على طريق ممرات جبال الأمانوس والتي تشكل سداً حاجزاً بين سوريا ومدن الساحل الفينيقي فكانت الخطة التي رسمها الإسكندر تقوم على الاستيلاء على ساحل بلاد الشام وعلى مدينة

صور تحديداً فيتخذها قاعدة يبدأ منها حملاته البحرية ولم يكن اختياره أيسوس إلا لأهميتها فلم يكن سهل أيسوس يتسع لقوات الجيوش الفارسية وكان ذلك يتفق مع خطة الإسكندر الحربية في أن يدع دارا يعتقد أن جيش الإسكندر الصغير الذي قدم من أوروبا يفر أمامه إلى سوريا وكان إلى الأقرب والمعقول أن يستفيد الإسكندر من المعلومات التي نقلها إليه الفرس الذين فروا من جيش دارا وأن يحمل الملك دارا على مواجهته في سهل أيسوس فيكون البحر من أمامه وممرات الجبال الضيقة من ورائه ولم يجازف الإسكندر بهذه الخطوة إلا بعد أن أمن جانب آسيا الصغرى وأنفق شهوراً في إخضاع كيليكيا ثم بادر بالزحف نحو الجنوب لمواجهة قوات دارا[27]. على الرغم من النصيحة التي قدمها أحد المقدونيين الخارجين على سلطة الإسكندر والذي كان قد التجأ إلى بلاط الإخميني فقد حذر الملك دارا من عدم التورط في قتال مع الإسكندر في الممرات الجبلية الضيقة ونصحه بأن يترقب نزول الجيش المقدوني في أرض يستطيع فيها جيوش الفرس أن تطوق قوات الإسكندر إلا أن الملك دارا لم يستمع إلى هذه النصيحة فقد نصب خيامه وبدأ بمهاجمة الإسكندر الذي قام باختراق سوريا عن طريق ممرات كيليكيا قبل أن يداهمه الملك وبعد عبور الإسكندر مضيق الدردنيل لم يواجه مقاومة قوية رغم محاولة الجيش الفارسي الذي خسر 200 ألف مقاتل ولم يخسر الجيش اليوناني إلا 115 رجل، جدير بالذكر أن الأسطول البحري للإسكندر كان ضعيفاً بالمقارنة مع أسطول الفرس وقد صمم الإسكندر على أن يتجنب أي اشتباك بحري مخالفاً بذلك رأي بعض ضباطه وأراد أن يربط خططه البرية مع خططه البحرية في حين كان الأسطول الفارسي تحت أمرته كل السفن الفينقية والسفن القبرصية وكان تحت إمرتهم قائد المرتزقة الإغريق في جيش دارا أراد ممنون أن يتراجع وأن يخرب البلاد ويهاجم الجزر اليونانية وثغور بلاد اليونان نفسها من أجل إشعال ثورة قد تضطر الإسكندر إلى التخلي عما كان يدبره من حروب في آسيا الصغرى لكن كان من حسن حظ الإسكندر أن يمضي في حملته على بلاد كيليكيا براً مخترقاً بفلاجوانيا وكبادوكيا ولكن الحكام من الفرس الذين كانوا يطمعون في حماية ولاياتهم أجبروا ممنون على مواجهة الإسكندر على نهر جرانيكوس[28]. لكن كان يدور في ذهن الإسكندر عدم المجازفة بأي معركة بحرية محفوفة بالمخاطر تعترض طريقه لهذا اكتفى بأن يحاصر ملطيا والتي وقعت تحت سيطرته آخر الأمر وبالرغم من التفاوت العددي بين قوات الطرفين المتحاربين إلا أن قوات دارا الثالث كانت منظمة تنظيماً متميزاً، إلا أن العبقرية العسكرية للإسكندر المقدوني استطاعت أن تلحق هزيمة كبيرة بقوات الملك الفارسي الذي فر إلى قلب آسيا، بينما هرب رجال جيشه جميعاً باستثناء فرقة المرتزقة من الإغريق.[29] فقد ذكر المؤرخ اليوناني

ديودورس[30] ومن بعده المؤرخ اليهودي يوسيفوس[31] إن جميع سكان آسيا كانوا موقنين أن الجيش المقدوني لن يجرؤ على مقابلة الجيش الفارسي بسبب تفوق الفرس في العدد، ولكن استطاع الإسكندر بجيشه الأقل عددا أن يهزم جيش الفرس الأكثر عددا في مضيق ضيق بالقرب من ايسوس في عام 333ق. م، فقد ثبت في هذه المعركة أن النصر كان حليف المتفوق في الدهاء والعبقرية الحربية، عندما رأى ملك الفرس الذي كان يراقب سير المعركة من على عربة فخمة تجرها أربعة خيول، إن جيشه خسر المعركة ففر هاربا نحو الشرق هو ومن تبقى حوله من جنود تاركا حريمه في المؤخرة.[32]

ويرجح تحول الخطة التي يمكنه ان يلجأ إليها، وهي الخطة التي يذكرها أريان (اريانوس)[33]، على لسان الإسكندر نفسه ولكن من المؤكد أن شهرة مصر كمصدر ومخزن مهم للحبوب كان له التأثير الكبير في توجيه خطة الإسكندر هذه الوجهة إذ يمكن استخدامها كقاعدة لتموين المدن اليونانية من ناحية وتكوين جيوشه الغازية شرقاً من ناحية أخرى.[34]

نتائج معركة ايسوس:

كانت لهذه المعركة أهمية حاسمة بالنسبة إلى الأغريق إذ كان من نتائجها أن خضعت مدن ساحلية كثيرة من مدن آسيا الصغرى، كما كانت المعركة انتصاراً كبيراً لم يكلف الإسكندر إلا القليل. وكانت حاسمة بالنسبة إلى الفرس الإخمنيين حيث كانت بداية النهاية بالنسبة لهم كما أنها دلت على أنه لم يعد لأي ملك فارسي الأمل في أن يحيل أوروبا إقليما آسيوياً وعلى أثر هذه المعركة فر الملك الفارسي إلى قلب آسيا تاركا معسكره وأهل بيته، بينما هرب رجال جيشه جميعاً باستثناء فرقة المرتزقة من الإغريق وقد عوملت نساء الملك معاملة جيدة وتزوج الإسكندر من إحدى بنات دارا. وبعد هذه الواقعة أمر الإسكندر بناء مدينة تحمل اسمه تقع على أبعد منعطف في شرقي البحر وسمّاها الإسكندرونة وتخليداً لهذا الانتصار لا تزال تحمل اسم القائد اليوناني. وأصبحت بلاد الشام كلها مفتوحة أمام الإسكندر ولم يتابع الإسكندر عدوه، فقد رأى الإسكندر أنه من الحكمة أن يؤمن المواصلات البحرية والبرية فعدل عن متابعة الجيش المنهزم وتابع زحفه جنوبا، فقد نظم إدارة عسكرية في كيليكيا، وأرسل كتيبة من الفرسان بقيادة قائده بارمينيو فشقت طريقها في وادي العاصي باتجاه دمشق حيث كانت دمشق. مقر الفرس في سوريا، أما الإسكندر فقد تابع تقدمه على طول الشريط الساحلي لإخضاع المدن الفينيقية.[35]

عندما عبر الإسكندر الأكبر مضيق الدردنيل بدأ عصر جديد لليونانيين الآسيويين، فإلى

ذلك العهد كانت المدن اليونانية في آسيا الصغرى مجرد مجتمعات تجارية، ورغم الجهود المتقطعة للاتحاد ظلت كل منها مستقلة عن الأخرى بل وفي تنافس فيما بينها تحاول كل منها تدمير الأخرى سعيا وراء المنفعة الأنانية وظلت هذه المستعمرات محصورة في المناطق الساحلية وفي وديان الأنهار المفتوحة للغرب. وكان الإسكندر الأكبر هو أول من فكر في إنشاء امبراطورية يونانية في آسيا الصغرى ونفذ ذلك فعلا، ومع ذلك استمر التنافس بين المدن رغم أنها جميعها أصبحت أعضاء في امبراطورية واحدة لها رسالة واحدة، وهو ما أثار فيما بعد سخرية الرومان. وفي تلك الفترة بدأ نشر الحضارة الهيللنية في المناطق الداخلية في آسيا الصغرى، فقد كان هم خلفاء الإسكندر من الأتاليديين والسلوقيين أن يوطدوا دعائم الحكم اليوناني على كل الأجناس والقوميات، وأهم شيء أن يرتفعوا بهم إلى مستوى الحضارة والثقافة اليونانيتين، وقد نجحت هذه الجهود جزئيا ولفترة محدودة، ولكن هذا النجاح وما تلاه من جهود الرومان أيضا، كان له أثر بالغ في انتشار المسيحية في القرن الأول.

بعد انتصار الإسكندر الحاسم على الملك الفارسي دارا الثالث في معركة إيسوس لم يتابع عدوه إلى الشرق حيث إن الخطة التي كانت قد اختمرت في ذهن الإسكندر هي عدم اختراق الجبال والتوجه نحو بلاد آشور، وإنما اتجه إلى الجنوب حيث كانت وجهته إلى سوريا وفلسطين ومصر وتحديداً الساحل الفينيقي.

وجدت المدن الفينيقية نفسها أمام خيار صعب، فقد كانت راغبة في التخلص من السيطرة الأجنبية من جهة وكان مصير صيدا عندما قاومت الآشوريين ماثل أمام عينيها من جهة أخرى، فكانت تلك المدن تخشى أن تعلن انتقالها إلى جانب الإسكندر الذي يروه غازيا لا يعرفون عنه إلا القليل تبدو فرصة نجاحه غير مؤكدة، والذي زاد من صعوبة الأمور أن قرار التسليم أو المقاومة من قبل تلك المدن كان سيتخذ في غياب ملوك أكثر المدن أهمية حيث ذهب ملوك أرواد وجبيل وصور مع الأسطول الفارسي بسفنهم إلى بحر إيجة فقد كانوا مجبرين على الانضمام إلى التعبئة العامة للأسطول الفارسي في الشام وكان ذلك في عام 332 ق. م وانتقم الفاتح بإحراق المدينة وأعمل السيف في أهلها فلم يسلم منهم إلاّ القليل.

واستسلمت أرواد حيث كانت أول مدينة فينيقية تعلن ولاءها للإسكندر وتبعها في ذلك مدن طرابلس والبترون وجبيل (بيبلوس) وصيدون (صيدا) التي أرسلت رسلها للترحيب بالإسكندر ودعته إلى الدخول فيها وفتحت أبواب المدينة لجيشه ودانت له بالطاعة وعلى أثر ذلك عزل الإسكندر ستراتون الثني ملك صيدا الذي كان مواليا للفرس وعين خلفه أحد أقربائه

وهو (عبدو لونيم) الذي كان يعمل بستانياً في القصر الملكي وأعاد الإسكندر لمدينة صيدا ممتلكاتها ودستورها كما استسلمت أيضا بيريت [بيروت] من غير قتال.[36] وهكذا استسلمت جميع المدن الفينقية ما عدا صور، فحصارها كان أصعب مشاريع الإسكندر الحربية.

حصار صور

كانت صور محصنة طبيعيا، وهي مدينة بحرية مبنية على جزيرة طولها ميلان وتبعد عن الشاطيء مسافة نصف ميل وكان يحيط بها سور ارتفاعه 150 قدما إلى جهة البر. وكان التيار في المضيق البحرى شديدا خطرا لاسيما عندما كانت تهب ريح الجنوب، وكان لديها سور منيع، ولديها أساطيل بحرية في البحر المتوسط كانت نواة الأسطول الفارسي وكانت صور تعتمد على هذه المراكب في دفاعها، فضلا عن هذا كانت تأمل في العون العسكري من جيرانها في الشمال، وقد تعهدت قرطاجة بالمزيد من مساعداتها ولكن هذه الوعود التي تلقاها أهل صور بالمساعدة تلاشت رويدا ولم تسفر عن شيء ملموس.

فقرر الإسكندر أن يلقن الصوريين درسا قاسيا على عدم تسليمهم المدينة وأراد أن يجعل من صور عبرة لمن يحاول أن يقاومه، فشرع بردم البحر لإنشاء طريق يربط بين المدينة البرية والبحرية ولا نعرف في التاريخ سابقة لعمل مثل هذا، أما الحجارة لردم البحر فكانت من ركام البيوت التي هدمها في صور البرية وأما الأخشاب فكان يقتطعها من غابات لبنان، وكان بناء هذا السد بطيئا يتقدم نحو الجزيرة قيراطا بقيراط وكان يقسم فوق رؤوس العمال ستائر من جلود ليقيهم شر النبال والحجارة التي كان يقذفهم بها حراس الأسوار في صور البحرية، ولم تقتصر مقاومة الصوريين البحريين على استعمال القوس والمقلاع ولم يكتفوا بإرسال الغواصين لعرقلة البناء في السد، وإنما انشأوا مواكب نار صغيرة محملة بالزفت والكبريت ومواد أخرى شديدة الاشتعال لقذفها على العمال وعلى أدوات البناء الخشبية، وأخيرا حينما علم الصوريين أن الإسكندر نجح في الاستعانة بثمانين مركبا حربيا جاء بها من صيدا وجبيل وارواد، جمعوا النساء والأولاد والعجزة الذين لا يرجى منهم خيرا في الأعمال الحربية وأرسلوهم إلى قرطاجة، أما الإسكندر فترك الحصار يأخذ مجراه وقاد بنفسه حملة كثيرة المخاطر لتأديب القبائل العربية في لبنان الشرقي.

وقد قاوم الصوريون الإسكندر مقاومة عنيفة وأخيراً تم له الاستيلاء على الجزيرة بعد حصار دام سبعة أشهر.[37] وتأخره هذا كان نابعا من رغبته في عدم التقدم أية خطوة قبل أن يؤمن خطوط مواصلاته وينظم عملياته العسكرية، وكان ذلك في عام 332 ق. م وانتقم الفاتح

بإحراق المدينة وأعمل السيف في أهلها فلم يسلم منهم إلاّ القليل. ومنذ ذلك الوقت فقد الفنيقيون كنعانيوا الشمال في سوريا استقلالهم في بلادهم ورضخوا لحكام البلاد الذين حكموها بعد الإسكندر. أماصور التي كانت تريد أنْ تحذوَ حذْوَها، فقد ثارت مع ذلك عندما شاء الإسكندر دخولَ المدينة ليقدِّم قربانًا في معبد ملقارت (إله صور)؛ إذ كان من شأن هذا الطقس الديني أن يشرع سيطرتّه على المدينة فعلاً التي حملت وحدها لواء المقاومة وساعدها في ذلك قوة وحصانة أسوارها كما كان ملكها حليفاً للفرس فأحكم الإسكندر الحصار عليها زهاء سبعة أشهر وقد عاونه في هذا الحصار أهل صيدا واشتركوا مع المدن الفينقية الشمالية في تزويده بثمانين سفينة لتطويق صور من جهة البحر.[38] كانت صور تتوقع المساعدة من المدن الفينقية الشمالية غير أن هذه المدن بدل ذلك وضعت سفنها تحت تصرف الإسكندر المقدوني. بدأ القتال في كانون الثاني سنة 332 ق. م، وتحصنت صورُ في جزيرتها وحصارها كان أصعب مشاريع الإسكندر الحربية كلها لأنها كانت قسمين: صور البرية وصور الجزيرة التي تبعد عن الشاطيء حوالي 700 م، وبعد أن خضعت له الأولى وصل الجزيرة بالبر وهدم مباني الأولى وألقى أنقاضها في البحر. عندئذٍ استدعى الإسكندر أساطيلَ المدن المفتوحة، فجاءت سفنُها البالغ عددها قرابة 225 من أرواد وبيبلوس وصيدون وكيليكية ورودِس [رودوس] وقبرص. واستسلم المحاصَرون تحت وطأة الهجوم في آب سنة 332 ق. م بعد مقاومة باسلة، وسقط آلافُ السكان صرعى في المعركة الأخيرة وبيع الكثير من الرجال والنساء والأطفال في أسواق النخاسة. ويؤشر سقوط صور (جزيرة أمراء البحر) بعد صمودها لمدة سبعة أشهر إلى أنه أكبر عمل عسكري وهندسي قام به الإسكندر وعلى أثره أصبحت جميع المدن الفينقية تحت سيادة الإسكندر المقدوني، قام طابور يوناني بزيارة قلمون سورية (سهل البقاع أو "حفرة سورية"، كما سماه القدماء) ومضى قُدُمًا حتى بلغ دمشق، حيث استولى على أمتعة الملك الفارسي دارا.[39]

وبعد أن اطمأن الإسكندر على فرض سيطرته على المدن الفينقية الساحلية لبلاد الشام تابع سيرَه نحو مصرلكي يحكم سيطرته على ما تبقى من الأراضي التي لم تخضع لسيطرته، سار الفاتح بعد ذلك نحو أورشليم ففتحت له المدينة المقدسة أبوابها ورحب اليهود من سكانها الذين ساعدهم الفرس على العودة من بابل بمقدمه ترحيباً بالغاً واستولى عليها في تشرين الأول. وقد قدم كاهنُ اليهود الأكبر في أورشليم الولاءَ له أما أهل أورشليم فقد رحبوا بقدوم الإسكندر حيث فتحوا أبواب المدينة له وقدموا له مافيها من كنوز فتقبل منهم الهدايا ووعدهم بإصلاح وبناء هياكلهم التي دمرها الفرس الإخمنيون ومنها توجه إلى غزة وسيطر عليها.

كانت غزة فيما مضى إحدى المدن المشهورة التي احتلها الفلسطينيون وعندما هاجمها الإسكندر كانت مركزا تجاريا مرموق لأنها كانت شبه مستودع للبضائع الثمينة المستوردة من شبه الجزيرة العربية (البخور والتوابل)، وفي أثناء حصار صور قدم الملك الفارسي دارا الثالث عرضا مغريا للإسكندر فعرض عليه أن يتنازل له عن كل غربي الفرات (بلاد الشام بأكملها) وأن يعطيه فوق ذلك مالا كثيرا ويزوجه ابنته، ولكن الإسكندر رفض هذا العرض، واستكمل إخضاع الساحل الجنوبي، وتخلل ذلك حصار غزة التي صمدت لمدة شهرين. فامتنعت عليه فحاصرها وقاومت البلدة بقيادة "باتيس" من أشهر قواد الفرس مستعيناً بجيوش عربية من الأنباط مقاومة عنيفة اضطرت الإسكندر إلى نصب آلات القتال والحصار، إلاّ أن العرب هاجموا المقدونيين الذين كانوا متحصنين في مراكز القيادة وراء تلك الآلات، وقد اضطر المقدونيون إلى مغادرة مواضعهم هذه إلى أماكن جديدة وكادوا يهزمون هزيمة منكرة لو لم يأت الإسكندر إليهم بمساعدات قوية في الوقت المناسب، وقد أُصيب الإسكندر بجراح وإن كانت طفيفة إلاّ أنها شديدة الألم ظلت تؤلمه زمناً غير قصير. وأخيراً وبعد حصار شهرين أظهر فيها الغزيون بطولة لا تقل عن بطولة الصوريين اخترق المقدونيون حصار البلدة ودخلوها وعامل الإسكندر أهلها كما عامل أهل صور، فأعمل فيهم السيف ومن سلم منهم باعه بيع الرقيق، وقطع الحامية إرباً إرباً، وأما القائد "باتيس" فقد عوقب بطريقة يعجز القلم عن وصفها وذلك بأن ثقب عقبا قدميه وأدخلوا بالثقبين حبلاً وربطوه بمركبة جرته في أنحاء المدينة إلى أن فاضت روحه.

وقد وجد الإسكندر كنوزاً عظيمة من ذهب وحلي ومجوهرات في غزة، كما عثر على مقادير كبيرة من اللبان والمر والبخور والصموغ والتوابل لأن المدينة كانت المستودع الرئيس على البحر الأبيض المتوسط لمنتجات الجزيرة العربية وغيرها. وبعدها استسلمت وبيع أهلها بيع العبيد، وبعد الانتهاء منها تابع الإسكندر حملاته ووصل إلى مصر ودخلها من غير قتال.

غزو مصر

وبسقوط غزة تم للإسكندر فتح بلاد الشام، ثم قدم الإسكندر إلى مصر ودخلها من غير عناء، فقد كان السبب المباشر في توجه الإسكندر إلى مصر حيث لم يكن باستطاعته التوجه إلى آسيا ويترك وراءه منطقة واسعة النطاق تحت سيادة النفوذ الفارسي ذلك لأن بلاد فارس كانت صاحبة السيادة المطلقة على كل شواطئ البحر المتوسط لوجود قواتها على طول الساحل الفينيقي ومصر واحتلاله قبرص ووقوع صور في قبضته فضلاً عن ذلك فإن

الأراضي والجزر كانت تشكل موردا تستمد منه بلاد فارس المرتزقة والبحارة والرقيق فضلا عن السفن فكان القضاء على نفوذ فارس في حوض البحر المتوسط قضاء مبرما أمراً ضرورياً لأسباب حربية وتجارية : فقد سرح الإسكندر أسطوله البحري مؤقتا إلا أنه أدرك القيمة البحرية فقد تمكن من أن يغزو البحر عن طريق البر فبغزوه الساحل السوري براً كان عملا قد يؤدي بالنسبة إليه على الأقل أن يحقق له التفوق البحري فاستولى على الثغور الفينيقية وعلى سفنهم التي كانت تعمل في خدمت الفرس وتخلت عنه وانضمت تحت لواء الإسكندر وبعثت قبرص له مئة سفينة أما صور فقد كانت من أكبر الغنائم التي حصل عليها الإسكندر فأصبح الطريق سالكاً إلى مصر.[40] حيث استُقبِلَ كمحرِّرٍ من الاحتلال الفارسي واستقبله المصريون بالترحاب استقبال البطل المنقذ خاصة وأن المصريين كانوا قد ألفوا الإغريق كأصدقاء كثيراً وساعدوهم في ثوراتهم ضد الفرس[41] كما كان وجودهم كتجار في نقراطيس[42] مصدر كسب كبير للمزارعين المصريين ومن أكبر عوامل تنشيط التجارة الخارجية لمصر.[43]

على أية حال وصل الإسكندر بلوزيوم (الفرما) في خريف عام 323ق. م ومنها اتجه جنوبا على امتداد الفرع البلوزي للنيل حتى وصل ممفيس،[44] وهناك سلمه البلاد مازاكس الوالي الفارسي على مصر، كان الإسكندر سياسيا ذكيا بقدر ما كان قائداً عسكرياً ماهراً فسعى إلى كسب ود الناس فزار معبد الإله بتاح[45] وقدم له القرابين، ويقال أن الإسكندر نصب فرعوناً حسب التقاليد الدينية المصرية. بعد ذلك أقام مهرجاناً موسيقياً رياضياً حسب التقاليد اليونانية، اشترك فيه عدد من أشهر الفنانيين والممثلين في بلاد الإغريق ولا شك أن هذا المهرجان يخدم غرضين في وقت واحد. أولهما أنه يعد ترقية لجنوده الذين كانوا بأشد الحاجة إليه بعد استمرار النقلة وتوالي الحروب وثانيهما يعد بمثابة عرض أمام المصريين لجانب من الحضارة اليونانية التي خرج بها الإسكندر يبشر بها ويقدمها إلى الشرق.[46] بعد ذلك اتجه مع جماعة من رجاله إلى الشمال الغرب ومن هناك استأنف المسير في الصحراء ليصل بعد عشرين يوما في زيارة إلى معبد الآله امون حيث احتفي في واحة سِيْوَه بشعائر كبير آلهة مصر حيث يشعرون بالحاجة إلى النصح المقدس، وكانت شهرة امون سيوة بين الإغريق أضعاف شهرته بين المصريين. لدرجة أن الإغريق قرنوا بينه وبين كبير الآلهة عندهم زيوس صار اسم معبود سيوة زيوس امون ولم يكن هو أول من يغزو مصر ليكون هدفه زيارة معبد امون في واحه سيوة فقد عرض الملك الفارس قمبيز حياته للضياع في البيداء حدث هذا قبل قرنين من الفتح المقدوني. أما الإسكندر كان رب أرباب المصريين امون أكثر تأثيراً في

الواحات يذهب إلى طيبة الاقصر المركز الروحي لعبادة آمون، كان يستطيع وهو في منف أن يذهب إلى طيبة بدلا من اختراق الصحراء، وكان الآلهة المصرية لا ترضى بتتويج شخص مصري ليكون ملكاً على المصريين فأبادهم الإله آمون شعبية هيراقليس وبرسيوس سبب الزيارة والاله آمون في واحة سيوة لم يكن له شأن يذكر في العهد المتأخر من تاريخ مصر، إلى أن جاء الملك أوكوريس وأعاد من جديد عبادة هذا الإله، وأعطاه طابعا مصريا بعد أن توطدت العلاقات بين مصر واليونان. ولما كان هذا المعبد يقع في الطريق إلى مستعمرة قورينة[47]، وهي برقة حاليا، وتقع على الساحل الإفريقي قبالة بلاد اليونان فقد أصبح بمضي الزمن إلاه من آلهة الإغريق. ومن هنا اكتسب المعبد أهميته من موقعه، فصار قبلة الملوك والشعراء من الإغريق وغيرهم ومن المؤكد أن الإسكندر سمع منذ الصغر عن الأسطورة الشعبية للبطلين هيراقليس وبرسيوس وقد اكتسب كل منهما صفة الشجاعة، لأنهما كان يذهبان إلى آمون سيوة يطلبان منه النصح قبل أن يقدما على أعمالها الخارقة. ويقول كلثنيس مؤرخ الإسكندر أن ذكرى هذين البطلين كانت أحد الأسباب القوية التي حملت الإسكندري على أن يقدم على هذه الرحلة تأسيا بقصة البطلين الإغريقيين، ولكي يتخذ من وحي آمون قوة دافعة إلى الاستمرار في حملته العسكرية نحو الشرق، حيث ادّعى انه يمثّله، وتلبّس في الحال الرموزَ الفرعونية، ومنها قرنا الإلهة حاثور (ومن هنا اسمُه العربي: "ذو القرنين"، ملك المشرقين). ثم اتخذوا الفرع الكانوبي من النيل حتى الساحل، ثم تتبعوا الساحل غرباً حتى وصلوا قرية تعرف باسم راقوده تواجهها في البحر جزيرة تعرف باسم فاروس كما تقع إلى الجنوب منها بحيرة ماريا(أومريوط). وهناك قرر تأسيس مدينة حديثة سمّاها (الإسكندرية) نسبة إليه وأمر بأن تتخذ عاصمة لمصر، وما زالت هذه المدينة تعد إلى اليوم من أهم مدن العالم وموانئه.[48]

رجع الإسكندر إلى منفيس، وقبل مغادرته مصر حرص على أن ينظم مصر تنظيماً دقيقاً. فقد حرص على الإبقاء على النظم المصرية القديمة، وتنوزيع الحكم بين المصريين والإغريق الذين وضع بين أيديهم السلطة العسكرية والمالية، وأبقى للمصريين السلطة الإدارية. لقد وزع السلطات بالتساوي، لذا لم يعين حاكماً عاماً مقدونياً، وبذلك ضمن رضى المصريين وعدم قيام الثورات الوطنية لقد أبقى مصر كولاية، كما أبقى على منفيس، العاصمة المصرية، كعاصمة على الولاية، وحرص على عدم تغيير تقسيمها الإداري حيث قسمت إلى قسمين رئيسين شمالي وجنوبي (أي الوجه البحري والقبلي) وعهد بإدارة كل قسم إلى موظف مصري. أما الحدود الشرقية والغربية فقد أنشأ بهما مقاطعتين جديدتين (العربية وليبيا). حرص الإسكندر على فتح أبواب مصر للمهاجرين الإغريق خاصة المقدونيين، لأن مصر كما تخيلها الإسكندر

كانت ولاية مقدونية إغريقية حكماً وفكراً وثقافة، وكان ذلك نقطة تحول في تاريخ مصر، إذ دخلت طوراً جديداً من أطوار حضارتها المتنوعة، خاصة بعد تأسيس أسرة البطالمة التي حققت إلى حد كبير ذلك الحلم قبل أن يغادر الإسكندر مصر، استعرض قواته للوداع وأقام للشعب المصري والإغريقي مهرجاناً رياضياً وثقافياً كرمز للتعاون بين الحضارتين العريقتين، كما أوصى موظفيه في مصر بالقيام ببعض الإصلاحات للمعابد وتجديد معبد الكرنك. فنظرة سريعة إلى هذا لنظام تكشف لنا نقصا ظاهرا فيه وهو عدم وجود منصب حاكم عام للبلاد وإنما وزعت السلطة بين المشرفين على الإدارة والشؤون العسكرية والمالية وكان المؤرخ أريان أول من لاحظ هذه الحقيقة وفسرها بأن الإسكندر عمل ذلك ليمنع أي حاكم من السيطرة وإعلان استقلاله بمصر. لقد كانت الفترة التي قضاها الإسكندر في مصر قصيرة لم تتعد ستة شهور (من خريف عام 332ق. م إلى ربيع عام 331 ق. م) لكنها كانت عامرة بالإصلاحات والأحداث التي حولت مصر إلى فلك الحضارة الإغريقية في البحر المتوسط. كان يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى ليرى ثمار ما غرس، لكن القدر لم يحقق له هذا الرجاء، إذ عاد إلى مصر محمولاً على عربة، محنطاً في تابوت لتكون الإسكندرية هي مثواه الأخير.(49)



امبراطورية الإسكندر المقدوني
نقلاً عن مفيد رائف العابد

غزو العراق ومعركة كوكميلا

وبعد أن استتب الأمر للإسكندر في مصر ارتحل منها وعاد إلى بلاد الشام فمر بها وأصبحت تحت سيادته. فبعد التسلط الإخميني الفارسي على مناطق الشرق الأدنى القديم، ظهرت قوة جديدة قادمة من شمال بلاد اليونان لتقضي على آخر ملوك الفرس دارا الثالث (336-330 ق. م) وخسارة الجيوش الإخمينية في معركة كوكميلا[50] او اربيلا Gaugamela [51] على يد الإسكندر المقدوني، من المعارك الفاصلة في التاريخ. وقد كان من نتائجها دخول الحضارة الهلينية إلى الشرق وتمازجها مع حضارته وبالتالي ولادة الحضارة الهللينستية.

عندما وصل الإسكندر كان الملك الفارسي داريوس الثالث بانتظاره، في سهل فسيح يسمى تل كومل أو كوكميلا قرب أربيلا (50 كلم غرب - جنوب(وكان داريوس قد وصل قبل الإسكندر إلى المكان وعمل على تمهيده وإزالة العوائق والأشجار وكل ما يعيق سير العربات المنجلية التي أحضرها لمعركته، وكان ذلك في مطلع تشرين الأول العام 331. م كما تتفق. معظم المصادر.

قدّرت المصادر القوات المشتركة في معركة كوكميلا كما يأتي:

الفرس:

- حوالي 100 ألف من المشاة (مع النساء والأطفال وعناصر التموين وغيرهم وأفراد الأسرة الملكية) وبينهم 10 الاف من المرتزقة اليونانيين.

35 ألفاً من الفرسان (من مختلف أنحاء الإمبراطورية)، و 200 عربة منجلية.

15 فيل قتال هندي.

يجدر الإشارة إلى أن هناك اختلافاً حول هذه الأرقام بين عدد من المؤرخين والمصادر التي أرّخت لهذه المعركة، ما يظهر مبالغة في تقدير عدد قوى الفرس.

الإغريق:

- 40 ألفاً من المشاة.
- 7500 فارس وخيال.

بذل الفرس جهوداً مضنية بعد معركة أيسوس 333 ق. م لإعادة بناء جيش يتمكّن من الصمود بوجه جيش محترف تقوده عبقرية فذّة، وعلى الرغم من تحقيقها بعض النجاح في

هذا المجال، إلا أن القيادة العسكرية لم تستطع ثني الملك داريوس الثالث عن قيادة الجيش في ساحة القتال. كانت فرقة الفرسان أفضل وحدات الجيش، وقد أُعيد تسليحها بالرماح القصيرة بدلاً من الطويلة لإعطائها مزيداً من حرية الحركة عند صدامها مع المشاة. واجهت القيادة الفارسية مشكلة نقص في عديد المشاة، فالمرتزقة الإغريق الذين كانت تعتمد عليهم سابقاً، أصبح من المتعذر شراء خدماتهم بعد سيطرة الإسكندر على معظم بلاد الإغريق وسوريا وآسيا الصغرى. ولذلك كانت القيادة العسكرية الفارسية ترى ضرورة تحاشي الاشتباك في معركة فاصلة، ومحاولة استخدام الفرسان ومهاراتهم لإنهاك الإسكندر في معارك جانبية، ولكن بسبب إصرار الملك على أن كرامته وهيبته الملكية لا تحتملان الكرّ والفرّ، وتستلزم الالتحام بصورة رسمية، ولما كانت قوى الفرسان وحدها لا تستطيع حسم المعركة، رأت القيادة ضرورة إحياء سلاح فارسي قديم، هو سلاح العربات المنجلية (عربة ضيقة من الخشب المصفّح تتسع لسائق ورامٍ ويجرها حصان سريع أو أكثر، وقد ثبت على محور إطارها من الجانبين أنصال جارحة وبارزة)، لتدعم بها المشاة من خلال تأثيرها في تشتيت جبهة الخصم المتراصة، وحصد المشاة المعادية بمناجلها.[52]

كانت الكتيبة هي التشكيل العسكري المعروف في بلاد اليونان خصوصاً أثينا وأسبارطة، وهي تتألف من ثلاثة عناصر:

- البسيليت، هي مشاة خفيفة مؤلفة من الفقراء والمرتزقة، أي من نوع الخفاف، مهمتها: استطلاع العدو، نصب الكمائن، احتلال المرتفعات ومشاغلة العدو، وسلاحها المقلاع والقوس والرمح.
- الهوبليت، مشاة الصدم، يصطفّون بالمرافق على ثمانية، عشر أو إثني عشر صفاً بالعمق وأحياناً أكثر، سلاحهم الرمح الطويل والحربة والدرع ويلبسون الخوذة.
- الخيّالة، كانت الخيّالة اليونانية قليلة العدد، تركز أحياناً على الجوانب، وتعمل أحياناً أخرى على فصم جبهة العدو، واقتحامها. هذه التشكيلة اليونانية كانت مسلحة بأسلحة الهوبليت.

كان تشكيل الكتائب اليونانية قليل الطواعية، وكانت هذه الكتائب شديدة الإعورار على الجوانب، لا تنسجم دائماً مع طبيعة الأرض وليس لديها قوات استثمار.

أدخل الملك فيليبوس والد الإسكندر تحسينات على هذه التشكيلة، فقسمها إلى وحدات صغيرة من الرماحين لينة وسهلة العريكة، وقادرة على المناورة في الأراضي المختلفة وحماية

مؤخرتها وجوانبها. ولما كانت مقدونيا بلاد تربية الخيول، فقد عزّز فيليب جيشه بكتائب من الفرسان المدربين.

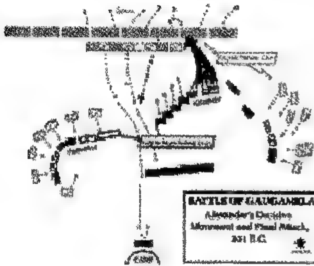
- الخيّالة الثقلية، شديدة التدريع ومجهّزة للصدم: فارس مدرّع وحصان مدرّع جزئياً ويحمل الفارس رمحاً طويلاً ويعتمر خوذة ويحمل ترساً.

- الخيّالة الخفيفة، فرسان يحملون الرمح ويقلبونه بمهارة، وكانت مهمة الخيّالة حماية الجوانب وملاحقة العدو. ورث الإسكندر هذا الجيش عن والده، وعمل على تحسينه فأضاف إلى قواته فرقة البلتاست وتستعمل لاستثمار النصر، وهي مشاة منقولة على ظهور الجياد وتحارب على أقدامها بحماية الخيّالة التي تقلّها، وبهذا تجمع بين خفة البسيليت ومناعة الهوبليت. كذلك أنشأ الإسكندر فرقة من نخبة خيالته دعاها ' الفرسان الرفاق "وجهّزها بأفضل الأسلحة وأفضل الخيول. وكذلك فعل بالنسبة إلى فرقة حرسه من نخبة المشاة. اهتم الإسكندر بتدريب جيشه، وكان يشرف على ذلك بنفسه، وجمع حوله هيئة أركان من قادة فرقه وبعض العلماء الجغرافيين، كما أنه أحاط جيشه في أثناء تقدّمه بعناصر حيطة (طليعة – حماية جوانب ومؤخرة[53] تمركز القوى المتحاربة قبل ابتداء المعركة:

- قوات الفرس: وضع داريوس مشاته في خط طويل يؤلف القلب والجناحين، وحشد خيالته في الأمام وسترها بـ 200 عربة منجلية على الجناحين والوسط، وبقيت الفيلة خلفها، وجعل مقره في وسط القلب) الخط الخلفي).

- قوات الإسكندر: وضع الإسكندر المشاة في القلب والفرسان على الأجنحة، وجعل مقرّه مع حرسه الخاص في أقصى اليمين، وجعل فرقة الخيّالة (الرفقاء) تحت إمرة بارمنيون خلف يساره، وستر الخيّالة بمشاة خفيفة وكلّفهم مهمة اقتناص راكبي العربات الفارسية بنبالهم، كما وضع خلف جناحيه أرتالاً من الخيّالة والمشاة متجهة نحو نصف اليمين، ونصف اليسار لمقاومة أية حركة شق أو إحاطة يمكن أن يقوم بها الخصم، وإذا لم يقم العدو بذلك، تتقدم هذه الأرتال إلى الأمام مستديرة إلى الداخل لتعزيز القوى التي تقوم بالهجوم كما جعل مركز التموين في الخلف تحرسه كتيبة مشاة.

تقدّم الإسكندر بجيشه واسترجع اجنحته إلى الخلف بزاوية 45 درجة، لإغراء خيّالة الفرس للمباشرة بالهجوم، وتابع التقدّم ببطء مع انحراف نحو اليمين، تردّد داريوس في بادئ الأمر في إطلاق الهجوم، لأنه لا يريد أن يكون أول من يهاجم بعد أن رأى ما حدث في معركة إيسوس ضد هكذا تشكيلة قتالية، ولكنه في النهاية أُجبر على بدء الهجوم



خريطة توضح: سير معركة كوكميلا

أطلق عرباته المنجلية، وقد تمّ اعتراض بعضها من قبل رماة النبال، ولكنها عندما وصلت إلى الخط الأمامي لجبهة الجيش المقدوني تنحّى الخط الأول جانباً وجعلها تدخل إلى الخط الثاني الذي تلقّفها برماحه الطويلة التي فتكت بالجياد فلم تستطع الجري من خلال كثافةالرماح والأسنّة، وبذلك دخلت هذه العربات في «مصيدة الفئران»، وعندما توقفت أمام الخط الخلفي كان بوسع الرماحين قتل ركابها على مهل.

تقدّم الإسكندر في هذا الوقت نحو جناح الفرس الأيسر، الذي تقدّم لصدّ هجوم الإسكندر، واستطاع الإسكندر أن يصمد، ولما تتابع تدفّق هجوم خيّالة الجناح الأيسر الفارسي لتطويق الجناح الأيمن المقدوني، حدثت ثغرة في وسط جاهزية داريوس نتيجة تدفّق المشاة الفرس لدعم ميسرتهم، استغل الإسكندر هذه الثغرة، فاندفع مع خيّالته النخبة وحرسه ومن تمكّن من جمعه، وشكّل إسفيناً ضخماً رأسه باتجاه وسط الفرس وداريوس، الذي بدأ يتراجع. في هذا الوقت كانت ميمنة الفرس تخوض معركة ناجحة ضد ميسرة الإسكندر وتكاد تطوّقها، وكاد قائد الميسرة بارمنيون يهلك، فأرسل يطلب المساعدة من الإسكندر.

في هذه اللحظة الحرجة من المعركة والحاسمة، وبدلاً من أن يعزّز داريوس ميمنته، سحب بعض القوى لحمايته، وبدلاً من أن يطوّق فرسان ميمنة الفرس ميسرة الإسكندر، تابعوا تقدّمهم إلى مراكز التموين المقدونية في الخلف وسلبوها، ولكنهم في أثناء عودتهم اصطدموا بالإسكندر الذي قدم لنجدة ميسرته فوقعت بين الطرفين مواجهة عنيفة، فقَدَ الإسكندر فيها العشرات من نخبة فرسانه.

في هذا الوقت تردّد أن داريوس ترك أرض المعركة فلحق به الكثير من قواته، ولكن الإسكندر عمل على مطاردته حتى الليل. وبذلك حقّق الإسكندر انتصاره على داريوس الثالث الذي فرّ إلى اربيلا ومنها إلى داخل البلاد الفارسية وتحديدا بلاد مادي لأنه اعتقد أن الإسكندر سيتخذ الطريق أثر المعركة إلى بابل والسوس لأن طريق بلاد مادي صعب ووعر وبدأ يجمع جيشه لمتابعة القتال.[54]

نتائج المعركة

عسكرياً

- انتهت المعركة بانتصار الإسكندر عسكرياً على داراالثالث وهي معركة فاصلة في التاريخ، غيّرت تاريخ المنطقة والعالم، في ذلك الوقت.
- قدّرت خسائر الإسكندر بحوالى 1500 – 2000 قتيل وجريح.
- قدّرت خسائر الفرس بحوالى 50 ألف قتيل وجريح (حسب أرقام المصادر الإغريقية[55].

سياسياً

من أهم نتائج المعركة أنها كانت النهاية الحقيقية لامبراطورية الفرس اتجه بعدها الإسكندر إلى الجنوب من كَوكميلا إلى أربيل ثم عبر الزاب الأسفل[56] وبعدها نهر ديالي[57] باتجاه بابل فدخلها من غير قتال، حيث تعد المقر الرئيس لحكومة الفرس، لجعلها عاصمته، كان الإسكندر قد جذبه بريق الحضارة الشرقية وولعه بماضي بابل فأراد أن يجعل منها عاصمته في الشرق وراح يحلم بربط بطولاته الملحمية بأبطال بلاد الرافدين إذ دخل الإسكندر مدينة بابل،[58] وقد رحب كهنتها ومن كان فيها من موظفين فرس بالإسكندر واستقبلوه بالهدايا، واعتبره الفرس ملكهم الجديد، ولم ينقض وقت طويل ما بين شتاء السنة نفسها وأوائل السنة التالية 330ق. م حتى كان الإسكندر قد اكتسح كل المناطق الفارسية الممتدة من سوسه المقر الصيفي للملوك وعاصمة عيلام القديمة وبرسيبوليس،[59] فأمر بإحراقها، وحاول الملك داريوس إعادة تنظيم قواه وبعث القوة في أنصاره لمتابعة الحرب وفي تلك الأثناء اغتيل داريوس الثالث وهو في معسكره، وانتهت معه سلالة الملوك الأخمنيين التي اعتبر الإسكندر نفسه وريثها الشرعي على الامبراطورية، واصل الإسكندر زحفه إلى أن وصل إلى بلاد ما وراء النهر[60]. وهكذا زال الخطر الفارسي نهائياً عن بلاد اليونان.

- أصبح الإسكندر ملكاً على بلاد شاسعة تمتد من الهند حتى نهر الدانوب في أوروبا ومصر في إفريقيا.
- عمل الإسكندر على التقرّب من الشعوب التي احتل بلادها وأقرّ حكاماً وطنيين على الولايات التي كانت تشكّلها الامبراطورية الفارسية السابقة، إنما تحت رقابة مساعدين إغريق.
- بنى الكثير من المدن، والطرقات وعمل على تمازج الحضارتين الإغريقية (الهللينية) والحضارة الشرقية بما عُرف في ما بعد بالحضارة الهللينستية.[61]

فعاد إلى بابل وأخذ ينظم دولته العظيمة فيها لكنه لم يتمتع بنشوة انتصاراته التي حققها إذ أصيب بعد مدة قصيرة من وصوله إلى بابل بمرض عضال لم يمهله وأدى إلى مصرعه متأثراً بإصابته بحمى الملاريا[62]، حيث قضت على حياته في الثالث عشر من حزيران عام 323 ق. م وهو في قصر نبوخذنصر الثاني[63]. وكان عمره يقل عن 33 سنة بأربعة أشهر[64].

كان الموت المفاجىء للإسكندر من غير أن يخلفه وريث مدرب على حكم الملكة مشكلة كبيرة عصفت بمملكته المترامية ولم يكن فرد من عائلته قادراً على خلافته، فابنه الوحيد ولد بعد وفاته، وكان شقيقه فيليب متخلفاً عقلياً فاختلف قواده على مصير امبراطوريته فوقعت بينهم حروب ومنازعات عظيمة. عندها انقسم قادة الأطراف، على الرغم من أن الإسكندر عندما كان يحتضر اوصى رجال مملكته وقواده عندما سألوه عن الذي سيخلفه فأجاب قائلا: "إلى أعظمكم قوة".[65]

وصية الإسكندر المقدوني

في أثناء عودته من إحدى المعارك التي حقق فيها انتصاراً كبيراً، وحين وصوله إلى مملكته، اعتلّت صحة الإسكندر المقدوني ولزم الفراش شهوراً عديدة، وحين حضرت المنية الملك الذي ملك مشارق الأرض ومغاربها. وانشبت أظفارها، أدرك حينها الإسكندر أن انتصاراته وجيشه الجرار وسيفه البتار وجميع مامِلك سوف تذهب أدراج الرياح ولن تبقى معه أكثر مما بقت، حينها جمع حاشيته وأقرب المقربين إليه، ودعا قائد جيشه المحبب إلى قلبه، وقال له:

- إني سوف أغادر هذه الدنيا قريباً ولي ثلاث أمنيات أرجوك أن تحققها لي من غير أي تقصير.
- فاقترب منه القائد وعيناه مغرورقتان بالدموع وانحنى ليسمع وصية سيده الأخيرة.

- قال الملك:

وصيتي الأولى: أن لا يحمل نعشي عند الدفن إلا أطبائي ولا أحد غير أطبائي.

والوصية الثانية: أن ينثر على طريقي من مكان موتي حتى المقبرة قطع الذهب والفضة وأحجاري الكريمة التي جمعتها طيلة حياتي.

والوصية الأخيرة: حين ترفعوني على النعش أخرجوا يداي من الكفن وابقوها معلقتان للخارج وهما مفتوحتان.

- حين فرغ الملك من وصيته قام القائد بتقبيل يديه وضمهما إلى صدره، ثم قال: ستكون وصاياك قيد التنفيذ ومن غير أي إخلال، إنما هلا أخبرني سيدي عن المغزى من وراء هذه الأمنيات الثلاث!

- أخذ الملك نفساً عميقاً وأجاب: أريد أن أعطي العالم درساً لم أفقهه إلا الآن، أما بخصوص الوصية الأولى، فأردت أن يعرف الناس أن الموت إذا حضر لم ينفع في رده حتى الأطباء الذين نهرع إليهم إذا أصابنا أي مكروه، وأن الصحة والعمر ثروة لايمنحهما أحد من البشر.

وأما الوصية الثانية، حتى يعلم الناس أن كل وقت قضيناه في جمع المال ليس إلا هباء منثوراً، وأننا لن نأخذ معنا حتى فتات الذهب.

وأما الوصية الثالثة، ليعلم الناس أننا قدمنا إلى هذه الدنيا فارغي الأيدي وسنخرج منها فارغي الأيدي كذلك.

- كان من آخر كلمات الملك قبل موته: أمر بأن لا يبنى أي نصب تذكاري على قبره بل طلب أن يكون قبره عادياً، فقط أن تظهر يداه للخارج حتى إذا مر بقبره أحد يرى كيف أن الذي ملك المشرق والمغرب، خرج من الدنيا خالي اليدين.[66] بدا على أثرها صراع القادة على السلطة، ومنهم برديكاس[67] وكراتوس[68] وسلوقس، وبطليموس، وحاول كل واحد منهم الانسلاخ عن المملكة والاستقلال بمقاطعته، فكان ذلك الوقت صعبا على بلاد الرافدين، إذ حل في البلاد الدمار والخراب وشهدت على أثرها البلاد الويلات والنهب وخربت القصور.[69]

مؤتمر بابل

توفي الإسكندر عام 323 ق. م في بابل متأثراً بإصابته بالملاريا، ولم يكن فرد من عائلته قادراً على خلافته، فابنه الوحيد ولد بعد وفاته، وكان شقيقه فيليب متخلفاً عقلياً ولم يترك وراءه وصية فاختلف قواده على مصير امبراطوريته فوقعت بينهم حروب ومنازعات عظيمة.

عندما انقسم قادة الإسكندر العسكريون الذين يُعرفون تاريخياً باسم "الخلفاء "Diadochi، واتفق كبار القواد على أن تقسم الامبراطورية بين الأخ الغير شقيق للإسكندر وهو أريديوس وبين ابنه الذي ولد بعد وفاته وسُمي باسمه الاسكندر، واتفقوا على أن يصبح هنالك وصي على ذلك أي على العرش المقدوني وعينوا له القائد برديكاس، كما اتفقوا أيضاً على أن يقتسموا أي القواد الامبراطورية كولاة لأصحاب العرش المقدوني، وكان تقسيمهم على النحو الآتي مقدونيا واليونان تحت حكم القائد أنيتاباتروس، وآسيا الصغرى تحت حكم انتجونس، وتراقيا تحت حكم لوسيماخوس، ومصر تحت حكم بطلميوس، وتبقى بابل تحت حكم الوصي على العرش المقدوني برديكاس، وقد كان برديكاس حين توليه الوصاية على أخ وابن الإسكندر لم يكن بحقيقة الأمر إلا خليفة خلف الإسكندر بالحكم نظراً لعدم تعقل أريديوس وصغر سن الإسكندر الصغير، كما أن توجهات هؤلاء القادة كانت مختلفة فمنهم من كان يؤمن بفكرة الإسكندر بتوحيد العالم من غربه إلى شرقه وجعل الشعوب والقبائل شعباً وقبيلةً واحدة مثل برديكاس وأنتجونس، ومنهم من كانت له مطامع خاصة بأن يستقل بأحد الولايات ويؤسس بها دولة خاصة به كبطلميوس وسلوقس.

وقتلوا ابنه وكل أقربائه الذين كان يمكن أن يطالبوا بوراثته، وكذلك المقربون إليه، ثم تفرغوا لمحاربة بعضهم بعضاً في صراعات منهمكة عرفت باسم (حروب الخلفاء)، بهدف اقتسام الامبراطورية الهلنستية. توزعت امبراطورية الإسكندر الاكبر بين قادته عقب وفاته في المؤتمر الذي عقدوه في مدينة بابل وبمقتضى هذا التوزيع آلت ولاية مصر إلى القائد بطليموس بن لاغوس. لكن سرعان ما اشتعلت الحرب بين خلفاء الإسكندر الذين كان كل واحد منهم يتطلع إلى الاستقلال بولاياته وفي مقدمتهم بطليموس وكان النصر حليف بطليموس وعلى أثر ذلك عقد مؤتمر جديد في مدينة تريباراديسوس بسورية لإعادة توزيع ولايات الامبراطورية وتعيين وصي جديد وانتهى المؤتمرون إلى تكليف أنتيباتروس بمهمة الوصاية على أن يكون مركز الامبراطورية بابل وتعيين أنطخوس قائداً عاماً للجيش الملكي مع احتفاظه بولايته في آسيا.[70]

أدت هذه الأوضاع إلى عدم الاستقرار في معظم أقاليم المملكة المقدونية فقدأنهكت قواها نظرا للجهود المستمرة من قبل خلفاء الإسكندر من أجل السيطرة على بلاد اليونان الأوربية وفي سبيل الوقوف بوجه البرابرة الشماليين فوضعية القوات العسكرية المنهكة كانت لا تسمح بخوض معارك متصلة تدور رحاها في جبهتين في وقت واحد بالشرق والغرب[71]، إذ كانت أوضاع بلاد اليونان نفسها سيئة للغاية إثر وفاة الإسكندر حيث تعرضت البلاد إلى هجمات

متواصلة من قبل الغزاة البرابرة الغاليين[72] وحدثت على أثرها نزاعات بين القادة مما أدى إلى حدوث معارك بين الورثة من القادة المقدونيين، ولم يستقر الوضع حتى عام 311 ق. م[73] لكن سرعان ما اشتعلت الحرب بين خلفاء الإسكندر الذين كان كل واحد منهم يتطلع إلى الاستقلال بولاياته وفي مقدمتهم بطليموس وكان النصر حليف بطليموس وعلى أثر ذلك عقد مؤتمر جديد في مدينة تريباراديسوس بسورية لإعادة توزيع ولايات الإمبراطورية وتعيين وصي جديد وانتهى المؤتمرون إلى تكليف أنتيباتروس بمهمة الوصاية على أن يكون مركز الامبراطورية بابل و تعيين انتيغونوس قائداً عاماً للجيش الملكي مع احتفاظه بولايته في آسيا.

كان أول عمل أراد برديكاس عمله في بابل هو نقل جثمان الإسكندر إلى مقدونيا الدولة الأم ودفنه هناك، وفي الوقت الذي كانت تسير فيه القافلة متجهة إلى مقدونيا وحينما وصلت إلى سوريا قام بطلميوس بمساعدة أعوانه بخطف التابوت ونقله إلى مصر، وقد كان هذا الشيء هو الشيء الثاني الذي فعله بطلميوس للإنباء باستقلاليته بمصر، وبعد خطف بطلميوس للجثة دفنها ببادئ الأمر في مدينة ممفيسومن ثم نقلها إلى الإسكندرية، وقد كان بطلميوس يهدُف من وراء ذلك إلى جعل مصر تكسب أهميةً عالمية بوجود جثة الإسكندر فيها وقد كانت هذه الأعمال كفيلة بأن تكون واضحة لبرديكاس والجميع بأن بطلميوس يريد الاستقلال، ولأن جميع القادة الآخرين كانوا يحلمون بنفس حلم بطلميوس بالاستقلال فقد اجتمعوا واتفقوا على محاربة برديكاس والإطاحة به، وما أن علم برديكاس بما اتفق عليه الولاة حتى أراد محاربتهم والإطاحة بهم، وبالفعل قام بتقسيم جيشه إلى قسمين أحدهم متجه لآسيا الصغرى بقيادة يومنيس لمحاربة أنتجونس، وقسم متجه إلى مصر بقيادته هو لمحاربة بطلميوس، ولكنه يعجز عن عبور نهر النيل فيقتله أحد قواده وهو سلوقس، وبهذا تنتهي هذه الحملة بالفشل وبمقتل برديكاس في عام 321 ق. م، وبعد ذلك اجتمع القادة مرة أخرى وقرروا الآتي، إبقاء بطلميوس والياً كما هو على مصر، ولوسيماخوس على تراقيا، وأنتجونس والياً على آسيا الصغرى، أما أنيتاباتورس والذي كان والياً على مقدونيا واليونان فقد عُين وصياً على العرش المقدوني، وبهذا قام أنيتاباتروس بنقل الأخ والابن والزوجة إليه في مقدونيا بدل بابل، وكما جرت العادة زمن برديكاس فأنيتاباتروس اصبح في حقيقة الأمر هو الخليفة للإسكندر.

أقام سلوقس في بابل، وأمر بتاسيس عاصمته الجديدة التي أسماها سلوقية[74] نسبة إلى مؤسسها سلوقين الأول ومن المرجح أنها اقيمت على أنقاض المدينة البابلية القديمة (اوبس) التي تعرف بقاياها اليوم بـ (تل عمر)، على الضفة الغربية لنهر دجلة، إذ امتدت

حدودها من الهند إلى حدود مصر ومن البحر الأسود إلى الخليج العربي، وفقدت بابل مكانتها وهيبتها[75] بعد أن انتقل إلى العاصمة الجديدة كثير من سكان بابل، وتهافت الناس إلى العاصمة الجديدة من كل حدب وصوب، حتى صارت مركزا تجاريا مهماً لتجار البر والبحر. كما أمر سلوقس الأول ببناء المدارس وجلب علماء اليونان وفلاسفتهم، لينشروا العلوم والفلسفة.[76]

تميز الحكم السلوقي في بلاد الرافدين وبلاد الشرق الأدنى القديم ببناء مدن جديدة يقابله تضاؤل المدن القديمة ونهاية عدد منها، على الرغم من أن عدداً من المدن القديمة حافظ على كيانه بسبب وقوعه على طريق المواصلات التجارية، كما هو الحال في كالح[77] الآشورية وماري[78] وغيرها، وهناك مدن اضمحلت مثل

(اور)[79] بسبب تغير مجرى نهر الفرات، أما بابل، فوجهت ضربة قاسية لهذه المدينة العريقة ذات المكانة الحضارية،[80] وشهدت بلاد الرافدين في أثناء الاحتلال السلوقي في المجالات العلمية انتعاشا ولا سيما في مجال الفلك والرياضيات والفلسفة.[81]

بقي سلوقس الأول في مدينة سلوقية إلى عام 300 ق. م، ثم انتقل بعدها إلى شمال سورية إذ قام ببناء مدينة جديدة له على نهر العاصي أطلق عليها انطيوخس على اسم أبيه ثم سميت فيما بعد أنطاكيا[82] وفي أثناء عودته من إحدى حروبه في آسيا الصغرى اغتاله أحد أبناء بطليموس، عام 281 ق.م وعلى أثرها تولى انطيخوس الاول (281-261 ق. م) عرش أبيه[83]، ومن الجدير بالذكر تولي بطليموس الثاني (284-246ق. م)، 481 عرش مصر قبل مقتل سلوقس بثلاث سنوات إذ توفي بطليموس الأول أيضا سنة 283 ق.م، مما أجج فتيل الحروب مع البطالمة،[84] ويعد بطلميوس مؤسس دولة البطالمة في مصر[85]، وينتمي إلى إحدى الأسر النبيلة متوسطة الغنى في اليونان، عاش وتعلم وتربى في بداية حياته بقصر فيليب المقدوني بجانب الإسكندر، وقد كان يكبر الإسكندر بأربع سنوات تقريباً، وفي رحلة الإسكندر إلى الشرق كان بطلميوس إلى جانبه يشاركه حروبه ومعاركه، كما كان أحد رجالات الحرس الخاص والمقربين من الإسكندر، وقد كان بطلميوس على جانب كبير من الثقافة ومهتم بعلم التاريخ، ولذلك كتب عن الإسكندر، ورحلته في أثناء سيرهم إلى الشرق، ولكن وللأسف فُقد هذا الكتاب ولم تصلنا منه سوى أجزاء بسيطة عبر الكُتاب القدماء الذين نقلوا عن كتاب بطلميوس في الإسكندر، وبالرغم من أن بطلميوس قد كان قريباً من الإسكندر إلا أن كتابته عنه كانت معتدلة، وفي أثناء مؤتمر بابل وما أن سمع أنه سيصبح والياً على مصر حتى اتجه إليها

تاركاً بقية القادة في بابل يقررون ماقرروه، وعندما وصل إلى مصر بدأ يعمل أعمالاً بينت نيته بالخروج عن اتفاقية بابل وتأسيس دولة جديدة في مصر. قبل أن يصل إلى مصر كان كليومنيس النقراطيسي هو الوالي عليها وبعد أن عُين والياً عليها جُعل كليومنيس مساعداً له في حكم هذه الولاية، فقام بطلميوس بتلفيق التهم له بقصد القضاء عليه، وبالفعل لفق له أكثر من تهمة كانت كفيلة بقطع عنقه، لأن بطلميوس كان يرى بكليومنيس النقراطيسي جاسوساً عليه من قبل برديكاس، كما أنه يريد أن يستأثر بالولاية لوحده. أما المدينة التي احتضنت العلم والفلسفة والأدب والتاريخ بحثا وتعليما واستنباطا واختراعا وتعليما ومناقشة فهي الإسكندرية. إن الوسائل والأسباب والفرص للبحث والدرس التي أتيحت لهذه المدينة لم تتح لمدينة أخرى في الأزمنة القديمة. مكتبتها ومجّمعها كانا ملتقى جميع أصناف أهل المعرفة ولكن لأن العمل كله فيها كان باليونانية فقد ظل نطاق عملها محدودا؛ صحيح أنه جاءها باحثون وطلاب من أثينا وبرغاموس (آسيا الصغرى) وليبيا وصيدا وصور، ولكن ظل المجال محصورا بالذين يعرفون اللغة. لكن ما قيل عن الدولة السلوقية يقال هنا أيضا عن مصر: أن الفكر اليوناني بأدبه وفلسفته وعلومه وفنونه قد حط رحاله في المشرق العربي. لم يؤثر يومها فلا بد أن يكون له أثر فيما بعد.[86]

كانت الحروب السورية بين السلوقيين والبطالمة ذات أثر سيء على أوضاع بلاد الرافدين، إذ اشتكى السكان من الأوضاع المتردية، وحدثت فيها أزمات اقتصادية ولا سيما في المناطق الجنوبية الوسطى ومنها على الرغم من وقوع الحروب السورية خارج حدود بابل إلا أنها كانت ذات أثر سيء على رخائها وازدهارها، فقد أصاب الناس الجوع وانتشرت الأمراض، مما دفع الناس إلى بيع أولادهم، بسبب الأوضاع السيئة والمتردية التي أصابت البلاد، يؤيد ذلك العثور على وثيقة مسمارية تعود لذلك العصر هي عبارة عن سجل ذكر فيه الحوادث اليومية المكونة من قسمين، قسمها الأول يذكر حوادث العصر السلوقي للسنة (36 ق. م) بالنسبة للتقويم السلوقي[87]، ويقابل سنة (276 ق. م)، وقد أرخها شاهد عيان، في منتصف الحروب السورية الأولى.[88]

كان انشغال السلوقيين بالحرب ضد البطالمة سببا في ضعفهم وانصرافهم عن إدارة شؤون الأقاليم البعيدة عن العاصمة السلوقية إذ بدأ الضعف يدب في هذه الأقسام مما هيأ الفرصة إمام الأقاليم الشرقية للانفصال والاستقلال عن حكم المملكة السلوقية فأعلن عن تأسيس ممالك منها إقليم بكتريا[89] (بلاد البخت)، كما نجحت قبائل اسكيثية إيرانية من السيطرة على إقليم بارثو[90] (خرسان) حالياً.

الهوامش:

(1) شهدت بلاد الرافدين في أواخر الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد تغيرات سكانية كبيرة تمثلت بدخول العديد من القبائل الآرامية إليها واستقرارها فيها. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد فقد استطاعت بعض تلك القبائل تأسيس إمارات مستقلة أخذت مع الزمن تنافس الممالك القديمة الموجودة سابقا في جنوب بلاد الرافدين، واستقرت جماعات يظن انها من القبائل الآرامية عرفت بقبيلة الكلدو شهدت بلاد الرافدين في أواخر الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد تغيرات سكانية كبيرة تمثلت بدخول العديد من القبائل الآرامية إليها واستقرارها فيها. حيث برز اسم كلدو (kaldu) وسكانها الكلديين منذ القرن التاسع قبل الميلاد وكان المنطقة التي سكنوها تعرف باسم بلاد البحر أو القطر البحري منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد (mattam-tim) وان أرضهم سميت بلاد كلدو (matkaldu) وتمثل وجودهم على شكل مجمعات قبلية تسمى بيوتا أو مشيخات وكان يتزعم كل بيت أو مشيخة زعيم اتخذ لنفسه لقب ملك خضعت في بداية أمرها لنفوذ المملكة الآشورية ولكن بعد وفات الملك آشور بانيبال ضعف النفوذ الآشوري على نحو كبير واستغل هذا الضعف نبوبلاصر زعيم هذه القبيلة فاستولى على السلطة هناك ونصب نفسه بشكل رسمي ملك أكد في مدينة سبار ثم في بابل عام 625 ق. م ومع الزمن وطد سلطته في كل البلاد ثم أسهم بالتحالف مع الملك الميدي كي اخسيار (585-625 ق. م) في الإجهاز على ما تبقى. من المملكة الآشورية واحتل العاصمة نينوى عام 612 ق. م ثم حران آخر معقل آشوري عام 610 ق. م وأسس بذلك سلالة جديدة حكمت بلاد بابل وسيطرت على معظم البلدان والأقاليم التي كانت تابعة للآشوريين لمدة تناهز القرن وعرفت في المصادر التاريخية باسم المملكة البابلية الحديثة أو المملكة الكلدية عن ذلك الموضوع ينظر: حياة إبراهيم محمد: نبوخذ نصر الثاني (604-562 ق. م) ، بغداد - 1983، ص 32 -33؛
Brinkman, J. A.. 'Notes On Arameans and chaldeans In Southern Babylonia In Early Seventh Century B. C. ', Orientalia, Vol. 46, No. 2, 1977 PP. 304- 306.

(2) يعد الفرس الإخمينيين إحدى القبائل الهندوارية المهاجرة التي استقرت أخيرا في عيلام وقد أسس عائلتهم المالكة في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، بعد أن قضى اشور بانيبال على مملكة عيلام- اخمينس (حاخمانيش) (Hahmanish) وقد ارتفع شأن قوة مملكة فارس خصوصا بعد قيام الملك الميدي استياج بتزويج ابنته من قمبيز الأول، ومن هذا الزواج ولد كورش الإخميني، ينظر :
Daniel, D. G. , The Medes and Persians, London-1965, p. 49-50; Brinkman, J. A. 'From Destruction To Resurrection On: The Antecedents of Babylonias Birth as a World Power In the Seventh B. C. ', Sumer, Vol. 21, No. 2-1, 1985, p. 110-112; Widengren, G. , 'The Persians' In People of Old Testament Times, Oxford- 1975 p. 312-347' Stronach, D. , 'Achaenenid Village at Susa and Persian Migration to Fars", Iraq, Vol. 36, 1674, p. 239-248 .

(3) علي عكاشة ؛ شحادة الناطور؛ بيضون جميل : اليونان والرومان، أربد- 1991، ص92؛ محمد،

جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص181.

(4) محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص181-182 ؛

Weigall, A. , Alexander theGreat London-`1935, pp. 23 ff;

Cary, G. , The Medieval Alexander, Cambridge-1967, pp. 17ff

(5) فرح: المصدر السابق، ص293؛ محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص182.

Fuller, J. F. C. , The General Ship of Alexander theGreat, London-1958, pp. 15ff.

(6) كورنثوس أوكورنثا إحدى المدن الرئيسة في بلاد اليونان ضمن إقليم البيلوبونيس وكانت ذات أهمية كبيرة دمرها الرومان عام 146ق. إلا أن أجزاء منها ما زالت باقية من ضمنها أسوار المدينة ومعبد الإله أبولو عن هذا الموضوع ينظر كلين دانيال: موسوعة علم الآثار، ترجمة ليون يوسف، ط1 بغداد-1991، ج1، ص481.

(7) فرح: المصدر السابق، ص293.

(8) محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص182؛ تارون. و. و: الإسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة 1963 ص27. وما بعدها

(9) محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص182.

(10) العسلي، بسام: الإسكندر الكبير المقدوني (356-323ق. م)، ط1، بيروت-1980، ص56.

(11) محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص183؛

Weigall : op. cit, p133.

(12) تارون: المصدر السابق، ص31.

(13)إحسان سركيس: الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات، ط1، دار الطليعة، بيروت- 1988، ص204.

(14) تارون: المصدر السابق، ص31؛ محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص183.

(15) للمزيد من التفاصيل عن الملك كورش الإخميني:

.p. 8-7 Mallowan, M. , ;Cyrus the Great 558- 529B. C. ', In: Iran, Vol. 10,, 1972

(16) محمد، جميلة عبد الكريم: المصدر السابق، ص183-184.

Fuller: op. cit, p88ffPFox: op. cit, p. 135

(17) Tran. W. W. , & Gritfith. G. T, Hellanistic Civilization, 3 rd, London-1952. pp. 1-2.

(18) فرح: المصدر السابق، ص٤٩٢.

(19) أسد رستم: تاريخ اليونان من فليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، بيروت-1969، ص17 وما بعدها.

(20) فهمي وعزب: المصدر السابق، ص156.

(21) رستم: المصدر السابق، ص27.

(22) جاء عن الإسكندر الأكبر في جريدة أخبار اليوم بتاريخ 5/ 2/2005

أعلن أحمد عبد الفتاح المشرف العام علي متاحف وآثار الإسكندرية أن الإسكندر الأكبر مات مسموما وليس بالحمى كما تردد في كتب التاريخ.

ويدلل علي ذلك بحادثتين مهمتين وقعتا في أثناء حياة الإسكندر الأكبر الأولى تفيد بأنه قد وصله رسالة تؤكد أن طبيبه الخاص سوف يدس له السم في الدواء غير أنه استهان بما جاء في هذا الخطاب.. بل أنه أعطاه لطبيبه وتناول الدواء كعادته لثقته الشديدة بهذا الطبيب.. أما الحادثة الثانية فكانت تشير إلى أنه عندما جاء أوغسطس للإسكندرية بعد وفاة الإسكندر بحوالي ثلاثة قرون وزار مقبرة الإسكندر وتحسس أنفه وكانت النتيجة سقوط جزء من طرف الأنف وهذا حادث نادر لأنه من الصعب في تحنيط مومياء الملك أن يسقط الأنف أو أي جزء من الجسد بهذه الصورة. وأضاف د. عبد الفتاح في الندوة التي عقدت منذ أيام بنادي سموحة بالإسكندرية حول الإسكندر الأكبر: أنه من المعروف علميا وطبيا أن الذي يتناول سما يحدث له تحلل كامل في جسده... وأضاف: أن مومياء الإسكندر شيء.. ومقبرته شيء أخر وأنه ليس من المتوقع العثور علي مومياته أو حتي مقبرته.. فقد أثير كثيرا أن مقبرته مازالت بالإسكندرية واعتقد ان امومياء تم نقلها لخارج الإسكندرية.. أما مقبرته فالإسكندر الأكبر له أكثر من مقبرة.. منها مقبرة في بابل ومكث بها عامين فقط.. والثانية في (منفس) جنوب القاهرة وظل بها 40 عاما.. ثم مقبرته بالإسكندرية والتي انقطعت كل المعلومات عنها مع بداية القرن الخامس الميلادي.

(23) الملك سلوقسوس: هو سليوقوس بن انطيوخوس وقد أطلق عليه لقب الذباح Nikator احد الفرسان المقدونيين المقربين إلى الإسكندر المقدوني، وقد رافق الإسكندر في حملته إلى الشرق الأدنى، عين حاكما على إقليم بابل بعد موت الإسكندر، قام ببناء عاصمة له على نهر دجلة في العراق أسماها سلوقية. ينظر: Leick, op cit, p: 142

(24) الملك بطليموس: وهو احد أصدقاء الإسكندر المقدوني والمقربين منه، وكان أحد ضباط حرسه الخاص ومشرف ورقيب على طعامه، رافقه في جميع فتوحاته ومعاركه أصبح ملك مصر بعد موت الإسكندر، ينظر: الناصري، المصدر السابق، ص115.

(25) قوريني أو كوريني أوكورانا: هو الاسم الذي أطلقه الهلليتيون منذ استيطانهم للمدينة المعروفة الآن قرّنة، انشئت المدينة عام 613ق.م من قبل المهاجرين اهللينن بقيادة زعيمهم باتوس. ينظر إبراهيم نصحي: إنشاء قوريني وشقيقاتها، جامعة قاريونس، ط2، تونس-1979، ص57

(26) انطيخوس الأول:ابن الملك سلوقس الأول تولى الحكم بعد اغتيال والده في أحدى حروبه في آسيا الصغرى من قبل احد أبناء بطليموس في عام 282 ق.م وأصبحت في عهده سلوقية المدينة الملكية الرسمية وأمر سكان بابل بالانتقال إليها وعلى عهده نشبت الحروب السورية ينظر: المولى: المصدر السابق، ص23-24؛ سركيسان: المصدر السابق، ص483.

(27) وهو مضيق يقع في الجزء الشمالي الشرقي من حوض البحر المتوسط ويشكل هذا المضيق مع مضيق البسفور قناة اتصال بين قارتي آسيا وأوربا ينظر عكاشة وأخرون : المصدر السابق، ص39.

(28) ينظر العسلي: المصدر السابق، ص67. دارا الثالث: من الملوك الاخمينين (336-330) ولا ينتمي إلى

البيت الحاكم، يعتبر آخر الملوك الإخمينيين، انتصر عليه الإسكندر المقدوني، ينظر: باقر، طه، ورشيد، فوزي، وهاشم، رضا جواد، تاريخ إيران القديم، بغداد، 1979، ص75.

(29) الغرانيق وهو نهر صغير في آسيا الصغرى، عند الهلسبينوت يقع بين زلة والدردنيل ويدعى اليوم كوجه شاي ينظر العسلي: المصدر السابق، ص61؛ رستم: المصدر السابق، ص22.

(30) بل، أيدرس ه: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها)، ترجمة عبد الطيف أحمد. علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت -1973، ص37؛ فرح: المصدر السابق، ص293.

(31) ديودورس: (40- ق.م)من مؤرخي النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد كتب مؤلفه المعروف بالمكتبة التاريخية وهو كتاب عام يتألف من أربعين جزءًا وتبدأ أخباره منذ الخليقة وتنتهي باحتلال يوليوس قيصر لغاليا في منتصف القرن الأول قبل الميلاد وقد تعرض إلى تاريخ مصر والعراق والهند واليونان ومن ثم أنتقل إلى تاريخ روما منذ أقدم العصوركما أعتمد في كتابه هذا عاى من سبقه من المؤرخين؛ينظر: فرح"المصدر السابق، ص358.

(32) يوسف بن متى أو يوسفيوس :ولد في أورشليم عام 37 ق. م وتوفي في روما عام 100 مأو عام 98م اسمه اليهودي الأول يوسف بن متى وهو كاهن وسياسي فضلا عن كزنه مؤرخا وقائدا عسكريا يهوديا تلقى تعليما دينيا وكان على دراية كبيرة بالعالم ومجرياته وكان قد ارسل إلى روما من قبل المحكمة العليا عند اليهود (السهندرين) للدفاع عن الأحبار الذين سجنوا بأمر من الحاكم الروماني وقد أدى مهمته بنجاح ثم عاد إلى أورشليم واشترك في ثورة ضد الرومان وأنتهت بأسره وانقذت حياته بتحقيق نبؤاته بأن يصبح فسباسيان امبراطورا لذلك أنقذ القائد الروماني فسباسيان من الأسرثم صحب ابنه تيتوس عام 70م إلى أورشليم حيث اعتبره اليهود خائنا لأنه عمل مع تيتوس كمترجم وعندما ضرب تيتوس حصارا على أورشليم رافق تيتوس إلى روما وهناك ألف كتبه المعروفة والتي من أهمها: آثار اليهود؛الحرب اليهودية في سبعة أجزاء بالآرامية ترجمت فيما بعدالى اليونانية ؛تاريخ اليهود العام في عشرين جزءًا منذ بدء الخليقة وحتى عام 66م؛ تاريخ حياته؛رسالة في الدفاع عن اليهود: ينظر يوسفوس بن ماتيا اليهودي (ت 100م): تاريخ يوسيفوس اليهودي، دراسة وتقديم شاهين مكاريوس، دار ومكتبة بيبليون، بيروت-2007، ص13-25.

(33) يوضح المؤرخون عادة تفسير تغير خطة الإسكندر الغريبة في عدم تتبع الملك الفارسي والقضاء عليه نهائياًفي انه أراد محاصرة الأسطول الفارسي القوي عن طريق الاستيلاء على جميع السواحل في شرق البحر المتوسط للمزيد من التفاصيل ينظر:

Fox, R. L., Alexander the Great, Londo-1978, pp. 135ff

(34) أريانوس (أريان): ولد فلافيوس أريانس في نهاية القرن الأول الميلادي في نيكوميديا عاصمة.

(35) مصطفى العبادي: مصر من الإسكندر إلى الفتح العربي، القاهرة -1966، ص34-3

(36) العبادي: المصدر السابق، ص 18-19؛ حتي: المصدر السابق، ص: 195-196؛ الحلو، المصدر

السابق، ص: 232 ؛ كارلهاينز برنهردت: لبنان القديم، ترجمة ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 1999، ص. 175

(37) رستم: المصدر السابق ص27؛ مهران: المدن الفينقية، ص264-265؛ برنهردت، المصدر السابق، ص176؛ حتي، المصدر السابق، ص: 196-197.

(38) Weigall, A. , Alexander theGreat London-`1935, P. 33. Baramki, D. , PHOENICIANS And Phoenicians, Beriut-1961, p. 23f

(39) مهران: المدن الفينقية، ص264؛ حتي: المصدر السابق، ص254؛ برنهردت: المصدر السابق، ص: 176.

(40) تارن، و. و: الإسكندر الأكبر، ترجمة زكي علي، القاهرة – 1963، ص73-78؛ حتي: المصدر السابق، ص: ص 197-199.

(41) لم يأتي الإغريق إلى بلاد وادي النيل مع الإسكندر المقدوني للمرة الأولى، بل أن العلاقات بين الطرفين تعود إلى اقدم الحقب التاريخية، فقد كشفت التنقيبات الأثرية التي تمت في جزيرة كريت عن آثار تعود إلى فترة ما قبل السلالات وأزداد هذا التقارب وبلغ ذروته في عهد المملكة الحديثة عن هذا الموضوع ينظر مصطفى العبادي: العصر الهلينستي مصر، دار النهضة العربية، بيروت-1988، ص7 وما بعدها.

(42) KANTOR, j. . The Aegean and the Orient in the Second Millenym B. C (1947), PP. 19ff

(43) ويزودنا التاريخ بأمثلة عديدة تؤيد ذلك فبعد أن أنتشرت أنباء انتصار الإغريق في معركة مرثون قامت ثورة في مصرعا 486م ق. م ساندتها أثينا بأسطول بحري وفي حادثة أخرى عندما مرت أثينا بأزمة حادة مع امبراطوريتها عام 446ق. م أرسلت مصر أسطولا محملا بالقمح إلى مينائها بيريه عام 445 ق. م ينظر العبادي: المصدر السابق، ص11.

(44) تقع نقراطيس الآن في كوم جعيف مركز أيتاي البارود في غرب الدلتا ويتمثل في هذه المدينة فكرة الإغريق التقليدية في دولة المدينة المتمتعة بالحكم الذاتي. عن هذا الموضوع ينظر بل، أيدرس 5: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في أنتشار الحضارة الهلينية وإضمحلالها)، ترجمة عبد الطيف أحمد علي، دار النهضة العربية، بيروت-1973، ص45.

(45) كانت بلاد اليونان تعتمد اعتمادا كبيرا على المنتجات المصرية فمثلا كانت مصر هي الدولة الوحيد: المنتجة والمصدرة للبردي في التاريخ القديم وكانت بلاد اليونان بحاجة ماسة له، كما كانت بحاجة ماسة إلى القمح ذلك أن بلاد اليونان لا تنتج إلى جزءًا قليلاً من حاجتها إليه عن هذا الموضوع ينظر العبادي: المصدر السابق، ص12-13.

(46) مدينة منفس ينسب إلى الملك منا بانه هو الذي أسسها واتخذها عاصمة له نظرا لموقعها الحصين والمسيطر على قسمي مصر الشمالي والجنوبي وتشمل منطقة دهشور شمال شرق القاهرة وسقارة حيث بنيت في موقع استحصله من النيل الملك منا حيث سد نهر النيل وعمل على تحويل مجراه الأصلي إلى الشرق ينظر باقر :مقدمة المصدر السابق، ج2، ص30؛ شافية شارن: حضارة مصر الفرعونية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر-2009، ص10

(47) الإله بتاح: يعد الإله بتاح من المعبودات الأرضية فقد أدركت الأقوام القديمة أثر القوى الأرضية وعبدتها

فقد تصور كل من بلاد الرافدين واليونان بأن الآلهة التي أوجدت الحياة على شكل أنثلا لكن المصريون القدماء شخصوا الأرض وعبدوها بهيئة إله وليس آلهة وبدعوه باسم جيب أوبتاح وكان الأخير بحسب لاهوت الخليقة الخاص بمدينة منفس وهو الذي يتحكم في القلب واللسان الذان يعود لهما الفضل في تحريك جميع أعضاء جسم الإنسان والحيوان معا ؛ينظر باقر:مقد مة المصدر السابق،ج2، ص92–93؛ شارن: المصدر السابق، ص77.

(48) العبادي: المصدر السابق، ص، 19.

(49) ديورنت: المصدر السابق، ص458.

(50) العبادي: المصدر السابق، ص19–20–21.

(51) العبادي: المصدر السابق، ص23-22.

(52) كوكميلا: وهي قرية صغيرة تابعة للموصل يطلق عليها الآن كرامليس على مقربة من نهر الخازر، إلى الجنوب من ناحية الكلك القديمة شمال غرب أربيل، منطقة سهلية تتخللها عدد من التلال إلى الشمال من جبل مقلوب، ينظر: جميل، فؤاد، "اريان يدون أيام الإسكندر الكبير في العراق"، سومر، عدد 21، بغداد، 1965، ص6-7.

John Curtis, From Alexander to Islam, Ancient Persia, British, 2000, p: 66.

(53) أربيل: تقع في السهل الواسع الخصب بين الزابين الأعلى والأسفل شمالا وجنوبا ونهر دجلة غربا ذكرت في النصوص المسمارية العائدة إلى سلالة اور الثالثة بهيئة "اوربيلم" (Urbilum) كما وردت في النصوص الاشورية باسم ((اربا ايلو)) أو بصيغة "اربائيلو" (Arba– (ilu(اوبهئية ar-ba-il, ar-ba-ilu ويعني أربعة آلهة، وفي العصر الإخميني حورت إلى "اربيرا" (Arbira) وفي عصر الإسكندر ذكرت بهيئة ((اربيلا)) أو ((اربلا)) وخلال الحقبة الفرثية عرفت باسم ((حدياب)). ينظر: باقر، طه، جولات تاريخية بين مواطن الآثار في شمالي العراق، مجلة المجمع العلمي الكردي، مج3، عدد1، بغداد1975، ص633 – 635.

(54) أحمد علّو: من أشهر معارك التاريخ جوجاميلا، مجلة الجيش، العدد 299، بيروت–2010؛ فلافيوس اريانس: أيام الإسكندر الكبير في العراق، ترجمة فؤاد جميل، ط1، دار الوراق، بغداد– 2007، ص4 وما بعدها.

(55) اريانس: المصدر لسابق، ص36–37–38؛ علّو: المصدر السابق.

(56) الزاب الأسفل: ورد ذكره في النصوص المسمارية بصيغة ((زابو شبالو)) وقد ارتؤي في تحليل معنى كلمة الزاب في اللغة الاكدية أنه يضاهي الكلمة العربية (الصّاب) أي النهر الذي يصب أو الرافد، وينبع من جبال زاكروس فيبلغ طوله 520 كم ويصب في نهر دجلة أسفل قضاء الشرقاط موضع مدينة آشور القديمة بنحو 36كم عند قرية الشجرة. ينظر: باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم – ما يسمى في العربية بالدخيل، دار الوراق – بغداد، 2010، ص196.

(57) نهر ديالى: أحد روافد نهر دجلة الرئيس ويتكون من مياه نهر تانجر وسيروان وبعض الأنهر الصغيرة

الأخرى، يبلغ طوله 386كم ويتصل بالنهر عند نقطة تقع على مسافة 31كم، أسفل مدينة بغداد، ورد اسم النهر بصيغة ((دورول (durul) في العهد السرجوني وما قبله، وورد في العصرين الآشوري والبابلي الوسيطين بصيغة (تورّان (turran))، كما ورد في النصوص الآشورية الحديثة بصيغة ((تورنات turnat)) ينظر:RGTC, Band 1-2-5, p: 226-338.

(58) Parpola, s & porter. M "The Helsinki Atlas of yhe Near East in the Neo - Assyrion Period" Finland, 2001, p: 12

(59) برسيبوليس: وهي العاصمة الثانية للإخمينين بعد بازركادة في منطقة همدان التي شيدها الملك دارا الأول لتكون مقراً له ولأسرته الحاكمة. ينظر: الأحمد، سامي سعيد، الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الشرق الادنى القديم، ايران والاناضول، بغداد (د. ت)، 114–115. ينظر كذلك: Leick, op. cit, p: 195.

(60) مارغريت روثن: تاريخ بابل، ترجمة: زينة عازار وميشال ابي فاضل، بيروت، 1975، ص173.

(61) حتي: المصدرالسابق، ص: 200؛ عبد الله الحلو، صراع في التاريخ السورى القديم، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1999، ص: 232–233، يحتل موقع القصر مركز المدينة البابلية عاش نبوخذنصر في هذا القصر في أثناء حياة والده نبوبلاصر ثم قام بتوسيعه بعد أن تسلم السلطة. ينظر: محمد:المصدر السابق، ص99-100.

(62) باقر: تاريخ إيران القديم، المصدر السابق، ص83.

(63) بلاد ما وراء النهر: وتشمل الأقاليم الممتدة ما وراء نهر جيحون وهي إقليم الصغد، وخوارزم، وإقليم الصغانيا، وفرغانيا مع إقليم الشاش، ينظر: إحسان ذنون الثامري: الجغراقية التاريخية لمدينة بخارى من القرن الهجري الأول، ط1، اربد، 1999، ص25.

Macqueen, J. G. , Babylon, London, 1964, p: 225.

ينظر: سيد أحمد علي الناصري: تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهيليني، القاهرة 1992، ص80-82؛ محمد الأسعد بن أبو بكر الحفصي: الغزو اليوناني لبلاد الرافدين (331–126 ق. م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الموصل، 2003، ص59.

(64) علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدولة المقدونية في العراق، بغداد– 1925، ص9؛ اريانوس: المصدر السابق، ص73.

(65) هناك رواية ذكرها المؤرخون أن الإسكندر مات مسموما عن هذا الموضوع ينظر فلافيوس آريانوس: أيام الإسكندر الكبير في العراق، ترجمة فؤاد جميل، دار الرواق، ط1، بغداد 2007، ص73–75.

برديكاس: قائد مقدوني رافق الإسكندر في جميع حملاته، كان الإسكندر يثق به كثيرا، وقد سلمه خاتمه الخاص قبل موته. ينظر: الناصري: المصدر السابق، ص96.

(66) كراتوس: هو أحد أبرز قادة الإسكندر المقدوني وقد وقع عليه الاختيار ليكون وصيا على الملك فيليب ارهيدايوس شقيق الإسكندر المقدوني من أبيه بعد تعيينه ملكا خلفا له ينظر: بسام العسلي: الإسكندر المقدوني (356 – 323 ق. م) ، ط1، بيروت – 1980، ص57.

(67) برديكاس: قائد مقدوني رافق الإسكندر في جميع حملاته، كان الإسكندر يثق به كثيرا، وقد سلمه

خاتمه الخاص قبل موته. ينظر: الناصري، المصدر السابق، ص96. المولى، جاسم عباس محسن، احوال العراق إبان الاحتلال السلوقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005، ص21.

(68) إقليم: جاءت في اللغة السومرية (كلام Kalam) التي تعني القطر والإقليم والبلاد واتخذ هذا المصطلح الملك السومري ((لوكال زاكيزي)) Lugalzagisi منتصف الالف الثالث ق. م لقبا سياسيا إذ لقب نفسه ملك الإقليم لكن أقرب تاصيل للكلمة انها من الكلمة اليونانية ((كليما Klima((كليما توس)) وقد أختلف اللغويون العرب في تأصيل كلمة الإقليم فمنهم من حسبها ليست بالعربية ومنهم من حسبها عربية، وقيل في اشتقاقها أنه سمي إقليما كان مقلوم أي مقطوع من الإقليم الذي يتاخمه. ينظر: طه باقر: من تراثنا اللغوي القديم ما يسمى في العربية بالدخيل، بغداد 1980، ص51–52.

(69) الحفصي: المصدر السابق، ص64.

(70) Rostovtzeff. M. , The social and Economic History of the Hellenistic world, vol. 1, oxford, 1967, p: 12.

(71) توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية المصدر السابق 236–237

(72) نجم عبد الله محمد عبد مغامس: أحوال العراق إبّان الاحتلال الفرثي (126ق.م – 226م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2011، ص5-10

(73) حتي: المصدرالسابق، ص: 200؛ الحلو: المصدر السابق، ص233.

(74) سلوقية: وهي المدينة التي أسسها سلوقس الأول على الضفة الغربية لنهر دجلة، ليجعل منها عاصمة للملكة الجديدة، إذ حملت اسم مؤسسها، ثم قام بنقل 600.000 شخص من بابل إلى العاصمة الجديدة وبناه على شكل هيبوديمي. ينظر: إبراهيم شريف: الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، ج2 بغداد (د. ت)، ص213، ينظر كذلك: سامي سعيد الأحمد:"المدن الملكية والعسكرية"، المدينة والحياة المدنية، ج1، بغداد، 1988، ص127.

(75) مؤيد سعيد: العراق خلال عصر الاحتلال "الإخميني – السلوقي – الفرثي – الساساني"، في العراق في التاريخ، بغداد–1983، ص248.

(76) علي ظريف الأعظمي: تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق القديم، تقديم وتعليق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، 2001، ص15.

(77) كالح أو كلخُ: kalhu الاسم الحديث نمرود مدينة اشورية اختارها الملك آشور ناصر بال الثاني (859–726 ق. م) عاصمة جديدة له واستمرت بمثابة عاصمة للآشوريين وعند تولي سرجون الآشوري sargon السلطة نقل العاصمة إلى خورسباد وسنة 706 ق. م ينظر: نيكولاس بوستنيت: حضارة العراق وآثاره تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد– 1991، ص133.

(78) ماري: من مدن بلاد الرافدين تعرف اليوم باسم (تل الحريري) تقع على الضفة الجنوبية لأواسط الفرات قرب البوكمال الحالية، ازدهرت في عصر فجر السلالات، استوطنها الآموريون في اثناء هجرتهم

في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد. ينظر: دالي، ستيفاني، ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان)، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد 2008، ص32، ينظر كذلك: Leick, op cit, p. 192.

(79) اور: مدينة سومرية تقع على بعد 17 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة الناصرية حاليا وعلى بعد 365 كم جنوب بغداد، تقع على نهر الفرات وهي مركز عبادة الاله سين. ينظر: سالم يحيى خلف حسين الجبوري: بعض الوظائف الإدارية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب، جامعة الموصل، 2002، ص59.

(80) باقر: مقدمة المصدر السابق، ص594.

(81) الحفصي: المصدر السابق، ص79.

(82) الناصري: المصدر السابق، ص216.

انطاكيا: مدينة سلوقية على نهر العاصي في سوريا، شيدها سلوقس الأول عاصمة له، اسماها انطيوخس على اسم ابيه ثم سميت بعدها انطاكيا وانتقل إليها الملك السلوقي سنة 300 ق. م ينظر المولى، المصدر السابق، ص22.

(83) باقر: مقدمة المصدر السابق، ص593.

حكم مصر في مطلع عام (284 ق. م)، لقب بـ (فيلادلفوس) اي المحب لأخته بعد زواجه من أخته ارسينوى الأولى، يعد عصره من أغنى عصور البطالمة. ينظر: الناصري، المصدر نفسه، ص128-141.

قتل سلوقس الأول على يد بطليموس كيراونوس (بطليموس الصاعقة) الذي كان يتطلع للجلوس على عرش مقدونيا هو الآخر. ينظر: الناصري: المصدر السابق، ص219.

(84) رستم:المصدر السابق، ص73

(85) للمزيد من التفاصيل عن الحروب السورية مع البطالمة ينظر: الحفصي: المصدر السابق، ص70-74. Rostovtzeff, op. cit, p: 533

(86) البطالمة: أو البطالسة نسبة إلى بطليموس بن لاجوس، الذي يعد مؤسس الأسرة البطليمة في مصر سنة 305ق. م وهو أحد قادة الإسكندر كما ذكرنا آنفا، ينظر: الناصري، المصدر السابق، ص115-118.

(87) التقويم السلوقي: استعمل سلوقس الاول (311 -305 ق. م) في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد تقويما خاصا بالملكة السلوقية سمي باسمه، واستعمل في جميع أنحاء المملكة السلوقية، وكان تقويما شمسيا، وتبدأ السنة السلوقية في شهر اكتوبر (تشرين الاول) ينظر:

Parise, F. , The Book of Calendars, New Jeresy, 2002, p. 145-147

سركيسان، "ارض المدينة في بلاد بابل من العهد السلوقي"، في العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، بالاشتراك مع مجموعة من علماء السوفيت، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، بغداد، 1987، ص482 -483؛ الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى، المصدر السابق، ص142.

(89) إقليم بكتريا: كان يطلق عليه بلاد البخت، نسبة إلى إقليم بلخ، يمثل هذا الإقليم أفغانستان الحالية، وهي مملكة يونانية – فارسية، أسكن فيها الإسكندر جالية يونانية وهم من الجنود الذين لم تعد لهم

القدرة على مواصلة القتال؛ ينظر الأحمد: تاريخ الشرق الأدنى.

(90) بارثو: (خراسان) يشمل هذا الإقليم مساحات واسعة من الأراضي الإيرانية، أول حدودها ما يلي العراق، وأخر حدودها بأطراف الهند، وقد فصل الجغرافيون العرب حدودها إذ يحدها من جهة الشرق طراز إلى الخزلجية، وفي جنوبها صحراء فارس إلى نواحي الديلم وطبرستان والري وقزوين، وأهم مدنها نيسابور وهراة ومرو؛ ينظر: قحطان عبد الستار الحديثي: أرباع خرسان، البصرة، 1990، ص؛ وينظر كذلك: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، بيروت، د. ت، ص350.

(91) حتي: المصدرالسابق، ص290-291.

(92) الحلو: المصدر السابق، ص234.

6

الفصل السادس

التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب

مدخل تاريخي

أراد اليونانيون تكوين أكبر امبراطورية في تاريخ آسيا وأوروبا بعد الاستيلاء على الشرق وفارس وبابل والهند والشام ومصر وشمال إفريقيا وقد حقق الإسكندرالكبير(336-323ق. م) هذا الحلم حيث عدُ غزو الإسكندر المقدوني للشرق بداية للعصر الهللنستي وحقبة الغزو الروماني نهاية له. ولكن هذان التاريخيين الذين حدد بهما بداية ونهاية العصر ليسا سوى اصطلاحين لتسهيل الدراسة للدارسيين. وهكذا فإن ظهور معالم الحضارة الهللنستية لم يكن حدثاً مفاجئا ًبل ساهم في وضع أسسه الحضارات السابقة للحضارة اليونانية بحكم الصلات التجارية والعسكرية والثقافية القديمة بين سواحل الشرق القديم.[1] والسواحل اليونانية. وفي الحقيقة فقد اقتبس اليونانيون الكثير من أسس حضارتهم ومكوناتها الرئيسة عن المصريين والبابليين والآشوريين وسكان بلاد الشام وغيرهم من سكان الشرق القديم

ونستطيع تثبيت بعض الخصائص العامة للتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب قبيل غزو الإسكندر المقدوني منه: إن الاتصال الحضاري قد تم أحيانا بصورة مباشرة أوغير مباشرة عن طريق بلد أوشعب وسيط. وكذلك حدث هذا الاتصال بصورة سلمية أحيانا وعن طريق الحرب أحياناً أخرى. كما أن تأثير الشرق على الغرب كان ملموساً أكثر في الجوانب العملية من كتابة وعلوم وصناعة وتجارة، بينما كان أضعف من ذلك في الجوانب الدينية والسياسية.

وبما أن الحضارة اليونانية بدأت الخطوة الأولى في سيرها الحضاري عندما كانت الحضارات الشرقية في قمة النضج فقد كان تأثير الشرق عليها قوياً في أول الأمر، ولكنه كان يتضاءل مع رقيها وتقدمها ثم ما لبث أن انقلب على العكس حين هاجمت الحضارة اليونانية الشرق نفسه في عقر داره في أثناء حملة الإسكندر المقدوني وما بعدها. ويرى بعض المؤرخين أن الحضارة الهللنستية حضارة جديدة (إغريقية – شرقية)، ويقول البعض الآخر أنها استمرار للحضارة الإغريقية، بينما يرى آخرون أنها حضارة متاغرقة. ومهما يكن من أمر فإننا نستطيع أن نؤكد بأن الحضارات كالأفراد تنتقل من مكان إلى آخر فتأخذ وتعطي وتتفاعل وتتطور.[2]

لقد ازدهرت في كثير من بلدان الشرق القديم حضارات عدة لم تكن بمعزل عن بعضها بل اتصلت وأخذت وأعطت. فهذا التفاعل والتلاحم بينهما شبيه لما يجري بين بني البشر، ويقدم دليل على ديناميكية الحضارة أنها لا تنحصر ضمن الموطن الاجتماعي الذي ظهرت فيه بل

اخترقت الحدود وأخذت تسري إلى غيرها وتنتشر في كل مكان ولكن يتوقف انتشارها على قوة نفوذها من جهة وعلى استعداد غيرها لتقبلها من جهة أخرى.[3]

والمعروف أن من طبع الإنسان أنه يتعلم ويعلم ويقلد ويأخذ ويعطي وبهذا التبادل يتكون المجتمع وتنشأ وتنمو وتزدهر وتثمر حضارته فإذا ما اتصلت المجتمعات وتماست الحضارات أدت الطبيعة الإنسانية الاجتماعية ذاتها إلى مثل هذا التبادل والتفاعل وإلى تمازجها وتلاحمها والنتائج التي تترتب على ذلك من مظاهر ونتائج هي في مقدمة الأحداث التاريخية.[4]

ولقد بات واضحا أن الحضارة التي ازدهرت في بلاد الرافدين والنيل، هي من أقدم وأعرق الحضارات الإنسانية فضلا عن هذه الميزة فإن الإنجازات العظيمة التي قدمتها للإنسانية مازالت حية عن طريق التأثيرات التي تركت بصمتها في صلب تكوين حضارات الأمم والشعوب المختلفة.

فإذن الحضارة التي نمت وازدهرت في أرض العراق لم تمت ولم يقضى عليها بواسطة الحروب أو الفتوحات أو التغير السياسي وإنما بقيت على الرغم من تعرضها لهزات سياسية عنيفة واستمرت محافظة على أصولها على الرغم من ذلك المدد الأجنبي الذي يغد إليها من وقت لآخر من عقليات الفاتحين ورجال الحكم فالقضاء على الدولة ورجال السياسة لا يعني القضاء على الأمة وعلى إنتاجها العقلي لأن ذلك لم يعد ملكا للأفراد وإنما هو ملك وتراث للمجتمع وقد يزول الأفراد ولكن قلما يزول المجتمع".[5]

والآن نتساءل كيف استطاعت حضارة الشرق القديم أن تخترق الحوافز وأن تتهيأ لها فرصة ذلك الانتشار الكبير؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال يتوجب علينا توضيح منطلقين يتعلقان بهذه المسألة:

أولهما: التركيز على دراسة وتحليل المفردات الحضارية الشرقية بشقيها المادي والفكري والكشف عن أبعادها وأثرها في الأخرى. ولا تنحصر أهمية دراسة المفردات الحضارية في تبيان البعد الفاعل للحضارة الرافدينية فحسب وإنما في الكشف عن الجوانب الإنسانية في التراث الحضاري الرافديني حتى غدت فيه بعض تلك الجوانب أساس اللغة المشتركة للحضارة الإنسانية.

وثانيهما: ينحصر في اكتشاف الدلائل الأثرية أو تقديم المبررات المنطقية والمقنعة لطرائق انتقال وانتشار الحضارة الرافدينية إلى الأمم والشعوب.[6]

مما لاشك فيه أن هناك قنوات اتصال انتقلت عن طريقها الحضارة الرافدينية إلى الحضارات الأخرى؛ ولكن الصعوبة التي تعترض الباحث المختص في مجال حصرأو إحصاء العناصر والمظاهر الحضارية التي انتقلت من بلاد الرافدين إلى الحضارات الأخرى وبيان كيفية هذا الانتقال – ويرى الباحثون أنه عند تحديد العناصر الحضارية المقتبسة لابد من توافر سابقة للحضارة المقتبسة؛ مع ضرورة وجود عدة أوجه شبه ومظاهر كبيرة بين العناصر الحضارية في كلتا الحضارتين يدل على الاقتباس؛ وأخيرا لا بد من وجود طريقة ما انتقلت أو عبرت من خلاله تلك العناصر الحضارية من الحضارة الأصلية إلى الحضارة المقتبسة. وحيث إن حضارة بلاد الرافدين اتصفت بالسبق الزمني بالنسبة لجميع الحضارات المعروفة في المنطقة فإذا ما وجدت أوجه شبه بين عناصر حضارة معينة مع ما كان معروفا في بلاد الرافدين فالاحتمال الأغلب أن تلك العناصر مقتبسة من بلاد الرافدين شريطة أن تكون هناك قنوات انتقلت عن طريقها تلك العناصر الحضارية.(7)

طرائق انتقال الحضارة

فمنذ عصور قبل التاريخ والمجتمعات البشرية في اتصال وتلاحم واختلاط مستمر فضلا عن العلاقات المتشابكة. وهذه العلاقات المتشابكة قد اسقطت الاعتبارات العرقية وأخذت تعلق أهمية كبيرة على العلاقات البشرية المستمرة الدائمة والسليمة منها أو الحربية التي كان لها أكبر الأثر في نمو الحضارة وتطورها ونضجها وازدهارها؛(8) وتأسيسا على ما سبق فقد ميز الباحثون ثلاث قنوات رئيسة انتقلت بواسطتها أو من خلالها الحضارة الرافدينية إلى البلدان المجاورة لها والبعد عنها وهي:-

1- الصلات التجارية.

2- الصلات الحربية.

3- الصلات الثقافية ودور الحضارات الوسيطة.(9)

الصلات التجارية

نهضت التجارة والرحلات التجارية بدور كبير في تحقيق التفاعل الحضاري وتسهيل عملية الاتصال بين الحضارات المختلفة؛ فعملية تبادل السلع يعقبها تبادل حضاري(10)؛ كان التبادل التجاري وما يزال في كل زمان ومكان من الوسائل الرئيسة لتبادل الأفكار وقد تكون التجارة وسيلة الاتصال الوحيدة بين المجتمعات المختلفة، ولقد سبقت التجارة ظهور التاجر فلم يكن ضروريا أن يخصص الناس كل نشاطاتهم لإجراء المقايضة لأنهم اكتفوا ولحقبة طويلة

جدا بمبادلة بضائعهم بما كانوا يحتاجون إليه من غير تدخل أي وسيط تجاري.[11] وهناك من عدها أهم وسائل التبادل الثقافي إذ يتم عن طريقها الاتصال المباشر والإقامة الطويلة والاختلاط الكامل. حيث تسافر الأفكار والعادات كما يسافر الناس الذين يحملون تلك الأفكار والعادات؛ "وفي المدينة يتلاقى التجار حيث يتبادلون السلع والأفكار وحيث تتلاقى طرق التجارة تتلاقي العقول"[12]

ومن المعروف أن بلاد الرافدين من الأقطار التي اشتهرت بالتجارة شهرة واسعة فثمة تجارة محلية تجري داخل المدينة وعن طريقها يتم حصول سكان المدينة على مختلف احتياجاتهم اليومية؛ وهناك تجارة أخرى تجري بين الريف والمدينة فكان الفلاحون يأتون إلى المدينة بمنتجات حقولهم المختلفة فضلا عن ما تنتجه ماشيتهم واغنامهم ليبيعوها في المدينة ويشتروا بثمنها مايحتاجون إليه وثمة تجارة أخرى بين المدن المختلفة.[13]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفعاليات والأعمال التجارية وما يرتبط بها كانت تجري بالقرب من بوابة المدن حيث يجتمع الناس بمختلف أصنافهم واحتياجاتهم وفئاتهم باستمرار يتحدثون بمختلف الشؤون التجارية أو ينتظرون المسافرين العائدين من أسفارهم البعيدة لتلقي آخر أخبار المناطق المختلفة والبحث والاستماع إلى كل ماهو جديد وغريب.[14]

وقد شجع على ذلك موقع العراق التجاري كحلقة وصل بين بلدان الشرق إلى مناطق غرب الفرات وشمال سوريا والمناطق التي تتبعها فضلا عن كونه مركزا تجاريا مهما يفوق بل ويتميز عن غيره من المراكز من ناحية الأهمية[15] وشجعته صلاته المكانية مع بعض جهات العالم على أن يكون شعبه شعبا تجاريا يرسل بعوثه التجارية للبحث عن مصادر هذه المقومات فكان اتجاهه التجاري وبالتالي اتجاهه الحضاري مع مختلف المناطق.[16] كما أن الطبيعة المكشوفة لتضاريسه شجعت على عدم العزلة وتسهيل انتشار الأفكار الجديدة سواء أكانت فنية أم سياسية. وقد شجعت المواد الأولية كالمعادن والأخشاب الجيدة والأحجار الصلدة والتي تُعد الأساسيات في عملية النهوض الحضاري إلى التطلع نحو الخارج.[17]

كانت تجارة بلاد الرافدين مع جزيرة كريت مستمرة منذ الحقب القديمة بدلالة العثور على عدد من الأختام الأسطوانية العراقية الطراز وربما تكون هذه الأختام قد انتقلت عن طريق المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول أو عن طريق الساحل السوري حيث توجد الموانئ السورية، واستخدام هذا الطريق يكون أسهل من الطريق الذي يمر خلال الأناضول أو شواطئ هضبة الأناضول. ويوجد احتمال آخر وهو أن تكون هذه الأختام قد انتقلت إلى

جزيرة كريت عن طريق مصر لأنها وجدت في المكان الذي وجدت منه بعض القطع الفنية المصرية من الأنواع التي اشتهرت في عهد الأسرة الثانية عشر.[18]

كما عثر على أحد الأواني الكريتية عليها زخرفة تمثل مشهد حصاد يظهر فيه أبناء البلد تحت إمرة موظف يرتدي لباس من أزياء سكان بلاد الرافدين وذلك يشير إلى احتمال وجود جماعة من التجار العراقيين في كريت منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد،[19] فضلا عن ذلك فإن اليونانيين كانت لهم مراكز تجارية في آسيا الصغرى وفي شمال مصر كما يقدم الفخار الذي عثر عليه في قبرص البرهان القوى على وجود تجارة قوية بين السنوات 1600-1400 ق.م بين بلاد الرافدين وقبرص كما وجدت في بلاد آشور العديد من الأوعية الفخارية القبرصية المكسرة التي تعود إلى زمن الملك آشور بيل-كالا.[20]

ومما يثير الاهتمام أيضا وجود تجار يونانيين في القرن السادس قبل الميلاد في المملكة البابلية الحديثة حيث اكتشفت صكوك تجارية يونانية تعالج المعاملات التجارية مابين بلاد اليونان وبلاد بابل[21]ومما يعزز هذا الرأي أن اليونانين خلال القرن السادس قبل الميلاد كانت لديهم مدنهم التجارية الكبيرة على ساحل آسيا الصغرى وكانوا على اتصال مع المراكز الحضارية في كل من بلاد النيل فينقيا العراق وفارس وليديا فضلا عن طبيعة المجتمع العراقي المنفتح على غيره من المجتمعات الحضارية ولاشك أن هذا التفاعل الحضاري لعب دوره في نمو الحضارة الإغريقية وتطورها الكبير فيما بعد.

كانت القوافل محملة بالبضائع والسلع التجارية والتي تعمل على نشر الأفكار والحضارة فكل مادة من المواد خاما كانت أم مصنوعة يستعملها مجتمع من المجتمعات لغرض من أغراضه تعكس حضارته فإذا ابتغاها أبناء مجتمع آخر لم يستمدوا منها فائدة عملية فحسب بل تأثروا أيضا بمجملاتها الحضارية.[22] ولقد أظهرت التنقيبات الأثرية التي أجريت في مناطق مختلفة عن أعداد كبيرة من الآلات والأدوات العراقية الصنع فنستطيع قياساً على ذلك أن ندرك مدى انتشار حضارة بلاد الرافدين، حيث يذكر المؤرخ اليوناني هيرودوتس (480-425 ق. م): "أن البضائع الآشورية كانت ضمن صادرات الفينقيين إلى بلاد اليونان منذ عصور قديمة من غير أن يخبرنا بطبيعة تلك البضائع وقد تكون من هذه البضائع المنسوجات الزرقاء والمطرزة، وكان الحرير خلال العصور الرومانية من الصادرات الآشورية الأساسية وتكلم الشاعر الروماني هوراس من القرن الأول على النادرين الآشوري[23] وقد ذكر الشاعر الروماني فرجيل عن الهيل الآشوري وتعرض يتبولوس إلى العصور الآشورية وربما وصلت

كل هذه إلى الرومان عن طريق الفينقيين الذين حصلوا عليها بالتبادل التجاري مع الآشوريين"[24] ويقول اشبنكلر في هذا الصدد: "لقد بدا العنصر الآسيوي في هذه المدنيات (سومر و اكد) قوة انتشار هائلة فإنجازات المدينة البابلية وهي أشياء وأفكار وتطورات كثيرة تتعلق بالقياس والعد والحساب قد بلغت كما تقول الكتب بانتشارها تخوم بحر الشمال والبحر الأصفر ولربما مدت الهمجية الجرمانية كثيرا من الطوابع البابلية التي شاهدناها على أداة أو انية بابلية"[25] فضلا عن الأمور المادية كانت هناك أمور غير مادية حضارية حيث كانت أمورا غير ملموسة تساوي في أهميتها إن لم تفقها في التقدم البشري.[26] وهكذا ساهمت التجارة والتجار بما تحمله القوافل التجارية من سلعها المنظورة وغير المنظورة ومحطاتها التجارية والطرق التي سلكتها في نشر حضارة بلاد الرافدين.

الصلات الحربية:

لم تكن الحروب والغزوات والفتوحات أقل أهمية من التجارة والتبادل التجاري في احتكاك المدنيات القديمة بل اتاحت شأنها شأن التجارة نقلا مباشرا للأفكار والخبرات والمنجزات العلمية والفنية.[27] "فحيثما غزا مجتمع آخر سواء غلبه أو غلب على يده حدث بين المجتمعين تبادل وتفاعل بحسب المدة التي يستغرقها النزاع والمال الذي يؤدي إليه فإذا كان الغزو عارضا قصير المدى عاد المجتمعان بعده إلى مواطنهما وأحوالهما القديمة وجاء أثره ضئيلا محدودا.

أما إذا نتج عنه تغلب مجتمع على مجتمع واحتلاله لموطنه واستقرار فريق كبير من أبنائه فيه وما يتبع هذا من تخالط وتزاوج فلا جدال في ما ينجم عن ذلك من تفاعل وتبادل بين المجتمعين"[28] لذا كانت أهمية الحروب والغزوات كبيرة ولا تقل عن أهمية التبادل التجاري حيث كانت الحروب في العصور القديمة بصورة عامة أهدافها الرئيسة الدفاع المشروع عن الحدود وإحراز النصر على الأعداء والبحث عن مصادر الموارد الاقتصادية الجديدة.[29] إلا أنها كانت وسيلة رئيسة ومهمة من وسائل الاتصال وأتاحت الفرصة للاتصال والنقل المباشر للأفكار والخبرات والمنجزات الحضارية المختلفة.[30] "بفضل الحملات العسكرية التي تقوم بها الامبراطوريات من وقت إلى آخر سواء اكان ذلك لاتساع رقعة الملك أو لتثبيت سلطانه، وإخماد روح الثورة التي تبدو في فترات ليست بالنادرة وقد لعبت هذه الحملات العسكرية في العالم القديم دورا مهماً في نقل الحضارة من بيئة إلى بيئة أخرى"[31] فقد مد ملوك الدولة الآشورية الحديثة نفوذهم إلى مناطق أخرى من بلاد الأناضول خلال الحقبة الممتدة مابين

القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد اتصلاتهم إلى التخوم الغربية من بلاد الأناضول التي كانت على ماهو معروف تاريخيا مواطن اليونان (الآيونيين Ionians) فالحملات العسكرية التي قام بها الملك تيجلا تبلزر الأول (1115-1077ق.م) وسع فيها مناطق نفوذ الآشوريين في بلاد وأواسط منطقة الأناضول فالسيطرة على كليكيا قد مكنت الآشوريين أيضا من التجارة مع جزيرة قبرص وشبه جزيرة اليونان وخاصة تجارة الحديد. والجدير بالذكر أن الملك سنحاريب (704-681 ق.م) عند توليه الحكم أخضع الثائرين عليه وأخضع مدن كليكيا وفتح المستعمرات الإغريقية في سواحل اسيا الصغرى واتصل بالإغريق الآيونين وهذا حدث مهم جداً في مسألة نشر الحضارة الرافيدنية إلى تلك المناطق في تلك الحقبة،[32] وربما كان غزو الإسكندر المقدوني من أوضح الأمثلة على ذلك حيث كان يصطحب معه العلماء والأدباء ورجال الفن وكان يحرص على التعرف إلى ما في البلاد المفتوحة من آثار عقلية وعملية.[33]

جدير بالذكر أن الإسكندر المقدوني قد حاول مزج شعب بابل مع جنوده اليونانيين وقد كانت إحدى هذه الوسائل تشجيع الزواج المختلط بين الشعوب الشرقية وبين المقدوني وقد كان الإسكندر المقدوني هو الرائد في هذا المجال بزواجه من الأميرة الفارسية روسكانا ويقال أن مايقارب من عشرة آلالف مقدوني من الضباط والجنود اقتدوا به، أما الوسيلة الأخرى فقد كانت بضم أعداد من الآشوريين إلى جيشه.[33]

كما عمل على تشجيع بناء المدن على الطراز الإغريقي فقد أنشات مدن إغريقية وتمتعت بنوع من الاستقلال السياسي في آسيا الصغرى وسوريا وبلاد فارس وفي تخوم الهند كان الإسكندر يرى في بناء المدن سبيلا للحكم والعناية بالتجارة وتقدم الصناعة، لكنه كان يرى في المدينة "نواة الحضارة الأصلية"، والنقطة التي ستتشع منها الحضارة اليونانية وقد سار على هذا النهج أسلافه فكان السلوقيون شديدي العناية ببناء المدن فبعضها كانت من إنشائهم أصلا مثل: إنطاكية (التي أصبحت العاصمة فيما بعد) واللاذقية وسلوقية الميناءان المهمان على شاطئ المتوسط الشمالي وافامية (في حوض العاصي) وهذه كانت العاصمة العسكرية للسلوقيين، إذ كانت تحفظ فيها الأفيال وتربى فيها الخيول.كما بنى السلوقيون: خلقيس (عنجر) وهليوبوليس (بعلبك) في جبال لبنان وإنطاكية (نصيبين) وإنطاكية (إديساً) (في مناطق الجزيرة الفراتية) وإنطاكية (على بحيرة طبريا) وأكاروس (فيلكه في الجزيرة المسماة بهذا الاسم في الخليج العربي وهي جزء من دولة الكويت).أما ما رمم وأعيد إليه بهاؤه في المملكة السلوقية فمنه: بوريا (حلب) وابيفانية (حماة) وهيرابوليس (منبج) وزوغما (الجسر) وهذه تقع في شمال شرق بلاد الشام. وفي أرض الرافدين بنيت سلوقية/دجلة وسواها، وأصلحت مدن

أخرى.ولم يقم السلوقيون مدنا جديدة في الجزء الأوسط من الساحل الشامي، لأن المدن الفينيقية كانت قد انتظم أمرها أيام الحكم الفارسي إذ نشطت تجاريا وكانت مراكز للأسطول في الحروب التي قامت بين دارا الفارسي واليونان.

والمدينة الوحيدة التي عني بها السلوقيون في فلسطين كانت القدس، بسبب ما قام فيها من خلاف في الرؤية الكونية بين اليهودية والوثنية – السلوقية.

أما البطالمة فقد اكتفوا مبدئيا بالإسكندرية (التي بناها الاسكندر نفسه) التي أصبحت أهم مدينة في المنطقة بأجملها والتي كانت مركز العلم والفلسفة والأدب على أعلى المستويات في تلك الفترة والفترة التالية. وبنى البطالمة مدينة ميليتوس (في مصر العليا) وأعادوا إلى نيوكريتس دورها (وهي ميناء يوناني يقع غرب الإسكندرية ويعود إنشاؤه إلى القرن السابع قبل الميلاد). حيث أنشأت دولة البخت الإغريقية في عهد الملكين سلوقس الأول وابنه انطيوخس الأول وهكذا استطاع هذان الملكان تحقيق. ما كان يحلم به الإسكندر من نشر الحضارة الإغريقية في الشرق، وتشجيع الإغريق على تأسيس مستعمرات لهم في كافة أنحاء الشرق وكانت هذه الدويلات جمهوريات صغيرة يدير شؤونها الداخلية السكان أنفسهم وعن طريق هذه الدويلات وغيرها من طرائق الاتصال انتشرت حضارة الإغريق ولكنها تأثرت بحضارة الشرق القديم.[34]

وثمة عامل آخر ساهم في نشر حضارة بلاد الرافدين ففي الحقب التي كانت تقع فيها بلاد بابل وآشور تحت الاحتلال الأجنبي فقد كانت مسرحا لصراع الأقوام المختلفة الغازية فحملة العشرة الاف فارس[35] والحرب اليونانية – الفارسية والتي حدثت في السنوات الأخيرة من حكم الملك الإخميني دارا الثالث وبين دويلات المدن اليونانية ومع أن الإغريق صدوا الفرس وانتصروا عليهم لكن أهميتها الحضارية تكمن في أنها كانت إحدى أهم الطرائق الحضارية بين اليونان وحضارات الشرق القديم[36] إذا اصطدمت لأول مرة عقلية عالم غرب آسيا بعقلية إنسان الغرب إنه الإنسان الهلليني [37] لقد كانت لتلك الحروب آثارها السياسية والحضارية معا حيث شهدت لأول مرة الاحتكاك والتماس مابين الشرق والغرب فبعد هزيمة الفرس أخذت انظارهم تتجه إلى تلك الحضارة الجديدة والمدنية التي لم يعرفوها ثم أخذت انظارهم تتجه إلى تلك الحضارة الجديدة والمدينة التي لم يعرفوها فحدث ذلك الامتزاج الفريد مابين الشرق والغرب مما أدى إلى نتاجات حضارية مركبة وجديدة في الوقت نفسه وإن كانت مقوماتها الحضارية تعتمد في جذورها على الحضارات الشرقية القديمة في بلاد الرافدين ومصر والشام[38] لكنها أكسبتها طابعا يونانيا جديدا وما نجم عنه من غزو

الإسكندر المقدوني لبلاد الرافدين حيث كان لها الأثر في احتكاك حضارة العراق القديم بحضارة غير شرقية ألا وهي الحضارة الهللينية (حضارة بلاد اليونان) فقد عمل الإسكندر على نشر هذه الحضارة في جميع البلدان الشرقية التي كانت تعيش في بقايا الحضارات الشرقية القديمة والتي كانت ترزخ تحت الاحتلال الإخميني الذين هم بدورهم ورثوا عن هذه الحضارات الشيء الكثير فالتقت الحضارة الإغريقية ببقية حضارات الشرق القديم[39] وكانت من نتيجة هذا الصراع والالتقاء الحضاري الفاعل الذي شهدته بلدان الشرق القديم بين الحضارة الهللينية وبين حضارات الشرق القديم أن نتجت حضارة تجمع مابين الحضارات عرفت لدى الباحثين باسم الحضارة الهللنستية[40] أي الشبيهة بالهللينية وكانت حقبة الصراع هذه والتي امتدت من غزو الإسكندر المقدوني لبلاد بابل في عام331 ق.م وحتى زوال هيمنة السلوقيين على بلاد الرافدين حقبة مهمة انتقلت خلالها كثير من العلوم والمعارف الشرقية القديمة ومن ضمنها المعارف العراقية إلى بلاد اليونان فكانت أساسا متينا قامت عليه فيما بعد الحضارة اليونانية والرومانية.[41]

الحضارات الوسيطة ودور الصلات الثقافية

يقصد بالحضارات الوسيطة تلك الحضارات التي تركزت في آسيا الصغرى ومن الساحل السوري والتي قامت بدور مهم في نقل المؤثرات الحضارية المختلفة من المدن الشرقية إلى الغرب فلم تمنع أو تعيق الحدود السياسية أو الحواجز الجغرافية انتقال المؤثرات الحضارية[42] فآسيا الصغرى جغرافيا كانت تشكل جسرا حضاريا بين عالم الشرق القديم في الجنوب والعالم الإيجي ومن خلال هذا الجسر الحضاري عبرت قوافل التجارة المحملة بأفكار الشرق القديم من بحر إيجا مقابل بلاد اليونان. كان الإغريق يستوطنون في أكثر السواحل المجاورة لآسيا الصغرى منذ أقدم الازمان.[43]

ولقد ساهم كلّ من الحيثين والحوريين في عملية النقل الحضاري إلى منطقة بحر إيجة وبلاد الإغريق، فبالنسبة للحيثين، فقد كانوا من الشعوب التي تمكنت من التغلب سياسيا على كل الولايات الصغيرة المنتشرة بين آسيا الصغرى وبحر إيجة وإلى أعالي نهر دجلة، لقد استطاعوا النهوض الحضاري وتجميع تلك الدويلات في إطار حكومة واحدة.[44] وقد وقعوا تحت التأثير الحضاري العراقي القديم في مختلف مجالاته لاسيما أن جزء من آسيا الصغرى قد وقع تحت التأثير الحضاري الآشوري[45] منذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد بحكم وجود المراكز التجارية الآشورية في إقليم كبدوكيا ومن خلال الاتصال ببلاد آشور وبابل ولاسيما

بعد غزو الحيثين لبلاد بابل فأخذ الحيثيون الخط المسماري لتدوين لغتهم بعد أن أدخلوا عليه بعض التعديلات؛ فدونوا علومهم ومعارفهم بواسطته كما تأثروا بالقوانين البابلية[46] وبعد أن انتهى دور الحويثيين برز دور الفريجيين حيث كانت نهاية الامبراطورية الحيثية في حدود أواخر القرن الثالث عشر تحت مجيء الأقوام الهندو أوروبية التي جاءت عن طريق المضائق من الغرب ثم كانت نهاية كياناتهم السياسية على يد سرجون الثاني (721-705 ق. م) فاضطلع الفريجييون بحدود القرن الثامن قبل الميلاد بدور مهم فقد أخذوا من الحيثيين التراث الحضاري وأضافوا عليه، ولقد استمروا بحدود قرنين من الزمن على نهج الحيثيين في الجوانب المختلفة، وعملوا على المحافظة على ذلك التراث الحضاري العريق. وأخذت أنظارهم تتجه إلى الغرب أكثر من سابقته، فيصل اتصالا مباشرا بالإغريق ويعمل على إيوائهم في أرضهم وتحت سلطانهم، ومن هذا المنطلق يصبح لدينا تصور كامل عن دور آسيا الصغرى فهي تعد بحق. موطن حضارة متميزة وقنطرة عبور حضاري بين الشرق والغرب.[47]

وبعد سقوط دولة الفريجين في القرن السادس قبل الميلاد أخذت مملكة ليديا عنه بعض المظاهر الحضارية المتأثرة بحضارة بلاد الرافدين وأخذت تكثر من صلاتها ببلاد اليونان حتى عدّها المؤرخون معبرا مهماً يتلاقى فيه الآسيويون باليونانيين[48] فأخذ اليونان من ليديا العديد من كنوز المعرفة المختلفة، وهكذا عدت اقتباسات اليونان من الشرق كثيرة العدد وثقيلة الوزن إن صح التعبير إذ تعجز المصادفة أن تفسر الرقي والتقدم الملحوظ الذي شهدته ايدنيا عن سائر المقاطعات اليونانية.[49]

أما الحوريون ففي حدود الألف الثاني قبل الميلاد أدى تدفق قبائل البدو الاوراسيين، حيث وجدوا طريقهم إلى جنوب غرب آسيا في القرن الثامن عشر قبل الميلاد وقد تركت هذه القبائل تأثيرات في السكان المستقرين الذين وصلهم هؤلاء المهاجرون إلى مواطنهم، وكان لهذا التدفق أثره الواضح في دفع الحوريين إلى الهجرة إلى بلاد الشام والرافدين ودفع بالهكسوس إلى بلاد وادي النيل، فقد كان لهذا التدفق أثره غير المباشر في العلاقات بين المدن القديمة وأدى إلى إقامة العلاقات الفعالة[50] فترتب على ذلك أن ساهم الحوريون مساهمة كبيرة في عملية النقل الحضاري بفعل تحركاتهم السريعة في مناطق الآشوريين وانتقالهم في مناطق الأناضول والمناطق الارمينية ومناطق سوريا الشمالية، وكان لكل ذلك أثره في تعريف شعوب هذه المناطق ببعضها والتعرف إلى حضارتها.[51]

أما بالنسبة لبلاد الشام وخاصة مدن الساحل السوري، فالمؤرخ يلمس اهمية الموقع

الجغرافي لما له من أثر فاعل في نوعية الانتاج الحضاري فيها، فوجود الساحل السوري وما أقيم عليه من موانئ فضلا عن وجود الجزر القريبة من الساحل واختراق جبال لبنان الشرقية والغربية لبلادهم جعل منها مضائق سهلة مفتوحة على البحر، كما خلق بالمقابل بلاد داخلية تواجه الصحراء وبذلك كتب لهم أن يلعبوا دور الوسيط الحضاري.

فهي بحكم موقعها تقع في قلب الشرق الأدنى القديم، حيث تُعد بمثابة حلقة اتصال بين المراكز الحضارية الرئيسة في المنطقة بصفة عامة، بلاد الرافدين بصفة خاصة من جهة ومصر الأناضول وأيضا جزر قبرص وكريت وشبه جزيرة البليبونيز. ووقوعها على طرق المواصلات جعلها مسرحا طبيعيا للحضارة والتجارة والهجرة للأقوام الجزرية والهندو أوروبية والحرب بين القوى الكبرى في تلك الحقبة وهذا ما حال دون ظهور حضارة أصلية فيها وإنما نشأت فيها حضارة فرعية.[52] ولقد نهضت الموانئ الكنعانية الممتدة من أوغاريت إلى جنوب الشاطئ الفلسطيني بدور كبير، فقد كانت نقاط ارتكاز تجاري بين البلدان الواقعة على جنوب البحر المتوسط[53] فمارست عملية النقل التجاري بين الدول الكبرى القديمة.[54] وتخصص سكان المدن الداخلية في النقل البري واحتكار القوافل التجارية التي جلبت المنتجات الآسيوية والأفريقية المختلفة إلى سواحل البحر المتوسط حيث حصرت الصحراء طرق المواصلات البرية بين آسيا وأفريقيا في قوس كبير يحف بالطرف الشمالي رمال الجزيرة العربية، بينما كان الطريق إلى شرق أوروبا ينجرف إلى شمال سوريا، ومن هناك يعبر جبل طوروس إلى آسيا الصغرى نحو القسطنطينية، فهناك طريق عبر صحراء سيناء إلى إفريقيا وهناك طريق آخر عبر تلك الصحراء يؤدي من سهل فلسطين الجنوبي إلى دلتا النيل، كما أن الطريق من بلاد الشام إلى بلاد الرافدين ليس بالطريق الطويل فالمسافر إذا توجه إلى حلب لم يجد أمامه سوى مساحة صغيرة من الصحراء كان على المسافر اجتيازها ثم الوصول إلى بلاد الرافدين، أما سكان الساحل فتخصصوا بالنقل البحري حيث كان للصعوبات التي تقيمها الجبال والصحاري بوجه المواصلات البرية أثره المباشر نحو فاعلية الطرق البحرية حيث كانت افضل الطرق واكثرها استخداما من بلاد الشام إلى مصر، وكانت فلسطين فقيرة بالموانئ مما شجع على زيادة شهرة الموانئ الفينيقية، وعلى الرغم من تعرض مدن الساحل إلى سيطرة الدول المختلفة مثل بلاد الرافدين وبلاد وادي النيل.[55]

إلا أن كل ما كانت تصبوا إليه هو السلام والاستقرار لأنه لا تجارة ولا ازدهار إلا في ظل الاستقرار والسلام فكانت تهادن وتسالم وتفاوض وتدفع الجزية عن طيب خاطر شرط أن تترك وشأنها، فكانت المدن التي أقيمت حول الخلجان الصغيرة تقيها شر العواصف

وأصبحت هذه المدن ذات شان كبيرة من أوغاريت، وطرابلس، البترون، جبيل، بيروت، صيدا، صور، يافا، فغزة فكانت هذه الموانئ نقاط ارتكاز تجاري بين البلدان الواقعة على جوانب حوض البحر المتوسط.[56]

فأخذ الفينقيون بالإبحار في شكل هجرات بشرية ينقل فيها سكان الساحل الشامي إلى شواطئ الأخرى مع كل ما ينقل مع هذه الهجرات من أفكار ونظم وعادات وتقاليد وعقائد وثقافة ولغة وأخذوا قبل القرن الحادي عشر يهاجرون إلى السواحل الشمالية والجنوبية لحوض البحر المتوسط وكانت احد أسباب توجهم باتجاه البحر بعد القرنين الثالث عشر والثاني عشر حين أخرجهم الآراميون من سوريا الوسطى واضطرهم اليهود والفلسطينيون لمغادرة سوريا الجنوبية فأصبحوا من أشهر الملاحين ويقيمون الجاليات الصغيرة التي سرعان ما تغدو مستعمرات تجارية في الأماكن التي يستقرون فيها، ومن أبرز تلك المستعمرات في قبرص شرقي البحر المتوسط، وصقلية وسردينية في وسط البحر المتوسط وشواطئ إسبانيا وعلى الساحل الإفريقي (تونس الحالية) أي أن مراكزهم التجارية انتشرت على طول السواحل الشمالية والنوبية وعلى أثر الغزو الآشوري للمدن الفينيقية امتد نفوذهم ابتداء من أواخر القرن الثامن وأوائل القرن السابع قبل الميلاد إلى مناطق أبعد حتى وصلوا إلى شواطئ غالة (فرنسا الحالية والسواحل الشرقية والجنوبية لشبه جزيرة ايبرية).[57]

وحملوا إلى تلك المدن بضائعهم ولكن الإنجازات التي تحققت بفضل التجارة والأسفار البحرية لم يكن غرضها مباهاة الإغريق بالأدوات الأساسية للحضارات المتقدمة ولكنها فتحت العيون وأيقظت الأفكار وأخذ الإغريق يشاركون الفينيقيين في التجارة البحرية وعمدوا إلى استعارة الإنجازات التي حققها سكان الشرق القديم[58] واستطاعوا من خلال نشاطاتهم التجارية ومراكزهم التجارية من نقل أفكار وعلم الشرق القديم بشقية المادي والفكري إلى العالم الغربي الذي كان ما يزال في طور النمو.[59] إذن لقد تم التلاحم الحضاري برا عن طريق آسيا الصغرى وبواسطة الجاليات اليونانية الآسيوية وبحرا على يد الفينيقيين.

نهضت قبرص بدور كبير في نقل المظاهر الحضارية حيث تعرف من خلال النصوص التاريخية أنها كانت مصدرا للنحاس حيث نقرأ في إحدى رسائل ماري عن تسلم نحاس من قبرص، كما يكتب ملك قبرص إلى الفرعون المصري في عصر العمارنة باللغة الأكدية مما يدل على معرفة البلاد باللغة وجود من يكتب بها هناك وهي أي رسالة تنم من غير شك عن صلات قوية مع بلدان الشرق الأدنى ويشرح ملك قبرص بالرسالة عن قلة النحاس معتذرا إليه ويشكو من نزول الكوارث في البلاد ويذكر أن سبب هذه الكوارث هو الإله نركال (إله الموت البابلي)

أما بالنسبة إلى كريت ومنطقة جزر بحر إيجه فتشير الآثار المكتشفة إلى وجود علاقات تعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد وفي الألف الثاني قبل الميلاد تطورت تلك العلاقات والدليل على ذلك العثور على اختام بابلية حيث وصلنا من موقع تانوس plantans في كريت على اسطواني يعود إلى عصر حمورابي كما تعود الكتابة التكريسية لزام سين حاكم اشنونا والتي وجدت في جزيرة كبيرت Kithira الواقعة بين كريت واليونان، كما أرسل الملك زمري وليم ملك ماري (تل الحريري على الفرات) إلى معاصره وحليفه آنذاك الملك حمورابي (722-1750م.م) شئ من كريت إلى جانب نص اخر للحصول على مواد ثمينة من كابتيرا kaptera(كريت) وقد ترك أحد الأمراء البابلين نص إهداء في إحدى الجزر الواقعة بين كريت واليونان وقد عثر في عام 1963 في طيبة على مجموعة تتألف من ست وثلاثين ختما منها أربعة عشر مكتوبة بالخط المسماري واللغة الأكدية وأخرى تعود إلى موظف الملك الكيشي بورنا بورياشي (1367-1346 م. م).[60]

إذن لقد تهيأت كل الوسائل لسكان شواطئ البحر المتوسط لأن يتصلوا ببعضهم ولحضارتهم بأن تتداخل وتتمازج، فعلاقة اليونان بالشرق لم تنقطع منذ خمسة آلاف سنة على الأقل ولم تكن علاقتها بالشرق في هذه الحقبة إلا علاقة التلمذة المستمرة على الثقافات الروحية والمادية فبحكم الموقع الجغرافي إن لليونان تلامذة طبيعيون لكل ثقافة شرقية فهي قد اعتمدت في مقوماتها الأساسية وأكسبتها طابعا يونانيا جديدا.[61]

"إذا اصطدمت لأول مرة عقيدة عالم غرب آسيا بعقيدة إنسان الغرب إنه الإنسان الهيلليني الذي يعتقد أن مقاييس كل الأمور قد اهتدى إليها ميلاد الحكمة على العقيدة والذي يعتقد أن مقاييس كل الأمور الحضارية معا بتفكيره الخاص، لقد كانت لتلك الحروب آثارها السياسية والحضارية معا حيث شهدت لأول مرة الاحتكاك والتماس ما بين الشرق والغرب، فبعد هزيمة الفرس أخذت أنظارهم تتجه إلى تلك الحضارة الجديدة والمدنية التي لم يعرفوها فحدث ذلك الامتزاج الفريد مابين الشرق والغرب فأدى إلى نتاجات حضارية مركبة وجديدة في الوقت نفسه وأن كانت مقوماتها الحضارية تعتمد في جذورها على الحضارات الشرقية القديمة في بلاد الرافدين ومصر والشام لكنها اكسبتها طابعا يونانيا جديدا وما نجم عنه من غزو الإسكندر المقدوني لبلاد الرافدين من حيث كان لها الأثر في احتكاك حضارة العراق القديم بحضارة غير شرقية ألا وهي الحضارة الهلينية (حضارة بلاد اليونان).[62]

لقد عمل الإسكندر على نشر هذه الحضارة في جميع البلدان الشرقية التي كانت تعيش

في بقايا الحضارات الشرقية القديمة والتي كانت ترزخ تحت الاحتلال الإخميني الذين هم بدورهم ورثوا عن هذه الحضارات الشيء الكثير فالتقت الحضارة الإغريقية ببقية حضارات الشرق القديم وكانت من نتيجة هذا الصراع والالتقاء الحضاري الفاعل الذي شهدته بلدان الشرق القديم بين الحضارة الهللينية وبين حضارات الشرق القديم أن نتجت حضارة تجمع مابين الحضارات عرفت لدى الباحثين باسم الحضارة الهللنستية اي الشبيهة بالهللينية وكانت حقبة الصراع هذه والتي امتدت من غزو الإسكندر المقدوني لبلاد بابل في عام331 ق.م ولحين زوال هيمنة السلوقيين على بلاد الرافدين حقبة مهمة انتقلت خلالها كثير من العلوم والمعارف الشرقية القديمة ومن ضمنها المعارف العراقية إلى بلاد اليونان فكانت أساسا متينا قامت عليه فيما بعد الحضارة اليونانية والرومانية.[63]

ولدينا إشارة أن الإسكندر المقدوني لما سيطر على منطقة الشرق واحتوى ملك فارس عمد إلى حرق كتب دين المجوسية وعمد إلى اللسان اليوناني إلى بلاده وأحرق أصولها،[64] ولا ننسى ما قام به الكاهن والمؤرخ البابلي بيروسس والذي ألف كتابا عن تاريخ بلاده منذ الخليقة حتى حكم الإسكندر باللغة اليونانية وأهدى مؤلفه إلى خليفة الإسكندر في حكم بلاد الشام والعراق وإيران وهو انطيوخس الأول 292 261 ق. م.[65]

ولما كان تاريخ مصر منذ العهد المقدوني قد أصبح يتصل اتصالاً وثيقًا بالعالم الإغريقي، فإن عهد البطالمة ينتمي إلى العصر الهلينيسي. وينتهي هذا العصر بموقعة أكتيوم في عام 31 ق.م وهي التي بسط الرومان بعدها سلطانهم على مصر، وكانت آخر مملكة هلينيسية لا تزال مستقلة، ولو اسماً.[66] ولما كانت معالم هذا العصر قد بدأت قبل وفاة الإسكندر واستمرت في البقاء إلى ما بعد أغسطس، فإنه يتبين لنا أن هذين التاريخين ليسا سوى اصطلاح اتفق عليه المؤرخون، لكن هذين التاريخين ينمان عن حقيقتين: وإحداهما هي أن أعمال الإسكندر تكشفت عن نتائج غيرت وجه العالم فلم يعد شيء على حالته السابقة. والحقيقة الأخرى هي أنه بعد خضوع العالم الهلينيسي لروما وتدهوره مع تدهور الامبراطورية الرومانية أبان حروب روما الأهلية، أعيد بناؤه ثانية مع الامبراطورية الرومانية على قواعد جديدة، ومن ثم بدأت الحضارة الإغريقية ـ الرومانية. ويختلف العلماء في تعريف العصر الهللينيسي، فيرى بعضهم أنه عصر حضارة جديدة تتكون من عناصر إغريقية وشرقية، ويرى بعضهم أنه عصر انتشار الحضارة الإغريقية بين الشرقيين، ويرى بعضهم أنه لا يتعدى استمرار الحضارة الهلينية القديمة على اسسها السالفة. وفي رأينا أنه مزيج من ذلك كله، لأن كلاً من هذه الآراء يحتوي على قدر من الحقيقة.

استمرت الحضارة الهللينية في هذا العصرالقديم على أسسها السالفة في جوهرها، لكن

اختلتها بعض العناصر الشرقية، ولم تنتشر هذه الحضارة في ربوع الشرق فحسب بل أن مراكزها الرئيسة لم تعد في بلاد الإغريق القديمة، وإنما في عواصم الممالك الجديدة التي نشأها خلفاء الإسكندر الأكبر على أنقاض الامبراطورية المقدونية. فلا عجب أن وصفت لحضارة الهللنستية بأنها حضارة ملكية، والحضارة الهللينية الكلاسيكية بأنها حضارة المدن لحرة.(67)

غزو الإسكندر المقدوني والتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب

أخذ اليونانيون اعتبارا من القرن الثامن قبل الميلاد ينتشرون بكثرة في مصر كتجار وكجنود مرتزقة في الجيش المصري وتجمعت الجاليات اليونانية في مدينة نوكراتيس التي نيت فيها عدة معابد يونانية وبلغ عدد سكانها حوالي خمسين ألفا.(68)

التغيرات التي طرأت على الشرق في أثناء عصر الإسكندر حيث ازداد التبادل التجاري ين فينيقيا وبلاد الإغريق فقد كان هذا التبادل التجاري له أسسه في العهد الفارسي ولكنه زداد ازدياداً كبيراً بسبب فتوحات الإسكندر، فقد رافق التجار الفينيقيون الإسكندر حملته لعسكرية ضد بلوخستان، تلك الحملة التي واجهتها شدائد وأهوال فكانوا يقدموا كل لمساعدات للجيش الإغريقى مما أدى إلى اجتياح البضائع والسلع الإغريقية أسواق الشرق لأدنى، وذلك أدى إلى الانتعاش التجاري.(70)

أصبحت المدن الفينيقية مراكز إشعاع إغريقي للدين والحياة السياسية والفنية والفكرية الأفكار العلمية من سوريا إلى الهند وذلك بسبب زيادة عدد سكان الإغريق في هذه المدن عن طريق التجار والصناع وأرباب الاعمال، فأراد الإسكندر خلق امبراطورية موحده وخلق جيل جديد يتخذ الأخوة له شعار فحاول أن يربط قارة آسيا ببلاد اليونان فشجع الإسكندر جنوده لإغريق على الزواج من اسيويات كما فعل هو وتزوج روكسانا بنت ملك بابل(71) وانشأ اكثر ن سبعين مركزا لتستوطنها جاليات مقدونية ،فتأثرت المدن الفينيقية بالأفكار الجديدة وأيضا أثر سكان المدن من الإغريق بالأفكار الشرقية الجديدة فتعلموا فنونا تجارية دولية جديدة تعرفوا على سلع وبضائع جديدة وحجارة كريمة لم يعهدها الناس من قبل، وأصبحت اللغة لإغريقية تدريجيا لغة الفكر الراقى في جميع أنحاء العالم المتمدن، فإن أعظم ما قدمه لإسكندر في مجال الثقافة والفكر كان إفساح المجال الحضارى لتندمج فيه المدنية الإغريقية أفكارها الجديدة ومؤسساتها بالمدنية الشرقية لينشأ عن هذا الاندماج مدينة جديدة نشيطة عرف بالمدنية الهللينية.(72)

الأحوال العامة بين أواخر السيطرة الفارسية الإخمينية وبداية العصر الهللنيستي

النظم الإدارية

استمرت النظم الإدارية التي أخذها الفرس عن الآشوريين حتى بعد انهيار الامبراطورية الفارسية، فقد حل المرزبان (الحاكم المدنى) الفارسى مرزبان يوناني، وكانت سلطته محدودة كسابقيه بوجود الحاكم العسكرى والمفتشين وجامعي الضرائب. وقد سرى على المناطق كافة قانون موحد وأجريت تعديلات على المقاييس والمكاييل وما ساعد على نجاح إدارة البلاد الطرق التي فتحوها وتنظيم سير البريد فيها وقد ساعدت هذه الطرق على أزدهار التجارة وزيادة تبادل السلع ومن هذه الطرق ،الطريق الذي يربط سوسه بافسوس في آسيا الصغرى وكان من الطرق الرئيسة ويبلغ طوله 1677 ميلا وكان مقسما إلى إحدى عشر محطة بريدية بكل منها خيول تتولى أتباع الملكعلى طول الطريق. هناك طريق يصل مصر ببابل ثم إيران وأفغانستان ثم غرب الهند فضلا عن الطرق الفرعية وكانت هذه الطرق مجهزة بمنازل وفنادق على طول الطرق كما تم إنشاء مراكز للبريد كانت مزودة بالخيول اللازمة مع الحاميات العسكرية لحماية مراكز البريد .[74]

النظام الاقتصادي

تميزت هذه الحقبة اليونانية بانتعاش اقتصادى كبير في كل مناطق أسيا الغربية، رغم أن الفرس كانوا هم المشرفين على توجيه الأمور الاقتصادية، استمر التعامل بالعملة الذهبية التي كان قد وحدها دارا الأول والتى كانت تعادل في قيمتها عشرين شاقلا حوالى 160 جرام من الفضة ، فخلال حكم الفرس الإخمنيين كانت هناك بنوك ، فكان في بابل رجال أعمال قد تم العثور على قسم من حساباتهم التجارية وكانت مؤسستهم تمول التجارات الخارجية وتفتح حسابات لإيداع الأموال وتقدم القروض والسلف وتنظم رسائل الاعتمادات وتقدم حتى ما يدعى في يومنا الحال بـ(الشيكات السياحية) والكفالات التجارية. ولكن نستطيع أن نكون صورة عن الحياة الاقتصادية من خلال الوثائق المسمارية والتي يعود تاريخها إلى القرن التالي، واشهر هذه البيوت المالية المستقلة في أعمالها بيت موراشو Murasu(460-400 ق.م)، بيت أكبي أو أقبي Egibi، وبيت ايرانو.

أدت السياسة الفارسية الجشعة في خزن النقود والمعادن وسحبها بالتالي من التداول إلى شح دائم لها مما عرقل إمكانية توفيرها من قبل الأفراد لدفع ضرائب الملك وأجبر دافعوا الضرائب من البابليين على الاندفاع نحو الحصول على قروض بفوائد عالية وصلت إلى نحو

40-50% في نهاية القرن الخامس للميلاد كما ثبت ذلك في سجلات موراشو بينما لم تزد في زمن نبوخذ نصر عن 10% هذا بالنسبة للمدن في جنوب العراق التي كانت خاضعة للسيطرة الإخمينية أما المناطق الشمالية فإننا لا نملك أية معلومات عنها وقد أشار زينفون في كتابه الصعود أن مواقع المدن في آشور ونينوى ونمرود كانت مهجورة ومدمرة. وجد أرشيف بيت موراشو في نيبور (نفر) كانت مركزا رئيساً لسكن اليهود في حدود القرن الخامس قبل الميلاد وهي الآن محفوظة في متحف اسطنبول. فخلال التنقيبات التي جرت عام 1893م من قبل جامعة بنسلفانيا وهي تمثل مجموعة كتابات تتكون من سبعمائة وثلاثين لوحا تعود إلى عهد ارتحششتا الأول (464-424 ق.م) ودارا الثاني (424-404 ق.م) .

ولقد كتبت الرقم الذي يخص بيت موراشو بالمسمارية، غير أن عددا من الوثائق يحمل على وجه واحد، خلاصة محتويات مؤلفه من كلمات آرامية قليلة كتبت بالحبر ففي هذا التاريخ لم يكن سوى الأفراد المثقفين ثقافة عالية يستطيعون الكتابة المسمارية واللغة الأكدية وكانت عامة الشعب يتكلمون الآرامية وإذا استطاعوا أن يكتبوا فإنهم يكتبون بالآرامية أيضا . ومن المحتمل أن تكوين الرقم موضوع البحث تمثل أرشيف شركة بيت موراشو وأن خلاصة المحتويات المدونة بالآرامية قد تعين الكتبة على وجود الوثيقة التي يريدونها وتقديمها إلى أحد أعضاء الشركة ممن يستطيعون قراءة الكتابة المسمارية .وجدير بالذكر أن الأسلوب المتبع في تغليف العقد ظرف من الطين مكتوب عليه ملخص للترقيم قد توقف العمل به في فترة العهد البابلي الحديث، وتملك الكثير من هذه الألواح آثار الأختام أو أحيانا علامات الأظفار لواحد أو أكثر من الروساء الموجودين في البيت التجاري أو الشهود .

تشير المادة النصية المكتشفة في نفر إلى ممارسة تملك الأجانب وطبقات اجتماعية معينة كاليهود الذين سكنوا في أماكن وشوارع منعزلة وكانوا تحت إشراف موظفين خاصين . كانت عائلة موراشو إحدى العوائل اليهودية التي كانت ضمن الأسرى الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل، واشتهرت هذه العائلة كأحد البيوت المالية في عهد ارتحششتا الأول ونستقرئ من الدلائل التي وصلت إلينا من خلال التحريات الأثرية ما يثبت أن هذه العائلة استطاعت أن تنشئ بيتا ماليا كبيرا كانت له فروع في مناطق مختلفة وقد اتجه أصحاب هذا البيت إلى القروض بالفائدة التي كانت تصل إلى 40-70% وبعض الديون الثقيلة أضحت عالية إلى حد يفسر لنا حجم الفقر الذي حل ببابل بالمقابل فقد عثر في أرشيف بيت موراشو على ديون مقدارها 350 كغم أو 90 كغم من الفضة الصافية . كما عقدوا القروض مع الشخصيات الفارسية المتنفذة في بابل وباعوا واشتروا المنازل والأراضي وامتلكوا جداول الري وقطعانا

كثيرة من الأغنام وأداروا أموال غيرهم وكانت أكثر الأراضي بجوار نيبور مرهونة عندهم . وتوفر الوثائق من نيبور شاهدا على حقيقة العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين الأمراء والملكات من الفرس وبيت موراشو التجاري، فقد كان الأمراء والملكات وسيدات البلاط غالبا ما يؤجرون بيوتهم ومزارعهم إلى بيت موراشو وإلى أشخاص آخرين، وغالبا ما يعتمد بيت موراشو إلى تأجير الأراضي في شكل قطع صغيرة إلى تابعيهم أو المستأجرين الثانويين. فأحد الأشخاص الذي يدعى "بغميري بن مثر يدتيس" استأجر بيت موراشو التجاري لمدة ستين سنة وكذلك حقلا مزروعا بالقمح وكالة، وحقلا آخر ورثه بعد وفاة عمه "سندات" ويقع كلا الحقلين على ضفاف قناة "سين" وقناة "شلختي" المجاورة لحقل "شومباتيش" الفارسي، وكذلك أجر بغميري مساكن سكنية في "مقاطعة غاليا" وقد دفع وكلاء بيت موراشو كل بدل الإيجار عند توقيع العقد، وكان الإيجار يبلغ 1200 كور من التمور (أي حوالي مائة وثمانين ألف لتر) فضلا عن ذلك تعهد بيت موراشو أن يحولوا كل الحقول المستأجرة إلى بساتين ونقرأ عن تقديم عبد يدعى ريات Ribat بعرض لاستئجار برك لصيد الأسماك من أولاد موراشو مقابل نصف مزنة من الفضة وتجهيز مائدته من السمك فضلا عن ذلك فإن السيد الذي يتحقق بأن عبده له موهبة بالتجارة لا يتردد أن يعهد إليه بالمعاملات المهمة ومبالغ كبيرة من النقودونظرا لهذا الدور الذي لعبه موراشو وأولاده فقد منح من قبل السلطات الإخمينية لقب بانو Banoوالذي يمنح لصفوة رجال الأعمال ولنبلاء القوم في الأحوال النادرة .

واشتهرت عائلة مصرفية أخرى عرفت باسم أكبي أو ايجبي أو اقيبي Egibi وهناك من يرى أن هذه التسمية أكدية معناها عندي أو بحوزتي أو أنها محرفة من يعقوب وكان على الأغلب من يهود السامرة ولعله كان من أسرى الملك سرجون. كان مركز هذا البيت في (سيبار) الواقعة على ضفاف نهر الفرات وقد ساهم موقعهم هذا في استخدام النهر كوسيلة للاتصال بالمدن المهمة والمراكز التجارية. وظل هذا البيت قرونا عديدة يتعاطى الأشغال المختلفة ويقوم بالمعاملات التجارية المختلفة وعقد الصفقات التجارية، وتعاطى تجارة الرقيق ربما يتعاطى أيضا تجارة النبيذ بالجملة إلى جانب هذا كان يقرض الأموال ويعقد قروض الرهان وله حسابات مالية مع المتنفذين بالمملكة وكان يتقاضى الضرائب ويشهد على العقود التي تتم بين المتعاقدين ويحول التعامل من مدينة إلى أخرى، ونصوص هذا البيت كانت تعتمد على تحرير وثائقها على الأسلوب العراقي فتذكر نصوص العقود اليوم والشهر والسنة التي تم فيها العقد. ويظهر أن مؤسس هذا البيت عاش في عهد سنحاريب وبلغ قمة الغنى والنفوذ في عهد الملك نبوخذنصر أي نحو قرن من تأسيسه. حيث أخذت هذه الشركة تضطلع بشؤون

البلاط البابلي لأمد طويل حيث كانت تجبي الضرائب عما تنتجه الأرض من محصولات الغلال والتمور وما إليها. كما كانت تستوفي الضرائب المفروضة على الطرق العامة، وقنوات الري لقاء الإفادة منها. جدير بالذكر أن العثور على أرشيف بيت اكبي كان من قبل أحد الأعراب في أطلال الجمجمة نسبة إلى لقرية في بابل وقد قدر المستر ريج مساحتها بـ 800× 1100) ياردة وتبعد حوالي نصف ميل غربي القصر حيث عثر على جرار عديدة من الطين كانت مسدودة سدا محكما وقد قدر عدد هذه النصوص 300 نص هي الآن محفوظة بالمتحف البريطاني ويختلف حجمها اختلافا بينا حيث تتراوح بين عقدة واحدة مربعة واثنتي عشرة عقدة مربعة فظهر أنها سلسلة تاريخية ثمينة تعود لبيت اكبي وأحفاده. وهي بلا شك تعكس لنا صورة عن الحياة في تلك الفترة ومن اشهر أعضاء هذه الأسرة بأعمالهم الذين حازوا منزلة رفيعة فاقت سائر أعضائها هم ثلاثة أشخاص نبو-اخي أدينا Nabu-ahhe-iddina وابنه أتي مردوك بلاطو Itti-Mardok-bulatu وحفيده مردوك نصر ابلو وهناك ثمة عقود تجارية تعود إلى عهد نبوخذ نصر الثاني كانوا يتاجرون بالإماء ويجنون الأرباح الوفيرة من ذلك إن بنو-أخي-أدينا اتفق ورجلا آخر يدعى كاليا على أن الأول شريكه بالإماء فيتاجر هذا بها ويدفع لشريكه ثلاثة أرباع المداخيل . حيث تشير النصوص أيضا إلى أن أولاد اكبي كانت تمتلك اكثر من مئة رقيق حيث كانوا يستخدمون في الأعمال التي يمارسها بيت اكبي وحتى في المزارع الخاضعة للضرائب وكذلك في الخدمات المنزلية.

لم يقتصر نشاط بيت اكبي على المدن الرئيسة في بابل وإنما تعدى هذا النطاق إلى إيران فمن أصل تسعة عقود هناك ستة عقود وصدرت في Humadesu (التي تقع في الجزء الغربي من بلاد فارس على مسافة لا تزيد عن 50 كم شرق سوسة، فاتي مردوك بلاطو قد عمل خلال حكم كورش في اكبتانا خلال الأعوام 537/36 ق.م إضافة إلى العمل في منطقة العمل في منطقتين قد تكون إيرانية لأن أسمائها تشير إلى ذلك . أما نبو- اخي ادينا الذي كان نشاطه فعالا في عهد كورش وربما تميز في اكبتانا.

كان المؤرخون قد ارتأوا إلى سنة 1878م أن بيت اكبي قد دام إلى عهد دارا فقط إلا أن دلج بين سنة 1882م أن البيت المذكور ونشاطاته الاقتصادية قد دامت إلى ما بعد عهد الإسكندر المقدوني وقد توصل إلى ذلك من خلال استقرائه لمئات من نصوص الأجر التي اقتناها من رسام واضافها إلى المجموعة التي حصل عليها جورج سميث سابقا وعليه يكون بيت اكبي قد استمر بأعماله التجارية لمدة أربعة قرون متوالية.[75]

إذن كانت جذور الحضارة الهللينستية تمتد إلى عصور موغلة في القدم ولكن تلك الجذور كتب لها أن تنمو وتورق وتثمر بسرعة كبيرة عندما تهيأ لها المناخ المناسب في ظل امبراطورية

عالمية واحدة رسم حدودها الأولية الإسكندر الكبير بسيوف مقدونية وإغريقية ثم تابع بعده العلماء والفلاسفة والفنانون والتراجمة وغيرهم العمل على بناء صرح حضاري جديد في لونه أصيل في العديد من عناصره فجاء المؤرخون المعاصرون ومدوا بأقلامهم ليكتبوا بالخط العريض على بوابة سورها الرئيس لائحة الحضارة الهلنستية على حد تعبير المؤرخ نعيم فرح.(76)

التفاعل الحضاري بين الشرق والغرب بعد السيطرة المقدونية

نالت البلدان الشرقية وثقافاتهم اهتمام اليونانيين منذ بدء الاهتمام بالكتابة وخاصة الكتابة التاريخية، ويتضح ذلك منذ أن كتب أول المؤرخين اليونان وهو هيكاتيوس أوهيكاتا المللتي (550ق. م) ثم نهج نهجه من كتب بعده وأهمهم هيرودوتس (484-425ق.م). أي أن الاهتمام بدء بالشرق تحديداً في القرن السادس قبل الميلاد وكان دافع هذا الاهتمام سببين:

الأول: إنشاء المستعمرات اليونانية في الشرق، وفي اسيا الصغرى خاصة.

ثانياً: التبادل التجاري ووجود السفارات بين الشرق واليونان والعكس حسب الظروف التي كانت تتعرض لها في أراضي الجهتين.

وزداد الاهتمام بهذه الدراسات من قبل اليونانيين اعتباراً من القرن الثالث قبل الميلاد نتيجة عوامل أخرى أبرزها:-

1- غزو الإسكندر المقدوني لمعظم بلدان الشرق حتى وصل إلى آسيا.

2- استمرار الاتصالات المتنوعة مع المصريين والآسيويين في الدول التي انقسمت إليها دولة الإسكندر المقدوني.

ويربط كثيرمن الباحثين والدارسين بين البدايات الأولى لظهور الاستشراق. مع بداية اهتمام اليونانيين بمنطقة الشرق القديم حيث إن الدراسات الأستشراقية عادة ما تأتي بعد حدث كبير ظهر في الشرق ،مثل هزيمة عسكرية من الشرقيين لجيوش يراها المستشرقون – بحكم وطنيتهم أو عنصريتهم –اكثر حضارة لأنهم يعتقدون أنه لا بد أن يسبق المعارك العسكرية دراسات عن تاريخ المنطقة التي سيتم غزوها وعن شعوبها وديانتها وعاداتها وتقاليدها. ويرون أنهم يستطيعون عمل ما لم تفعله المعركة بعد الهزيمة. فحينما غزا الإسكندر بلدان الشرق ووصل إلى الهند، رأوا فيه "متوحشاً أجنبياً شبيهاً بالجن"لأنه لم يحترم عادات الهنود وتقاليدهم فلما مات الإسكندر حاول سلوقس ملك سوريا استرداد البلاد التي فقدتها امبراطورية الإسكندر واعتمد القوة الحربية ولكن ملك الهند هزمه هزيمة كبيرة وطرده من كل

البلاد الشمالية، فاضطر إلى عقد صلح وحصل فيها سلوقس على خمسمائة فيل تعويضا وأرسل سفيراً إلى الهند يمثله وهو ميجاسيثينس (في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد) وكانت مهمة السفير جمع المعلومات فقام بجمع معلومات كثيرة عن الهند ولكن فقدت منه أجزاء جاء بها المؤرخ ديودور الصقلي في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد في كتابه.[77]

يطلق المؤرخون اسم" حضارة الإغريق أو الحضارة الهيللينية "هو مصطلح يُشير إلى الحقبة التاريخية (من750 قبل الميلاد إلى146قبل الميلاد) من تفاعل وامتزاج مظاهر، الثقافة والحضارة اليونانية مع مظاهر الحضارات الشرقية التي ظهرت في ربوع مناطق الشرق الأدنى القديم حيث انتشرت فيها الحضارة اليونانية في البحر الأبيض المتوسط، وشرق أوروبا وآسيا مع الحملات العسكرية، مندمجة مع الثقافات المحلية[78] وبموت الإسكندر يبدأ في العالم الإغريقي العصر الذي اتفق المؤرخون على تسميته بالعصر الهلينيسي وقد أُطلِقَتْ هذه التسمية أي هلَّنستية" على الحقبة الممتدة من تاريخ وفاة الإسكندر المقدوني حتى الفتح الروماني، أي مدة قرنين حدث فيهما "تَهَلُّن" قسم كبير من العالم الشرقي واندماج اليونانيين مع بلاد الشرق، حيث أصبحت أنطاكية في سورية والإسكندرية في مصر المركزين الأساسيين لثقافتها، وتبعتْهما لاحقًا القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية.[79]

وهكذا فإن ظهور معالم الحضارة الهللينستية لم يكن حدثا فُجائياً، بل توضحت أسس هذه الحضارة منذ أن بدأت الصلات التجارية والعسكرية والثقافية القديمة بين سواحل الشرق والسواحل اليونانية وظلت آثارها ماثلة في العصور الوسطى كما لا تزال ملموسة في كثير من مظاهر الحضارات المعاصرة. وفي الواقع فإن الإغريق اقتبسوا الكثير من أسس حضارتهم وعناصرها من المصريين والعراقيين والفينقيين وغيرهم من شعوب الشرق، كما أسسوا المستعمرات الإغريقية على شواطيء آسيا الصغرى ومصر قبل أن يستولي الإسكندر على الشرق القديم وينشر فيها معالم الحضارة اليونانية.

ولما كان تاريخ مصر منذ العهد المقدوني قد أصبح يتصل اتصالاً وثيقًا بالعالم الإغريقي، فإن عهد البطالمة ينتمي إلى العصر الهللينستي. وينتهي هذا العصر بموقعة اكتيوم في عام 31 ق. م وهي التي بسط الرومان بعدها سلطانهم على مصر، وكانت آخر مملكة هلينيسية لا تزال مستقلة، ولو اسمًا. ولما كانت معالم هذا العصر قد بدأت قبل وفاة الإسكندر واستمرت في البقاء إلى ما بعد أغسطس، فإنه يتبين لنا أن هذين التاريخين ليسا سوى اصطلاح اتفق عليه المؤرخون، لكن لروما هذين التاريخين ينمان عن حقيقتين: إحداهما هي أن أعمال الإسكندر

تكشفت عن نتائج غيرت وجه العالم فلم يعد شيء على حالته السابقة. والحقيقة الأخرى هي أنه بعد خضوع العالم الهللينيستي مع تدهور الامبراطورية الرومانية أبان حروب روما الأهلية، اعيد بناؤه ثانية مع الامبراطورية الرومانية على قواعد جديدة، ومن ثم بدأت الحضارة الإغريقية - الرومانية. ويختلف العلماء في تعريف العصر الهللينستي، فيرى بعضهم أنه عصر حضارة جديدة تتكون من عناصر إغريقية وشرقية، ويرى بعضهم أنه عصر انتشار الحضارة الإغريقية بين الشرقيين، ويرى بعضهم أنه لا يتعدى استمرار الحضارة الهللينية القديمة على أسسها السالفة. وفي رأينا أنه مزيج من ذلك كله، لأن كلاً من هذه الآراء يحتوي على قدر من الحقيقة، ففي هذا العصر استمرت الحضارة الهللينية القديمة على أسسها السالفة في جوهرها، لكن داخلتها بعض العناصر الشرقية، ولم تنتشر هذه الحضارة في ربوع الشرق فحسب بل أن مراكزها الرئيسة لم تعد في بلاد الإغريق القديمة، وإنما في عواصم الممالك الجديدة التي أنشأها خلفاء الإسكندر الأكبر على أنقاض الامبراطورية المقدونية. فلا عجب أن وصفت الحضارة الهلينيسية بأنها حضارة ملكية، والحضارة الهللينية الكلاسيكية بأنها حضارة المدن الحرة.(80)

مميزات العصر الحضارية

ويمثل هذا العصر من بعض النواحي مرحلتين من مراحل الحضارة، أثمرت في أولاهما العلوم والفلسفة والآداب وغيرها من مظاهر النشاط الفكري، في ظل عالم إغريقي - مدقوني مستقل. وأما في المرحلة الثانية فقد نضب معين الإنتاج العقلي وقام الشرق في وجه الغرب، وحين كانت هذه الثورة تهدد العالم الإغريقي - المقدوني انقضت روما على هذا العالم واستولت عليه وآلت إليها زعامة الحضارة الإغريقية. و يمكن أن نعزو ضعف النشاط العقلي في المرحلة الثانية إلى عاملين: أحدهما هو نقص عدد الإغريق الصميمين بانتظام بعد حوالي عام 200 ق.م والآخر هو مجهودات روما في تحطيم الروح المعنوية بين الإغريق.

كما يمثل هذا العصر من نواح كثيرة وحدة واحدة، ذلك أنه بالرغم من أن الدول الإغريقية تمسكت من الوجهة العملية بمبدأ الانفصالية والاستقلال، فإنه من الوجهة النظرية خلفت فكرة العالمية هذا المبدأ، ومن ثم نشأت فكرة وجود عالم واحد يعد ملكًا مشتركًا للبشر المتحضرين، ومن أجله وجدت لغة مشتركة ساعدت على التقرب بين عناصر هذا العالم، فقد أخذ المتعلمون في كل مكان يستعملون لهجة محلية ، التي نشأت منها تدريجيًا اللغة الإغريقية الهلينيسية، وإذا كانت اللهجات المحلية بقيت مدة طويلة في بعض الأنحاء، فإنه لم يأت القرن الأول حتى كانت" اللغة المشتركة" مستعملة في كل مكان.

انتشار التعليم

ويمتاز العصر الهلليتيستي بانتشار التعليم وتقدمه، ولا أدل على ذلك من أن المواطن الذي كان يناط به الإشراف على التعليم في الدولة الإغريقية أصبح أهم حكامها. وانتشرت المدارس الأولية للبنين والبنات في أكثر الدول الإغريقية تحضرا، بل كان الأولاد والبنات يتعلمون معًا في بعض المدن مثل تيوس وخيوس، كان ذلك من قبل في أسبارطة. ويبدو أن تعليم البنات كان يقف عند انتهائهن من هذه المدارس. أما الأولاد فكانوا ينتظمون بعد ذلك في سلك الجومنازيوم ويتلقون فيه عادة في التاسعة عشر والعشرين من عمرهم تعليم الشبان، وكان الهدف من هذا التعليم تدريبهم عسكريًا، لكنه كان يشمل أيضًا تثقيفهم، لأن التدريب العسكري في بعض المدن إجباريًا، لكنه لم يلبث أن أصبح عاماً اختياريًا. وقد أوجدت اللغة المشتركة والتعليم حضارة مشتركة في العالم الإغريقي، انتشرت في كنفها الآداب والفلسفة، وعمت في ظلمتها حرية الفكرة والقول، وزالت الكراهية العنصرية، اللهم إلا إذا استثنينا المصريين واليهود.

روح الإخاء

وقد ساعدت فكرة العالمية وانتشار التعليم واستخدام لغة مشتركة على تقدم روح الإخاء الإنسانية في الوقت الذي استعرت فيه نار الحروب والمنازعات بين الإغريق، إذ إن الدول الإغريقية أخذت تلجأ منذ القرن الثالث أكثر من أي وقت مضى إلى فض ما قد ينشب بينها من الخلافات على الحدود بالتحكيم بدلاً من الحرب. بل استطاع الإغريق في خلال الجزء الأكبر من القرن الثالث أن يخففوا من ويلات الحرب، إذ إن العرف كان فيما مضى يبيح للمنتصر أن يقتل رجال المدن التي يستولى عليها، وأن يبيع نساءها وأطفالها، لكن الإسكندر الأكبر استبدل بذلك بيع جميع السكان، ثم قضى خلفاء الإسكندر على هذه العادة الشائنة، وقبل عودة الحرب ثانية إلى فظاعتها الأولى منذ أواخر القرن الثالث، نستشف دليلاً على استيقاظ العواطف الإنسانية في الحركة التي بدأت في النصف الثاني من ذلك القرن، وتكشفت عن اعتراف الدول الإغريقية بأن بعض المدن أو الأماكن "مقدسة" كالمعابد، لا يجوز أن يعتدي عليها الأفراد أو الدول.

مركز المرأة

ولقد تأثر مركز المرأة في العصر الهلينسي بالدور الذي لعبته الأميرات المقدونيات العظيمات في الفترة التالية لوفاة الإسكندر، إذ إن شأن تلك الأميرات لم يكن أقل من شأن

الرجال العظام من حيث الاضطلاع بأدوار مهمة في الحياة العامة، فقد كن يستقبلن البعثات السياسية، ويبنين المعابد ويؤسسن المدن، ويستأجرن الجنود المرتزقة، ويقدن الجيوش، ويدافعن عن القلاع، ويضطلعن بالوصاية على الملك أو يشتركن فيه. فلا عجب إذن أنه كان لسيدة جميلة قادرة مثقفة، مثل أرسينوي فيلادلفوس، أثر أي أثر حتى على رجال عصرها، ومن القصور المقدونية امتدت الحرية النسبية إلى النساء العاديات، فاستطاعت من شاءت منهن أن تتحرر إلى حد كبير من ربقة التقاليد القديمة، فكان في الإمكان أن تحصل النساء على كل ما يردن من التعليم، فظهرت بينهن في القرن الثالث الفيلسوفة والشاعرة والفنانة. ووجدت أندية خاصة للنساء في أثينا والإسكندرية، لكنه لا شك في أن هذه الحرية لم تكن إلا من نصيب الأقلية من نساء هذا العصر.

الأندية

وربما كان ظهور أندية السيدات صدى للاتجاه الذي نشط في العالم الإغريقي منذ حوالي عام 300 نحو تكوين جمعيات صغيرة كانت قبل كل شيء اجتماعية ودينية تقوم حول عبادة إله معين. وأخذت تظهر أيضًا في أثينا وقوس جمعيات عرفت بحرف أصحابها، لكن نقابات أصحاب الحرف لم تعرف في العصر الهلينيسي إلا في مصر. وقد كانت هذه الأندية أو الجمعيات تتخذ من نظم الدول أساسًا لنظمها، فكان لها من الحكام مثل ما كان للمدن، وكانت تصدر قرارات مثل المدن، لكنه لم تكن للأندية عادة أغراض سياسية.

سخاء الأغنياء وقلة الأجور

ولعله من أبرز مظاهر هذا العصر الزاخر بالمقتضيات ذلك البون الشاسع بين سخاء الأغنياء وقلة الأجور، فقد كان الأغنياء على أتم الاستعداد للتبرع بأموالهم لخدمة الدولة بقدر ما كانوا غير مستعدين لدفع أجور مناسبة، فكثيرًا ما لبى الأغنياء نداء دولهم فأعاروها مبالغ كبيرة دون أرباح، أو تبرعوا لها بهذه المبالغ، أو أخذوا على عاتقهم إنشاء معبد أو جسر أو سفينة حربية أو إقامة حفل عام أو تمثال.

وعلى الرغم من هذه الروح النبيلة، فإن الناس في هذا العصر لم يعرفوا الإخاء كما نعرفه اليوم، أو بعبارة أخرى مساعدة الأغنياء للفقراء بطريقة منتظمة مثل إنشاء جمعيات خيرية أو مستشفيات أو ما شابه ذلك.

اضطرابات اجتماعية

وقد كان هذا العصر حتى أوائل القرن الأول عصر رخاء بوجه عام للطبقات العليا،

ونستدل على ذلك من رواج التجارة، وانتشار الأندية وإقامة الحفلات، والترف في المأكل والملبس، والعناية بتخطيط المدن وبناء المنازل وأثاثها. وقد أدى تدهور قيمة النقد حوالي عام 300 إلى ارتفاع الأسعار، لكن لم يقابل ذلك ارتفاع مماثل في أجور العمال بل أحياناً هبوطها، فاتسع الفارق بين الأغنياء والفقراء مما أدى إلى اضطرابات اجتماعية، ساعد على اشتعال لهيبها مذاهب الرواقيين التي كانت تنادي بالمساواة والإخاء.(81)

وبعد وفاة الإسكندر المقدوني ذرت الفوضى بذورها في كل مكان من أجزاء الامبراطورية كما أشرنا إلى ذلك سابقاً فأسس سلوقس أسرة حاكمة في المشرق والذي شملت فارس وآسيا الصغرى وبلاد الشام وأطلق عليها فيما بعد دولة السلوقيين ،أما مصرفكانت من حصة بطليموس والذي أسس أسرة حكمت بحدود ثلاثة قرون عرفت بدولة البطالسة أوالبطالمة. في حين أن الدولة الثالثة والتي أسسها أنتيخوس في مقدونياوما تبعها من بلاد اليونان لم تعمر سوى سنوات معدودة إذ عمتها الفوضى والفتن وانقسمت إلى عدة دويلات بعد مقتل مؤسسها سنة 301 ق. م وقد ظلت الامبراطورية التي رسم حدودها الإسكندر الكبير ممزقة على تلك الحال حتى أواخر القرن الأول قبل الميلاد حين اندفعت عبر البحر المتوسط موجة جديدة لتغمر ثانية بر الشرق. تلك الموجة هي جحافل الرومان التي استطاعت بعد خوض المعارك هنا وهناك أن تسيطر على المسرح الذي سيطر الإسكندر عليه من قبل باستثناء بعض الزوايا الجانبية. اهتم الإسكندر وخلفاؤه من بعده بالحركة العمرانية فأمروا ببناء المدن الكثيرة في المشرق على الطراز اليوناني بغية تسويد الصبغة اليونانية في هذه الديار. وقد بنيت تلك المدن على الهضاب أو على ضفاف الأنهار أو في الواحات أو على ساحل البحر أو بالقرب منه وذلك من أجل غايات دفاعية أو تجارية. وأحيطت تلك المدن عادة بأسوار منيعة كما أقيمت في وسطها قلعة يسكنها حكام وصممت تلك المدن على النمط الإغريقي تقطعها شوارع متوازية كرقعة الشطرنج أعظمها الشارع الأوسط الذي يقوم على جانبيه صفان من الأعمدة الرشيقة فضلا عن تماثيل الآلهة والملوك والشخصيات المهمة. أما الأبنية العامة التي أقيمت في معظم تلك المدن فهي المسارح والملاعب والمعابد وقصور الحكام والمتاحف والحمامات والمكتبات وحدائق الحيوانات والنباتات والساحات العامة والأسواق التجارية.

وعلى هذا الأساس شيد الإسكندر مدينة الإسكندرية فضلا عن اثنتي عشرة مدينة أخرى خلدت اسمه وكذلك حذا حذوه خليفته على سورية سلوقس الذي أمر بتشييد مدينة تحمل اسمه هي سلوقية ومدينة على اسم والده أنطيوخوس هي أنطاكية وأخرى على اسم زوجته الآسيوية هي أفاميا ومدينة اللاذقية على اسم والدته لاوديسة وغير ذلك من المدن الأخرى.(82)

وقد اهتم البطالسة والسلوقيون بتشجيع الحركة العلمية فشهدت الإسكندرية وأنطاكية نهضة ثقافية كبيرة وأصبحتا محط أنظار العلماء والفلاسفة والفنانين الذين راحوا ينزحون عن المدينة العريقة أثينا وغيرها من المدن الإيجية حيث سادت الفوضى والاضطرابات بلاد اليونان بعد وفاة الإسكندر الكبير. ففي الإسكندرية وضع أقليدس أبحاثه الرياضية المشهورة وفيها عاش أيراثوستينيز المؤرخ الفيلسوف والفلكي الجغرافي الذي وضع أول مخطط جغرافي للعالم وحدد قطر الكرة الأرضية برقم يقل ثمانين كيلو متر فقط عن الرقم الصحيح وفي هذه المدينة وضع هيبارخوس أول أطلس فلكي سجل فيه أكثر من ألف كوكب، كما وضع بطليموس القلوذي كتاب المجسطي في علم الفلك. وقد علم فيها علوم الطب والجراحة كل من هيروفيلوس وغالينوس. كذلك ارتحل أرخميدس من صقلية إلى الإسكندرية ليتابع أبحاثه العلمية هناك.[83]

ومما ساعد على ازدهار العلوم في الإسكندرية استقرار الأوضاع السياسية في مصر وسيطرتها على الملاحة والتجارة العالمية في تلك الحقبة. كما أن تشجيع بطليموس للعلم والعلماء وتخصيص الرواتب الدائمة لهم وتأسيسه لمتحف الإسكندرية كأول جامعة يرتادها الطلاب والعلماء لمتابعة أبحاثهم فيها وكذلك فتحه لمكتبة الأسكندرية كأول دار للتأليف والنشر حيث فرض على كل من يزورها أن يقدم لتلك المكتبة نسخة عما كتبه فيوالي النساخ العاملون فيها نسخ الكتب لتباع لمن يريد أو ترسل إلى خارج البلاد كما صنف الكتب فيها بطريقة منظمة ووضع الفهارس بمحتوياتها لتسهيل الإطلاع والمطالعة دفع بعجلة التقدم العلمي أشواطا بعيدة نحو الأمام.[84]

أما في سوريا فقد أصبحت المدن السلوقية كانطاكية والرها وحران ورأس العين من المراكز الثقافية المهمة التي عملت على نشر الحضارة الإغريقية واهتمت فيما بعد بنقل التراث الفكري الإغريقي إلى اللغة السريانية ومن ثم إلى اللغة العربية في العصر العباسي.

تبين لنا مماسبق أن الحضارة اليونانية أثرت وتأثرت في الحضارات الشرقية، منذ القرن السادس قبل الميلاد، وبصورة خاصة في مصر على عهد الفراعنة، وفي بلاد الشام على عهد الفينيقيين وفي بلاد الرافدين.وازداد هذا التبادل الحضاري بعد حملة الإسكندر المقدوني، وقيام مدرسة الإسكندرية أولاً ثم مدرسة جنديسابور لقد ذكر هيرودتس (484-420 ق.م) أنه كان يوجد في بلاد فارس كثير من الأطباء الأجانب. وذكر قصة دارا الأول (521-481 ق.م) الذي سقط عن ظهر فرسه فأصيب بالتواء في قدمه. ولما كان يوجد في بلاطه أطباء مصريون

فقد استدعاهم لإسعافه. ولكن معالجتهم باءت بالفشل واشتد ألمه . ولما علم داريوس بوجود طبيب يوناني في مملكته يدعى ديموسيدس الكروتوني، استدعاه لمعالجته، ونال الشفاء على يده كما كان كيتسياس الكنيدوسي الطبيب الخاص للملك أردشير الثاني (504-359 ق.م) .[85] وهكذا فقد اقتبس العرب الشيء الكثير من علوم اليونانيين وخاصة في مجال الطب والمنطق والرياضيات، ولعب الدور الرئيس في نقل ذلك التراث السريان والمعتزلة وأخوان الصفا وغيرهم من التراجمة.[86] نقد نظرية «المعجزة اليونانية»

ولكن على الرغم من هذه الحقائق التاريخية وغيرها، مازال معظم الباحثين الغربيين (وهم أحفاد الحضارة اليونانية القديمة) ينكر أن يكون لتراث الشرق الأدنى القديم أي تأثير في حضارة اليونان، ويتمسك بنظرية «المعجزة اليونانية». ويستند هؤلاء في موقفهم هذا إلى أن علوم الشرق القديم هي علوم تطبيقية وجاءت تلبية لحاجات عملية، ولم تكن بناء على براهين عقلية أو قوانين علمية كما هو الحال بالنسبة إلى علوم اليونان. فالمصريون مثلاً تقدموا في علم الهندسة لحاجتهم إلى بناء الأهرام ومسح الأراضي، والبابليون أبدعوا في علم الفلك لحاجتهم إليه في ميدان الزراعة والتنجيم..إلخ. والواقع أن هذه الحجج لا تصمد أمام النقد العلمي، لأن الفصل بين النظرية والتطبيق هو فصل غير علمي ولا تبرره – كما يقول الدكتور فؤاد زكريا– التجربة البشرية. فكيف يمكن لشعب أن يتقدم في العلوم التطبيقية من غير أن يكون هذا التقدم قائماً على أفكار ونظريات علمية؟ كيف استطاع المصريون مثلاً بناء الأهرام (خلال الألف الثالث قبل الميلاد) لو لم يكونوا على دراية واسعة بقوانين علم الهندسة؟ وكيف كان للبابليين أن يتنبأوا بالكسوف والخسوف لولا تقدمهم في قوانين علم الفلك؟ وفي الحقيقة لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن علوم الشرق القديم كانت أصيلة وجديرة بالإعجاب، بل كان بعضها أعلى مستوى من العلوم اليونانية في عصرها الذهبي.

إن عدم اعتراف أصحاب نظرية "المعجزة اليونانية" بدور تراث الشرق القديم، في انطلاق الحضارة اليونانية القديمة وتطورها، إنما يعود إلى أسباب كثيرة وشائكة؛ بعضها يعزى إلى تعصب الأوربيين ونظرتهم العنصرية التي تقوم على الاعتقاد بأن الرجل الأبيض مبدع وخلاق بطبيعته، في حين أن الآخر عاجز عن ذلك حتى «بيولوجياً»، وبعضها الآخر يعود إلى قراءة الأوربيين لتاريخهم قراءة «ذاتية»، بحيث يجعلون من أنفسهم بناة الحضارة الإنسانية وينتقصون من تاريخ الأمم الأخرى ودورها الحضاري. وبناءً على هذا «التضخم» في «الأنا» الأوربية ظهرت نظرية "المعجزة اليونانية"

والواقع أن التأكيد على المنابع الشرقية للحضارة اليونانية القديمة لا يُعد بحال من الأحوال انتقاصاً من قيمة هذه الحضارة ودورها في بناء الحضارة الإنسانية. فنحن لا ننتقص من قيمة حضارتنا العربية الإسلامية عندما نعترف بتأثرها بحضارات الأمم الأخرى، وفي مقدمتها الحضارة اليونانية القديمة، التي غدا علماؤها وفلاسفتها أكثر شهرة في العالم العربي والإسلامي مما كانوا عليه في الغرب الأوربي والعالم البيزنطي في العصور الوسطى.إذا كان الوفاء واحترام الآخر والاعتراف بالجميل قيماً إنسانية رفيعة في العلاقات الاجتماعية، فإنها تشكل شرطًا أساسيًا لقيام حوار جاد بين الحضارات. ولهذا فإن نظرية «المعجزة اليونانية» تتناقض مع حقائق التاريخ والعلم والعقل[87]

ولا زالت الحضارة اليونانية حية في أوروبا حتى الوقت الحاضر فالمدارس والرياضة والعلوم والفنون بأنواعها والمذاهب الفلسفية والنظم السياسية وغير ذلك من الأمور الحضارية التي ظهرت عند اليونانيين أو تطورت على أيديهم ولا تزال شعوب أوروبا تسمي كل هذه الأمور بأسمائها اليونانية القديمة.[88]

الهوامش:

(1) يعد هذا المصطلح من المصطلحات الحديثة نسبياً، وأول من استخدمه الجغرافيون الإنكليز منذ مطلع القرن العشرين. فقد جعلوا قارة أسيا ثلاثة أقسام بالنسبة إلى أوروبا أو بالنسبة إلى حوض البحر المتوسط مركز المدينة التقليدية :القسم الأول هو الشرق الأدنى المجاور مباشرة للبحر المتوسط، والقسم الثاني وهو الشرق الأوسط ثم القسم الثالث وهو المعروف بالشرق الأقصى. ثم درج جغرافيو أوروبا وأميركا على هذه التسمية وانتشرت بعد الحرب العالمية الثانية. ولئن تمكن الجغرافيون من تحديد منطقة الشرق الأقصى تحديداًمناسبا، فإنهم فشلوا في فصل وتحديد المنطقتين الباقيتين وإعطاء كل منهما تحديداًمناسباً، وقد اضطروا في كثير من الأحيان إلى اعتبار الشرق الأدنى جزءًا من الشرق الأوسط مما جعل استعمال تعبير الشرق الأدنى يتضاءل ولا قيمة له من حيث المفهوم الجغرافي، لأن كل تسمية ترتكز على الجهات لا تكون علمية فالجهات نسبية، إذ إنّ الشرق ليس من خصائص منطقة معينة وكذلك الغرب وما هو بشرق الآن بالنسبة إلى منطقة ما يكون غرباً بالنسبة إلى منطقة ينظر: مكي، محمد علي:"العرقية في الشرق الأوسط". مجلة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد 1-2، بيروت-1975-1976، ص39-40.

(2) فرح :المصدر السابق، ص314 .

(3) صموئيل نوح كريمر: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد بدون تاريخ، ص377

(4) ثامر مهدي: من الأسطورة إلى الفلسفة والعلم، ط1، بغداد- 1990، ص 81.

(5) شحاده الناظور: المدخل إلى تاريخ الحضارة، وآخرون ط 1، الاردن- 1989، ص 88.

(6) جورج لوفران: تاريخ التجارة، ترجمة هاشم الحسيني، بيروت- بدون تاريخ، ص 5.

(7) نور الدين حاطوم:موجز تاريخ الحضارة،دمشق-1964، ص 186.

p. 174 Gadd. C. G. ,"Inscribed Prisms of Sargon II from Nimrud" Iraq vol 16,1954,

(8) Kroeber.A.L.,Anthropology,New-York,1948 p. 471

(9) ديورانت: قصة الحضارة المصدر السابق ، ج1، ص5.

(10)leemans, W. F. ,old babylonia Merchant, Leiden-1950, p. 1

(11) أدوار كييرا: كتبوا على الطين،ترجمة محمود الأمين،بغداد-1964 ص 86.

(12)حاطوم: المصدر السابق ، ص 186؛

Asketch of north Syrian Economic Relations In Middle Bronze" Jesho,vol."sasson, J. M., 9,1960,p. 164

(13) شريف: المصدر السابق، ج2، ص 7.

(14) جون اوتس: بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد- 1990، ص 21

(15)Leemans, W. F. ,"the important of trade", Iraq, Vol. 39K part. 21977p1; Leemens: old Baby Lonian. Op. cit, P. 3

(16) عامر سليمان: النظم المالية والاقتصادية المصدر السابق، ص 386، المصدر السابق، ص 78.

(17) زريق، المصدر السابق، ص 217.

(18) الناردين: سنبل هندي أو سنبل العصافير أو سنبل الطيب ينظر أحمد عيسى، معجم أسماء النبات، ط2، بيروت-1981، ص123.

(19) سامي سعيد الأحمد: "التجارة" في موسوعة الموصل الحضارية، ط1، موصل- 1991، م1، ص 149.

(20) اشوالد اشبنكلر: تدهور الحضاري الغربية ، ترجمة احمد الشيباني، بيروت- ب. ت، م2، ص 36. الأحمد:التجارة المصدر السابق، ص 194.

(21) فيليب حتي: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت- 1958.

(22) مهدي: المصدر السابق، ص 82-83.

(23) الناطور: المصدر السابق، ص 82؛ مهدي: المصدر السابق، ص 82.

(24) عون: المصدر السابق، ص 78.

(25) مهدي: المصدر السابق، ص 82.

(26) عون: المصدر السابق، ص 71.

(27) عون: المصدر السابق، ص78؛ وهذا الأمر يذكرنا بما يذكرنا بما كان يفعله الملوك الآشوريين حيث اعتادوا في حملاتهم العسكرية على اصطحاب عدد من الكتب لتسجيل سير وقائع المعارك العسكرية عن هذا الموضوع ينظر: طه باقر: مقدمة في ادب العراق القديم، (بغداد- 1976) ، ص 64.

(28) بتري :المصدر السابق، ص 59 .

(29) باقر: مقدمة المصدر السابق، ج2، ص 455.

(30) للمزيد من التفاصيل عن حملة العشرة الاف فارس ينظر منصور، يعقوب افرام: حملة عشرة الاف فارس، بغداد-1985.

(31) انطوان مورتكات: تاريخ الشرق الادنى القديم ، ترجمة توفيق سليمان، دمشق- 1976، ص 372.

(32)Smith, S., "Sennacherib erib and Esarhaddon" CAH, vol 3Cambridge -1973, p.71

(33) مورتكات:المصدرالسابق،ص372.

(33) فاضل عبد الواحد علي؛ عامر سليمان: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، موصل -1979، ص 40.

(34) اندريه بارو: بلاد اشور ونينوى وبابل، ترجمة عيسى سليمان وسليم طه التكريتي،بغداد-1980، ص206.

(35) باقر: مقدمة المصدر السابق، ج2، ص459

(36)Ehrenbery: op. cit p. 9

(37) علي وسليمان: عادات وتقاليدالمصدر السابق، ص 39-40

(38)Grant, M. ,The Ancient Mediterean, New York, p. 153

(39)Cruickshank, J. E. ,The Rise of Western ciritization, Canada, 1965,p. 27

(40) مهدي: المصدر السابق، ص 83.

(41) مورتكات : المصدر السابق، ص ص 266.

(42) ومما تجدر الإشارة إليه أن الرحالة اليونانيين قد زاروا مناطق شمال سوريا وبلاد الاناضول وكانوا يطلقون عليها مقاطعات الامبراطورية الآشورية أي أن اسم حاتي قد نسي تماما ينظر طه:مقدمة المصدر السابق ، ص 115.

(43) مورتكات: المصدر السابق، ص 222-223.

(44)Wooly, L. History of Mankind, vol. 1,part. 2,London-1963, pp. 493-492

(45) مورتكات : المصدر السابق، ص 266.

.Grant:op. cit, p. 153

(46)عون: المصدر السابق، ص 73.

(47)ارنولد توينبي: تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، بيروت- 1984، ص101.

(48) وليد الجادر: "أهمية دراسة التراث الفكري في حضارة وادي الرافدين"، افاق عربية، ع 7، بغداد- 1986، ص 63.

(49) من بين العوامل التي حالت دون نشوء حضارة أصلية في بلاد الشام هو وقوعها بين الحضارتين العراقية والمصرية فجعلها ملتقى للتأثيرات المنبعثة من هذين المركزين يضاف إلى ذلك الضغط المستمر عليها سواء من الناحية الثقافية أو العسكرية حالت دون ذلك وتيسر لشعوب هذه المنطقة بحكم موقعها أن تستفيد من عناصر الحضارات الإيجية والحيثية فضلا عن الإفادة المتيسرة من الحضارتين الرئيستين: بلاد الرافدين وبلاد النيل ينظر الجادر: المصدر السابق، ص 63؛ محمد الصغير غانم: التوسع الفينقي في غربي البحر المتوسط، الجزائر، 1979، ص 15.

(50) جدير بالذكر أن اسم كنعان مأخوذ من الكلمة العربية القديمة كنع التي تعني الأرض الواطئة للإشارة إلى موطنهم في الساحل، أما كلمة (فونكس) التي تعني فينقي باللغة الإغريقة فمعناها الصبغ أنواع الديدان التي تعيش على أشجار السنديان وعلى هذا الأساس اطلق الإغريق هذه الكلمة على كل من تاجر معهم من الكنعانين وأصبحت كلمة الفينقين ترادف الكنعانين في نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ينظر سليمان والفتيان: المصدر السابق، ص342.

(51) انيس فريحة: ملاحم وأساطير من أوغاريت، بيروت- 1966، ص17.

(52) مارس الكنعانيون دورا كبيرا في عملية النقل الحضاري بين المصريين وسكان الرافدين كما كان للفينقين الدور البارز في ربط الحضارة المصرية بأكثر من علاقة مع التجمعات السكانية في شمال إفريقيا ومع اليونان ينظر:وليد الجادر: "دور التراث الفني في النهضة الحضارية"، مجلة كلية الاداب، بغداد، ع 22، 1978، ص 363.

(53) محمد أبو المحاسن عصفور:المدن الفينقية، بيروت- 1981، ص 116-117

(54) فريحة : المصدر السابق، ص 17-18.

Moscati, S. ,The face of The Ancieut Orient, London- 1960,p. 195

(55) حتي: المصدر السابق، ج1، ص104؛ يحيى: المصدر السابق، ص 31-32.

.Ehrenbery: op. cit, p. 5

(56) Cary, M. ،life and Thought in the Greek and Roman world, London-1963, p. 19.

(57) مورتكات : المصدر السابق، ص 268.

(58) يحيى: المصدر السابق، ص 29.

(59) روثن: المصدر السابق، ص 14-15.

(60) سامي سعيد الأحمد: حضارات الوطن العربي المصدر السابق، ص 69.

(61) كبيرا: المصدر السابق، ص.

(62) مورتكات: الشرق الأدنى، ص372.

(63) سامي سعيد الأحمد: "العراق في كتابات اليونان والرومان" سومر، م 26، بغداد-1970 ص 113-114.

(64) ابن ابي أصيبعة: عون الانباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت- 1965 ص 18.

(65) ابتهال عادل ابراهيم الطائي: "بيروسس أو برعوشا المؤرخ البابلي" مجلة التربية والعلم، العدد 284، الموصل-2001، ص207-228.

(66) سامي سعيد الأحمد: حضارات الوطن العربي المصدر السابق، ص96-70.

(67) طه باقر: ملحمة كلكامش، ط5، بغداد-1986، ص209

(68) يحيى: المصدر السابق، ص 30-31؛فرح:المصدر السابق،ص313.

(69) توينبي: تاريخ الحضارة الهللينية المصدر السابق، ص233 وما بعدها.

(70) حسين محمد سليمان: علم التاريخ، الرياض-1984، ص55-56.

(71) حتي: المرجع السابق، ص290-291.

(72) الحلو، المرجع السابق، ص:232.

(73) الحلو: المصدر السابق، ص 235-236؛ سليم:المصدر السابق،ص334.

(74) ابتهال عادل إبراهيم الطائي: أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل -1996، ص164؛ باقر: مقدمة المصدر السابق، ج2، ص514.

(75) : باقر: مقدمةالمصدر السابق، ج2، ص437؛

Zadok.R., "On The Connection Between Iran And Babylonia in The Sixth Century B.C", Iran, Vol. 14,1976,p. 73-76

Gardascia, Les Archires Des Murasu une Famiue Dhommes d'affairs Babyloniens Alepague Perse, Paris-1951, p.133.(76) فرج: المصدر السابق، ص311.

(77). سليمان: المصدر السابق، ص56

(78) توينبي: تاريخ الحضارة الهلينية، المصدر السابق، ص19-20.

(79) فرج: المصدر السابق، ص312.

(80) العابد: المصدر السابق، ص295-307.

(81) العابد: المصدر السابق، ص280 وما بعدها.

(82) فرج: المصدر السابق، ص316-317.

(83) باقر: مقدمة، ج2، ص516.

(84) للمزيد من التفاصيل عن مكتبة الإسكندرية ينظر:محمود الحاج قاسم:"مكتبة الإسكندرية.. نشأتها... تطورها وحرائقها" مجلة المورد، العددالثاني، المجلدالثالث والثلاثون، بغداد-2006، ص26-32.

(85) البابا: المصدر السابق، ص27

(86) للاستزادة من المعلومات عن نقل التراث اليوناني ينظر :ناجي معروف: عبد العزيز الدوري: موجز تاريخ الحضارة بالاشتراك مع الدوري، عبد العزين، عبد العزيز (بغداد، مطبعة المعارف، 1948) ص وما بعدها297؛ خليل إبراهيم السامرائي: دراسات في تاريخ الفكر العربي، مطبعة ابن الاثير، الموصل-1986، ص 360؛ صالح احمد العلي: "دراسة العلوم الرياضية ومكانتها في الحضارة الإسلامية" مجلة المورد، مج 3، ع4، بغداد- 1974، ص 46.

(87) فرج: المصدر السابق، ص318.

7

الفصل السابع

بيروسس (برعوثاأو برخوشا) المؤرخ البابلي ...نموذجاًللتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب

- مدخل
- حياته
- من روى عنه
- محتوى كتابه
- الدين والادب
- التنجيم والفلك والفلسفة
- تاريخ بلاد الرافدين
- خصائص التدوين التاريخي لكتابات بيروسس

مدخل :

شهد العراق في اثناء العهد السلوقي انتعاشاً أصاب الحضارة الرافدينية بعد الدمار الذي أصابها في عهد الاحتلال الأخميني أولاً ثم في اثناء الصراع للسيطرة على العراق بين قواد الأسكندر المقدوني ثانياً[1] لقد اتخذ سلوقس (312-280ق.م) المنتصر قراراً كانت له آثاراً بعيدة المدى تضمنت تاسيس مدينة جديدة هي سلوقية على نهر دجلة وعلى بعد 90كم شمالي بابل ، وأمر سكان بابل بالانتقال إليها وأمر بإعادة بناء ايساكيلا[2]. فقدم للبابليين مركزاً مقدساً ونقطة تجمع حتى القرن الأول قبل الميلاد ويحتمل انه كان لديه إحساس حقيقي بالتاريخ وربما لم يكن بوسع أي حاكم بابلي تجاهل مردوخ كما أعاد بناء معبد نابو الإله البابلي المهم الثاني في بورسيبا . وكانت مكتبة ايساكيلا تضم سجلات تاريخية كثيرة ويبدو أن هذه الوثائق استنسخت ودرست مراراً وتوجد أدلة في اثناء هذه الفترة على اهتمام خاص بعلم الفلك والتنجيم بين الكتبة [3]. حيث جاءنا مجموعة من السجلات الفلكية والرياضية المهمة ولقد استمر هذا الانتعاش إلى النصف الثاني من القرن الاول قبل الميلاد ، ففي عهد أنطيخوس الاول (280-261ق.م) جاءنا نموذج من التدوين التاريخي يسجل بعض الحوادث المعاصرة من ذلك ذكر بعض المدن البابلية مثل بابل وكوثي وبورسيبا[4] وأول من كتب في تاريخ بلاد الرافدين فيما يعرف بالتدوين التاريخي ((بيروسس)) موضوع الفصل هذا حيث اشتمل على المحاور الآتية :

حياته:

أحد كهنة بابل، وربما كان كبير كهنة مردوخ بإجماع جميع المصادر الكلاسيكية[5] ولد في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد[6] وتوفي حوالي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد واسمه بيرسوس أو بيروسس بابلي الأصل حيث يكتب بـ S واحدة أو باثنتين وبحرف O بدلاً من حرف W Berosus or Berossus فالاتكاء عند النطق يجوز ان يكون على كل واحد من المقاطع الثلاثة ومثل هذا التنقل لنقطة الاتكاء أمر مميز للكلمات الاجنبية [7] وصيغة اسمه الارامي على هيئة برعوشا أو برخوشا[8] وفي الغالب أن بيل رئيشو (بعل راعيه) هو اسمه الأصلي[9] ويحمل الاسم الإغريقي سليوكس[10].

عاش فترة من الزمن في بلاد اليونان في جزيرة كوس ((Cos)) ببحر إيجة قبل أن يشد الرحال إلى بابر ، وأسس في جزيرة كوس مدينة للتعليم وادعت المصادر اليونانية ربما استنادا إلى اتقانه اليونانية وتأليفه بها انه يوناني[11] فراحت تنسج الأخبار عنه فزعمت أن

أهل أثينا نحتوا له تمثالاً بلسان ذهبي وضعوه في الملعب المسقف ليوضحوا أنه كان ينظر إلى النجوم ويتنبأ لهم[12] ويروى نقلا عنه أنه عاصر الإسكندر الكبير ولكنه بقي في الحياة من بعده لأن الإسكندر مات شاباً في عام 323ق.م وبسن 33 عاماً[13] . حيث نبغ في زمن انطيخوس الأول 279-261ق.م[14] حيث أهدى عمله الذي يعرف بالبابليات البيبلونيكيا أو تاريخ كلديا Babyloniaca or chaldaica [15]

اعتمد بيوسس فـــي كتابة تاريخه على النصوص المحفوظة في المعابد البابلية على أيامه[16]. حيث استطاع أن يرسم صورة عن تاريخ بلاده من خلال اعتماده على المصادر الأصلية المكتوبة بالسومرية والأكدية حيث هناك الآلاف من الواح الطين المسمارية وليس هناك أدنى شك في أنها كانت محفوظة ومرتبة في مكتبة المعبد[17]. حيث يقول بارنز بهذا الصدد ((إنما تـم جمعـه من السجلات المحلية في بابل حيث حافظ على أسلوبها الذي تميزت به))[18] ويقول لويان أيضاً ((لقد أخذ بيروسس تاريخه مباشرة من كتب بابل لأن الإغريق يذكرون هذه الكتب التي طالت شهرتها وذاعت، حتى أن داسماشيوس ((D asmascius)) حدثنا في رسالة الأصول الأربعة عن أصل الخليقة مما استنبطه من مخطوطات كلدانية وجد لها ترجمة صحيحة في مكتبة اشور بانيبال[19]. فهذا يدل من غير شك على اقتناعه بأهمية المصادر الأساسية وضرورة وقوف المؤرخ عليها وأن تأليفه باليونانية يدل على تعلمه تلك اللغة واتقانه لقواعدها وتدل على اقتناعه بأن المؤرخ يجب أن يتقن بعض اللغات الحديثة ذات التراث العلمي الزاخر والمعارف الفنية وليس هناك أي شك في معرفته باللغة الآرامية والتي كانت دارجة في زمنه[20] .

من روى عنه :

حقق كتاب بيروسس انتشاراً وشهرة بين المثقفين من اليونان في العصر الهلنستي ، بيد أن الكتاب لم ينتشر الانتشار الذي أراد له مؤلفه [21]. لقد ضاع مؤلفه ولم يصل إلينا منه إلا سوى اقتباسات أو شروح أو شذرات وفي بعض الأحيان حرفت بعض الحقائق لتاريخية منها حيث إن المعلومات التي وصلتنا منها مستقاة مما نقله المؤرخون الأقدمون عنه وأن كل مؤرخ نقل عن الآخر ولانتوقع أن يكون النقل على تلك الأمانة [22] . حيث كان معظم الذين نقلوا عنه من مشاهير المؤرخين الكلاسيكيين من يونان وروماني[23]. الذين تسنت لهم فرصة قراءة كتابه والاطلاع عليه ثم استشهدوا بنبذ منه[24].

ومن هؤلاء المؤرخون الإسكندر بول جستر [25] القرن الأول قبل الميلاد حتى سنة 70ق.م

والذي استقى معلوماته من ابولودوروس[26] وافريكانوس[27]. وكذلك يوسيفوس فلافيوس (38-100م)[28] أما أقدم كاتب مسيحي فهو سكتوس يوليوس الإفريقي (180-250م)[29] وهناك أيضاً المؤرخ الروماني يوسبيوس بامفيلوس (260-340م)[30] الذي لم يرى الكتاب ولكن استعمل ما اقتطفه منه الإسكندر بوليهستر أما تلميذ بيروسس فهو ابيدنيوس من القرن الثالث قبل الميلاد ومجموع ما حفظه هذا المؤرخ لسابقيه من الكتاب نقلها يوسبيوس من القرن الثالث الميلادي[31]

محتوى كتابه :

ألف بيروسس باليونانية كتاباً ضمنه تاريخ بلاد بابل منذ الخليقة حتى حكم الإسكندر المقدوني وأهدى مؤلفه إلى خليفة الإسكندر في حكم بلاد الشام والعراق وإيران وهو الطيخوس الاول[32] وعنونه بعنوان ((بلاد بابل)) وعرف الكتاب لدى الكتاب الكلاسيكيين باسم البابليات أو البيبلونيكيا أو بلاد كلديا Chaldaica or Babyoniaca وقصد من ذلك أن يقدم إلى اليونان تاريخ بلاده العريق في القدم[33] وحاول أن يعرف اليونان بحكمة بلاده وبتاريخه وإبراز قدمه الموغل في الزمن[34].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الكتاب الذي كتبه بيروسس قد فقد وتم إعادة تكوينه إلى حد ما أخذاً من الاقتباسات التي ذكرها الكتاب الكلاسيكين القدامى والكتّاب المسيحين[35]. وجميع الذي نعرفه عن بيروسس جاء من خلال 22 اقتباس أو شروح لأعماله في أعمال المؤرخين المتأخرين وعرفت هذه الاقتباسات أو الشروح بـ Fragmenta برديات أو كسرات[36]. العمل قسم إلى ثلاثة أقسام وتناولت الأقسام الثلاثة العصور الآتية :

1- من بدء الخليقة إلى الطوفان .....

2- من الطوفان إلى عهد نبوناصر Nabonassarملك بابل عام 747و 34090+1701=35971 سنة من عهد نبونصر إلى عهد كورش 209 سنة أو إلى عهد الاسكندر 424 سنة في الجملة يكون 468000 أو 468215 سنة[37].

يتناول بيروسس في القسم الأول من كتابه كيف أن مخلوقا يشبه السمكة يدعى أوانيس Oannes جاء من الخليج العربي وجلب معه فنون الحضارة للبشرية، وكيف أن هذا العالم أصبح حقيقة بموجب ما ذكره بيروسس عن خلق العالم وهذه القصة تماثل قصة الاينوماليش والتي تروي كيف أن الإله بعل خلق الكون وأقام النظام وثبت الأجرام السماوية النجوم والشمس والقمر والكواكب الخمسة .

أما في كتابه الثاني فيصف بيروسس 120 سار (بحدود 432.000 سنة) لمدة حكم عشرة ملوك حكموا قبل الطوفان ثم الطوفان مع بعض الإيضاحات وكيف تسنت الفرصة لخلود بطل الطوفان ثم يتحدث عن الملوك الذين حكموا بعد الطوفان وإلى عهد نبوناصر هذا .

أما الكتاب الثالث والذي يبدأ من حكم تجلابتليزر الثالث وانتهاء بالعصر الآشوري ثم البابلي الحديث، ثم ملوك الفرس الذين حكموا بابل وانتهاءً بحكم الإسكندر الكبير[38].

وسنحاول في الصفحات المقبلة تقديم عرض لبعض الفقرات التي تحدث عنها بيروسس في كتبه الثلاثة وسوف نقوم بتقسيمها إلى اهتماماته بجانب الدين والأدب والتنجيم والفلك ثم حديثه عن تاريخ بلاده .

الدين والأدب :[39]

كل الوثائق التي تم العثور عليها في وادي الرافدين سواء أكانت تجارية أم فلكية أم قضائية إلى غير ذلك كلها كانت تحمل طابعا دينيا ولدينا العديد من المصادر عن الديانة في العراق القديم سواء: أساطير، أدعية، تراتيل، نصوص سحرية وغيرها[40]. فضلا عن ما تركه الكتاب الكلاسيكيون وما كتبه بيروسس[41] موضوع بحثنا هذا حيث تعد كتاباته من جملة المصادر الرئيسة القليلة عن تاريخ العراق القديم قبل أن تحل رموز الخط المسماري[42]. ثم اتسعت وتعمقت المعلومات بعد التنقيبات الأثرية وماتم الكشف عنه من آثار يقول الباحث ساكز في هذا الخصوص :((إن الديانة البابلية لم تغمض غموضا تماما فيتعذر معرفتها نظراً لأن بعض تفاصيلها قد حفظتها بعض مؤلفات الكتاب القدامى وكذلك العهد القديم، ومن هذه المصادر فقط هناك من البقايا ما يكفي لتثبيت بعض الأمور المعينة. فمن الواضح أن الديانة البابلية كانت قائمة على تعدد الآلهة مع خصائص ذات علاقة بعبادة الخصوبة ممثلة بقوة . اضافة إلى ذلك فان المصادر الكلاسيكية تسهب في هذه المعلومات مع بعض التفاصيل عن نظرية خلق الكون، اي النظريات الخاصة بخلق الكون والبشر وحتى الآلهة نفسها. وأن المادة الرئيسة للنوع الاخير جاءت من اجزاء بحث كتبه بيروسس))[43]. فنبدأ للعالم إذن بقصة الخلق الأولى للعالم وقصة خلق الإنسان مسألتان قد شغلتا كل مفكري العالم القديم ولقد حاول كل شعب أن يجد لهما حلا يطمئن إليه ويفسر به طبيعة الوجود في أصله الأول . فقد تناول بيرسوس في تاريخه هذه الأمور وذكر كثيرا من التفاصيل في أثناء سرده هذه القصص، وقد استغل هذه التفاصيل من جاء بعده من المؤرخين[44] لقد عرف العالم شيئاً عن قصة الخلق البابلي عن طريق نصين كتبا باللغة اليونانية، النص الأول لآخر فلاسفة

الأفلاطونية الحديثة وهو ((داماسيكوس)) الدمشقي المولود في دمشق حوالي 480م حيث تحدث عن بعض الأساطير البابلية في كتابه الرئيس ((صعوبات وحلول المبادئ الأول)) . أما النص اليوناني الثاني فهو نص بيروسس حيث تجري رواية بيروسس نقلا عن يوسبيوسس والإسكندر بوليهستر[45] على الشكل التالي :

((في البدء لم يكن سوى الظلام والماء . ثم ظهرت إلى الوجود مخلوقات عجيبة التكوين رجال ذوو أجنحة، جناحان وأحياناً أربعة ولهم وجهان بدل الواحد ، وآخرون ذوو اجسام بشرية ورأسان، رأس إمرأة ورأس رجل. وكانت اعضاؤهم الجنسية مؤنثة ومذكرة معاً وآخرين لهم سيقان وقرون ماعز، أو حوافر وذيل الحصان. وبالمقابل كان هناك ثيران ذوو رؤوس بشرية وكلاب لهم ذيول السمك، وخيول لهم رؤوس الكلاب ..... وهكذا مخلوقات كثيرة قد استعارت من بعضها خصائص وأشكالاً . وهذه المخلوقات كلها قد صورت على جدران معبد بابل [46]. وفوق أولئك جميعاً إمراة اسمها أوموركا وفي اللغة الإكدية[47] . تامتي أي البحر. إلا أن هذا الاسم في القيمة العددية يعادل القمر . ثم جاء مردوخ –بل فصارع المرأة وشطرها شطرين جاعلا من شطرها الواحد أرضاً ومن شطرها الآخر سماء وقضى على جميع المخلوقات))[48]. ويعقب بيروسس فيقول ((أن هذه القصة رمزية، لأن الكون كله كان رطباً وفي هذه الرطوبة ولدت الكائنات الحية وأنه بعد قطع رأس أحد الآلهة ، جبلت الآلهة بدمه المسفوك البشر من الأرض (الطين)، لذا نرى البشر يتمتعون بالفكر ويشاركون الآلهة في الحكمة وأن (بل) وهو زيوس (جوبتير) وهو الذي فصل الظلمات إلى قسمين وبذلك فصل الأرض عن السماء ووضع النظام في العالم. ولما لم يستطع الناس تحمل ميلاد النور ((تواروا)) فرأى بل البلاد عقيمة مقفرة، فشاء أن يضع بدمه المسفوك ومن الأرض بعد أن اقتطع رأسه، الناس والحيوانات وكل ما يستنشق الهواء، ثم خلق بل النجوم والشمس والقمر والافلاك الخمسة)) هذا ما ذكره بيروسس في كتابه الأول حسبما أورده المؤرخ الإكسندر بوليهستر في الكتاب الأول من تاريخه.

عمد عدد من الباحثين إلى مقارنة شذرات من كتاب بيروسس بما جاء في أسطورة الخليقة البابلية. وسيتبين من المقتطفات التي سنوردها تشابه النصين لأن نص بيروسس يشير بنوع تفصيلي إلى التعليم الشفهي لكهنة هيكل مردوخ– بل في بابل وهذه مقاطع من اسطورة الخليقة البابلية مقارنة بشذرات من اقوال بيروسس :–

((في العلى عندما لم يكن للسماء اسم بعد ....

وفي الأسفل عندما لم يكن للأرض اسم بعد ...

إنه ابسو الأول الذي أولدها (الكائنات)

ومن تيامات، أم الكل، امتزجت المياه في واحد.

وفي حضن ابسو ولد مردوخ (الولد الشمس)

ولما بدأ النزال ، أنجبت تيامات وحوشاً مخيفة

لذلك نراه يقول :

((إن أم الغمر العظيم ، التي صورت كل شيء، صنعت لها أيضاً أسلحة لاتقهر، إذ أنجبت تنانين- ثعابين، وبدلا من الدم، ملأت جسومها بالسم، والبست التنانين المخيفة رعباً، وخلقت الثعبان ذا الرؤوس السبعة والتنين الأحمر، والأسد الكبير والذئب المزبد والإنسان العقرب والعواصف المريعة، والإنسان السمكة والثور ... أحد عشر وحشا خلقت))[49]. لقد انتصر مردوخ-بل على تيامات وجيشها والوحوش التي أنجبتها، إذ نقرأ

(وكان بل يشاهد جثة تيامات

وبشقة الوحوش أراد أن يخلق شيئا سرياً.

فشطرها إلى قسمين، كما يشطر الحمار

ووضع أحد الشطرين جانباً وصنع منه مدى السماوات.

ثم توجه إلى أيا[50] وقال:

((...... أريد أن أخلق كائناً بشرياً، الإنسان

فاتوا إليه ب (كنجو) زوج تيامات، مسؤول الحرب

فعين له عقابه ، وذلك انه قطع رأسه .

ومن دمه خلق البشر))[51]

وأخيراً ثبت مردوخ السماوات وخلق الكواكب ثم أمر الإله القمر أن يحدد الشهور [52].

أما بالنسبة إلى أسطورة الطوفان حيث جاء ذكرها في الكتاب الثاني من مؤلفات بيروسس بحسب اقتباس المؤرخ الإسكندر بولهيسر. حيث تجري روايته على النحو التالي:

((بعد موت الملك ((أرديتيس)) تولى الحكم بعده ابنه ((اكسوثروس)) الذي وقع في عهده

الطوفان الكبير ففي ذات ليلة تجلى ((اكرونوس))[53] للملك في الحلم وأنبأه أنه سيقوم في الخامس عشر من شهر تموز بإهلاك الحياة على الأرض بواسطة طوفان مدمر لايبقي على شيء. ثم أمره أن يشرع بكتابة ألواح عن بداية كل شيء وتطوره ونهايته وطمر هذه الألواح في ((سيبارا)) مدينة إله الشمس. كما امره أن يبني سفينة ويقلع فيها مع عائلته وأقربائه وأن يخزن فيها الماء والطعام ويحمل إليها الحيوانات الحية من كل ما يطير أو يدب على الأرض. فإذا سئل إلى أين ينبغي الذهاب عليه أن يقول : ((إلى الآلهة لاصلي لها عسى أن تكون رفيقة بالبشر)) فصدع الملك بما أمر وبنى سفينة طولها خمسة ((أسناديا)) وعرضها اثنتا ((أسناديا)) وملأها وفق المشيئة الإلهية ثم صعد مع زوجه وأولاده المقربين إليه . وبعد أن هدأ الطوفان أرسل ((أكسوثروس)) بعض الطيور. فلما لم تجد مكانا تهبط إليه أو طعاما تلتقطه عادت إلى السفينة فانتظر فترة ثم ارسل الطيور مرة أخرى . ولكنها عادت إلى السفينة أيضاً وعلى أرجلها آثار من الطين وعندما أطلقها للمرة الثالثة طارت ولم تعد . فعرف اكسوثروس أن الأرض قد انكشفت وما لبثت السفينة أن استوت على أحد الجبال[54]. ولم تعد تتحرك . نزل الملك من السفينة ومعه زوجته وابنته وملاح السفينة. فسجد على الأرض وبنى مذبحا وقدم قرباناً للآلهة. ولما تأخر عن العودة إلى السفينة نزل ساكنوها وبحثوا عنه ومن رافقه فلم يقفوا لهم على أثر. وبينما هم في حيرة من أمرهم أتاهم صوت من السماء يأمرهم بالتقوى والصلاح ويخبرهم بأن اكسوثروس دفع إلى الآلهة ليعيش معهم عيشة خالدة لأنه كان تقيا وصالحا، كما شاركته في هذه النعمة زوجته وأبنته وملاح السفينة وأخبرهم الصوت أن المكان الذي هبطوا فيه هو إحدى بقاع أرمينيا وأن عليهم أن يعودوا منه إلى بابل وأن يستعيدوا الألواح المطمورة في ((سيبارا)) وعندما سمع القوم ما قاله لهم الصوت السماوي، قاموا بتقديم أضاحي للآلهة ومضوا إلى بابل سيراً على الأقدام. وقبل وصولهم عرجوا إلى حيث الألواح فاسترجعوها ثم تابعوا فبنوا المدينة من جديد وأشادوا مدناً كثيرة أخرى وأقاموا المعابد والهياكل[55].

تستند أسطورة الطوفان عند البابلين إلى تقدير من تقديرات علم الفلك أو على الأصح علم التنجيم حيث يزعمون ((بأن العالم تتعاوده في الآباد الطوال أدوار الطوفان و أدوار الحريق ويختلفون في تقدير هذه الأدوار بالسنين الكونية ولكنهم يحسبون السنة الشمسية كأنها ثانية بالنسبة إلى اليوم العالمي أو كأنها ثانيتان بحسابنا، لأنهم كانوا يقسمون النهار والليل إلى أثنتي عشرة ساعة لا إلى أربع وعشرين، ويحسبون السنة العالمية كأنها يوم في السنة الكونية التي تقع أدوار الفناء بحسابها. وقد اختلفوا في تقدير مدة هذه الأدوار ولكنهم يقولون أن

الغرق الكوني يحصل، كلما اجتمعت الأفلاك السماوية في برج الجدي وأن الحريق الكوني يحصل كلما اجتمعت في برج السرطان. وهنا يقع الخلط بين حساب الأيام وحساب الفصول الأرضية))[56]. وقد لاحظ العلامة جومبير (مؤرخ الفلسفة اليونانية) هذا الأمر بأن القوم وهموا أن الحريق الكوني من حرارة الصيف، وأن الغرق الكوني من برد الشتاء كما يقعان في تقلبات الفصول[57].

ومما تجدر الأشارة إليه أن أسطورة الطوفان التي يذكرها بيروسس تتماش والأحداث الواردة في السرد البابلي الذي يتفق في الخطوط الرئيسة وسرد التوراة، وما جاء في اداب الشعوب الأخرى كوادي النيل وفارس والهند[58]. حيث يرى بعض علماء المقارنات بين العقائد: أن البابلين نقلوا قصة الخليقة وقصة الطوفان عن قوم إبراهيم عليه السلام[59]. لانه نشا فيهم قبل الميلاد بألفي سنة على التقريب[60].

التنجيم والفلك والفلسفة :

أما فيما يخص التنجيم والفلك فقد تناول في كتابه الأول وشطر من الكتاب الثاني عدد من المسائل الكونية وكان كتابه الوسيلة الرئيسية لانتقال علم التنجيم والفلك إلى مصر والعالم [61]. لقد أشار felix jacoby الذي تولى مهمة إصدار الكسرات أو الاقتباسات والتي هي عبارة عن خلاصة لمحتوى البابليات ، حيث ذكر أن هناك ثمانية من هذه الاقتباسات تعالج قضايا تخص علم الفلك والتنجيم ولكنه يرى أن هذه الملكة تعزى لا إلى بيروسس البابلي وإنما إلى بيروسس اخر من عاش في كوس بحدود 140ق.م وأشار كاتب المقالة إليه بأنه بيروسس المزيف . وقد أشار jacoby استنادا إلى بعض اقتباسات من يوسفيوس انه نال شهرة واسعة بصفته معلم للإغريق منذ أن بدأ يكتب في الأمور الفلكية والفلسفية للكلدان. وادعى استنادا إلى كلام فاتريوس Vitruvius[62] بأنه درس الإشارات الإلهية وحركة الكواكب والنجوم والشمس والقمر وأن الكلدان استطاعوا من خلال ذلك التنبأ بما سيحصل في مستقبل الإنسان . وإلى بيروسس المزيف أشار أيضاً jacoby استنادا إلى كلام سنيكيا Seneca[63] إلى مسألة التغيرات التي تحدث في حركة الأجرام السماوية وأثارها في حدوث الكوارث الطبيعية ومنها الفيضان[64].

بالنسبة إلى بيروسس المزيف فإن الباحث Drews لايعتقد انه كان عالما في هذه المسائل. حيث مضى قرن من الزمن على تقسيم هذه الكسرات أو الاقتباسات والتي تعزى إلى شخص واحد هو بيروسس، وهذه الكسرات تعالج القضايا التي تخص الأجرام السماوية ودورها في الميثولوجيا والأحداث التاريخية. وعلى هذا الأساس هناك من ظن أن بيروسس كتب عملين

أحدهما يتعلق بتاريخ بابل والآخر في علم التنجيم . وفي مطلع هذا القرن وجد الباحث E.Schwartz أمرا غير محتمل الوقوع استنادا إلى فاتريوس أن بيروسس لم يسكن نهائيا في الجزيرة اليونانية كوس ولم يعلم الفلسفة والآداب الكلدانية ، بالإضافة إلى ذلك أعلن Schwartz أن التقليد أو الاحتفال الذي يجري في عيد رأس السنة الإغريقية والذي أشار إليه سينكيا بأنه يعود إلى بيروسس أنه تقليد إغريقي وجد ما يماثله لدى بيروسس . أما الباحث C.F.lehman-Haupt فقد كتب مقالة عن بيروسس في سبعة عشرة صفحة نشرها في Re-allexikon der Assyriologie حيث خصص ثمانية صفحات لتواريخ بيروسس ونصف صفحة إلى اهتماماته الفلكية ولاشيء يذكر عن التنجيم أو إلى سمعته وشهرته بكونه اختصاصياً في هذا المجال.. أخيرا قام jacoby بقسمة عمل بيروسس إلى شقين، حدد الأول لتاريخ بابل والثاني لجزيرة كوس واهتمامه بالتنجيم .أما بالنسبة إلى بيروسس المزيف فإن jacobyاعتمد على جميع البرديات التي تعالج قضايا الفلك والتنجيم وجميعها إشارة إلى بيروسس كمنجم . إذن فقد اكتسب بيروسس سمعة جيدة كما أشار إلى ذلك يوسفيوس في مجال الفلك والقضايا الفلسفية. ليس هناك مؤلف كلاسيكي واحد لم يستشهد بكتاب بيروسس ((تاريخ بابل)) وكجزء من الحقائق فإن الاقتراحات المنطقية تؤكد أنه من المحال أن يستعار اسم بيروسس من رسالة في التنجيم ما لم يكن اسم بيروسس معروفاً ككتاب في مجال اختصاصه ومن جهة أخرى فإنه أعطى التبرير لاختفاء بيروسس المزيف(65).

أما في المجال الفلسفي فقد اعتمد بيروسس على التفسيرات المجازية كما في الصراع بين مردوخ وتيامة وما تلا ذلك من خلق السماء والأرض مما يدل على أنه استعمل كتابات بعض الفلاسفة اليونان حتى يجعل الفكر البابلي أكثر تقبلاً ومعقولية فقد حاول في معالجته قصة الخليقة البابلية التوفيق بين الخيال البابلي وآراء بعض الفلاسفة اليونانين (66). فضلا عن ذلك فإن بابليات بيروسس إلى جانب عراقتها قامت على أساس التاريخ الطبيعي حيث قدم نموذجا للفلسفة العراقية القديمة التي تقوم على أساس دوري فلكي ربط فيه الحوادث وأسبابها الفلكية مشيراً إلى ثلاث دورات زمنية حيث جعل بيروسس من بابل محور حركة التاريخ الممتد بعيداً حتى يقرنه بتاريخ الأرض كما عرضه في البابليات التي هي خلاصة التراث العريق، عكست منهاجاً تاريخيا – فلسفيا عرفه العرب في العصور الرسالية وهم يفتشون عن عراقة حضارية واصل مشترك للناس ووحدة في الأرض والتاريخ(67).

تاريخ بلاد الرافدين :

لم ينقل بيروسس المعلومات الخاصة بالأساطير البابلية حسب بل، ونقل أيضا معلومات

تتناول تاريخ بلاد الرافدين منذ الأزمنة السحيقة بالقدم[68]. حيث كانت معلوماته عن تاريخ سومر مزيجاً من الخرافات والاساطير فقد وصف في تاريخه جيلاً من الجبابرة يقودهم واحد منهم يسمى أوانيس خرج من الخليج وأدخل إلى البلاد فنون الزراعة وطرق المعادن والكتابة[69]. حيث يروي لنا بيروسس ذلك : ((في بلاد بابل استقر عدد كبير من الناس الذين جاؤوا من أمكنة اخرى، أي في كلدو (وهو جزء من بلاد الرافدين السفلي مجاور للخليج العربي) حيث كانوا يعيشون في جهل مثل حيوانات . في السنة الأولى ، ظهر على الشاطئ مسخ خارق العادة خرج من البحر ويدعى أوانيس كان جسمه كله جسم سمكة وتحت رأسه رأس أخر مرفق به وكان له أرجل شبيهة برجلي انسان وقد احتفظ الناس بذكرى هذه الصورة وما يزالون يصورونها في عصرنا . وهذا الكائن الحي ذاته كان يمضي أيامه بين البشر، من غير أن يتناول طعاماً وعلمهم الكتابة ومختلف العلوم والتقنيات وتأسيس المدن، وتشييد المعابد، والقضاء والهندسة، وكشف لهم عن زراعة الحبوب وجني الأثمار . وبإيجاز منحهم كل ما يشكل الحياة المدنية بحيث إن الناس منذ ذلك الحين لم يجدوا شيئاً جديداً بالملاحظة في هذا الشأن. وعند غروب الشمس كان المسخ أوانيس يغطس في البحر ليقضي لياليه في الماء، لأنه كان برمائياً وبعد ذلك، ظهرت كائنات أخرى مماثلة ....)) [70] كان مجموع هذه الكائنات سبعة حيث يصفها بيروسس في مكان اخر وكانها هي أيضاً خارجة من البحر وهي أسماك بشرية[70]، ويربط كلا منها بأحد عهود ما قبل الطوفان)[71].

لقد ذكر بيروسس قوائم بأسماء ملوك سومر وأكد منهم من هم أسطوريون ومنهم حقيقيون فقد زعم بوجود دول حكم ملوكها العشرة قبل الطوفان لمدة 000,432 سنة كما أقر بوجود دول بعد عصر الطوفان حكم ملوكها الستة والثمانون لمدة 000,34 سنة لأدركنا إلى أي حد يقترب التاريخ بالتاريخ في سطوره[72] كما أشار إلى عدد من ملوك بابل العرب وهم تسعة ومدة حكمهم بلغت نحو 225 عاماً وفيما يلي جدول يوضح ملوك بابل

الأقدمين ومدد حكمهم :

عدد الملوك	الأسر	مدة الحكم
10	ملوك قبل الطوفان	000,432 سنة
86	ملوك بعد الطوفان	000,34 سنة
8	مغتصبوا الملك في ميديا	224 سنة
11	ملوك مجهولون	248 سنة

49	ملوك كلدانيون	458 سنة
9	ملوك عرب	225 سنة[73]

ويتضح لنا على نحو واضح وجلي من خلال المقارنة مابين قوائم الملوك السومرية التي صدرت لأول مرة عام 1923 وما بين قوائم الملوك الطويلة التي حفظت من قبل بيروسس مدى المطابقة بينهما[74]. وادناه سوف نورد قائمة توضح ذلك :

مصادر بابلية تاريخية	قائمة بيروسس
قائمة مجموعة فيلد-بلونديل	Anarachie
الولم Aloulim	Aloros الودوس[75] (باليونانية)
الأكار Alagar	Alagares الأكاروس
ان-من-لو-انا En-men-lu anna	Amelon اميلون
ان-من-كال-انا	Ammenon امينون
ان-من-لو-انا En-men-gal-anna	Amegalanes اميكالانوس
دموزي الراعي Doumouzi	Daonos داونوس الراعي
انريب-زي-انا Ensib-zi-anna	Evedouraches ايفيدوراكوس
ابن-من-دور-انا En-men-dur-anna	Amempsionos اميمزينوس
انا-اوبار-توتو Oubar-tou-tou	Opartes اوبارتيس
زاي-اد-سود-دو zi-ud-sud-du	Xisouthres كسيزوتروس (باليونانية)
(زيوسترا بطل الطوفان البابلي)	

الطوفان[76]

مما تجدر الإشارة إليه أن العصر الأسطوري الذي ذكره بيروسس يشمل على62 مجموعة لم يكن بها رؤساء -على حد قول بيروسس - ثم جاء بعد ذلك عشر ملوك حكموا 432000 سنة حيث كان الوروس (ملك بابل) والحكيم ((ادياروس)) وهودابا البطل الاسطوري المعروف و((رامولون)) (صاحب بانتبيلاسبار) [77] و(امينونه) حيث يروي بيروسس أنه في زمنه ظهر الكائن الأسطوري الذي خرج من البحر على شكل إنسان وسمكة [78] و((أميكالانوس)) و((داونوس)) الراعي (تموز إله الإنبات وعشيق عشتار و((ايفيدوراكوس)) (المشرف على

القرارات في السماء والأرض وكشف عن الحجاب شمش وادد والمتنبئ بالغيب)[79] وفي زمنه طلع الكائن الأسطوري من البحر والمسمى أوانيس وشرع يعلم الناس ما ينبغي تعليمه، فهو الذي أوحى إلى ايفيدورا كوس بعلم العرافة[80]. و ((اميمبزنيوس)) ((ملك لاراك)) و((اوبارتوس)) ثم ابنه كسينوثروس (بطل الطوفان) والذي حكم لوحده 648000 وقد حكم بعض هؤلاء في سيار و في شورپاك[81].

إذن لقد ساعدتنا بابليات بيروسس في رسم صورة واضحة عن تواريخ بلاد الرافدين حيث يذكر لنا بيروسس ما نصه :

((أن السجلات التي حفظت بعناية كبيرة من قبل كهنة بابل لمدة طويلة، احتوت على اكثر من 2,150,000 سنة، حيث تضمنت تلك النصوص تاريخ السماء والبحر وقصة الخلق الأولى وتاريخ الملوك والوثائق التي كانت بعدهم)) وبالإمكان مقارنة بعض فقرات مما جاء في كتب الأخبار بما ذكره بيروسس منها الفقرات الخاصة بحكم بيل-ابني :

((في السنة الثالثة من حكم بيل-ابني Bel-Ibni: وصل سنحاريب إلى بلاد اكد وجلب منها الاسلاب وجلب بيل ابني ومعه عدد من النبلاء مقيدين إلى بلاد اشور .لمدة ثلاثة سنين كان بيل-ابني ملكاً على بابل.ترك سنحاريب ابنه اشور -نادان-شومي (Arsur-nadin-rum ملكاً على بلاد بابل) هذا ما ذكرته كتب الأخبار BM92502.col.23ff

جيش ضد البابلين، حيث تمكن من التصدي لهم والانتصار عليهم، وتمكن من القبض عليه وعلى اتباعه. وقادهم إلى بلاد آشور وترك ابنه آشور دانز Asorda-nios ملكا على البابلين [82].

خصائص التدوين التاريخي لكتابات بيروسس :

امتازت كتابات بيروسس التاريخية بعدة ميزات يمكن اجمالها بما يأتي :

- اعتمد في كتاباته على النصوص المحفوظة في المعابد البابلية على أيامه مما يدل على معرفته بقراءة الرموز المسمارية وأن ذكره لهذه الحقيقة يدل على اقتناعه بأهمية المصادر الأصلية وضرورة وقوف المؤرخ عليها .
- تأليف كتابه باللغة اليونانية يدل على تعلمه هذه اللغة واتقانه لقواعدها وتدل على اقتناعه بان المؤرخ يجب ان يتقن بعض اللغات الحديثة ذات التراث العلمي الزاخر والمعارف الغنية [83]. ومما تجدر الإشارة إليه أن الفترة التي كان يعيش فيها مؤرخنا شهدت تدوين المؤلفات القديمة باللغتين البابلية والإغريقية[84]. ولايشك أحد في معرفته باللغة الآرامية التي كانت دارجة في زمانه[85].

- أدرك ان التاريخ كتاريخ حضارة لايقتصر على النواحي السياسية والعسكرية بل على الجوانب الفكرية والاقتصادية والاجتماعية.
- اعتمد على التفسيرات المجازية كما في الصراع بين مردوخ وتيامة وما تلا ذلك من خلق السماء والأرض فقد استعمل كتابات بعض الفلاسفة اليونان[86] حتى يجعل الفكر البابلي أكثر تقبلا ومعقولية فقد حاول التوفيق بين الخيال البابلي وآراء بعض الفلاسفة اليونانيين كي يجعل التامل البابلي مقبولا وذلك نتيجة لاطلاعه على الفكر اليوناني .
- اعتمد على الموضوعية والمناقشة ولم يتقبل الأمور بصورة عفوية[87]. فمثلا تنسب الكتابات الكلاسيكية الجنائن الشهيرة إلى سميراميس، إلا ان بيروسس ينسبها إلى نبوخذنصر، الذي يقال: أنه شيدها لزوجته الماذية اماثيس لتذكيرها بوطنها الجبلي[88].
- مثل المؤرخين المحدثين قسم تاريخه إلى ثلاثة دورات زمنية تتدرج بالقدم وأظهرت النصوص المسمارية صحة كثير من المعلومات [89]. فعلى سبيل المثال جعل الطوفان كحد فاصل ما بين حقبتين ثم أورد قوائم لأسماء الملوك الذين حكموا قبل الطوفان وما بعده. فالارقام التي قدمها لسنوات حكم ملوك ما قبل الطوفان مبالغ فيها مثل ما وردت في النصوص المسمارية[90]. وجاءت الأرقام التي قدمها لسنوات حكم ملوك السلالة الكلدانية متفقة مع النصوص المسمارية. وكان قوله أن الملك وقت احتلال كورش لبابل هو نابونايدو هذا يتفق والحقائق التاريخية [91]. حيث يقول الباحث بوتيرو: ((أن بيروز[92] مؤلف جدير بالثقة دوماً . وفي التقليد الأدبي السومري والاكدي نتبين بسهولة ملاحظات عديدة توافق روايته أو تجعلنا نستشف منها موثقاً)) . ويصف مؤلفاته بانها نفيسة جداً نظراً لرصانة مؤلفها[93].
- امتاز أيضاً بشعوره الوطني وتعلقه بحب بلاده والإشادة بحضارته[94]. وفلسفة بلاده العريقة في القدم وتاريخها[95].

الهوامش

(1) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، (بغداد – 1956)، 254/2 وينظرأيضاً:

Lloyd,S.,Twin Rivers Abrief History of Iraq from the Eerliest Times to the present Day ,Oxford -1961, pp.97-99.

وللمزيد من التفاصيل انظر Macaqueen:Ibid,p.224-230

(2) اوتس :المصدر السابق، ص 214

(3) اوتس : المصدر السابق، ص 214 Macaqueen :Op.cit,p.231

(4) باقر : المصدر السابق، 454/2 Macaqueen :Op.cit,p.231

(5) نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم، ط9 (القاهره –19639) ، 83/5 .

(6) غوستاف لوبون: حضارة بابل وآشور –ترجمة محمود خيرت المحامي،ط31، (القاهرة-1947)،ص20.

(7) جورج سارتون،: تاريخ العلم ترجمة نخبة من الباحثين ط (القاهرة–1976) 37/4

(8) باقر: ملحمة جلجامش المصدر السابق، ص 209 وينظر أيضا نفس المؤلف : "التدوين التاريخي بدايته واسهام تراثنا الحضاري في تطويره" مجلة المجمع العلمي العراقي، م31، بغداد–1980،ص118 .581

(9) سامي سعيد الأحمد:سميرة اميس، ط 1(بغداد–1989)،ص167هامش رقم18.

(10) و.ج.دي بورج:تراث العالم القديم،ترجمة زكي سوس،القاهرة–،222/11695.

(11) هناك خطأ تعمده بعض الكتاب الإغريق عن بيروسس البابلي في القرن (3ق.م) وبيروسس آخر درس في مدينة كوس حوالي(140ق.م) والمهم أن يكون الأول هو الحقيقي وصاحب المؤلفات الخاصة بالكتابة عن بابل والتي استفاد منها اليونان على نحو لم يتمكنوا من نكرانه ونكران بابليته . ينظر : "الجادر: دور التراث الفني المصدر السابق،ص106-369.

(12) الأحمد :سميرة ميس المصدر السابق،ص167.

(13) باقر:ملحمة جلجامش المصدر السابق،ص209.

(14) Sollberge ,E ,the Babylonian legend of the flood, 3th. ed , london-1971,p11

(15) SollbergeIbid,p11

(16) سارتون: المصدر السابق، ص370 وينظر أيضاً؛ لوبون : المصدر السابق، ص2.

(17) SollbergeIbid,p11

(18) بارنز :المصدر السابق، 35/1 .

(19) لوبون : المصدر السابق ،ص46-47 .

(20) الأحمد: سميرة ميس المصدر السابق ،ص168 .

(21) سيد مظفر الدين نادفي: التاريخ الجغرافي للقرآن الكريم، ترجمة د.عبد الشافي غنيم عبد القادر، (القاهرة–1956)، ص143.

(22) الأحمد :سميرة ميس المصدر السابق ،ص168 حيث قام سنكليوس من القرن 8م ببعض التصليحات على نصوص بيروسس حيث كان من الكتاب الذين رووا قصة الطوفان اقتباسه من بيروسس، ينظر الأحمد :سميرة ميس المصدلر السابق، ص 168 باقر: ملحمة جلجامش، ص 160 وباقر: طرق التدوين التاريخي ، ص114.

(23)

Ibid,p11:Sollberger –

(24) رغم ذلك فإن تاريخ بيروسس يعد مصدراً مهماً للمؤلفين في العالم الإغريقي –الروماني وذلك لندرة المصادر الأخرى، ينظر بارنز : المصدر السابق، ص36 .

(25) الإسكندر بوليهستر : من كتاب العصر الهيليني في الشرق، انظر أحمد : المصدر السابق، ص121.

(26)ابولدورس الاثيني(120ق.م) تقريباً وضع دليلاً لتاريخ الأحداث وقد اتم العمل هذا حتى وصل به إلى سنة 61 ق.م أحد علماء جزيرة رودوس وهو كاستور ينظر بارنز: المصدر السابق ، ص 58.

(27)وافريكانوس: مؤرخ ورحالة ليبي روماني كتب تاريخه للعالم منذ بدء الخليقة حتى عام221ق.م وضاع معظمه وما بقي تضمنه المؤلف يوسيبيوس ينظر سليمان: المدخل إلى دراسة علم التاريخ المصدر السابق، ص107.

(28)يوسيفوس فلافيوس (38-100م) : وهو مؤرخ وكاهن يهودي ولد في أورشليم وشهد خرابها على يد تيلس. له ((الحرب اليهودية)) و ((العاديات اليهودية)) وهو تاريخ عام من الخليقة حتى عام 69م مع ترجمة حياته، عينه اليهود عام 66م حاكماً للجليل، واسره الرومان عام67م وذهب إلى روما حيث منح راتباً وحقوق المواطنة. اعتبر نفسه من اتباع الامبراطور دوميتيانوس واتخذ لنفسه لقب فلابيوس إذ إن دوميتيانوس ينتسب إلى السلالة الفلابية انظر أحمد: المصدر السابق ،ص122 ،ارنولد توينبي: الفكر التاريخي عند الإغريق 681.

(29)سكتوس يوليوس الإفريقي: يعد اقدم كاتب مسيحي حاول أن يجد تاريخاً مناسباً لماضي البشرية يتفق وحاجات العقيدة المسيحية إذ كتب مؤلفا اسمه ((قياس الزمن)) في كتاب لخص فيه ماضي اليهود والوثنين منذ بدء الخليقة حتى سنة 221م وقد أفاد مما كتبه الكتاب المختلفون سواء كانوا يهودا أو وثنيين عن الموضوع نفسه فكان من بين من اعتمد عليهم : ماثيوس،وبيروسس وابو للودورسالاثيني ويوسفيوس، ينظربارنز: المصدر السابق ،ص 70.

(30) يوسبيوس بامفيلوس : ويسمى يوسبيوس القيصري كاتب ومؤرخ روماني أسقف قيسارية فلسطين (قرب

حيفا) عام311 ق.م وهو مؤرخ مشهور ألف حوادث تتعلق بالديانة المسيحية في العصر البيزنطي وترجمت كتبه إلى الأرمنية وهو مختص بشرح الكتب الدينية وكان ناطقاً في المناقشات وقد اعتمد في ذلك فقط على الروايات المسيحية وعلى مؤلفات كتاب الكنيسة ووثائق الدولة لقد كان مطلعاً على أسرار مختلف الدواوين وذلك بفضل علاقات الفرد التي كانت تربطه بالإمبراطور قسطنطين ولقد بقيت آثار هذا الكاتب ضمن المصادر الأرمينية التي اعتمدت عليه من كتابات مارميخائيل السريانية وجيورجي سينكل ينظر أحمد: المصدر السابق ،ص122؛ بارنز: المصدر السابق، ص70.

(31) بارنز :المصدر السابق، ص 36 وينظر أيضاً باقر: ملحمة جلجامش المصدر السابق، ص209-210 لوبون : المصدر السابق ،ص20، الاحمد :سميرة اميس المصدر السابق ،ص168 .

(32) بارنز : المصدر السابق ،ص 35 نشر كتابه في حدود 275ق.م ينظر: فراس السواح: مغامرةالعقل الأولى، ط2، بيروت–1981 ،ص85

(33)-Drews,R., "The Babyloian Chronicles And Berossus ",Iraq, Vol.37, No.1-2,1975,p.53

– وينظر أيضاً باقر :ملحمة جلجامش المصدر السابق،ص 209 ونفس المؤلف: التدوين التاريخي، ص118 .

(34) الأحمد : المصدر السابق ،ص167 Ibid,p.98:Lloyd:

(35) سارتون : المصدر السابق، ص370 Sollberger: Ibid,p11

(36) Drews:Ibid:,p.50

(37)سارتون : المصدر السابق ، ص 370-371 Cary:Ibid:,p.135.

(38)Drews Ibid:,p.50 -51

-وينظر أيضاً: جمال رشيد احمد: دراسات كوردية في بلاد سوبارتو،(بغداد -1984) ص11.

(39) نتناول الموضوعين سوية لأن هناك ترابط كبير بينهما وسوف نفعل الشئ نفسه مع الفلك والتنجيم .

(40)سامي سعيد الأحمد: المعتقدات الدينية في العراق القديم ،(بغداد–1988) ، ص7 .

(41) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط1(بغداد–1973)، 108/1 وما بعدها.

(42)Hooke,S.H.,Babylonian And Assyrian Religion oxford -1962,P.1

(43) ساكز: عظمة بابل المصدر السابق، ص337.

(44) السواح: المصدر السابق، ص 84 Sollberge ,: P.11

(45) الأحمد: المعتقدات الدينية المصدر السابق، ص7 .

(46) باقر :مقدمة المصدرالسابق،109/1 وما بعدها.

(47) Hooke:Ibid,P.2

(48)ساكز: عظمة بابل المصدر السابق،ص337.

(49) السواح : المصدر السابق، ص 84   P.11 ،Ibid :Sollberge

مما تجدر اليه الاشارة أن الباحث بوترو يعلل الانتشار الواسع للافكار الشرقيه إلى نفعية وأهمية كل ماهو ذو أصل شرقي ففي الشرق كان عصر التاليف والانتاج حيث نجد ان الكتاب في بابل ينشرون مذاهب ونظم ابائهم ومعاصريهم وكان من بين هؤلاء بيروسس ينظر بوتيرو، جان: الديانة عند البابليين ترجمة وليد الجادر، بغداد 190. ص168.

(50) هناك عدد من المصادر تذكر بل على هيئة بعل ومما تجدر الإشارة إليه أن بيروسس تكلم دون شك عن الآجر المطلي بالمينا، عندما اشار إلى رسوم هيكل بل (Bel) حيث يوجد عدد من المسوخ المدهشة باشكال مختلفه ينظر:أرنست بابلون: الآثار الشرقية، ترجمة:مارون عيسى الخوري، ط1، بيروت -1987، ص8 و 94. السواح: المصدر السابق ، ص85-86 وينظر ايضاً:مرغريت روثن : علوم البابليين، ترجمة يوسف حبي (بغداد -1980) ص39 والاحمد : المعتقدات، ص 61 نقلاً عن

Heidel ,A., The Babylonian Genesis , Chicago -1970. P.16

روثن: المصدر السابق، ص39-41 مما تجدر الإشاره إليه أن الباحث لابات أن الوحوش الأحد عشر بعد إضافة زعيمها إليها تمثل الأبراج الإثني عشر وهذا يفسر التعاليل الفلكية لنضال الآله في سبيل اخضعها . ينظر روثن : المصدر السابق، ص 41 نقلاً عن

Labat ,R., Le poeme Babylonien de Creation ,Paris -1935

(51) إن الصفات المعطاة للآله (ايام في بلاد الرافدين مشابهه تشابهاً دقيقاً مع انعكاساتها دينياً لصفات الملك الدنيوي من النوع لاجزيوي . فطبقاً لما كتبه بيروسس يكون (ايا) قد منح البشر في وقت واحد معرفة الكواكب والعلم عامة والزراعه والكتابه وفن بناء المدن والمعابد، كما منح القوانين . واذ ننتقل من الانعكاس الخيالي إلى الشيء الحقيقي المتعكس فإن تتبع الصفات المعطاة للملك الدنيوي طبقاً للترابط التالي: أنه يشبع احتياجات الناس بواسطة الاعمال العامه التي ينفذها وعليه أن يؤمن معرفة التواريخ اللازمة للأعمال الزراعية والدورة المنظمة للمواسم بالتالي . ومن هنا اتت ضرورة التعرف إلى الدورات التي تمر بها حركة الكواكب حتى يعد التقاويم الضرورة ويتضمن هذا تنظيم الملاحظات الفلكيه التي تجري تحت اشراف المعابد وكذلك تعليم الكتابه للتمكن من تسجيل وتوصيل نتائج هذه الملاحظات، ويشعر المرء بضرورة العماره الحضريه التي تسمح ببناء المعابد والمراصد وكذلك المراكز الحضاريه التي تلعب دوراً يكاد يكون إدارياً فقط في المجتمعات من النوع الجزيوي واخيراً مهمة منح القوانين اي الهيكل التشريعي الكامل للدولة المركزيه والواقع أن هذه المهام كلها ملكيه دنيويه، ولكن الإله الذي يتصور انها تصدر عنه تحاط بالتقديس باعتباره شرطاً مستمراً لتحقيقها ومن مصلحة الجميع أن تنفذ. ينظر: احمد صادق سعد:ست دراسات في النمط الآسيوي للإنتاج، ط1 (بيروت -1979)، ص120-121.

(52) الأحمد : المصدر السابق، ص40-41 .

(53) روثن : المصدر السابق، ص40-41.

(54) نلاحظ أيضاً تغير باسم الإله من ((ايا)) إلى كرونوس الإله اليوناني المعروف، ينظر السواح : المصدر السابق، ص143. Sollberge Ibid ,P.11

(55) تلعب جبال كودياي Kordyae دوراً مهماً في أسطورة الطوفان واستناداً إلى ماذكره إسكندر بوليسهتر حسبما ذكره يوزبيوس أن الفلك وبطله البابلي يوم الطوفان كان قد استوى على جبال korduaeفي ارمينيا وبقي قسم صغير من الفلك مدة معينة حيث كان قد طلي بالنفط استعمله الناس كدواء للشفاء، انظر هامش م 59 وياتي الحديث نفسه في اثار يوسيفوس ووزيبوس . وهذه هي القصة نفسها التي يذكرها بيروسس بينما يشك يوسفيوس في اثاره بصحة الحديث، والأصح هو مايتعلق بإضافات متأخرة من بوليسهتر التي أتت من مصدر آخر، لأن النص بالخطوط المسماريه لأسطورة الطوفان التي ذكرها بيروسس يقول بأن الفلك استوى عند جبال نيسير nisirكانت هذه التسميه في البدايه تعني (الانقاذ) اطلقها الآشوريين والبابليين على جبل في منطقة لولو lulu وكان يسمى باللغه المحليه كينيبا kiipa (kiniba) الذي يقع على المصب السفلي للزاب اي إلى اقصى الجنوب من بلاد كوردوياي، أحمد: المصدر السابق، ص75.

(56) السواح: المصدر السابق، ص 143 لقد اورد لنا الأستاذ طه باقر عدد من الملاحظات على رواية بيروسس حيث يقول :

1- توجد بعض الاختلاف عن رواية بوليهستر وردت في كتابات ابيدنوس ومن ذلك أن الناس في أرمينيا يستعملون خشب السفينة وليس قيرها في صنع العود والتمائم وأن المجموعة الأولى من الطيور قد أطلقت من بعد ثلاثة أيام على انقطاع الأمطار.

2- تختلف رواية بيروسس عن جميع الروايات الوارده عن الطوفان في النصوص المسماريه في نقطتين وهما: أنه حددا الشهر الذي وقع فيه الطوفان وهو 5 امن شهر دسيوس ويقابل الشهر الثاني من الأشهر البابليه وهو أيار ويضاهي هذا التحديد وقت الطوفان في التوراة . وثانياً تفرد بيروسس في روايته عن دفن الكتابات في مدينة سبارو أنه عبر عن المأثر المرونه بعبارته ((بدايات الكتابات واوسطها ونهايتها)) ، ينظر باقر: جلجامش المصدر السابق، ص213 .

ومما تجدر إليه الملاحظة أن الدعوة إلى دفن الكتابات بالذات دون غيرها من الأشياء أمر غير واضح المغزى فإن هذه الروايه تشير على نحو واضح إلى أن الطوفان قد حدث في وقت كانت فيه الكتابه معروفة أي بعد 3000 ق.م،

(57)فاضل : المصدر السابق ، ص 109-110.

Lambert, Atrahasis, P.35-37.

(58)سنية قراءة: الرسالات الكبرى (القاهره –1966) ، ص49

Drew:Ibid:, P.

(59)قراءة : المصدر السابق، ص49 .

(60)قراءة : المصدر السابق، ص50 إن أساطير التكوين والطوفان التي تعكس اعتقاد البابلين والآشوريين وما قاله المؤرخ الفينيقي سنكنتين عن اعتقاد الفينيقين، وافيد الشاعر اللاتيني عن اعتقاد اليونان والرومان فيه، ومارود في التواريخ عن معتقدات الفرس والبراهمة وغيرهم من الشعوب القديمة، رأينا أن كل هذه المعتقدات على مختلف تعابيرها تتفق وما أورده النبي موسى عليه السلام في التوراة عن صورة البدء : خلاء وخواء وظلام وروح ازلي يرف على وجه المياه، ينظر البستاني، كرم: أساطير شرقية (بيروت – 1980) ، ص6-7 .

(61) هناك من يذهب إلى القول أن إبراهيم عليه السلام كان موجود في أور جنوب العراق وليس في أورفا استناداً إلى التحريات الاثريه التي أجريت حيث بينت ان تدفق الاقوام في الجزيره استمر في جنوب العراق في حين لم يتم العثور في أورفا على آية آثار سكنية ينظر

Gadd ,C.J., "UR" in the Arrcheology and old testament study ,ed .Thomas ,W., Oxford -1967, P. 95.

محمد وحيد خياطة : ((من اوركلدان إلى ارض كنعان)) سومر ، م33 ، بغداد –1977 ، ص97-110 .

(62) قراءة : المصدر السابق ، ص50 .

(63) سارتون : المصدر السابق، ص371 وينظر ايضاً بورج : المصدر السابق ، ص221.

(64) سنيكا Seneca: اسمه الكامل: نايوس سنيكا (٤ق.م تقريباً إلى 65م) ينحدر من عائله اسبانيه تقلد مناصب كثيره وكتب في مواضيع مختلفه ويعد سنيكا من ابرز ادباء عصر نيرون (54-68م) يُعد سينيكا من فلاسفة القرن الأول، وقد عاش في الفترة الشديدة القرب ببداية المسيحية، فلم يذكر شيئاً عن يسوع، ولم يتورع القديس جيروم أن يجعل منه واحداً من اباء الكنيسة، وقد قامت الأيادي العابثة بملء هذه الفجوة باختلاق مراسلات بين سينيك والقديس بولس. لكن سرعان ما تكشفت عمليات التزوير لتدين هذه الخدعة بلنها أحط تزوير يُدين مصداقية تلك الايادي ينظر بتري:المصدر السابق، ص114.

(65) انظر النص الكامل في ص12-13.

(66)Drews : Ibid ,PP 53-51

(67) الأحمد: المصدر السابق، ص167.

(68) علي حسين الجابري: فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر (جدلية الاصالة والمعاصرة)، بغداد - 1993) 14,16/1 .

(69) روثن : المصدر السابق ، ص41.

(70)ساكز: عظمة بابل المصدر السابق ، ص52.

(71) جان بوتيرو: بلاد الرفدين (الكتابه -العقل -الالهة) ترجمة الاب البيرابونا ط1، بغداد 1990، ص304.

(72) وينعكس اهتمام السومريين والبابليين بالثقافة في اهتمامهم بالحكمة والمعرفة واعتقادهم بوجود ((الحكماء)) السبعه الذين ذكرتهم النصوص المسماريه وذكرهم ايضاً المؤرخ البابلي بيروسس وقد سمي الواحد من اولئك الحكماء في الاكديه (Mantakku) كما سمي ايضاً (apkallu) الابكل وهي كلمة سومريه الاصل من (abgall) وبموجب النصوص المسمارية يكون اله الحكمة انكي (ايا) قد بعث أولئك الحكماء في أزمان الطوفان على هيئة أسماك من مياه العمق (ابسو Apsu) ليعلموا الانسان فنون الحضارة . وباستثناء الحكيم الاول وهو ادبا (Adapa)الذي كان يسكن في مدينة اريدو مركز عبادة اله الحكمة أما الحكماء الستة الباقون فقد حملوا اسماء سومريه ويعزى إلى هؤلاء الحكماء بناء المدن السومريه وتعليم الناس المهارات الصناعيه ولذلك تصفهم النصوص المسماريه بكونهم (Ummanu) أي صناع كما تذكر النصوص البابليه ان اولئك الحكماء ردوا إلى موطنهم الاصلي في مياه العمق ليبقوا هناك إلى أبد الدهر بعد آن اغضبوا اباهم إله الحكمة انكي، ينظر : فاضل عبد الواحد علي: " المثقفون في تراث الرافدين القديم"، الموقف الثقافي، ع7 ، بغداد -1997 ، ص8-17 وينظر ساكز : المصدر السابق ،ص52.

(73) بوتيرو : المصدر السابق ،ص304.

(74) احمد كمال زكي : الاساطير دراسة حضارية مقارنة، 2(بيروت -1979) ص91 وينظر Sollberger: Ibid ,P.11

(75) نادفي : المصدر السابق ، ص143. Lloyd Ibid, P.16

(76)Gadd:Ibid: ,P91

(77) في بعض الاحيان تاتي أسماء الملوك مقلوبة وربما أراد بيروسس بذلك جعلها سهلة على القارئ اليوناني وقريبه من طريقة تلفظها، ينظر ملحوظة المترجم روثن : المصدر السابق، ص41.

(78) روثن: المصدر السابق، ص41 وينظر أيضاً باقر : مقدمة ، 1/ وعلي، فاضل عبد الواحد: المصدر السابق، ص195.

(79) إبراهيم : المصدر السابق، ص84

(80) روثن: المصدر السابق، ص41

(81) إبراهيم: المصدر السابق، ص84

(82) روثن: المصدر السابق، ص41

(83) إبراهيم : المصدر السابق، ص وينظر أيضاً ساكز : المصدر السابق، ص54-55.

(84) Drews:Ibid, P54

(85) الأحمد : المصدر السابق ، ص167.

(86) باقر : مقدمة ، 454/2.

(87) الأحمد : المصدر السابق ، ص167.

(88) ومما تجدر الإشارة إليه أن الباحث ساكز قد عدَّ جهود المؤرخين الآشوريين الأنموذج الأول للمؤرخين النقديين الذين أثروا على المنهجيه اليونانيه لاحقاً ومن خلال العلماء البابليين المتأخرين الذين ورثوا هذه التقاليد تحت تاثير فلسفة التاريخ الآشوري، ينظر ساكز: المصدر السابق، ص 576 والجابري: المصدر السابق، ص17.

(89) الأحمد: المصدر السابق، ص167 .

(90) أوتس: المصدر السابق، ص227-228

Drews : Ibid, P53, Macqueen , Ibid,PP171-172

(91) الأحمد : المصدر السابق، ص168. وينظر أيضاً الجابري: المصدر السابق، ص14.

(92) هكذا وردت في النص .

(93) بوتيرو: المصدر السابق، ص365.

(94) الأحمد: المصدر السابق، ص168؛ إبراهيم :المصدر السابق، ص102-103.

(95) بوتيرو: المصدر السابق، ص304.

8

الفصل الثامن

الكتابة اليونانية ونشأة التدوين التاريخي والجغرافي عند الاغريق

التاريخ ليس كما يظن البعض أنه مجرد سرد لأحداث ووقائع في أزمان معلومة ومحددة، فالتاريخ شأنه شأن كافة العلوم يستند ويرتكز على أسس علمية دقيقة، لا تقبل إلا بعد التدقيق والتمحيص والدراسة المعمقة المستندة إلى أسس موضوعية علمية لا على أسس خاصة تسيرها الأهواء وتدفعها المصالح الخاصة.[1] فهو بذلك المختبر الذي تجري فيه التجارب البشرية لإثبات صحة سلوكية الإنسان على نحو عام وصحة النظريات التي توصلت إليها العلوم الإنسانية، ومما يؤكد ويثبت هذه الحقيقة أن الإنسان الذي فقد ذاكرته لا يستطيع أن يعيش بحرية مطلقة وأمان كما يعيش قرينه الذي يمتلك ذاكرته[2]، وبما أن التاريخ بالنسبة للأمة كالذاكرة بالنسبة للإنسان فإن من يجهل تاريخه لا يدرك الأمور وعواقبها كما يدركها من يعرف تاريخه.[3]

فالتاريخ إذن الإحساس والشعور بمرور الزمن وتعاقب الإحداث وتتابعاتها، والفترة الزمنية التي تستغرقها فالارتباط وثيق مابين الزمن والمكان، لكن هذا الارتباط يمتد بالمقاس الكوني إلى ما لانهاية له في الماضي والحاضر والمستقبل، فالماضي مقتصر على المفهوم الإنساني للزمن ولا يمكن إدراكه وتصوره إلا عن طريق الذاكرة وإذا ما اقترنت الذاكرة بالتسجيل نشأ ما نسميه بالتاريخ.[4] ويتخذ ذلك التسجيل أشكالا مختلفة فقد يكون أسطورة أو ملحمة أو قصة أو نسباً أو نقشاً أو سجلا للإحداث فهو ممارسة إنسانية تعمقت وتبلورت مع الارتقاء في سلم الدرجة الحضارية.[5]

كما أنه من الواضح أن البشر خلال مراحل وجودهم واجهوا ظروفا مختلفة ولم تكن لديهم تصورات مخططة لماضيهم وفق نسق وأسلوب معين،[6] فكان علم التاريخ الوسيلة لحفظ مآثر الإنسان حيث يعد أول مسجل بشري أو عمل بشري مسجل يجمع التجربة الإنسانية بمختلف انواعها ومفاهيمها وهو، الإطار الذي ضم جميع نشاطات الفكر البشري، الدينية؛ الوجدانية؛ الاجتماعية والمادية،[7] فهو بذلك حجر الزاوية في معرفة وضبط حالات البشر المختلفة، ثم الاستفادة منه بالتجارب والعبر في نشوء وأفول كثير من الحضارات والشعوب والأمم، والبحث في أسباب الانهيار تلك، ثم تضافرت جهود الإنسان القديم وتأثيراته على الحضارة البشرية المعاصرة، ويتيح لنا هذا فرصة التعرف إلى الكثير من العادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية التي لا زالت إلى الوقت الحاضر.[8]

كانت الوسيلة التي استخدمت لأجل حفظ جميع نشاطات الفكر البشري: "الكتابة والتي اتفق الباحثون على جعلها الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ[9] والعصور التاريخية، [10]

فالإنسان لم يتمكن من الوصول إلى سجل شامل لأحداث الماضي إلا في العصر الذي بدا يفكر فيه الإنسان في أن يصفى على أفكاره وأفعاله تعبيرا خالدا على حد تعبير الباحث (بارنز) أي في العصر الذي أتقن فيه الكتابة.[11]

في معنى التاريخ:

يعرف التاريخ لغة بـ"تعريف" الوقت والتواريخ مثله أرخ الكتاب ليوم كذا وقته ... وقيل ان التاريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض وان المسلمين أخذه عن أهل الكتاب[12]؛ ولقد اور الأستاذ طه باقر التأصيل الصحيح لهذه الكلمة حيث: "لا أن يكتفي بالقول أنها سريانية أو آرامية أو غيرها من الجزرية بل الصحيح انها من المفردات الموجودة في معظم اللغات العربية القديمة منها (الآكدية) التي يطلق عليها كلمة "ورخ" أو "ارخ: ومن هذا تولد معنى تاريخ الذي يعني حرفيا تحديد الزمن"، كما أن "ورخ" و "آرخ" من أسماء الإله القمر في اللغات العربية الجنوبية.[13] فسكان الجزيرة العربية كانوا يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس ولهذا كانوا يستندون إلى الليالي في تاريخهم دون الأيام، وعلى هذا الأساس فإن كلمة تاريخ في بداية أمرها كانت تعني تحديد الشهر ثم اتسعت فصارت التقويم العام في تحديد الحوادث في تلك العهود.[14]

أما في اللغات الأوربية فكان يطلق على التاريخ كلمة History فهي يونانية الأصل تطورت من لفظ Istoria؛ وقد أطلقها اليونان على نوع من الكتابة التي مارسها المؤرخ اليوناني هيرودتس (عاش في القرن الخامس قبل الميلاد) وتعني هذه الكلمة فعل النظر أو مشاهد عيان وما يضيفه هذا الشاهد على تجربته الخاصة وقد أخذ الرومان هذه الكلمة ونقلوها إلى لغتهم Historia فصارت تعبيرا فنيا لم تتغير غير أن معناها في الاستعمال العام أخذ بالتدهور في اللغات اللاتينية واتخذ فيما بعد أشكالا مختلفة وفقا لانتقالها الإقليمي وخصوصا في فرنسا. وطرأ عليها تحريفات كثيرة فاتخذت أشكال مختلفة منه:[14] Historia ,Histoire, histore واصبح التاريخ نوع من أنواع البحث العلمي غايته الكشف عن حقيقة الأشياء مشروطة بقدرته على تنظيم الأشياء تنظيما جديدا.

أما في القران الكريم فلم يرد مصطلح تاريخ، لكنه احتوى على مادة مماثلة يمكن أن يستفاد في تفسيرها وتوظيفها كتاريخ، والمتتبع لمعالجة القرآن الكريم للأحداث التاريخية يلمس أن القصص القرآني تمثل شرائح شاملة من حياة المجتمعات، مثل أساطير الأولين أو القصص والعبر عن الأمم السابقة،٢٥٨ وفي الأدبيات العربية في صدر الإسلام لم تذكر كلمة

تاريخ بل وردت متأخرة، بحدود أواخر القرن الثاني للهجرة وصارت تطلق على العالم بأحداث التاريخ وأخباره و[15]حلت محل كلمة خبر والإخباري التي استعملها العرب في صدر الإسلام، وأخذت قيمتها العلمية بالزوال إلى أن اختفت من الاستعمال.[16]

التأثير على بلاد اليونان

إن في حياة الدول ذات النزعة الانفصالية القوية، عدة عوامل مشتركة، منها أننا نجد في شبه جزيرة اليونان كلها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد لغة واحدة تنتمي إلى مجموعة اللغات الهندـ أوربية" التي تشمل الفارسية و السنكسريتية، والسلافونية، واللاتينية، والألمانية، والإنجليزية. وإنا لنجد آلاف الكلمات التي تعبر عن العلاقات الأولية في حياة الناس، أو عن الأدوات التي كانوا يستخدمونها ، أصولاً مشتركة في هذه اللغات جميعها، وهي لا تدل فقط على قدم مسميات هذه الكلمات وانتشارها في البلاد التي تنطق بهذه اللغات، بل تدل كذلك على ما بين الشعوب التي كانت تستخدم هذه المسميات في فجر التاريخ من قرابة أو رابطة. نعم إن اللغة اليونانية قد تشعبت لهجات مختلفة – الإيولية، والدورية، والأيونية، و الأتكية؛ ولكن الناطقين بهذه اللهجات المختلفة كان يفهم بعضهم بعضاً، ثم خضعت كلها في القرنين الخامس والرابع إلى لهجة مشتركة koine dialektos انبعث معظمها من أثينا، وكانت تنطق بها الطبقات المتعلمة كلها تقريباً في العالم اليوناني بأجمعه.

وكانت اللغة اليونانية الأتكية لغة جزلة، قوية مرنة، حلوة النغم ، فيها من الشذوذ مثل ما في أية لغة حية ، ولكنها تقبل في يسر كل التراكيب التي تجعلها صالحة للتعبير عن أغراضها، وفيها التدرج والاختلاف الدقيق في المعاني، وفيها المدركات الفلسفية الدقيقة، وفيها جميع أنواع التعبيرات الأدبية السامية الرفيعة من شعر هومر إلى نثر أفلاطون الهادئ الواضح السلس. وتعزو الرواية اليونانية المتواترة إدخال الكتابة في بلاد اليونان إلى الفينيقيين في خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وليس لدينا ما ينقض هذه الرواية، بل إن بين الكتابات اليونانية التي ترجع إلى القرنين الثامن والسابع وبين الحروف المنقوشة على حجر مؤاب في القرن التاسع تشابهاً كبيراً. من ذلك أن النقوش اليونانية كتبت على طريقة اللغات الجزرية من اليمين إلى اليسار ؛ وفي القرن السادس كانت (كالنقش الذي وجد في جورتينا Gortyna) تنقش من اليمين إلى اليسار في أحد السطور ثم من اليسار إلى اليمين على الدوام ، واستلزم هذا قلب وضع الحروف فصار حرفاً B ، E يكتبان هكذا B، E،كذلك سميت الحروف بأسمائها السامية مع تعديلات طفيفة، ولكن اليونان أدخلوا على هذه الأسماء تغييرات

أساسية، أهمها أنهم أضافوا إليها حروفاً للحركة لا نجدها عند الجزريين، فاستخدموا بعض الحروف الجزريين الساكنة، وحروف التنفس لتمثيل الحركات التي تدل عليها u,o,i,e,a وأضاف الأيونيون فيما بعد حروف المد إيتا e) eta المدوة)، أوميجا o-mega (لتمثل o المدوة أو o المزدوجة).

واخذت عشر أبجديات يونانية مختلفة تنازع بعضها بعضاً، فكان هذا النزاع جزءاً من الحروب القائمة بين دول- المدن ؛ وتغلبت الحروف الهجائية الأيونية في بلاد اليونان ثم انتقلت منها إلى أوروبا الشرقية وبقيت فيها إلى اليوم ، أما رومة فقد اتخذت الحروف الكلسيدية Chalcidian من كومي وهي التي أصبحت الحروف اللاتينية والحروف الإنجليزية. وكانت الأبجدية الكلسيدية ينقصها حرف الـ eوالـ oالمدودان ، ولكنها فعلت ما لم تفعله الأبجدية الأيونية فاستبقت vauالفينيقية حرفاً ساكناً (وهي الـ v التي يقرب نطقها من نطق حرف w)؛ ومن أجل هذا كان الأثينيون يسمون النبيذ oinos والكلسيديون يسمونه voinos والرومان يسمونه vinum والإنجليزية يسمونه .wine كذلك استبقى الكلسيديون حرف koppa أو q وانتقل منهم إلى روما ثم إلى اللغة الإنجليزية ؛ أما أيونيا فقد أهملته واكتفت بحرف kوكتبت أيونيا حرف lبهذه الصورة A، أما كلسيز فقد كتبته l؛ وعدلت رومة هذه الصورة الثانية فجعلتها معتدلة، وانتقلت منها على هذا النحو إلى أوربا؛ وكتب الأيونيون حرف Rكما نكتب نحن حرف P؛ أما إيطاليا اليونانية فقد أضافت إلى P فاصبحت .R

والراجح ان أولى الأغراض التي استخدمت فيها الكتابة في بلاد اليونان كانت هي الأغراض التجارية أو الدينية، ويبدو أن الرقى والتعاويذ التي كان يتلوها رجال الدين هي مبدأ الشعر، وأن ما يكتب في أوراق شحن السفن كان بداية النثر. ثم انقسمت الكتابة نوعين مختلفين احدهما دقيق منتظم للنقوش وما إليها، والثاني هي الكتابة الدارجة التي تستخدم في الأغراض اليومية العادية. ولم يكن في كلا النوعين نبرات، ولم يكن يترك بين الكلمات فراغ، ولم تكن فيها علامات ترقيم ؛ فإذا أريد الانتقال من موضوع إلى موضوع دلوا على ذلك بشرطة فاصلة أفقية يسمونها برجرافون Paragraphon أي علامة "تكتب إلى ناحية"، وكانت المواد التي تكتب عليها متنوعة فكانت في بادئ الأمر، إذا جاز لنا أن ناخذ بقول بلني، أوراق الأشجار أو لحاؤها؛ فإذا أرادوا النقش استخدموا الحجارة أو البرونز أو الرصاص، وكانوا يستخدمون للكتابة العادية ألواح الطين كما كان يفعل أهل ما بين النهرين، ثم استخدموا الواحاً من الخشب تغطيها طبقة من الشمع، وكانت هذه شائعة بين التلاميذ قبل ايامهم؛ فإذا ارادوا أن يكتبوا شيئاً يبقى أمداً طويلاً استخدموا أوراقاً من البردى كان الفينيقيون يأتون بها

من مصر؛ وفي العهد الذي انتشرت فيه حضارة اليونان في خارج بلادهم، وفي العهد الروماني، استخدم الرق المصنوع من جلود المعز و الضأن أو أغشيتها الرقيقة، وكانوا يكتبون على ألواح الشمع بقلم معدني ، وعلى ورق البردى والرق بقلم من الغاب يغمس في الحبر، وكانت الكتابة على الشمع تمحى بنهاية القلم المعدني السميكة، اما الحبر فكان يمحى بقطعة من الإسفنج؛ ولذلك أرسل الشاعر ماريتال إلى صديق له قطعة من الإسفنج مع قصائده لكي يمحوها "بضربة واحدة". وإن كثيراً من النقاد في هذه الأيام ليحزنهم أن هذا الأدب الجم لم يبق له وجود الآن. وليس ثمة ميدان وصلنا من الألفاظ القديمة بالكثرة التي وصلنا من ميدان الكتابة. فكلمة ورق بالإنجليزية paperمأخوذة من اسم نبات البردى papyrus، وقد أعادت دورة الفلك الطراز القديم لصنع هذه المادة من النبات المضغوط. وكان السطر من الكتابة يسمى باليونانية stichos أي صفا، وكان اللاتين يسمونه versus أي عودة إلى الوراء، ومنها اشتقت كلمة verse الإنجليزية. وكانوا يكتبون ما يريدون في صورة أعمدة على قطعة من ورق البردى أو الرق طولها من عشرين قدما إلى ثلاثين تلف حول عصا. وكانوا يسمون هذا الملف ببلوس biblos، وقد أخذوا هذا الاسم من المدينة الفينيقية المعروفة بهذا الاسم والتي كانت تمد بلاد اليونان بالورق المصنوع من نبات البردي.[17]

أما الملف الصغير فكان يسمى ببليون biblion. وكان الكتاب المقدس (bible) يسمى في أول الأمر biblia أي الملفات. فإذا كان الملف جزءاً من كتاب أكبر منه سمي tomos أي مقطعاً. وكان الجزء الأول من الملف يسمى بروتوكولون :protocollon أي الشريحة الأولى الملتفة بالعصا. وكان طرفا العصا يصقلان بحجر الخفاف ويلونان أحياناً؛ وكان الملف يوضع أحياناً في غشاء يسميه اليونان diphthera ويسميه اللاتين vellum، إذا استطاع مؤلفه أداء ما يلزم ذلك من النفقات، أو كان ما كتب فيه ذا بال. وإذ كان من غير الميسور تداول الملف الكبير أو استخدمه في المراجعة ، فقد كانت المؤلفات الأدبية تقسم عادة إلى عدة ملفات، وكانت كلمة biblos تطلق على كل ملف او جزء من كتاب كبير. وقلما كان المؤلف نفسه هو الذي يقسم كتابه هذا التقسيم. فقد كان الناشرون المتأخرون هم الذين قسموا تواريخ هيرودوت إلى تسعة كتب، وكتاب توسيديدس في حرب البلوبونيز إلى ثمانية، وجمهورية افلاطون إلى عشرة، والالياذة و الأوذيسة إلى أربعة وعشرين جزءاً.

وإذا كان نبات البردى غالي الثمن، وكانت كل نسخة من الكتاب تكتب باليد، فقد كان عدد الكتب قليلاً عند اليونان والرومان الأقدمين. وكان التعلم في تلك الأيام الخالية أيسر منه في هذه الأيام، وإن يكن كسب الذكاء في الزمن القديم لا يقل صعوبة عن كسبه اليوم. ولم تكن

معرفة القراءة ميزة عامة عند الأقدمين ، ولذلك كان معظم العلم يؤخذ بالتلقين من جيل إلى جيل أو من صانع إلى صانع ، وكان معظم الأدب يتلوه بصوت جهوري قراء مدربون على أشخاص يتعلمونه بالسماع. ولم يكن في بلاد اليونان قبل القرن السابع جمهور كبير من القارئين ، ولم تكن في البلاد دور كتب قبل أن يجمع بوليكراتس Polycrates وبيسستراتوس مكتبتيهما في القرن السادس. فلما كان القرن الخامس بدأنا نسمع عن وجود مكتبة خاصة ليوربديز وأخرى للأركون يوكليدز Eucleides؛ ثم سمعنا في القرن الرابع عن مكتبة أرسطاطليس. ولم نسمع عن وجود مكتبة عامة قبل مكتبة الإسكندرية ، كما لم نسمع بوجود مكتبة في أثينا قبل أيام هدريان. ولعل عظمة اليونان في أيام بركليس كان مرجعها إلى أن اليونان لم يكونوا يقرؤون كتباً كثيرة أو يقرؤون أي كتاب طويل. [18]

وفي بلاد اليونان تطالعنا واحدة من أولى الحضارات المتقدمة في أوربا وهي حضارة المينيين (Minoans) في كريت حيث حفظت وثائق قصورهم والوثائق الإدارية مدونة على الألواح الطينية وهذا يظهر على نحو كبير الدين الذي يدينون به إلى الشرق[19]

فلقد وصلتنا من كريت كتابات بلغتين كريتية ويونانية وهي وإن كانت متأخرة نسبياً إلا أنها تؤكد التأثيرات الجزرية الشمالية الغربية للغة ما قبل اليونانية في كريت، فبالنسبة للكتابة الكريتية قد بدأت بشكل صور تمثل تمثيلاً صادقاً الأشياء الاعتيادية ولكن كان لهذه الصور قيم الصوتية وفي هذه الفترة المبكرة أو قبل ذلك العصر هناك ما يوجب علينا أن نقره الاتصال الحضاري بين الكتابة الصورية في كريت والكتابة في آسيا الصغرى فمن المحتمل أن الكتابة في هذه القارة نشأت مستقلة استقلالاً تاماً ولقد أضيف إلى الكتابة الصورية أشكال مكونة من الخطوط المستقيمة مناسبة لسرعة الكتابة و كانت تؤدى بحفار مدبب ويبدو أن هذا الاختراع يحدد التاريخ الذي استعمل فيه الطين وسيلة للكتابة وليس من المستحيل أن نقطع برأي فيما إذ كان هذا الاختراع مستقلاً أو كان مقتبساً من بلاد وادي الرافدين حيث يقول الباحث ساكز في هذا الصدد "أن هناك دعوى قوية مؤداها حالياً أن إحدى اللغات الأولى المعروفة في نصوص كريت من النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد لم تكن سامية فحسب ولكنها كانت سامية أكدية بصورة خاصة" [20]. وعلى سبيل ing الاكدية لابد وأن كان لها علاقة بالحرف اين en اليوناني أو اين in اللاتيني ومعناه (في) وللحرف انا ana بالاكدية معنى متشابه مع الحرف انا في اللاتينية والكلمة الاكدية ماكال mage لها علاقة دون شك مع كلمة ميكال –وس اليونانيةو الكلمة ا– كار A.GAR السومرية أوكارو الأكدية حيث لا يمكن فصلها عن اليونانية أكر – وس واللاتينية أكير agir يصعب تحديد زمن العلاقة بين متكلمين اللغات ولكنها تشير إلى اتصالات موغلة في القدم بين متكلمي هذه اللغات[21].

ومن المعروف أن الكتابة المسمارية قد انتشرت في بلاد الشام وفي بلاد الأناضول (أسيا الصغرى) كما استخدمت في البلاط الفرعوني في أواسط الألف الثاني ق. م. كوسيلة للتفاهم مع حكام الشرق الأدنى القديم كما المحنا ذلك سابقاً ويبدو أن هذا الأسلوب في المراسلات قد وصل إلى قبرص حيث نجد أحد ملوك قبرص يكتب إلى فرعون مصر في حقبة العمارة باللغة الأكدية[22]، مما يدل على معرفة البلاط باللغة ووجود من يكتب بها عندهم ولابد من الإشارة إلى أن الإغريق الذين سكنوا بلاد بابل في القرن الثاني قبل الميلاد حاولوا تعلم اللغة الأكدية كما أرسلوا أولادهم إلى المدارس البابلية وتدربوا على استنساخ بعض النصوص المدونة باللغة السومرية و الأكدية وعثر على نماذج من هذا الرقم[23].

أما بالنسبة إلى اليونان فقد استعاروا كثيراً من الكلمات العراقية القديمة التي انتقلت عن طريق اليونان إلى اللغة الإنكليزية الحديثة منها أسماء المعادن وأبراج النجوم والموازين والمقاييس و أسماء الكثير من الأعشاب والنباتات ومما تجدر الإشارة إليه أن الأستاذ طه باقر قد قام بعملية إرجاع الكثير من الكلمات التي كانت تعد في السابق أعجمية أو دخيلة وتبين أنها تعود إلى التراث اللغوي العراقي القديم . إضافة إلى ذلك هناك الكثير من الرواسب اللغوية العراقية القديمة التي يمكن ملاحظتها في اللهجات الدارجة سواء في أسلوب اللفظ أو المفردات اللغوية . وفيما يلي نورد قائمة بأبرز تلك المفردات :

العربي	الإنكليزي	الإغريقي	الأكدي
خرنوب ،خروب	Carob	Charrouba	Varuba
كركم	Crocus	Krokos	Kurkanu
كمون	Cammin	Kuminon	Kamanu
جص ، جبس	Gypsum	Gypsas	Gassa
حشيشة للزوخا	Hyssop	Hussopos	Zupa
لاذن صمغ	Ladanum	Ledanon	Ladanu
مر	Myrrh	Murra	Murru
نفط	Naphtha	Naphtaos	Naptu
زعفران	Safferon		Azupiranu
كحل	Alcohol		Guvlu

قرن	Horn	Keras	Karnu
قانون	cane, canor	Kanna	Ganu
منا	Mina	Mina	Mina
لبن	Plinth	Plinthos	Libittu
شيقل	Shekel		Viglu
ذهب	Khurasa	Chrusos	Vurasu
ترجمان	Targumanu		Dragamanu
كرز	Cherry	Kerasos	Karshu

فضلاً عن أسماء الأشهر و أسماء الكثير من المدن العراقية(24).

التدوين التاريخي عند الأغريق:

ليس غريبا أن تكون بدايات التدوين التاريخي عند الإغريق في أيونيا ويعبر الأستاذ بيوري بقولة " .... لقد كانت أيونيا في آسيا الصغرى مهدا للفكر الحر وبين جوانبها نشأ تاريخ العلم الأوربي والفلسفة الأوربية"(25)

كما ساعدت حركة الاستعمار والتجارة والسفر في الشرق على تموين الأيونيين والإغريق الإيجيين وعلى تطوير تلك الثقافة وروح النقد التي كانت أساسا لنمو الفلسفة والأدب والكتابة التاريخية الاغريقية وأدى دخول أيونيا في نطاق الامبراطورية الفارسية إلى اتساع أفق الثقافة لدى الإغريق الأيونين نتيجة هذا الاتصال المهم بين الثقافات كما انه أثار اهتمام الإغريق الأيونيين بحضارة الشعوب المختلفة الذين ضمتهم الامبراطورية فإذن أصول الكتابةالتاريخية الإغريقية كانت جزءا من تلك الحركة الفكرية الكبيرة التي اصطلح على تسميتها باسم حركة التدوين التاريخي قبل هيرودوتس(26)

وهذا يعني أن الإغريق مدينون للشرق في معرفة الكتابه أولا، وقبل كل شي حيث دخلت الكتابه الأبجدية بلاد اليونان في القرن الثامن قبل الميلاد وكان الفينقيون قد نقلوها إليهم وقبل الكتابة كان النثر والشعر والفلسفة شفاهاً ورواية، إلا أن التعرف إلى الكتابة والاتصال بالشرق عن طريق الفرس كان محفزا قويا للإغريق بتدوين تاريخهم فالإغريق مدينون للشرق بفضل معرفة الكتابة الابجديه التي أخذوها عن الفينيقيين فدخلت بلاد اليونان في القرن الثامن قبل الميلاد حيث إن الثقافة الإغريقية كانت قبل ذلك التاريخ شفهية فتحدث الناس في

النثر والشعر وكانت الأعمال الأدبية الأولى فلسفية أكثر منها تاريخيه فإذن الشرق كان المحفز الأساسي للإغريق في تدوين تاريخهم[27]

فالشعور بالهوية القومية بعد الانتصار على الفرس نجم عنها الكتابات التاريخية الإغريقية وفي ميدان التقويم صار التقويم البابلي نموذجا للتقويم اليهودية والإغريقية والرومانية قبل إدخال التقويم اليوناني عام 45 ق.م[28]

فانقسم الأسبوع إلى 7 ايام ونسب كل يوم إلى إله من الآله حيث أخذو هذه الفكرة واستبدلو اسماء البابلية بالهه اغريقية ونفس الشي مارسه الرومان حينما بدلو اسماء الآله بالالهه الرومانية وهذه الاسماء ما تزال باقية في بعض الكلمات الأوربية الحديثة. فعملوا نفس الشيء بنسبة إلى أسماء الايام ولكن أصل هذا النظام هو بابلي،[29] اما تقسيم اليوم إلى عدد من الساعات المتساوية لكل من الليل والنهار فهو ايضا مأخوذ من الفكرة البابلية[30]، كما نعرف أن الأثينيين استعملو طريقة تاريخ السنة اي تسمية السنة باسم الارخون باسليوس (الأرخون الملك) الذي يتم انتخابه كل سنة من مجموع ذكور المدينة البالغين وهذه الطريقة معروفه في وادي الرافدين منذ عصوره الأولى ففي الغالب كان الشخص الذي يرأس مجلس الكبار في العصر السومري القديم المعروف باسم الين هو الذي يؤرخ الوثائق السومرية باسمه وكان الآشوريون في المراكز التجارية قد اتبعوا الطريقة التاريخية هذه ولو أن الطريقة تختلف بين الآشوريين والأيثنيين في أختيار اللمو ولكن التأثير الآشوري واضح في الآشوريون ضلوا حتى نهاية تاريخهم سنه 612 ق.م يتبعون هذه الطريقة[40]

أما بالنسبة للتدوين التاريخي فكان المؤرخ الإغريقي يلتمس طريقه حتى وصل إلى سلاسل النسب والتاريخ المحلي الذي أفرد فيها مكانا مرموقا للأساطير[41]

وتضاهي الأساليب التي استخدمها واتبعها المؤرخون العراقيون القدماء الأساليب التي اتبعها المؤرخون اليونان والرومان والتي اقتبسوها من حضارة وادي الرافدين ضمن العناصر الحضارية الكثيرة التي اقتبسوها[42]

فكانت الأساطير العراقية المادة الأولية التي بني عليها المؤرخون اليونان تعليلاتهم وآراءهم الفلسفية المتعلقة بأصل الأشياء[43]والخرافات والأسر الخيالية التي تعتمد في كيانها على الأساطير وكانت باكورة المؤلفات التاريخية لا تكاد تتجاوز موضوع الخريطة الأولى وانساب الآلهة وتعد هيود من أوائل شعراء اليونانيين في هذا المجال إلا انه لم يأتي بجديد إذ إنه جمع الأساطير التي كانت معروفة ومتداولة بين الناس في أيامه ورتبها ثم عرضها في أسلوب

شعري جميل لأن نظرية الخليقة الأولى في حد نفسها وفكرة تعدد الآلهه وتناسلها كانت موضوعه للتاريخ قبل الشاعر باكثر من الف عام واذا عرفنا انه كان واحد من اليونانيين الذين هجرو بلاد اليونان واستقرو في اسيا الصغرى وتتلمذ على يد احد القصاص اليونانيين نستطيع دون عناء أن نفهم المصدر الذي استقى منه تلك القصص[44]. اما بالنسبة إلى هيكل دايوس الذي ولد عام 550 ق. م الذي نشأ في ملاطية[45]، حيث كان واحدا من اليونانيين الذين هاجروا إلى آسيا الصغرى واستقروا فيها وعرفوا الكثير من معارفها العلمية فبطبيعة الحال لابد أن يتأثر بتلك الافكار فالتأثير العراقي كبير في هذا المجال يقول ساكز فان احتمال تأثير المؤرخين الإغريق على نحو مباشر بنظرة الآشوريين التاريخية حقيقة واقعة ويبدو ذو أهمية أما المؤرخ الإغريقي هيرودتس المشهور بأبي التاريخ من القرن الخامس قبل الميلاد زار بلاد ما بين النهرين بنفسه. وإن لم تكن بلاد آشور حينئذ موجودة كوحدة سياسية قائمة غير ان أساليب التفكير لم تكن قد اندثرت بهذه السهولة وربما وقع هيرودتس من خلال العلماء البابليين المتأخرين الذين ورثوا التقاليد تحت تأثير فلسفة التاريخ الآشورية.[46] أما بالنسبة إلى المؤرخ بيروسس الذي حاول تعريف اليونان بحكمة بلاده حيث كتب باللغة اليونانية ولكن الأصل ضاع ولم يصل اليمامة سوى اقتباسات أخذها عنه بعض مشاهير الكتاب الكلاسيكيين فلا شك أنه ترك تأثيراته لدى المؤرخين الإغريق سواء من حيث أسلوب الكتابة أو المادة التي تضمنتها ويمكن أن نلاحظ التأثير العراقي في تثبيت بطليموس الفلكي الجغرافي الإغريقي[47]ومن القرن الثاني للميلاد نظم قوائم بأسماء ملوك بابل وفارس[48]وسني حكمهم من عهد الملك البابلي نبو خذ نصر747 ق. م إلى زمن الإسكندر الكبير336-323 ق. م[49] وشمل كذلك أسماء الأباطرة الرومان إلى زمن الامبراطور "انطونينوس بايوس 138-161 ق.م[50]

فإنه دون شك قد تأثر بالأسلوب الذي كان يستخدم في بلاد وادي الرافدين في تنظيم القوائم بأسماء الملوك.

من البديهي ان جذور كثير من المعارف ومنها فكرة كتابة التاريخ تمتد إلى أبعد من تاريخ اختراع الكتابة، فمثلا الأختام الأسطوانية،[51] اريد بها تقديم صورا إخبارية معبرة عن افكار القوم وإيصال مضمونها بطريقة رمزية وترسيخها في المجتمع في مرحلة لم يتوصل فيها الإنسان بعد إلى التدوين (اختراع الكتابة) او ان هذا المظهر الحضاري الأخير كان في دور التطور ولم يكن بمقدورهم توظيفها على نحو كامل وشامل للتعبير عن جميع جوانب الحياة وخصوصا الجوانب الحقوقية (القانونية) والفكرية؛ بينما اضطلعت مشاهد الأختام الإسطوانية بهذا الدور خلال اكثر من خمسة قرون أي حتى مطلع الإلف الثالث قبل الميلاد. [52]

كانت الوسيلة الشائعة والدارجة في تناقل الأخبار والقصص والحوادث الماضية، هي الرواية الشفوية التي انتقلت عن طريق التواتر عبر القرون وحفظت لنا الكثير من أخبار الماضي،[53] وترتبت على ذلك أن كثيراً من هذه الأخبار والقصص قد شابها الكثير من المبالغة والتهويل، الأمر الذي أخرجها عن الطابع الحقيقي والواقعي إلى طابع أسطوري، فكانت نشأت التاريخ الأولى من الخرافة والأسطورة اللتان تعدان من الإشكال البدائية للفهم والإدراك ولكنها لا توضح الحد الفاصل مابين الحقيقة والخيال. لكن مستجدات الحياة وضرورتها، ومشكلاتها استوجبت مراعاة الواقع ولو إلى حد ما في مراقبة الأحداث وتسجيل الوقائع. لكنه أي علم التاريخ تدرج في مراحل التقدم والرقي حتى غدا في طريقة بحثه ومعالجته عن الحقيقة لايقل عن غيره من العلوم. وإذا كانت منشأ واصل التاريخ خرافة وأسطورة فهذا يدلنا ويساعدنا على أن هنالك حقيقة أخرى يجب الكشف عنها وهذه هي وظيفة التاريخ. [54] "فلقد قيل عن الإليادة مثلا أن أي إنسان يشرع في قراءتها كتاريخ يجدها حافلة بالخيال، فإذا شرع في قراءتها كقصة خيالية يجدها بنفس المقدار- حافلة بالتاريخ وتشبه جميع التواريخ الإلياذة من هذا القبيل، بمعنى أنها لا تستطيع الاستغناء عن عنصر الخيال استغناء تاما. وما اختيار الحقائق وترتيبها وعرضها إلا عملية فنية تدخل في دائرة الخيال"[55] فالتاريخ إذن وسيلة حديثة للتعبير عن الأنشطة الإنسانية وهو بديل للأسطورة في هذا المجال فإذا كانت الأسطورة وسيلة الإنسان القديم بتعبير عن أنشطة الإنسانية المختلفة فالتاريخ وسيلة الإنسان الحديث للتعبير عن ذات الأنشطة، وفي ضوء هذا هناك من ذهب به الاعتقاد أن التاريخ هو بديل الفكر الأسطوري، فمطالع التاريخ موصولة بأواخر عصر الأسطورة وإن التحديد الزمني لمطالع التاريخ وأواخر التفكير الأسطوري يصعب حسمه لعدة اعتبارات منها لاختلاف تواريخ الشعوب؛ ودرجات رقيها وتقدمها الفكري فبعض الأمم القديمة دخلت في العصور التاريخية قبل غيرها، وبعضها الآخر ظل إلى يومنا هذا يعيش في العصور الأسطورية لظروف تاريخية وحضارية خاصة بهذه الشعوب.[56]

ولم تكن هذه الأساطير من عمل فرد بذاته وإنما هي نتيجة تضافر جهود كثيرة وربما بين عدة أجيال، فهي أي الأساطير ترمز إلى تراث الأمة بجوانبه المختلفة: الفكري، الروحي وأخيرا العقائدي. وقد تنطوي الأساطير على الرمزية فذبح الإله مردوخ تيامة وخلق الكون من أجزاء جسمها ربما يدل على السيطرة على الفقر البدائي وأحياء الأرض بتنظيم مياه الإرواء، وربما تعكس قصة الطوفان ثورة الطبيعة على القيود وهكذا.[57] وعندما اخترعت الكتابة وشاع استخدامها وسيلة للتدوين وجدت تلك الأخبار والقصص طريقها للتدوين وهي محملة بما علق

بها من إضافات ومبالغات وحذف وتحوير وتغيير،[58] وغدى معظم التاريخ المحفوظ ذلك الجزء الباقي من الجزء المسجل المتذكر من الجزء الملاحظ من ذلك الكل[59] فعلى سبيل المثال تجد قصة الطوفان في ملحمة جلجامش تتحدث عن هذا الحدث الذي أثر في عقول أبناء الحضارات القديمة فاقتبست أخباره ورواياته من أدب العراق القديم، فهو كحدث تاريخي واقعي قد حدث في طيات الماضي البعيد وكان لجسامة تأثيره أنه ترك أثرا بالغا في عقول الأجيال المختلفة فتناقلته بالروايات، الشفهية وشوهت تفاصيله الواقعية، فجاءت أخبار هذا الحدث بعد أن قاست من الحذف والإضافة والتحوير على نحو الذي نجده في اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامش[60] وظلت الرواية الشفهية من وسائل نقل الأخبار التاريخية والأوديسة في الآداب اليونانية، والوقائع الحربية الروائية عن المآثر العربية أي ما يعرف بـ (أيام العرب) [61] التي رويت شفاها خير شاهد على ذلك.[62]

المؤرخون اليونانيون:

بدأت الحضارة اليونانية في الازدهار في شتى أنواع العلوم منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد ولا سيما في بلاد أيونيا (موطن الحضارة الإيجية)التي تقع على السواحل القريبة من بلاد الأناضول والتي اقتبست بلاد اليونان الكثير منها وازدهرت في جزر بحر إيجة وجزيرة كريت بالإضافة إلى حضارات قديمة خاصة حضارة وادي الرافدين وحضارة وادي النيل ولم يكتفي اليونانيون بالاقتباس بل كان لهم الفضل في تطوير الكثير من المعارف والعلوم التي ساهمت في خلق أفكار جديدة ما يزال تأثيرها واضحا إلى يومنا هذا؛ تميز المفكرون اليونانيون بالبحث والتحري والتعليل والكشف عن أصل الأشياء فقد أضافو أشياء جديدة للحضارات التي اقتبسوها ومن الامور التي شغلت هؤلاء المفكرين النظر في أخبار الماضي والتحري عن تلك الأخبار وتعليلها مما أدى إلى بروز عدد كبير من المؤرخين المشهورين.

هيكاتيوس الملطي:

أول هؤلاء المؤرخين هو هيكاتيوس الملطي ولد في مدينة ميلتيوس "ملطية " 546ق.م، اعتبره النقاد انه ليس أول المؤرخين فحسب بل أنه أول الجغرافيين أيضا، فهو أول من وضع الخرائط التي سار عليها هيرودوتس من بعده، الف هيكاتيوس مؤلفين يعتبران الأولان من نوعهما، أحدهما بعنوان "الجينولوجيا" وهو بحث في السلالات والأعراق دون الالتزام بالتسلسل الزمني، وفي هذه الدراسة نبذ الموروثات القديمة غير العقلانية وأحل محلها تفسيرات عقلانية من عنده .

أما المؤلف الثاني فهو رحلة حول العالم زار فيها أجزاء من أوروبا وإفريقيا بما في ذلك مصر بالطبع، ولذا اتهم هيرودوت بأنه نقل عنه كل ما كتبه و أغلبه عن مصر، و يجمع النقاد أن هيكاتيوس كان كثير الخطأ في أحكامه لكن روحه كانت سليمة وعقله ومنهجه كان علميا فقد كان يقول "لست أثبت إلا الرواية التي اعتقد بصحتها لأن أساطير الإغريق كثيرة، وهي عندي حديث خرافة "لقرن السادس قبل الميلاد و لا سيما في بلاد أيونيا (موطن الحضارة الإيجية)التي تقع على السواحل القريبة من بلاد الأناضول والتي اقتبست بلاد اليونان الكثير منها وازدهرت في جزر بحر ايجة و جزيرة كريت بالإضافة إلى حضارات قديمة خاصة حضارة وادي الرافدين و حضارة وادي النيل و لم يكتفي اليونانيون بالاقتباس بل كان لهم الفضل في تطوير الكثير من المعارف و العلوم التي ساهمت في خلق أفكار جديدة ما يزال تاثيرها واضحا إلى يومنا هذا.[63]

هيرودتس(484 ق.م. – حوالي 425 ق.م.):

المؤرخ هيرودوت أو هيرودوتس باللغة الإغريقية واسمه مركب من لفظين هما: "هيرا" الآلهة اليونانية الشهيرة – و "دوت" أو "دوتا" بمعنى أعطى أو أهدى فالاسم يعني هدية هيرا أو عطاء هيرا . عاش هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد وولد في هاليكارناسوس إحدى بلدان جنوب غرب آسيا الصغرى بين سنتي 490 و 480 ق.م، وهو من أسرة من طبقة الصفوة الاجتماعية، وكانت أسرته محبة للعلم والشعر والأساطير، تعمل في السياسة، لهذا اهتمت بتعليمه وتثقيفه، وقد شغف منذ صغره بالدراسة والتعلم واهتم بقرائة الكتب المختلفة والاشعار والادب والملاحم، وقد عاصر في بداية طفولته غزو الفرس بقيادة أحشويرش الأول بلاد اليونان، وكان له عم أسمه وبانياسيس كاتباً وأديباً، فقام بانياسيس بتعليم هيرودوتس الشعر الملحمي فأحبه، وجعله معجباً بهوميروس.[64]

وعندما كبر هاجر هيرودوتس إلى ساموس التي كانت مركزاً صناعياً وتجارياً ومركزاً ثقافياً مهماً، ويرى بعض المؤرخين ان سبب تركه لبلده خلافه مع الطاغية هاليكارناسوس انذاك ومشاركته في الثورة ضده وإثارته للناس، وبعد إقامته لمدة من الزمن في ساموس قام بأسفاره ورحلاته الواسعة حتى يشبع رغبته الجامحة في البحث عن والمعرفة العلوم، زار خلال رحلته مناطق مختلفة في أوروبا وإفريقيا وآسيا وقطع في رحلاته بحدود 1700 ميل، ودامت أسفاره 17 سنة، اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها وأناس قابلهم في رحلاته العديدة وسجل الكثير من الوقائع والأحداث الممتدة على مساحة مترامية الأطراف في

اليونان وفارس ومصر والشام وبلاد العرب، وكان قد حضر إلى مصر وكتب ما شاهدة فيها مؤرخاً تاريخياً وبالطبع كان لغة كتابه الأغريقية ، وكان وصفه دقيقاً وجديراً بالثقة ، وكانت كتاباته ممتعه ومشوقة غير أنه خلط التاريخ بالقصص الشائعة الدارجة على السنة العامة فى ذلك العصروقضى أواخر ايامه في أثينا وفيها قرأ ودرّس من تاريخه في تلك المدينة كما درست في المدن اليونانية الأخرى، ومنحه أهل أثينا مكافأة مالية كبيرة تقديراً لأعماله وكتاباته التاريخية والأدبية إلا أنه لم يحصل على حق المواطنة الأثينية على الرغم من تقديمه طلباً لذلك ليستقر أخيراً في ثوري في جنوب إيطاليا قرابة عام 444ق.م. حيث أكمل كتابه، وتوفي في عام 424 او425 ق.م .أطلق هيرودوت على كتابه اسم Iotopins Attoaeievs اي " تمحيص أو إثبات الأخبار " فكلمة Iotopins اليونانية تعنى Historia باللغة اللاتينية "الفحص" أو "البحث وتحت هذا العنوان جمع هيرودوت ما استطاع معرفته وتسجيله من معلومات جغرافية وتاريخية ودينية وقصصية في كتابه عن الأمم التى زارها.[65]

وكتبه التسعة هي:

الجزء الأول واسمه " كليو " ربة التاريخ . وموضوع هذا الجزء توسع الامبراطورية الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد وذكر حروبها – و يحكي فيه أربع قصص أسطورية لأربع فتيات هن (آيو) الإغريقية، و (أوربا) الفينيقية، و(ميديا) الكولخية من منطقة البحر الأسود، و (هيلين) الإسبارطية فبينما ارتبطت هذه الأخيرة بطروادة صارت (آيو) رمزاً للآلهة المصرية إيزيس ، وقلدت (أوربا) اسمها لقارة أوروبا، وأهدت (ميديا) اسمها لبلاد ميديا في شمال إيران وكان هيرودوتس أراد بذلك أن يضع الأساس الجغرافي لموضوع بحثه التاريخي وكتابه ، ثم ينتقل بنا من الأسطورة إلى التاريخ فيحدثنا عن مملكة ليديا (الإقليم الواقع على الشاطىء الغربي لآسيا الصغرى) ويسرد تاريخ ظهور تلك المملكة وتاريخ ملوكها. ثم يركز على ملكها كرويسوس (560-546 ق.م) ويمهد للحديث عن الملك الفارسي كورش الكبير (557-530 ق.م.) بإعطاء وصف تاريخي لملكة ميديا وحكم استاجيس الميدي جد كورش من جهة الأم والذي أطاح به كورش فيما بعد، ثم يعرض وصفاً لأعراق الفرس وأجناسهم ويعقبه بوصف للشعوب التي كانت تسكن شرق اليونان من الأيونيين والدوريين والأيوليين باعتبارها المناطق المجاورة للامبراطورية الفارسية أنذاك بعد هزيمة كرويسوس عام 545 ق.م. وسقوط مملكته في أيدي الفرس.

الجزء الثاني ويحمل اسم "يوتربي" ربة الموسيقى أو العزف على الناي. وهو عن مصر وقد

أراد بهذا أن يمهد للحديث عن حملة الملك الإخميني قمبيز على مصر التي يتناولها في الجزء الثالث، فيصف طبيعة مصر ومناخها وسكانها وأجناسها ثم يتحدث عن النيل ومنابعه ومصباته وفيضانه ثم يعرض لتقاليد المصريين وعقائدهم وتاريخ ملوكهم وعملية التحنيط عندهم، ثم يصف ما شاهده من الأهرامات وقصر التيه وغير ذلك من الأمور المتصلة بأوضاع مصر إبان الحكم الفارسي لها في القرن السادس قبل الميلاد، كما يتناول الجالية الإغريقية في مصر ومعبدها أمون في واحة سيوه. علماً أنه قد استهله بذكره لحكاية هي أقرب إلى الأسطورة من خلال تحدثه عن قصة التنافس على الأقدمية والعراقة بين المصريين والفريجيين.

الجزء الثالث ويحمل اسم "ثاليا" ربة التراجيديا أو المأساة .يكرس بدايته عن فترة حكم قمبيز (530-521 ق.م) ويشرح الأسباب التي دفعت الفرس لغزو مصر، وشارك أباه كورش في التخطيط والإعداد لذلك الغزو ، ثم يصف الحملة على مصر ونجاح قمبيز في هزيمة امازيس ملك مصر في معركة الفرما ودخول العاصمة المصرية ممفيس وذلك في عام 525ق.م. ثم يصف لنا الحملات الثلاث التي شنها قمبيز على كل من القرطاجيين و الأثيوبيين و الآمونيين وباءت جميعها بالفشل ، فلم يستطع هزيمة القرطاجيين لتقاعس الفينيقيين ـ وهم العمود الفقري لقوته البحرية ـ عن مشاركتهم في محاربة أبناء جلدتهم القرطاجيين وكانت العواصف الرملية سبباً في فشل حملته على الأمونيين كما عاد من أثيوبيا بعد أن منّى نفسه بالذهب والمال راضياً بغنيمة الإياب وانعكس ذلك الفشل في سوء معاملته للمصريين أسراً حاكمة ومحكومين، بعد ذلك يتحدث هيرودوت في شرحه للحرب الساموسيةـ اللاكيميديونية، بعده يعود لوصف فترة التحول من حكم قمبيز إلى حكم دارا الأول ومن ثمّ يقدم مسحاً شاملاً لملكة دارا وليبدأ موضوع بحث مفصل مطول يستغرق بالإضافة إلى ما شمله هذا الجزء، الأجزاء الثلاثة التي تليه أي حتى بداية الجزء السابع وذلك هو فترة حكم دارا الأول (521-486ق.م).

الجزء الرابع ويحمل اسم "ميلوميني" ربة الكوميديا أو الملهات. ذكر فيه غزو دارا الأول لبلاد السكيث فيصف في البداية شعب السكيث وعاداته ثم يعدد قبائله ثم يتحدث عن القارات الثلاث آسيا وأوروبا وإفريقيا ويعدد سكانها ثم يعود مرة أخرى للحديث عن السكيث وعاداتهم ذاكراً بعد ذلك تفاصيل حملة دارا على بلاد السكيث ويصف المعارك بين الفرس والسكيث ويطرق موضوعاً جديداً حول قصة الإغريق سكان جزيرة ثيرا وهجرتهم إلى قورينه في منطقة برقة في ليبيا ويتحدث بالتفصيل عن ليبيا وطبيعتها وبلدانها وقبائلها وعاداتها.

الجزء الخامس ويحمل اسم "تريسيخوري" ربة الرقص الغنائي. ويتناول هيرودوتس في هذا الجزء والذي يليه حملة دارا على أوروبا، فيبدأ بوصف الدردنيل وبلاد تراقيا والسيجيناي على نهر الدانوب ثم مقدونيا وبعدها أيونيا ثم يتحدث عن الثورة الأيونية عام 499 ق.م. وعن تحرير أثينا من حكم الطغاة لينتقل إلى موضوع الكتابة عند الإغريق واستخدامهم للأبجدية الفينيقية في أول الأمر ثم يذكر تاريخ أثينا ومشاركتها الأيونيين في محاربة الفرس وحرق سارديس عام 497 ق.م. ثم قيام الجيش الفار سيبمطاردة الأيونيين والأثينيين وإلحاق الهزيمة بهم ويمتنع الأثينيون بعد ذلك عن مساندة الأيونيين ثم يشير إلى ثورة قبرص على الفرس وطلبها المساعدة من الأيونيين وتمكن الفرس بوساطة الفينيقيين من إخماد الثورة .

الجزء السادس ويحمل اسم "اراتو" ربة الشعر الغنائي أو الأناشيد. يواصل حديثه الذي بدأه في الجزء الخامس عن حملة دارا الأوربية فيشير إلى انضمام هيستيايوس طاغية ملطية للثورة ضد الفرس ثم يذكر هزيمة الأيونيين في لادي واستيلاء الفرس واخضاع إرتريا على يد ماردونيوس (صهر الملك دارا) عام 490 ق.م. وموقعة ماراثون التي انتصر فيها اليونانيون عام 490 ق.م. ثم يذكر الحرب الإيجينيه ــ الأثينيه عام 487 ق.م. والتي انتهت بانتصار الأثينيين ويعود إلى تفاصيل معركة ماراثون .

الجزءالسابع ويحمل اسم "بوليهيمنيا" ربة فن التمثيل . يبدأ في هذا الجزء بذكر رد الفعل من قبل دارا ملك الفرس إزاء هزيمة الماراثون وتجهيزاته لإرسال حملة كبيرة إلى اليونان لكن دارا يموت عام 486 ق.م. فيخلفه ابنه احشويرش وتقوم ثورتان في مصر وبابل عام 480 ق.م. عرقلتا خطة الانتقام من اليونان إزاء معركة الماراثون وحريق ساردیس ، بعدها يصف عمليات التجهيز والبناء لقناة جبل أتوس، ثم يقدم وصفاً لسير الجيوش، واستعدادات الإغريق وانتخاب إسبارطة بما لها من قوة عسكرية لتتزعم حلفاً دفاعياً ضم نحو إحدى وثلاثين مدينة إغريقية في مؤتمر كورنثه عام 481 ق.م. وتوجههم إلى جيلون حاكم صقليه طالبين منه الانضمام إليهم، وموقف الكريتيون واستطراده حول تاريخ كريت.

الجزء الثامن ويحمل اسم "أورانيا" ربة الفلك. يبدأ من غير تمهيد لهذا الجزء بوصف المواجهات البحرية بين الفرس واليونان عند رأس أرتمسيوم في أقصى الشمال الشرقي لجزيرة بيوبيا وفي تلك المعركة البحرية أظهر تميستوكليس القائد الإغريقي كفاءة عالية وفي الوقت نفسه كانت هناك معركة حامية الوطيس تجري بين الجانبين اليوناني والفارسي داخل بيوبيا وتصدي اليونانيين لهم عند دلفي، بعدها يتناول معركة سلاميس التي خسرها الفرس وقرر احشويرش على أثرها العودة إلى آسيا الصغرى عبر مضيق الدردنيل.

الجزء التاسع ويحمل اسم "كاالليوبي" ربة شعر الملاحم. يركز في هذا الجزء على بسط تفاصيل معركتي بلاطية وميكالي في عام 479ق.م. بين الفرس واليونانيين، إذ إنه حتى ربيع ذلك العام لم تكن هناك مؤشرات واضحة على أن الإغريق سيتمكنون من طرد الفرس من أوروبا، ويعرض في البداية قيام القائد الفارسي ماردونيوس باحتلال أثينا، ثم زحف الإسبارطيين نحوها ثم انسحاب ماردونيوس منها والاتجاه شمالاً عند بلاطية ثم يفصل سير المعركة بين الجانبين وتمكن الإغريق من إلحاق الهزيمة بالفرس وقتل قائدهم ماردونيوس وانسحاب الجيش الفارسي وعودته إلى بلاده كما يتناول معركة موكالي فيشير إلى وضع الأيونيين تحت سيطرة الفرس في ظل وجود الأسطول الفارسي عند جزيرة ساموس، ويبين أنه كان لدى الأثينيين رغبة في تحرير أيونيه من أيدي الفرس ويعرض بالتفصيل تحرك الأسطول اليوناني من أثينا وتوجهه نحو ساموس ثم انسحاب الأسطول الفارسي إلى الشاطىء المقابل لسفح جبل موكالي حيث تدور المعركة بين الأسطولين وتنتهي بعد معركة حامية شارك فيها الأيونيين بتدمير سفن الفرس وهزيمتهم وطرد حكامهم من المدن الأيونية كافة .[65]

إذن كانت الكتابات الأولى عند الإغريق مختلطة بالأسطورة والخرافة إلا أن الأمر تطور على يد هيرودوتس في كتابه "historia" و اقتبس الكثير عن هيكاتيوس و تضمن كتابه الكثير عن حياة الشعوب والأمم الأخرى خاصة بلاد مصر وبابل واشور بلاد إفريقيا ويُعد أول مؤرخ تناول أحوال الشعوب وعاداتها، وكتاباته يشوبها الكثير من الأساطير التي يقول أنه كتبها كما سمعها ويعد كذلك أول مؤرخ يبرز ضرورة تقصي وتحري الأخبار والأحداث وانتشار الفلسفة، ساعد هيرودوتس في كتابه و تتضح أهمية كتابه في أنه وضع به معلومات جمعها عبر الرحلات التي قام بها خلال رحلته التي دامت سبعة عشر سنة و قدم معلومات عن بلاد مصر لم يستطع المصريون أنفسهم تسجيلها فهو يتحدث عن جوانب الحياة اليومية كحياة العامة و العمال والفلاحين .[66]

أما الأسباب والعوامل الفعلية التي دعت إلى تسمية هيرودوتس بأبي التاريخ:أول مؤرخ اعتمد أسلوب التحري والتقصي في جمع الأخبار؛ اعتمد منهجا دقيقا في جمع الأخبار من خلال التقصي والتحري في جمع الأخبار؛وعيه بأهمية التاريخ وبضرورة اعتماد المؤرخ على التدوين؛ من المؤرخين الأوائل الذين اعتبرو الاحداث و الوقائع التي تمر بالإنسان هي من صنع الإنسان نفسه؛ اهتمامه بجمع أخبار أمم أخرى غيراليونان.[67]

-ثيوكديديس (471-401 ق . م) :

أما إذا تحدثنا عن ثيوكديديس هذا المؤرخ الأثينى ذو الدماء التراقية، هذا المؤرخ الذي قال

عنه توينبي " أنه سيبقي ثيوكديديس كأعظم المؤرخين الهيلينيين دون منازع " فكان ثيوكديديس قائدا عسكريا في الحروب البلوبونيزية التي دارت بين أثينا وأسبارطة، فارتكب أخطاء عسكرية فطرد من الجيش، فعكف على دراسة هذه الحرب مستخدما خبرته الميدانية، وزار مواقع المعارك، سعى إلى البحث عن الأسباب غير المباشرة ولم يكتفي بالمباشرة "وعند مقارنته بهيرودوتس نجد أنه أكثر عناية بتحقيق ما يروي" لقد حدد الحدث التاريخي الذي سيؤرخ له كما حدد الأسباب التي دعته وشجعته إلى التاليف وتسجيل الوقائع كما كان أكثر تركيزا في روايتها و قصر التاريخ علي الأحداث السياسية و العسكرية و قد شهد الجميع بحياديته فرغم أنه أثيني لم ينحاز لأثينا أو بركليس كما أنه كان دائما مستعداً لسماع وجهات نظر كل الأطراف بأمانة ليعبر عنها وينقلها و يشرحها ناظرا إلى الموضوع من زواياه المختلفة تبعا لوجهات النظر المتباينة حوله من غير أن ينتصر لوجهة نظر معينة " كما عنى بتحقيق الأحداث التي رواها تحقيقا علميا وكان أكثر تركيزا في روايتها ولم يستطرد كثيرا بالتفصيلات التي لا حاجة لها.[68]

أما عن أسلوب ثيوكوديديس فكان أكثر علمية وموضوعية من أسلوب هيرودوتس الذي يتميز بالسهولة والتلقائية والإقناع فقد كتب تاريخه بصورة أشبه ما تكون بالكتابات الأبقراطية الطبية إذ خلت من أي تمجيد للآلهة أو المعجزات أو الأمنيات وما شاكل أما عن المصادر التي عاد إليها في تاريخه فهي :1ـ معايشته الخاصة للأحداث التي عاصرها 2 ـ المعلومات التي استمدها من الرواة 3 ـ بعض الوثائق التي عثر عليها 4 ـ الشواهد الأثرية " كما أن ثيوكديديس لم يكتفي بعناية فحص المراجع والوثائق و الأصول إنما كان بارعا في تنسيق المواد التي يجمعها وفي تفسيرها " أما ما يؤخذ عليه هو أنه لم يقدر أهمية العوامل الجغرافية في المواقف التاريخية و أنه اغفل تأثير القوى الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في سير التاريخ "[69]

زينفون (430-354 ق.م.)

جندي إغريقي ومؤرخ، وكاتب ابوه يدعى ريلوس، وكان قد ولد في أثينا حوالي 430 ق م، وهو يعود إلى عائلة من الفرسان في مجلس الشعب من إرخيا أي أنه كان من عائلة نبيلة ويمكن أن نستنتج من المقاطع في كتابه هيلينيكا بأنه قاتل في معركة ارينوساي عام 406 ق م، وبأنه كان حاضرا عند عودة الكيبيادس عام 408 ق م، ومحاكمة الجنرالات وسقوط الثلاثين، وقد وقع منذ بدايات حياته تحت تأثير سقراط، لكنه انجذب أكثر للحياة العملية. وأهم ماقدمه

الكتب التي ألفها عن الفيلسوف الإغريقي سقراط وعن التاريخ الإغريقي. ودرس على يد سقراط، ولكنه كان مهتما بالموضوعات العسكرية أكثر من اهتمامه بالفلسفة في 401 ق م كان قد دعاه صديقه بروكسينوس للانضمام إلى حملة قورش الأصغر ضد أخيه أردشير الثاني الامبراطور الإخميني فقبل العرض حالا. فقد أمدت له هذه المغامرة فرصة للثروات والشرف، بينما لم يكن من المحتمل أن يجد الإحسان في أثينا الديمقراطية، حيث أحيط الفرسان بالشك بعد أن دعموا الثلاثين (الطغاة الثلاثون في أثينا). ذهب زنيفون باقتراح من سقراط إلى دلفي لاستشارة الكاهن؛ لكنه كان قد عقد عزمه بالفعل، ومضى إلى ساردیس في الحال. وأعطى وصفا كاملا وتفصيليا للبعثة بنفسه في الأناباسيس Anabasis أو الزحف العسكري، أو "الزحف في داخل البلاد."بعد معركة كوناخا، على الفرات بشمال بلاد الرافدين عام 401 ق م.، التي فيها فقد كورش الأصغر حياته، قتل قادة الضباط في الجيش اليوناني غدرا من قبل المرزبان الفارسي تيسيفيرنس، والذي كان يتفاوض معهم على هدنة والعودة بأمان. أصبح الجيش الآن في قلب بلاد مجهولة، ويعيد ألف ميل من الوطن وفي حضرة عدو مزعج. وتقرر الذهاب شمالا نحو وادي دجلة والوصول لشواطئ البحر الأسود، حيث كانت هناك عدة مستعمرات يونانية. وأصبح زنيفون القائد الروحي للجيش فانتخب ضابطا وهو الذي وجه تراجع الجيش على نحو رئيس. جزء من الطريق يمر خلال براري كردستان، حيث توجب عليهم مواجهة هجمات قبائل الجبل الهمجية، وجزء آخر يمر خلال مرتفعات أرمينيا وجورجيا. بعد مسيرة خمسة شهور وصلوا إلى ترابيزوس (طرابزون) على البحر الأسود (فبراير 400 ق م)، حيث بدأت معنوياتهم تنهار، وحتى زنوفون فقد سيطرته تقريبا على العساكر. وفي كوتيورا تطلع لتأسيس مستعمرة جديدة؛ لكن الفكرة طويت عندما لم تتم الموافقة بالإجماع، وفي النهاية وصل زنيفون مع رفاقه اليونانيين إلى خريسوبوليس (سكوتاري) على البسفور والمقابلة لبيزنطة. بعد فترة قصيرة من الخدمة تحت الزعيم التراقي سيوثس، تم دمجهم في النهاية في الجيش اللاكيدامونى وكما يؤخذ من مذكرات كسينوفون، فلا بد وأنه كان جزءا من هذه الحملة، ولم يكن أقل من عمر العشرين في ذلك الوقت. ثم عبروا إلى آسيا لشن حرب ضد المرزبانات الفرس تيسافيرنس وفارنابازوس (فرنواز)، وأما زنوفون الذي رافقهم فقد أسر نبيلا فارسيا غنيا مع عائلته قرب بيرغاموم، والفدية التي دفعت ثمن استعادته ضمنت لزنوفون دخلا كافيا مدى الحياة. عند عودته إلى اليونان خدم زنيفون تحت إمرة أجيسلاوس الثاني ملك إسبارطة التي كانت في ذلك الوقت القوة الرئيسة في العالم اليوناني. ولم يكن متعاطفا مع مدينته أثينا وسياستها العامة ومؤسساتها. في معركة كورونيا (عام 394 ق م) قاتل مع

الإسبرطيين ضد الأثينيين والطيبيين مما أدى لأن يأمر مواطنوه بإبعاده. ومنحته إسبرطة بيتا له في سكيلوس في إليس، حوالي ثلاثة كيلومترات من أولمبيا؛ هناك استقر ليرضي شغفه للرياضة والأدب.

وبعد هزيمة إسبارطة الساحقة عام 371 ق م على يد الطيبيين في معركة ليوكترا، طرد زنيفون من بيته من قبل أهل إليس. في أثناء ذلك كانت إسبارطة وأثينا قد أصبحتا حليفتين، وأبطل الأثينيون المرسوم الذي أمر بنفيه. ولا يوجد دليل على أنه عاد في وقت لاحق إلى مدينته. وطبقا لديوجينس لايرتيوس، أقام لنفسه بيتا في كورينث. أما سنة موته فغير معروفة؛ كل ما يمكن أن يقال أنه كان حيا عام 355 ق م وهو تاريخ عمله على كتابه عائدات أثينا.

اعماله

كان أثر زينفون بالغ العظم بسبب أهدافه التعليمية من جهة، وحكاياته المشوقة التى رواها وأحسن روايتها من جهة ثانية، وإنسانيته ونقاء أسلوبه من جهة ثالثة. كان سمحا، وكان نثره من السهولة والحلاوة بحيث جعله يقلب بنحلة أتيكا. ولقد قيل أن كتبه التى ألفها عن آسيا وبخاصة ((زحف الجيوش))، هى التى وضحت السهولة النسبية فى معاملة الآسيويين، وأثارت فى ملوك مقدونيا الطمع فى آسيا. وأكبر الظن أن الإسكندر الشاب درس هذه الكتب، ومن ناحية أخرى كان وصف لملكة آسيوية مثالية تصويرا ساحرا للممالك الهلينستية. وكان سادة الرومان يدرسون الصيد وتدبير المنزل والأخلاق وصناعة الحكم فى كتاب زينفون، وكانوا يجدون فيها حلولا واضحة فى لغة سهلة مناسبة لمعظم مشكلاتهم.

الأناباسيس

كتاب الأناباسيس (أعده في سكيلوس بين أعوام 379 و371 ق م) هو عمل الاهتمام المفرد، ومكتوب بشكل زاه ومشرق. وزنوفون مثل قيصر يخبر القصة بضمير الشخص الثالث، وهناك مسحة من الرجولة تحيط بأسلوب الكتابة. ووصفه للأماكن والمسافات النسبية دقيق جدا. وتشهد بحوث المسافرين الحديثين على دقته. وذكر بلوتارخ وديوجينس لايرتيوس على نحو واضح أن الأناباسيس كان عمل كسينوفون، والدليل أن أسلوب الكتابة حاسم. والتلميح إلى ثيميستوجينس السيراكوزي بأنه المؤلف يظهر بأن زنوفون نشره تحت اسم مستعار.

الكيروبيديا

الكيروبيديا Cyropaedia هو عمل سياسي وفلسفي مثالي، والذي يصف شباب قورش الأصغر وتدريباته، وهو بالكاد يتماشى مع اسمه، فالجزء الأكبر عبارة عن سجل بدايات

الامبراطورية الفارسية وانتصارات قورش مؤسسها. والكيروبيديا يحتوي في الحقيقة على أفكار المؤلف الخاصة حول التدريب والتعليم، كما اشتق من تعاليم سقراط ومؤسساته الإسبرطية المفضلة لديه. وقيل بأنه قد كتب كمعارضة لجمهورية أفلاطون. هناك غرض أخلاقي يجري عبر العمل وبه تمت التضحية بالحقائق التاريخية. فعلى سبيل المثال ظهر قورش بأنه مات بسلام في سريره، بينما يقول هيرودوتس بأنه سقط في حملة ضد قبائل الماساغيتيين.

الهيلينيكا

كتبت الهيلينيكا Hellenica في كورنثا، بعد 362ق.م وهي السجل المعاصر الوحيد للفترة بين أعوام (411-362 ق م) الذي وصلنا. ويشمل جزأين متميزين؛ وأولهما الكتابان الأول والثاني اللذان هدفا لوضع استمرارية لأعمال ثوكيديدس، ويسرد التاريخ حتى سقوط الثلاثين، ثانيهما الكتابان الثالث والرابع اللذان يتعاملان مع الفترة من 401 إلى362 ق م، ويسرد تاريخ الإسبارطيين وزعامات الطيبيين، حتى موت إيبامينونداس. ولكن لا توجد أسس لوجهة النظر بأن الجزأين كتبا ونشرا كعملين منفصلين، ولا يوجد تبرير لتهمة التزييف المتعمد.

ولكن يجب الاعتراف بأنه كان لديه تحاملات سياسية قوية، وبأن هذا التحاملات أثرت في روايته للأحداث. وكان مناصرا للحركة الرجعية التي انتصرت بعد سقوط أثينا؛ وكانت إسبرطة هي رمز المثالية لديه وكان ملكها أجيسلاوس بطله. وفي الوقت نفسه كان مؤمنا بالعناية الإلهية، ولهذا فقد رأى في سقوط إسبارطة العقاب الذي أوقعته السماء على السياسة الغادرة التي جهزت للسيطرة على كادميا والهجوم على سفودرياس. وأخطاؤه أنه غلب تحيزه السياسي على الأحداث وحاجته للاتزان وفشله لإدراك معنى النقد التاريخي. وأكثر ما يمكن أن يقال لصالحه بأنه كشاهد كان صادقا وحسن الإطلاع. وقد كان شاهدا لا غنى عنه لهذه الفترة من التاريخ اليوناني.

المموارابيليا

المخلفات التذكارية أو الميموارابيليا Memorabilia، أو "ذكريات عن سقراط" ويقع في أربعة كتب، كتب للدفاع عن سقراط ضد تهم المعصية وإفساد الشاب، وكرره بعد موته السفسطائي بولقراط. العمل ليس قطعة أدبية فنية؛ فيفتقر إلى التماسك والوحدة، والصورة المعطاة لسقراط تخفق في إنصافه. ولكنه ما زال لا شك يصف أسلوب الفيلسوف في الحياة وأسلوب محادثاته. وكان الجانب الأخلاقي والعملي من تعليم سقراط هو الذي أثار اهتمام زنوفون

أكثر؛ وحاول الدخول إلى تأملاته الغيبية العميقة: ولم يكن عنده في الحقيقة أي حس أو عبقرية. وانتقل ضمن مجموعة محدودة من الأفكار، هو بلا شك يعطينا "إلى حد كبير صورة اقل من صورة سقراط الحقيقي، بينما أفلاطون يعطينا أكثر." ومن المحتمل العمل في شكله الحالي هو عبارة عن تلخيص.(70)

الأعمال الثانوية

- ترك زنيفون عدة أعمال ثانوية، بعضها كان مثيرا جدا ويعطي بصيرة إلى حياة اليونانيين الخاصة. فهناك الأويكونوميكس Oeconomics (وهو إلى حد ما استمرار للميمورابيليا، واعتبر الكتاب الخامس من العمل) يتعامل مع إدارة البيت والمزرعة، ويقدم صورة لطيفة ومسلية عن الزوجة اليونانية وعن واجبات بيتها. وهناك بعض الملاحظات العملية الجيدة عن الزواج وواجبات الزوج والزوجة. والعمل الذي كان على شكل حوار بين سقراط وشخص يدعى إسخوماخوس ترجم إلى اللغة اللاتينية من قبل شيشرون
- في المقالات عن الفروسية (Hippike) والصيد (Cynegeticus)، يتعامل زنيفون مع الأمور التي كان على معرفة شاملة بها. في البداية يعطي القواعد عن كيفية اختيار الحصان، وبعد ذلك يتكلم عن سياسته وركوبه والتعامل معه. يتعامل مقال الصيد بصورة رئيسة مع الأرانب البرية، مع ذلك فالمؤلف يتكلم أيضا عن صيد الخنازير ويصف كلاب الصيد، فيتكلم عن كيفية استيلادها وتدريبها، ويعطي نماذج عن الأسماء المناسبة لها. وهو يكتب عن كل هذا بحيوية رياضي متحمس، ويرى بأن الأمم التي لدى طبقاتها الراقية ذوق الرياضات الميدانية فعلى الأغلب تكون ناجحة في الحرب. كلتا الأطروحتان قد تجدان الاهتمام من القارئ الحديث.
- يوضح كتاب ارخيكوس Hipparchicus واجبات ضابط سلاح الفرسان؛ هو ليس أطروحة علمية بكاملها، حيث يظهر بأن فن الحرب كان متطورا ولكن على نحو ناقص وأن العمليات العسكرية لليونانيين كانت على مقياس صغير. ويشرح بشكل مطول المعايير الأخلاقية اللازمة لصنع خيال جيد، ويلمح بوضوح انه لابد أن يكون هناك انتباه صارم للواجبات الدينية.
- قصيدة أجيسلاوس هي قصيدة في مديح الملك الإسبرطي، الذي كان عنده استحقاقان خاصان في وجهة نظر كسينوفون: أنه كان صارما متصلبا، وأنه كان متعاطفا مع كل شريعة دينية. ولدينا خلاصة عن فضائله بدلا من صورة جيدة وواضحة عن الرجل بنفسه.

- يحسب كتاب هييرو الخط الفكري المشار إليه في قصة سيف داموكلس. وهو احتجاج على فكرة أن "المستبد" هو رجل يحسد على ما هو عليه، كامتلاكه وسائل وفيرة للسعادة من أي شخص آخر. وهذا أحد أفضل أعماله الثانوية؛ وهو موضوع على شكل حوار بين هييرو طاغية سراقوسة، والشاعر الغنائي سيمونيدس.
- السيم وزيوم Symposium أو المأدبة، إلى حد ما يعد تكملة المخلفات التذكارية، وهو حوار صغير رائع يكون فيه سقراط العنصر البارز. هو ممثل بأنه استغل إحدى الفرص، وكان ذلك حفل عشاء أثيني بهيج، به شرب كثير وعزف بالناي، وراقصة من سيراقوسة تسلي الضيوف بأعمال مشعوذة محترفة. ويمر حديث مائدة سقراط عبر عدة مواضيع، وينتهي مع بحث فلسفي حول تفوق الحب السماوي الحقيقي على نظيره الدنيوي أو المادي الزائف، وبحث آخر جدي مع أحد ضيوف الحفلة ربح لتوه في الألعاب العامة يعيش حياة النبلاء ويقوم بواجبه نحو بلاده.
- هناك أيضا مقالتان قصيرتان نسبتا إليه، عن الدستور السياسي لإسبارطة وأثينا، وكتبت مع تحيز واضح لمصلحة الأولى، والتي مدحت دون أي محاولة لأي انتقاد. ويبدو أن إسبرطة قدمت إلى زنوفون أفضل خليط معقول من الحكم الملكي والأرستقراطية. أما الثانية بالتأكيد لم تكتب من قبل زينفون، لكن كتبت على الأغلب من قبل عضو حزب أوليغاركي بعد فترة قليلة من بداية الحرب البيلوبونيسية. في المقالة حول عائدات أثينا (كتبت عام 355 ق م) يعطي زنيفون اقتراحات من أجل جعل أثينا أقل اعتمادا على الجزية المستلمة من حلفائها. وقبل كل شيء سيجعل أثينا تستعمل تأثيرها لحفظ السلام في العالم اليوناني ولتسوية المسائل الدبلوماسية، ومعبد دلفي سيكون مركزا مستقلا.
- الاعتذار وهو دفاع سقراط أمام قضاته، كان إنتاجا ضعيفا، وفي الرأي العام للنقاد الحديثين ليس عملا أصيلا لزينفون، لكن يعود إلى حقبة تالية. [71]

مما تقدم نلاحظ أن مؤلفاته تمتاز بلغتها الأتيكية البسيطة الواضحة، وتصويرها الحي المعبر، وقد صدرت عدة طبعات محققة، وترجم معظمها إلى كثير من اللغات الحية، وتعد من القراءات الأولى والمفضلة لدارسي اللغة الإغريقية بسبب سلاستها وأسلوبها الرفيع. وهو أول مؤرخ يعالج أكثر من موضوع فقد كتب في التاريخ السياسي والعسكري وفي الرحلات، الفلسفة، الزراعة، الاقتصاد، الاجتماع، الصيد والروسية وغيرها[72]

وبذلك يمكن القول أنه كان كثير النتاج العلمي لكنه كان سطحيا في معالجاته التاريخية كما أنه كان عمليا أكثرمن كونه أديبا وكانت له خبرة في الشؤون العسكرية إلا أن أفكاره في

الغالب كانت مألوفة وليس فيها أي جديد وأنها تكرار لما سبقه وكثرة الاقتباس فيها فلا يمكن مقارنته بأعمال المؤرخ هيرودتسوتوكيديدسولا سيما في سعة الخيال وقوة الذهن فضلا عن تحيزه لأسبارطة كما كان تاريخه سرداً جافاً للحوادث إلا أنه مع هذا يعد حجة ذات قيمة مهمة في الحوادث المعاصرة حيث تعد مدوناته الوحيدة التي وصلت إلينا عن الحقبة التي عاشها.[73]

أعمال تاريخية

الصعود أو حملة العشرة آلاف جندي إغريقي. وصف زينفون في هذا الكتاب سير تلك الحملة ومشاهداته في البلاد التي مرت بها، انطلاقاً من غربي اسيا الصغرى ومروراً بمضائق الأمانوس، وسيرها عبر شمالي سورية حتى الفرات والعبور إلى الضفة اليسرى، ثم السير بمحاذاته حتى أواسط بلاد الرافدين، ثم وصف المعركة وطريق العودة إلى البحر الأسود.

ويعد وصفه هذا والأماكن التي مر بها من أقدم الوثائق التاريخية عن شمالي سورية والعراق وهو يقدم معلومات مهمة عن جغرافية هذه المناطق وسكانها ومدنها وعاداتها.

أما التاريخ الهيليني Hellenica، فهو تكملة لتاريخ ثوكيديدس، وهو يستعرض الأحداث والوقائع من عام 411 ق.م حتى معركة مانيتنيا عام 362ق.م، ويبرز دور الشخصيات الإسبرطية الكبيرة، ولكنه يغفل ذكر بعض الأحداث المهمة في تاريخ أثينا.

- المؤلفات السياسية، وهي: هيرون: عن المثل الأعلى للحاكم
- أغيسيلاوس: تمجيد للملك الإسبرطي الذي سقط في المعركة عام 361ق.م.
- دولة إسبارطة: وفيها يرد قوة إسبارطة إلى دستور ليكورغوس.
- تربية كورش: وهي قصة تربوية تعتمد على مادة تاريخية وتصور قورش بوصفه الحاكم المثالي.
- الاقتصاد: وفيه يتحدث سقراط عن إدارة الاقتصاد.
- بوروي: حول إصلاح النظام المالي والضريبي الأثيني.
- تربية الخيل: الصيد وتعليم الفروسية.

بوليبيوس :

يأتي بعد هيرودوتس و ثيوكديديس في فترة بين (204-122 ق.م) مؤرخ إغريقي عاش في

روما و أرخ للرومان، كان أهدأ تفكيرا وأعدل حكما وأمثل ميلا إلي الأسلوب الخطابي وأشد عناية بتفسير الحاضر ، فكان يشرح في ضوء التاريخ كيف استطاعت المدينة الرومانية المستقلة إلي أن تصل إلي حالة من الثبات والقوة "؛" كما أنه كان أقوى في نزعته العلمية من ثيوكديديس " وما تميز به بولبيبوس من عقلية تحليلية نقدية فلسفية استطاع أن يتفادى تشويه الحقائق التاريخية، ذلك عن طريق الكتابة من النقطة التي اعتقد أن مصادره التي نقل عنها صدقت فيها ولذلك نجد أن محاولته لتناول امتداد الإمبراطورية الرومانية و تطور نظامها السياسي حتى سنة 146 ق . م في أربعين جزءا وهذا المؤلف نموذجا لحكم المؤرخ المنزه من الهوى فقد ساعدته الظروف في كتابة التاريخ، فخبرته السياسية والعسكرية و اطلاعه على الوثائق الرسمية التاريخية في كل من بلاد اليونان وروما، و اقترابه اللصيق بالشخصيات والأحداث جعلته الرجل المناسب للقيام بهذا العمل كما أنه استفاد من كتابات المؤرخين الإغريق والرومان السابقين عليه في تكوين فلسفته التاريخية العملية، و في قدرته على نقد بعض الشخصيات التاريخية، وأنجز عمله التاريخي بقدرة واقتدار ألقى فيه الضوء على صعود الإمبراطورية الرومانية.(73)

الفكر الجغرافي عند الإغريق:

من بين الأمور التي شغلت تفكير الإنسان في العصور المختلفة معرفة نظام الكون وصلة عالمنا بالكرة السماوية وشكل الأرض وكيفية ثبوتها في الفراغ . إن تحديد نقطة انطلاق لتطور الفكر الجغرافي وثيق الصلة بحياة الإنسان فعندما بدأ يدرك الظواهر الطبيعية المحيطة المحيطة به وما تقدمه الطبيعة من إمكانات فسعى إلى تحقيق الملاءمة بين متطلبات حياته وطبيعة المكان الذي يقيم فيه والبدايات الأولى للفكر الجغرافي قديمة جداً عندما كان الإنسان يعيش على الجمع والالتقاط والقنص والصيد وتمكن قبل أن يتوصل إلى معرفة الكتابة من عمل بعض الرسوم البسيطة على قطع من الجلد وعلى الرمال ليس بعض الدورات والمسالك التي كان يتبعها في مواسم الصيد والقنص كما أن فطرته دفعته لتصوير بعض الظواهر الموجودة في بيئته كالانهار والجبال والأشجار والبحيرات على جدران الكهوف والصخور(74) والأختام فالمشاهد المصورة عليها تُعبر أصدق تعبير عن أهم الأنشطة والمعطيات آنذاك، فالفنان استطاع أن يحاكي خصوصيات بيئته ومدى تفاعل مجتمعه معها، فركز على معظم العوامل والظواهر الطبيعية المؤثرة في مستوى حياته فالمشاهد المختلفة للأشكال الآدمية والحيوانية والنباتية وغيرها لم تهدف إلى التركيز على ذاتها كأشياء معينة وإنما وردت كانموذجات لموضوعات عامة وشاملة من غير العناية بالمدلاوت الضيقة والخصوصيات أي

وضع دلالات تؤدي دور الكلمات فاختيار النبات يعطي أنطباعاً عن نمو الزراعة وكذلك الحال بالنسبة لقصب وأهميته في هذه البيئة والمياه والحيوانات جميعها تعكس لنا اهتمامات القوم بمجالات الانتاج الزراعي تمشياً مع التطور الحاصل في حياة الإنسان. وبابتكار الإنسان الكتابة أخذ الإنسان يمثل هذه الظواهر عن طريق نقشها أو رسمها على ألواح الطين؛ على أية حال نشأ عند سكان وادي الرافدين ما نسميه بعلم البلدان والجغرافية وهناك من أطلق عليه علم الهيئة والجغرافية . فأهل المعرفة في الحضارة الرافدينية كانوا مولعين بالتفكير في الكون ومركز بلادهم وموقعهم بالنسبة للبلدان الأخرى[75].

والمعلومات الجغرافية التي قدمها سكان وادي الرافدين تعد أكثر صدقا ودقة من غيرها من المعلومات التي ذكرت في النصوص المسمارية، حيث إنها لا تتحمل المبالغة أو الخيال إلا بقدر محدود جدا، تعكس تصور العراقيين القدامى آنذاك حول مواقع المدن ومراكزها بالنسبة لبعضها وبالنسبة إلى الأنهار والبحار والجبال وتثبت المسافات وبعض الحقائق الأخرى التي لم تكن تهدف بأي حال من الأحوال تحقيق غايات إعلامية. ومع أن الحضارة اليونانية تمثل طفرة علمية فإن هنالك حقيقة مهمة جديرة بالاعتبار وينبغي أن نضعها نصب أعيننا وهي أنها سبقت وقبل آلاف السنين بجهود علمية أصلية في كل من مصر والعراق وغيرها من أقطار الشرق القديم ومعنى ذلك أن المعرفة اليونانية كانت عملية إحياء قبل أن تكون عملية اختراع والفكر الجغرافي بصورة عامة قد حظي بعناية خاصة ولاسيما في مظهره الفلكي الخلاب الذي استطاع أن يجلب انتباه فلاسفة الإغريق وحكمائهم .ويمكن القول ان الجغرافية قد أحرزت على أيدي الإغريق تقدما كبيرا إلى حد بعيد فقد بدأت الجغرافية لديهم كتأملات فلسفية ضلت طويلا مرتبطة بهذا الإطار التأملي الفلسفي غير قادرة على الفكاك منه والانطلاق إلى أن رسخت الحقيقة المتعلقة كروية الأرض كما بدأت نظرية المناطق تدخل نطاق الفكر وحينئذ استقر للجغرافية أساس ثابت شيدوا عليه صرح تقدمها وبذلوا الجهود لتطويرها، وفي حالة تطور مفهوم الجغرافية وفرعها فإن كافة الفروع الرئيسة للجغرافية قد نشأت وتأسست على أيديهم وفي مجال بحث الفكر الجغرافي اليوناني تبرز فروع الجغرافية كمعرفة جديدة مجال الجغرافية وهذا شيء جديد بالنسبة للفكر الجغرافي العالمي كان ظهوره في فكرة الحضارات القديمة محدودا ولكن لا بد من ذكر الحقيقة فلا ننسى العامل الزمني فقد سبقت الحضارات القديمة الحضارة اليونانية وفكرها الجغرافي بأكثر من ألفي سنة وأهم الجوانب التي اعتمدها الفكر الجغرافي اليوناني هي:

- نشأة الكون:

لم يضف اليونانيون شيأ يذكر إلى ما جاءت به الحضارة العراقية والحضارة المصرية في مجال خلق الأرض ونشأت الكون وإذا تذكرنا قصة الخليقة العراقية وقصة خلق الأرض في الحضارة المصرية نجد أن ما جاء به طاليس وعدّه نظرية يونانية ماهو الا ترديد لما اكدت عليه الحضارتان العراقية والمصرية فصارت الفكرة العراقية بجعل بابل مركزا للعالم نهجا حيث ظل كل راسم للخرائط حتى القرن السادس عشر يجعل مركز العالم عنده بلده فاليونان جعلوا أولمبوس مركزا للعالم والرومان روما[76].

وإذا تتبعنا حياة طاليس نفسه نجده متأثراً وناقلا للفكر المصري والعراقي فقد عاش طاليس في مدينة ميلطس المصرية مع جماعة من المفكرين والذي شغل تفكيره بالبحث في المادة وجوهر الأشياء وقد جهد هؤلاء المفكرون في تفريد مادة عامة وتجريدها من بين الموجودات وجعلها المادة الأولى في تركيب الأشياء وفي تفسير اختلافاتها وتغيراتها، فرأى طاليس في عنصر الماء المادة الأولى، وقد عاش طاليس في الفترة ما بين 624-554 ق.م ويقول هيرودوتس المؤرخ اليوناني أن طاليس من أصل فينيقي وهذا يعني أنه تشبع بالمعرفة التي تعود جذورها إلى الحضارات القديمة العراقية والمصرية، سافر طاليس إلى مصر ودرس الفلك هناك وتعلم دورة الكسوف المتعاقبة وبذلك فهو أول الفلكيين اليونانيين، ويرى طاليس أن الأرض استمرت تطفو فوق سطح الماء حتى تمكنت بتلك الحركة من الانفلات من غطاء السماء فانفصلت.

- شكل الارض:

كانت الحضارة العراقية والحضارة المصرية قد حددتا فكرة عن شكل الأرض وتكوينها وعندما أصبحت قيادة الفكر الجغرافي بيد اليونان حاول الفلاسفة اليونانيون تطوير الآراء السابقة وفلسفتها تبعا لطبيعة عصرهم الذي سادت فيه فلسفة العلوم .وقد ناقش العلماء اليونانيون من أمثال طاليس وأنكسمندر وهيكاتيوس مسألة شكل الارض وحركتها وكان طاليس تلميذ فيثاغورس قد قال بكروية الأرض ودورانها حول محورها وأثبت أن الأجرام السماوية والأرض كروية على شكل هندسي كامل وكمال انتظام جميع أجزائها بالنسبة إلى المركز فأيد طاليس فيثاغوروس بذلك ولكنه أنكر دوران الأرض حول محورها وعلى الرغم من انتشار مذهب فيثاغوروس المتأثر بأراء البابليين القديمة وأن الخارطة التي وضعها هيكاتيوس 517ق.م للعالم جاءت على هذا الشاكلة أيضا حيث جعلت اليونان مركز المعمورة وسائر البلدان المحيطة بها على نفس الطريقة البابلية القديمة.[77]

وقد جاءت محاولة إثبات الأرض من إثبات العكس أي إثبات أنها ليست مسطحة وهذا ما أكد عليه أصحاب فيثاغورس من كونها ليست مسطحة وقد استطاع الإغريق تدعيم فكرة كروية الأرض عن طريق الإرصادات الفلكية واستخدام الهندسة الموضوعية كما فعل طاليس في أبحاثه، وبخصوص الاعتقاد الذي ساد الحضارات القديمة من أن الأرض تعد مركز الكون فقد عارضه الفيثاغوريون معتمدين على مصدر النور باعتبار أن مركز الكون لا بد أن يكون مضيئا وبما أن الأرض مظلمة فلا يمكن أن يكون مركز الكون مظلما كما أنه يجب أن يكون ساكنا واعتقدوا بوجود مصدرللضوء والحرارة وموقعة وسط الكون والأجرام السماوية بما فيها الشمس تدور حول مصدر الحراره والضوء وكذلك الأرض تدور حول النار المركزية وقد أشار إلى حركة الارض العالم هيكاتيوس الذي سبق غيره في الإشاره إلى دوران الأرض وثبوت السماء وما فيها من نجوم فقد اعتقد بأن الأرض تدور بينما السماء ذات النجوم مستقره ثابتة لاتتحرك[78].

وقد أشار اريستاركوس إلى ثبوت النجوم وسكون الشمس وأن الأرض هي التي تتحرك حول الشمس في محيط دائرة تحتل الشمس مركزها إضافة إلى إشارته إلى محور الأرض وبجانب العلماء فقد اهتم الفلاسفة بموضوع كرويه الأرض فقد أيدها الفيلسوف سقراط وقال أن الأرض ذات شكل كروي وأنها معلقه فى وسط الكون الذي هو كروي أيضا كما اعتقد بأنها ذات حجم بالغ الضخامة .وجاء بعده افلاطون فأيد كروية الأرض وعدها مركزا للكون مخالفا بذلك رأي لفيثاغوريين وأشار إلى أنها ثابتة ومستقره واعتقد أيضا بأنها جسم كبير جدا ويشتمل على ثلاث أجزاء وأن البشر يسكنو ن القسم الوسط .

والفيلسوف الثالث الذي أيد كروية الأرض أرسطو والذي وضع الأدلة التي تؤيد كرويتها ومنها:

- ظهور ظل الأرض المستدير على سطح القمر في أثناء الخسوف الجزئي .
- نجاح قياس محيط الأرض من قبل الرياضيين وهذا مؤشر صحة الكروية .
- تباين اختفاء النجوم باختلاف دائرة العرض كل ماسار الإنسان شمالا وجنوبا. وإذا حللنا الآراء السابقة بكروية الأرض وحركتها نجد أن العلماء اليونانيين متفقين على كورية الأرض.

- محيط الارض:

نتيجة لتاكيد كروية الأرض من قبل العلماء الإغريق فقد برزت أمامهم إمكانية قياس محيط هذه الكرة ومن أوائل من قام بهذه المحاولة يودوكسوس (النصف الأول من القرن الرابع قبل

الميلاد) الذي قدره بحوالي 44000 ميل ولكن المحاولة القريبة إلى الواقع تلك التي قام بها اراتوشين إمام الجغرافيين ويعد من أعظم علماء الإسكندرية والذي عاش مابين 271-192 ق.م كان في الأصل رياضيا بارزا ولكنه كرس جانبا مهما من جهوده للجغرافية حيث قام بوضع مصنف جغرافيا تناول فيه تطو ر الفكرة الجغرافية كما أشار إلى طريقة قياس محيط الكرة الارضية وقام بقياس محيط الأرض وقطرها مستخدما نظام المثلثات قدرة محيط الكرة الأرضية بـ (26.660) ميلا وقد أجرى تجربته على أساس ملاحظة فرق درجة سقوط أشعة الشمس بين مدينتي أسوان والإسكندرية .

الخرائط اليونانية :

المتفق عليه أن الخرائط العراقية تعد من اقدم الخرائط التي ساهمت في بناء الفكر الجغرافي القديم حيث وضعت الخطوط الاساسية لعلم الخرائط فقد اتخذوا من رسمهم لتلك الخرائط معالم أساسية تتمثل في مقياس الرسم واتجاه الخرائط والمظاهر الطوبغرافية

خارطة انكسمندر:

بالنسبة لليونانيين القدماء فمن الثابت أنهم لم يبتكروا فكرة الخارطة بل اقتبسوها من البابليين ربما من المصريين ايضا ولذلك كانت بدايتهم للخرائط تكرارا لما ورثوه عن البابليين كما أن فكرة رسم الخرائط كانت معروفة في مليتوس (ملاطية)المدينة اليونانية في آسيا الصغرى من قبل أنكسمندر 546 ق.م قد استعاروها دون شك من بلاد الرافدين يقول هودجز"إذ يدعي (انكسمندر)رسم أول خارطة للعالم لقد عرفت بلاد الخرائط المختلفة الأنواع قبل عهد أنكسمندر بمدة طويلة وقد كانت تلك الخرائط ،خرائط ملكية أو مجرد رسومات تبين كيفية الوصول إلى منطقة معينة رغم توضيحها للمسافات والمناطق إلا أنها نادرا ما خضعت لمقياس معين وإن لم تكن الأجزاء المعروفة في العالم زمن أنكسمندر كبيرة الأتساع فإن رسم خارطة له كانت مشروعا ضخما وخطوة عظيمة ليقوم بها رجل واحد وكان انكسمندر مهتما كذلك بحركة الأجسام السماوية وينسب إليه أيضا الفضل في اختراع أول ساعة شمسية التي كانت على الأرجح عبارة عن أسطرلاب بسيط وهنا كان أنكسمندر يعتمد أيضا على المعرفة المتوافرة في عصره إذ إن الساعات الشمسية كانت مستعملة في مناطق أخرى قبل عصره لكنه حاول إحداث تعديلات في الاختراع المستعمل للفصول المتغيرة" ويعد أول إغريقي يقوم بعمل خارطة للعالم كما قام برسم خارطة أرضية للملاحين ومن أرائه اكتشاف تقوس الأرض وأنها قائمة في الهواء ومن غير أن تعتمد على المياه أو على دعامة صلبة.[80]

خارطة هيكاتيوس:

ثم جاءت خارطة هيكاتيوس (550-485 ق.م) والذي يعد أول من جعل الخارطة جزء من النصف الجغرافي وهو تقليد سار عليه الجغرافيون اليونانيون من بعده وصور الأرض على هيئة قرص مستدير يحيط به الاقيانوس واحتل البحر المتوسط الأسود وبحر الخزر معظم مساحة الخارطة وإضافة إلى عمل الخارطة فقد قام هيكاتيوس بجمع كم هائل من المعلومات الجغرافية طبيعية وبشرية عن طريق التجار اليونانيين والفينقيين من أهل صور وصيدا الذين يجوبون البحار والمناطق المحيطة بالبحر المتوسط وهذه الروايات كانت في نظره روايات صحيحة؛ وقام بتبويب تلك المعلومات ثم قام بوضع أول كتاب جغرافي معروف وعنوانه"رحلة حول المتوسط "تكلم فيه عن المدن الموجودة على السواحل البحر وأرخ لتك المدن وكان يكتب بأسلوب بسيط وواضح ومختصر متوخياً الحقيقة منتقدا الخرافات والفكر الديني الذي كان سائدا في عصره وجاء في مقدمة كتابه:أنا هيكاتيوس الملطي، أكتب بهذه الطريقة لأنني لا أدون إلا الرواية التي اعتقد في صحتها، ولأن الروايات اليونانية متعددة وتدعو إلى السخرية" كان كتابه يعد خير مرشد ودليل للبحارة الذين يطوفون حول الشواطئ[81].

خارطة هيرودوتس:

يعد هيرودوتس (484-425 ق.م) مؤرخ وجغرافي وقد قدم للجغرافية الشيء الكثير. وفي مقدمة ذلك خارطته المشهورة؛ ولد في آسيا الصغرى كما ذكرنا سابقاً وزار مصر وساحل سورية والعراق كما رحل إلى أجزاء أخرى من آسيا. امتازت كتاباته بالشمولية اما خارطته فتعد من الخرائط اليونانية المبتكرة وقد رسمت على أسس غير رياضية قبل أن يتوصل اليونانيون إلى معرفة خطوط الطول ودوائر العرض فجاءت خارطته مخالفة لخارطة هيكتيوس والتي ظهرت فيها الأرض مسطحة دائرية لأن هيرودوتس أعتقد بان العالم أطول في امتداده بين الشرق والغرب منه بين الشمال والجنوب وكان يسخر من الذين يرسمون الأرض مستديرة ويجعلونها بالمياه ومن الأمور التي جاء بها هيرودوتس في خارطته إشارته إلى بعض المناطق المجهولة وقد أشارت خارطته إلى اتصال البحر الأحمر إلى المحيط الهندي وإرتباط البحر المتوسط ببحر خارجي كما انه قام بتقسيم المناطق المحيطة بالبحر المتوسط إلى ثلاثة أقسام اوروبا. آسيا. إفريقية ومن الملاحظات حول خارطة هيرودوتس أن بعض الأسماء فيها كانت غير دقيقة فقد وضعت بعض أسماء الجبال اسماء المدن إضافةً إلى إشارته غير الدقيقة إلى منابع بعض الأنهار فقد ذكر أن الدانوب ينبع من جبال البرانيس وأن النيل ينبع من جبال

أطلس وأن نهرالنيجر يحتل جزء من أعالي نهر النيل كما تمكن البعض من علماء الإغريق من الاستفادة من فكرة الطول والعرض فقاموا بعمل خرائط لمناطق صغيرة لأغراض الحياة العملية فقد تكمن هيبارخوس بواسطة دراسته للفلك وملاحظته لطول النهار في مناطق مختلفة من أن ينشأ مناطق عرضية. فإذن الإغريق استفادوا من دراستهم خرائطهم بما بلغه سكان الحضارة العراقية والمصرية في ميداني الفلك والرياضيات والاستعانة بذلك في تطوير علم الجغرافية[82].

انواع الجغرافية التي عرفها الإغريق:

قسم اليونانيون الجغرافية إلى قسمين رئيسين هما الجغرافية الفلكية وتتركز حول دراسة الكرة الأرضية وأبعادها وعلاقتها بالمجموعة الشمسسية وخطوط الطول ودوائر العرض وحركة الارض وكل ما يرتبط بالسماء والقسم الثاني يتضمن الجغرافية الوصفية الإقليمية وتشمل وصف البلدان والاقاليم، مُركزه على البيئة اليونانية (الإغريقية) في الدرجة الأولى فقد أضيفت لهذه الفروع البدايات الأولى للجغرافية الرياضية والنباتية. وضمن الأطار الأول الذي تمثل بالجغرافية الفلكية فقد غلبت عليها الجوانب الطبيعية فأصبحت هنالك جغرافية أشبه ماتكون بالمقدمة بالجغرافية الطبيعية تناولت دراسة الفلك وقواعد الجغرافية العامة وقد أشرنا إلى ذلك في مجال كلامنا عن أصل الأرض وشكلها وحركتها وفي مجال قواعد الجغرافية الطبيعية العامة والتي تقع الآن ضمن إطار الجغرافية المناخية والجيمورفلوجية والمتمثلة في المناخ والتضاريس والانهار والزلازل والبراكين ويأتي في مقدمة الأمور الطبيعية التي أكد هليها الفكر اليوناني المناخ وما يرتبط به من أوائل الأمور التي برزت في هذا المجال تقسيم العلم المعروف إلى مناطق مناخية ثم الدراسات التي تناولت تأثير المناخ على السكان وقد أكد العلماء اليونان على أن الأحوال السكانية ما هي الا انعكاس للأحوال المناخية فطباع البشر وعاداتهم وتقاليدهم متأثرة بذلك

وقد أشار أرسطو في كتابه السياسة إلى أن سكان المنطقة الباردة أحرار وشجعان وسكان المنطقة الجنوبية الحارة أذكياء ومهرة لكنهم خاملون أما المنطقة الوسطى وهي المنطقة المعتدلة التي تجمع بين الصفات المنطقتين فسكانها هم الذين يقودون الحضارة لأنهم يتقبلون التحضر ومنهم اليونانيون .ومن أهم الدراسات التي تناولت الاقاليم المناخية ما قام به (هيبارخوس) 190-1205 ق.م الذي أدخل بعض التحسينات على الاسطرلاب الذي وضعه أنكسميندار لمعرفة حركات الكواكب ورصدها.[83]

وقد استفاد من ذلك في تحديد دوائر العرض ومتابعة اختلاف طول النهار في مناطق مختلفة ، أدى بهم الأمر أن يجدوا مناطق عديدة مختلفة. أما الجغرافية الوصفية والتي تمثل الجانب الثاني من الفكر الجغرافي اليوناني والتي يمكن تعريفها بإطار الأفق الجغرافي فقد كانت تمثل المعنى الحقيقي لمفهوم الجغرافية وفي مجال الوصف ساهم مع الجغرافيين العديد من غير الجغرافيين في إغناء هذا الجانب وكانت حصيلتهم اتساع الأفق الجغرافي اليوناني.

وقد انحصرت أراؤهم في الأمور الآتية :

1- الاعتقاد بأن جزء صغير من الأرض مسكون بالبشر ويتمثل في المنطقة الوسطى والمعتدلة

2- اعتقدوا بأن المنطقة الباردة والحارة غير صالحة للسكن.

3- اعتقدوا بأن نصف الكرة الجنوبي غير مأهول بالسكان.

الدراسات السكانية :

يمكن أن نوجز التوجهات اليونانية الخاصة للدراسات السكانية بالنقاط الآتية

1- احتلت مسألة السكان دوراً مهما من حيث أنها برزت في أشعارهم وأدبهم

2- أشار الفلاسفة اليونانيون إلى خطر زيادة السكان وعدوها سبب الحروب ظهرت لديهم ظاهرة قتل الأطفال وأشبه ماتكون بالوأد.

3- أن أبرز الأفكار السكانية اليونانية هي مسألة الحجم الأمثل للسكان وتم التاكيد على ذلك في جمهورية أفلاطون المدينة الفاضلة واعتقد أفلاطون أن الحجم الأمثل للمدينة الإغريقية هو (5040) نسمة وهذا العدد كاف للسلم والحرب

4- اعتقد أفلاطون ان الزيادة إن لم تسيطر عليها القوانين وصفية غير الحرب تقضي على كل نظام أساسه المساواة في الملكية

5- اعتقد أرسطو أن النتيجة الحتمية لزيادة عدد السكان انتشار الفقر لأن الموارد الاقتصادية لا يمكن زيادتها بنفس السرعة التي ينمو بها السكان ويؤدي انتشار الفقر إلى صعوبة إدارة الدولة.

6- لقد آمن اليونانيون بسياسة الحد من المواليد عن طريق الإجهاض الصناعي أو تعريض الأطفال إلى الطبيعة والظروف الصعبة ليموت الضعفاء ويبقى الأقوياء منهم

7- آمنوا بالهجرة والاستعمار في حالة عدم السيطرة على الزيادة السكانية

8- وضعوا بعض القوانين لتشجيع الزواج في الفترات التي يتناقص فيها عدد السكان بسبب الحروب[84]

الهوامش:

(1) عن هذا الموضوع ينظر: يوسف مصطفى القاضي: مناهج البحوث وكتابتها، الرياض – 1979، ص 104 وما بعدها.

(2) فوزي رشيد: "العلوم الإنسانية والطبيعية" في موسوعة الموصل الحضارية، ط1، موصل –1991، ج2، ص373.

(3) طه باقر: "مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين وعلاقته بالخلود". آفاق عربية، بغداد – 1977، ع10، ص40-41.

(4) شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، بيروت– 1979، ج1، ص 52.

(5) جوزيف هورس: قيمة التاريخ، ترجمة نسيب وهيبة الخازن، بيروت – بدون تاريخ، ص 17.

(6) سليمان، حسين محمد:المصدر السابق، ص15.

(7) عبد القادر الشيخلي: المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة في العراق القديم، بغداد – 1980، ص 86.

(8) عصور ما قبل التاريخ Pre-historic– Ages: تشغل هذه العصور أكثر من 90% من الوجود البشري على سطح الأرض؛ وكل ما نعرفه عن تاريخ الإنسان في تلك العصور من معلومات فهي تخمينية وظنية عن طريق دراسة المخلفات والبقايا التي تركها؛ ويطلق على تلك المخالفات والبقايا الماديا اسم ثقافة كالثقافة الشيلية والآشولية والموستيرية وغيرها حيث صنفت تلك المخلفات والبقايا على أساس نوع المادة التي استخدمت في صناعتها ينظر: سليمان، حسين محمد: المصدر السابق.

(9) العصور التاريخية Historic Ages وهي العصور التي تبدأ مع توصل الإنسان إلى الكتابة وكان ذلك في حدود 3500 ق. م وقد أثبتت الدراسات أن الإنسان لم يكن يستخدم الكتابة في مراحلها الأولى لتدوين التاريخ لأنها كانت غير متطورة ومحددة الاستخدام فهناك من يفضل تسمية تلك المدة بالعصور الشبيه بالكتابي Protoliterate -period أو الشبيه بالتاريخي porta Historyperiod طالما لم تكن الإحداث التاريخية تدون فيها وحدد الباحثون هذا العصر (3500-3000 ق.م) كما أن هذا التحديد الذي عدّ حداً فاصلا في تاريخ البشرية بين مرحلتين لم يكن ثابتاً لأن الكتابة عندما أصبحت مقروءة احتاجت إلى عشرات السنين وحين عرفها شعب ما كان شعب آخر في مرحلة الصيد والزراعة ينظر الرفاعي، أنور:قصة الحضارة،ص 24 سليمان، عامر: العراق في التاريخ القديم، 1992، ص 37-38؛ ديرينجر، د.: الكتابة، ترجمة و تعليق عامر سليمان، بغداد– 2001، ص 10، ص 10-12.

(10) بارنز:المصدر السابق،ج1، ص25.

(11) ابن منظور: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، القاهرة – 1955، ج3، ص4؛ اضطربت تفاسير اللغويين. لأصل هذه الكلمة وشكوا في عروبتها حتى أعطوها أصلا فارسيا "ماه روز" وقالوا أنها خرافة عنه، ينظر مصطفى،شاكر: المصدر السابق، ص 49

(12) بارنز:المصدر السابق،ج1، ص25.

(13) طه باقر: من تراثنا اللغوي، بغداد– 1980، ص 36-37: جدير بالذكر هنا أن كلمة أرخ arhu الأكدية تأتي بمعنى القمر أو القمر الجديد. أو بداية الشهر أو الشهر ينظر

Oppehheim, A. Leoand others: Assyryan Dictionary, Chicago-1967, I/II, p. 260

حسين نصار: نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط2، بيروت– 1980، ص 706

(14)هورس: المصدر السابق، ص 10 سليمان: المصدر السابق، ص 22-23. نوع من أنواع البحث العلمي غايته الكشف عن حقيقة الأشياء مشروطة بقدرته على تنظيم الأشياء تنظيما جديدا، كونجوود: فكرة التاريخ، ص 41-42.

(15)هاشم يحيى الملاح: دراسات في فلسفة التاريخ، (جامعة الموصل– 1988)، ص10؛ مصطفى: المصدر السابق ج1،ص 49-51.

(16) حتي، فيليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد، عبد الكريم رافعة، بيروت –1958 ،ج1، ص149. ومما تجدر الإشارة ان تأثير حضارة بلاد الرافدين كان أعظم بكثير من تأثير حضارة وادي النيل لأن سكان بلاد الشام كانوا أقرب إلى سكان وادي الرافدين من وجهة عرقية ولغوية وجغرافية فضلاً عن ذلك فان تقبل فكر وادي الرافدين وتقارب الذهنية ونمط التفكير هو ما دعاهم لأن يتأثروا وينحازوا إلى حضارة وادي الرافدين، ينظر الجادر: أهمية دراسة التراث الفكري المصدر السابق، ص64.

(17) الحمد:المصدر السابق،ص

(18)

(19) اركي سالونن: "الكلمات العربية ذوات الأصول السومرية والأكدية" ترجمة د. محمد قاسم مصطفى، د. توفيق عزيز عبد الله، مجلة الجامعة، الموصل، ع9، 1980 ، ص21-29.

.(20)Thomson ,R.C.,"The influence of Babylonia "CAH, Vol . 3, 1965.pp.248-250

(21)SodeN ,VoN :Akkadisches Hand worter buch ,1960.

(22) Gelb, J.J., Landsberger ,B, Oppenheim , L .:The Assyrain Dictionary , Chicago -1956.

(23) عبو : المصدر السابق، ص 218.

(24) بارنز : المصدر السابق، ص 47-48.

(25) بارنز : المصدر السابق، ص 48.

(26) عبو : المصدر السابق، ص 218.

(27) سارتون: المصدر السابق ص 177.

(28) سارتون: المصدر السابق ص 177.

(29) الأحمد: حضارات الوطن العربي .... المصدر السابق ، ص 66 وانظر أيضاً حسين: المصدر السابق، ص44-45 وحتى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد لم يكن لديهم سوى بعض القوائم المحلية التي تحوي أسماء كبار رجال الدولة والكهنه وقد حاول أحد مواطني جزيرة السبوس واسمه هيلانيقوس في النصف الأخير من نفس القرن أن يضع ترتيبا زمنيا مبنيا على نفس التسلسل .

(30) باقر: فرص البحث العلمي، ص 17-18.

(31) اقر: طرق البحث المصدر السابق، ص 19.

(32) عبن : المصدر السابق ص 218.

(33) بارنز :المصدر السابق، ص31.

(34) عون : المصدر السابق، ص 89-90.

(35)بارنز:المصدر السابق،ص48

(36)Livingstone, the Pageant of Greek, pp. 159-198

(37)ساكز: المصدر السابق، ص 575-576.

(38) مورتكات: المصدر السابق، ص 52.

(39)Drews: Loo. At, p. 50

(40) من أشهر هؤلاء الإسكندر بوليستهر القرن الأول قبل الميلاد الذي اقتبس منه كثيرا ومن بين ذلك رواية الطوفان ولكن النص الأصلي لهذه الرواية ضاع ولم يصل إلا في اقتباسات "يوسبيوس" ولاسيما مؤلفاته المعنون الأخبار وقد دون إثبات الملوك من زمن ما قبل الطوفان إلى زمن الاسكندر أنظر باقر: مقدمة، 454/2.

(41) باقر: مقدمة 1973، ص 147.

(42) رو : المصدر السابق، ص 52.

(43) الأحمد: العراق القديم، ج1، ص 74.

(44) سارتون:المصدر السابق،ص178.

(45) اوتس: المصدر السابق، ص 215.

(46) عبوورشاد:المصدر السابق،ص224-225.

(47) رو: المصدر السابق، ص 52.

(48)باقر: المصدر السابق، ص 147

(49)باقر: المصدر السابق، ص 147

(50) الأختام: كانت في أول ظهورها من النوع المنبسط (على شكل مربع أو مستطيل) ثم تطور بعد ذلك إلى

النوع الاسطواني الذي شاع استعماله إلى جانب الختم المنبسط. ينظر: عادل ناجي: "الأختام الاسطوانية: في حضارة العراق، بغداد-1985، ج 4، 219-322.

(51) علي، مهدي محمد: "الأختام الاسطوانية صور اخبارية ابتكرها العراقيون قبل الكتابة" مجلة افاق عربية، بغداد- 19 ، ص94-95

(52) فقد عزى كثير من الباحثين ظاهرة الإعادة والتكرار التي تبعث إلى الملل في الأدب العراقي القديم وفي معظم الآداب العالمية إلى الرواية الشفوية والإنشاد فكان المنشد يستعين بالتكرار والإعادة ليستعيد إلى ذاكرته ماسينشده في الأبيات الآتية: ينظر، باقر، طه: ملحمة كلكامش، بغداد – 1986، ص 28.

(53) نور الدين حاطوم،، وآخرون: المدخل إلى التاريخ، دمشق- 1964، ص 12-13.

(53)ارنولد توينبي: بحث في التاريخ، ترجمة طه باقر، بغداد- 1955، ج1، ص 73.

(54) محمد خليفة حسن احمد: الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، 1986، ص 23-24.

(55) الأحمد، سامي سعيد: المدخل إلى تاريخ العالم، العراق القديم، بغداد- 1978، ج1، ص32.

(56) سليمان: المصدر السابق، ص 40.

(57) باقر: ملحمة جلجامش المصدر السابق، ص 46.

(58) فقد كانت القبائل العربية تنشد أيامها، وحروبها وانتصاراتها لتفخر بها على غيرها من القبائل، سواء أكان ذلك شعرا او نثرا تتخلله الأشعار. ولم يكون الشعر مرتجلا على لسان أحد أبطال الخبر دون أن تربطه صلة بالخبر المنثور. وكان الشعر في كلتا الحالتين هو الذي يحافظ على تناقل الخبر وانتشاره، فلما نسيت الأشعار نسيت الروايات القديمة، وابتكرت أشعار جديدة للتنوية بمأثر القبيلة من افعال مجيدة. ينظر نصار: المصدر السابق، ص 12-13

(59) باقر، طه: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، بغداد – 1980، ص 15-16.؛ علي، فاضل عبد الواحد: "الأدباء السوريون وأحداث في التاريخ"، مجلة افاق عربية، ع 9، بغداد 1992، ص73.

(60) مصطفي النشار: من التاريخ إلي فلسفة التاريخ، قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء الحديثة للنشر والطباعة، القاهرة 2007 ص 10-13.

(61) النشار:المصدر السابق،ص43-44.

(62) النشار:المصدر السابق،ص47.

(63) سليمان سعدون البدر:"نظرة في فهم التاريخ"مجلة دراسات تاريخية،العدد 17-18، دمشق-1984،ص11-12.

(64) هيرودتس:هيرودت يتحدث عن مصر ،محمد صقر خفاجة ؛أحمد بدوي ،القاهرة-1966،ص12-13

(65) هرنشو:علم التاريخ،ترجمة وتعليق عبد الحميد العبادي،القاهرة- 1937،ص28.

(66) أيفانز المصدرالسابق،ص10؛ عبد الإله الملاح: تاريخ هيرودت مراجعة: د. أحمد السقاف و د. حمد بن صراي – منشورات : المجمع الثقافي أبو ظبي – عرض وتقديم: الدكتور أكرم محمد عبد كسار – سنة النشر : 2001م، ص 25 وما بعده.

(67) نور حاطوم :المدخل إلى التاريخ المصد ر السابق، ص104-105؛بارنز:المصدر السابق، ص49-51.

(68) ارنولد توينبي: الفكر التاريخي عند الاغريق، ترجمة لمعي المطيعي، مراجعة د / محمد صقر خفاجة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1966م، ص 9.

(69) ألبان.ج.ويدجري:التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوسيشوس، القاهرة–1972،ص56-57.

(70) عبد الطيف علي:المصدر السابق،ص46-47.

(71) ديورانت :قصة الحضارة،ص432؛.

(72) ivingstone:op.cit,p.242-243

(73) بتري:المصدر السابق،ص 114.

(74) الجوهري، يسرى: الفكر الجغراقي والكشوف الجغرافية، الإسكندرية –1972 ، ص55.

(75) الراوي، فاروق ناصر: "العلوم والمعارف " في موسوعة حضارة العراق، بغداد –1985، 219/2.

(76) الأحمد:حضارات الوطن العربي المصدر السابق،ص77.

(77) أحمد سوسة :العراق في الخوارط القديمة،بغداد–1959،ص8-9

(78) الجوهري:المصدر السابق،ص6

(79) هودجن،هنري:التقنية في العالم القديم، ترجمة رندة قاقيش،عمان–1988، ص170 .

(80) علي حسين الجابري:الحوار الفلسفي، ص172.

(81) عبو:المصدر السابق،ص 336؛

(82) الحمد: المصدر السابق، ص 336

(83) الجوهري:المصدر السابق،ص67-68.

(84) Liningstone:op.cit,p.196-107.

الملاحـــــق

الملاحق



ثمستوكلس (نسخة من العصر الروماني)



بركليس (نسخة مرمرية من العصر اليونانى)



الاسكندر المقدوني



تمثال برونزي للملك سلوقس الأول

المراجـــــع

قائمة المصادر والمراجع العربية
والأجنبية

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر العربية والمعربة:

- إبراهيم، نجيب ميخائيل . مصر والشرق الأدنى القديم ، ط9(القاهره -19639.
- أريانس، فلافيوس: أيام الإسكندر الكبير في العراق، ترجمة فؤاد جميل، ط1، دار الوراق، بغداد-2007.
- اشبنكلر، اشوالد: تدهور الحضارة الغربية (ميونيخ 1917، ترجمة أحمد الشيباني، بيروت- ب. ت، م2.
- أفرام ،يعقوب منصور: حملة عشرة الاف فارس، بغداد-1985.
- أحمد، جمال رشيد: دراسات كوردية في بلاد سوبارتو،بغداد -1984.
- أحمد، محمد خليفة حسن: الأسطورة والتاريخ في التراث الشرقي القديم، 1981.
- الأحمد، سامي سعيد: "العراق في كتابات اليونان والرومان" سومر، م 26، بغداد-1970.
- الأحمد، سامي سعيد:الإله زووس مقدمة في دراسة الاعتقاد بزووس حتى اضمحلال روما، بغداد-1970.
- الأحمد، سامي سعيد: المدخل إلى تاريخ العالم، العراق القديم، بغداد- 1978، ج1.
- الأحمد سامي سعيد: حضارات الوطن العربي كخلفية للمدنية اليونانية، بغداد-1980
- الأحمد سامي سعيد: "هيرودوتس وكتاباته"، المؤرخ العربي، ع27، بغداد- 1986
- الأحمد: سامي سعيد: " الصراع خلال الألف الأول قبل الميلاد 933-331 ق .م " في كتاب الصراع العراقي الفارسي، بغداد -1983
- الأحمد، سامي سعيد، "المدن الملكية والعسكرية"، المدينة والحياة المدنية، ج1، بغداد، 1988
- الاحمد، سامي سعيد : المعتقدات الدينية في العراق القديم ،(بغداد-1988)
- الاحمد، سامي سعيد:سميرة اميس،ط1،بغداد-1989.
- الأحمد، سامي سعيد: تاريخ الشرق الأدنى القديم بالاشتراك مع الهاشمي، رضا جواد، بغداد بدون تاريخ.
- الأحمد، سامي سعيد: "التجارة" في موسوعة الموصل الحضارية، ط1، موصل- 1991، م1.
- الأعظمي، علي ظريف: تاريخ الدولة المقدونية في العراق، بغداد-1925.
- الأعظمي، علي ظريف، تاريخ الدولة اليونانية والفارسية في العراق القديم، تقديم وتعليق: عزة رفعت، مكتبة الثقافة الدينية، 2001 .
- الأثرم، رجب: دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات قايونس، 1996
- ابن أبي أصيبعة: عون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، بيروت- 1965.

- اوتس، جون: بابل تاريخ مصور، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد- 1990.
- ايفا شترومنغر؛ رولف ستوكي: بلاد ما بين النهرين القديمة، في كتاب حضارة وادي الرافدين سبعة الالف سنة من الفن والحضارة، ترجمة مطر التميمي، بيت الحكمة بغداد-2010.
- أيفانز أ.ج.: هيرودوت، ترجمة أمين سلامة، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة-بدون تاريخ.
- توينبي، ارنولد: بحث في التاريخ، ترجمة طه باقر، بغداد- 1955، ج1.
- توينبي، ارنولد: تاريخ البشرية، ترجمة اتيقولا زيادة، بيروت- 1984.
- توينبي ،ارنولد : تاريخ الحضارة الهيلنية ، ترجمة رمزي جرجس، مراجعة د. صقر خفاجة، القاهرة- 2003.
- باركر، إرنست:النظريات السياسية عند اليونان ،ترجمة لويس أسكندرومحمد سليم سالم ،مؤسسة سجل العرب،القاهرة-1966.
- بارنز، هاري المر: تاريخ الكتابة التاريخية ترجمة محمد عبد الرحمن برج، القاهرة-1984، ج1.
- البابا، محمد زهير:"أثير الحضارتين و اللغتين، اليونانية والسريانية، في العلوم العربية"، مجلة التراث العربي، دمشق العددان 71-72- السنة 18 - تموز "يوليو"1998
- بابلون، ارنست : الآثار الشرقية ، ترجمة:مارون عيسى الخوري ، ط1بيروت -1987.
- باقر ، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط2، بغداد- 1955، ج1.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ط1، بغداد-1956، ج2.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط1بغداد-1973.
- باقر، طه، جولات تاريخية بين مواطن الآثار في شمالي العراق، مجلة المجمع العلمي الكردي، مج3، عدد1، بغداد- 1975.
- باقر، طه: مقدمة في أدب العراق القديم، بغداد- 1976.
- باقر طه: "مفهوم الزمن في حضارة وادي الرافدين وعلاقته بالخلود". آفاق عربية، بغداد - 1977، ع10.
- باقر، طه، تاريخ إيران القديم بالاشتراك مع رشيد، فوزي، الهاشمي، رضا جواد: بغداد - 1980.
- باقر، طه: طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، بغداد - 1980.
- باقر،طه:التدوين التاريخي بدايته وإسهام تراثنا الحضاري في تطويره"، مجلة المجمع العلمي العراقي م31،بغداد-1980
- باقر، طه: ملحمة كلكامش، ط5، بغداد-1986.
- باقر، طه، من تراثنا اللغوي القديم - ما يسمى في العربية بالدخيل، دار الوراق - بغداد، 2010.
- بتري، ا : تاريخ الإغريق وآدابهم وآثارهم، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز ، موصل - 1977.

- البدر، سليمان سعدون:"نظرة في فهم التاريخ"مجلة دراسات تاريخية،العدد 17-18،دمشق-1984.
- برن،اندرو روبرت:تاريخ اليونان ،ترجمة محمد توفيق حسين، بغداد-1989.
- برنهردت، كارلهابنز: لبنان القديم، ترجمة ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة الأولى، 1999
- البستاني، كرم: اساطير شرقية،بيروت -1980.
- بل، أيدرس ه: مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها)، ترجمة عبد الطيف أحمد. علي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت -1973
- بلوطرخوس: العظماء ،عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم ، ترجمة ميخائيل بشارة داود ،تقديم أبو اليسر عبد العظيم فرح، ط2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة-2011،
- بوتيرو، جان: الديانة عند البابلين ترجمة وليد الجادر ، بغداد -1970.
- بوتيرو، جان: بلاد الرفدين (الكتابة-العقل - الالهة) ترجمة الأب البيرابونا ط1، بغداد 1990.
- بورج ،و.ج.دي:تراث العالم القديم،ترجمة زكي سوس،القاهرة-1965.
- بوستغيت، نيكولاس، حضارة العراق وآثاره تاريخ مصور، ترجمة: سمير عبد الرحيم الجلبي، بغداد-1991
- تارون، : الإسكندر الاكبر، ترجمة زكي علي، القاهرة -1963.
- الجبوري، سالم يحيى خلف حسين، بعض الوظائف الإدارية في العصر البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2002.
- الجبوري، عبد الوهاب محمد:اللاسامية في الفكر الصهيوني الجذور التاريخية والأهداف،بغداد-1982.
- الجبوري، علي ياسين: "رسائل طاب- صل- ايشارا حاكم مدينة اشور إلى سرجون الأشوري الثاني ، مجلة اداب الرافدين ، ع36 ، الموصل- 2003.
=- الجابري، علي حسن: الحوار الفلسفي بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان، دار أفاق عربية للصحافة والنشر،بغداد-1985.
- الجابري ، علي حسين : فلسفة التاريخ في الفكر العربي المعاصر (جدلية الاصاله والمعاصره)، بغداد -1993.
- الجادر، وليد: "دور التراث الفني في النهضة الحضارية"، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع22، 1978
- الجادر، وليد: "دور التراث الفني في النهضة الفكرية"مجلة كلية الآداب ،العدد 22، بغداد-1986.
- جمعة، بديع محمد:" العلاقات المصرية الإيرانية في عهد داريوش الكبير 522-486 ق.م "مجلة الشرق الأوسط، ع3، القاهرة -1976

-جميل، فؤاد، "أريان يدون أيام الإسكندر الكبير في العراق"، سومر، عدد21، بغداد، 1965

– الحديثي، نزار عبد اللطيف: العلاقات العربية الفارسية دراسة تاريخية، بغداد–1982.

– الحديثي، قحطان عبد الستار: أرباع خرسان، البصرة، 1990.

– فيليب حتي: لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة، بيروت– 1985.

– حتي، فليب: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين (نيويورك 1951)، ترجمة جورج حداد وعبدالكريم رافق، بيروت– 1958

– حسن، سليم: مصر القديمة، القاهرة – بدون، ج 13.

– حسين الشيخ : اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998.

– حلمي ، كمال الدين أحمد : 3500 عام من عمر إيران، ط1، كويت –1979..

- الحفصي، محمد الأسعد بن أبو بكر، الغزو اليوناني لبلاد الرافدين (331-126 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الموصل، 2003

– الحمد، محمد عبد الحميدالحمد:حضارات طريق الحرير،وزارة الثقافة الهيئة العامة السورية للكتاب،الطبعة الأولى ،دمشق–2007.

– الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ج2، بيروت، بدون. تاريخ.

– الحيالي، رضوان صباح محمد، سقوط نينوى 612ق.م دراسة تحليلية في الأسباب والنتائج، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل،2009.

– الخاتوني، عبد العزيز سلطان إلياس: علاقات العراق القديم ببلاد عيلام حتى سنة 639 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل –1992.

– خياطة ، محمد وحيد : ((من أوركلدان إلى أرض كنعان)) سومر ، م33 ، بغداد –1977

– خلف، علي حسين: الحضارة الكنعانية والتوراة، ط1، بيروت – 1999 .

– دالي، ستيفاني، ماري وكارانا (مدينتان بابليتان قديمتان)، ترجمة كاظم سعد الدين، بغداد 2008

– دندماييف، محمد: " بلاد بابل في العهد الإخميني "، في كتاب العراق القديم دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية ، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفيت، ترجمة سليم طه التكريتي، ط2 ، بغداد – 1986.

– ديرنجر، د.: الكتابة، ترجمة و تعليق عامر سليمان، بغداد–2001.

– ديورانت، ول: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الطبعة الثالثة، القاهرة–1961

– ديورانت، ول:قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ،ترجمة فتح الله محمد المشعشع،مكتبة المعارف، ط1، بيروت–2004.

- دياكوف ،ف؛كوفاليف،س:الحضارات القديمة،ترجمة نسيم واكيم اليازجي،منشورات دار علاء الدين،ط2، دمشق–2006.
- الراضي، ابتهاج عمر:"التأثير العراقي القديم في الأساطير اليونانية والرومانية "مجلة كلية الآداب ،العدد 11، بغداد–1975.
- الرافعي، عبد الرحمن: تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة من فجر التاريخ إلى الفتح العربي، ط1، القاهرة – 1963.
- رستم، أسد: تاريخ اليونان من فليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني، بيروت–1969
- رشيد، فوزي: "العلوم الإنسانية والطبيعية" في موسوعة الموصل الحضارية، ط1، موصل – 1991، ج2.
- روبنص، تشارلس الكسندر روبنصن:أثينا في عهد بيركليس،ترجمو أنيس فريحة،بيروت–1966.
- رو ، جورج: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين، بغداد 1984.
- روثن، مارغريت: تاريخ بابل، ترجمة زينة عازار وميشيل أبي فاضل، ط 1، بيروت– 1975
- روثن، مرغريت : علوم البابليين ، ترجمة يوسف حبي ،بغداد –1980.
- زكي، أحمد كمال : الأساطير دراسة حضاريه مقارنه، 2 (بيروت –1979).
- الزرقي، محسن أحمد عبد الله: العدوان الفارسي على العراق في العصر الإخميني، جامعة الموصل – 1998 .
- زريق، قسطنطين: في معركة الحضارة، ط ع٤، بيروت– 1981
- زيتون ،عادل:"تراث الشرق في حضارة اليونان"مجلة العربي ، العدد 596، الكويت–2008.
- السيد ، رمضان عبده علي : معالم تاريخ مصر القديمة ، القاهرة –1986 .
- العسلي، بسام: الإسكندر الكبير المقدوني(356-323ق.م) ط1، بيروت–1980، ص56.
- العهد القديم
- سارتون، جورج: تاريخ العلم (كمبرج1951) ترجمة نخبة من الباحثين ،ط١،القاهرة 1976.
- سركيسان، "أرض المدينة في بلاد بابل من العهد السلوقي"، في العراق القديم، دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية، بالاشتراك مع مجموعة من علماء السوفيت، ترجمة: سليم طه التكريتي، ط2، بغداد، 1986.
- سركيس، إحسان: الآداب القديمة وعلاقتها بتطور المجتمعات، ط1، دار الطليعة، بيروت–1988.
- السامرائي خليل إبراهيم: دراسات في تاريخ الفكر العربي، مطبعة ابن الاثير، الموصل– 1986
- سليم، أحمد أمين: دراسات في حضارة الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت–1992.
- سليمان، حسين محمد: المدخل إلى دراسة علم التاريخ، الرياض – 1984.

- سليمان، عامر: "النظم المالية والاقتصادية الأصالة والتأثير في العراق في موكب الحضارة"، بغداد- 1988، ج1.
- سليمان، عامر: العراق في التاريخ القديم، 1992.
- سعد ، أحمد صادق . ست دراسات في النمط الآسيوي للإنتاج ، ط1 ،بيروت -1979.
- السواح ، فراس : مغامرةالعقل الاولى ، ط2، بيروت-1981.
- شافية شارن:حضارة مصر الفرعونية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر-2009.
- الشيخ، حسين:دراسات في تاريخ اليونان والرومان ،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-1997.
- الشيخلي، عبد القادر: المدخل إلى تاريخ الحضارات القديمة في العراق القديم، بغداد - 1980.
- شريف، إبراهيم، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، ج2 بغداد (د. ت)
- ضاهر، محمد ضاهر :"الفيلسوف طاليس نشأة الفكر العلمي"،مجلة العربي،العدد 561، الكويت-2005.

الطائي، ابتهال عادل: أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية ، جامعة الموصل -1996 .

- الطائي، ابتهال عادل إبراهيم:"بيروسس أو برعوشا المؤرخ البابلي"مجلة التربية والعلم،العدد 284، الموصل-2001.
- الطائي، ابتهال عادل إبراهيم: "صناعة السفن الفينقية في ضوء منحوتات العصر الآشوري الحديث 911-612 ق.م"بحث مقبول للنشر في المؤتمر الدولي للمخبر البناء الحضاري الموسوم الموانئ الجزائرية عبر العصور،الجزائر-2009.
- الطائي ،ابتهال عادل إبراهيم: " الملح في طقوس ومعتقدات الدينية عند الشعوب العربية"بحث مقبول للنشر في المؤتمر السابع للثقافات الشعبية جامعة فيلاديفيا/ الأردن2101.
- الطائي ،ابتهال عادل إبراهيم: زراعة الزيتون ومعاصره في بلاد الشام أواخر العهد البيزنطي بحث مقبول للنشر في مجلة دراسات تاريخية بيت الحكمة بغداد.
- طاليس، أرسطو:كتاب النفس كتاب النبات،تحقيق موفق فوزي الجبر،ط3،دار الينابيع،دمشق-2007.
- العبادي، مصطفي: مصر من الإسكندر إلى الفتح العربي ، القاهرة -1966.
- العبادي ،مصطفي العبادي: العصر الهلينستي مصر، دار النهضة العربية، بيروت-1988
- عبو،عادل نجم؛ عبد المنعم رشاد: اليونان والرومان دراسة في التاريخ والحضارة ،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ،جامعة الموصل -1993.

- العابد: مفيد رائف: دراسات في تاريخ الإغريق، ط2، منشورات جامعة دمشق –1998،
- علّو،أحمد :"أشهر معارك التاريخ جوجاميلا" مجلة الجيش العدد 299 – أيار2010.
- علي، فاضل عبدالواحد؛ سليمان، عامر: عادات وتقاليد الشعوب القديمة، موصل –1979
- علي، فاضل عبد الواحد: "الأدباء السوريون وأحداث في التاريخ"، مجلة آفاق عربية، ع 9، بغداد 1992.
- علي، فاضل عبد الواحد: "المثقفون في تراث الرافدين القديم"، الموقف الثقافي، ع7، بغداد –1997.
- علي،عبد اللطيف أحمد : التاريخ اليوناني ، مطبعة بيروت ، 1976.
- علي، مهدي محمد: "الأختام الأسطوانية صور إخبارية ابتكرها العراقيون قبل الكتابة" مجلة افاق عربية، بغداد–1986.
- العلي، صالح أحمد: "دراسة العلوم الرياضية ومكانتها في الحضارة الإسلامية" مجلة المورد، مج 3، ع4، بغداد– 1974.
- عصفور، محمد أبو المحاسن: المدن الفينيقية، بيروت– 1981
- عكاشة، علي؛ الناطور؛ شحادة؛ جميل، بيضون: اليونان والرومان، أربد–1991.
- عياد، محمد كامل: تاريخ اليونان، دار النهضة العربية، القاهرة.
- حسن عون: العراق وما توالى عليه من حضارات. ط2، القاهرة –1952.
- عيسى، أحمد :معجم أسماء النبات،ط2، بيروت–1981.
- غانم، محمد الصغير: التوسع الفنيقي في غربي البحر المتوسط، الجزائر، 1979.
- غزالة، هديب حياوي عبد الكريم: الدولة البابلية الحديثة والدور التاريخي للملك نبونائيد في قيادتها، بغداد –1989.
- الفرجاوي، أحمد ا: بحوث حول العلاقات بين الشرق الفنيقي وقرطاجة، المعهد الوطني للتراث،ط1،بنغازي–1993
- فريحة، أنيس: ملاحم وأساطير من أوغاريت، بيروت– 1966.
- فهمي،محمود: تاريخ اليونان، مكتبة ومطبعة الغد، القاهرة –1999.
- فوزي، مكاوي : تاريخ العالم الإغريقي وحضارته، مطبعة الدار البيضاء، 1980 .
- فيزهوفر ،يزف:فارس القديمة ،ترجمة محمد جديد، ط1 بيروت– 2009.
- قاسم، محمود الحاج: "مكتبة الإسكندرية ..نشأتها ...تطورها وحرائقها" مجلة المورد، العددالثاني، المجلدالثالث والثلاثون، بغداد– 2006.
- القاضي، يوسف مصطفى: مناهج البحوث وكتابتها، الرياض – 1979.
- قراعة ، سنية : الرسالات الكبرى ،القاهره –1966.

- كريمر، صموئيل نوح: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، بغداد بدون تاريخ.
- كونتينيو، جورج: الحضارة الفينيقية، ترجمة محمد عبد الهادي شعيرا، القاهرة – بدون تاريخ.
- الكيلاني ،لمياء وسالم الآلوسي:اوائل العرب من القرن التاسع وحتى السادس قبل الميلاد،لندن –1999
- كييرا، أدوارد:كتبوا على الطين، ترجمة محمود الأمين، بغداد–1964.
- لانجر، وليام: موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى زيادة، ط3.
- لوبون ، غوستاف: حضارة بابل واشور –ترجمة محمود خيرت المحامي،ط31، القاهرة– 1974.
- لوفران، جور: تاريخ التجارة، ترجمة هاشم الحسيني، بيروت– بدون تاريخ،
- بن ماتيا،يوسفوس اليهودي (ت100م):تاريخ يوسيفوس اليهودي، دراسة وتقديم شاهين مكاريوس، دار ومكتبة بيبليون، بيروت–2007.
- محمد، حياة إبراهيم: نبوخذ نصر الثاني 604-562 ق.م، بغداد – 1983.
- محمد، جميلة عبد الكريم: قورينائية والفرس الإخمينيون، دار النهضة العربية، ط1 بيروت –1996.
- مصطفى، شاكر: التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، بيروت– 1979، ج1.
- معروف، ناجي: عبد العزيز الدوري: موجز تاريخ الحضارة بالاشتراك مع الدوري، عبد العزيز، عبد العزيز (بغداد، مطبعة المعارف، 1948) .
- مغامس، نجم عبد الله محمد عبد : أحوال العراق إبّان الاحتلال الفرثي (126ق.م – 226م)،رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2011.
- مكي،محمد علي:"العرقية في الشرق الأوسط"،مجلة دراسات في الآداب والعلوم الإنسانية ،العدد 1-2، بيروت–1975.
- منصور، ماجدة حسو : الصلات الآشورية الآرامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد – 1995.
- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، القاهرة – 1955، ج3.
- الملاح ،عبد الآله: تاريخ هيرودت مراجعة : د. أحمد السقاف و د. حمد بن صراي – منشورات : المجمع الثقافي أبو ظبي – عرض وتقديم : الدكتور أكرم محمد عبد كسار – سنة النشر : 2001.
- الملاح، هاشم يحيى: دراسات في فلسفة التاريخ، جامعة الموصل– 1988.
- مهدي، ثامر: من الأسطورة إلى الفلسفة والعلم، ط1، بغداد– 1990.
- مهران،محمد بيومي:المدن الفينيقية تاري لبنان القديم،دار النهضة العربية، بيروت– 1994.

- موريتكات، انطوان: تاريخ الشرق الأدنى القديم (1950)، ترجمة توفيق سليمان، دمشق- 1967
-المولى، جاسم عباس محسن، أحوال العراق إبان الاحتلال السلوقي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الموصل، 2005.
- النشار، مصطفى:من التاريخ إلي فلسفة التاريخ ، قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان، دار قباء الحديثة للنشر والطباعة، القاهرة 2007.
- ناجي، عادل: "الأختام الاسطوانية: في حضارة العراق، بغداد-1985، ج4.
- نصار، حسين: نشأة التدوين التاريخي عند العرب، ط2، بيروت-1980.
- الناصري، سيد أحمد: الإغريق، مطبعة الكتاب الجامعي، القاهرة.
- الناصري، سيد أحمد علي، تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى في العصر الهيليني، القاهرة 1992.
- نصحي، إبراهيم:إنشاء قوريني وشقيقاتها، جامعة قاريونس، ط2، تونس-1979.
- الناظور، شحاذه: المدخل إلى تاريخ الحضارة، وآخرون ط1، الأردن- 1989،
-هرنشو: علم التاريخ،ترجمة وتعليق عبد الحميد العبادي،القاهرة-1937،ص28.
- هامرتن، أ، جون: تاريخ العالم، ترجمة إدارة بوزارة المعارف العمومية، القاهرة- بدون تاريخ.
- هورس، جوزيف: قيمة، التاريخ، ترجمة نسيب وهيبة الخازن، بيروت - بدون تاريخ.
- الواسطي، سلمان داود: "ملحمة كلكامش ودورها الرائد في أدب الملاحم العالمي"آداب المستنصرية، العدد8، بغداد-.1984.
-ويدجري اليان.ج:التاريخ وكيف يفسرونه من كنفوسيشوس،القاهرة-1972.
- يحيى، لطفي عبد الوهاب: أثر العامل الجغرافي في تاريخ أثينا ،مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة-1956.
- يحيى، لطفي عبد الوهاب:اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، بيروت-1979.
- يحيى، لطفي عبد الوهاب: اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، بيروت-1979
- يحيى، لطفي عبد الوهاب: التاريخ اليوناني العصر الهيلادي، بيروت-1979، ج1.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

-Barnett, R. D., "Early Shipping in the Near East "Antiquity ,xxx11,1958.
-Baramki, D. ,PHOENICIANS And Phoenicians, Beriut-1961.
-Betten, F, S. ,The Acient World from the earliest Times to 800A. D (New York-1916)
-Brinkman, J.A.. "Notes On Arameans and Chaldeans In Southern Babylonia In Early Seventh Century B.C.", Orientalia, Vol. 46"No. 2,1977

-Brinkman, J.A. "From Destruction To Resurrection On: The Antecedents of Babylonia's Birth as a World Power In the Seventh B.C.', Sumer, Vol. 21,No. 1-2, 1985
-Bury,j.b.,Ahistory of Greece ,Vol.2,London-1963
-Calilan, W., The Medes &Persians ,London 1965
-Cary, M., life and Thought in the Greek and Roman world, London-1963.
-Cary, G., The Medieval Alexander,Cambridge-1967
-Cruickshank, J. E., The Rise of Western ciritization, Canada, 1965
-Curtis,j From Alexander to Islam, Ancient Persia, British, 2000
-Daniel, D.G., The Medes and Persians, London-1965.
-Drews,R., The Babyloian Chronicles And Berossus "IraqVol.37,No.1-2,1975
-Ehrenbery, V. ,Man State and Deity .London-1976
-Fox, R. L. ,Alexander the Great,Londo-1978.
-Fuller, J. F. C., The General Ship of Alexander theGreat,London-1958.
-Gadd. C. G. "Inscribed Prisms of Sargon II from Nimrud" Iraq vol 16,1954
-Gadd ,C.J., "URin the Arrcheology and old testament study ed .Thomas , W., Oxford -1967
-Gardascia, Les Archires Des Muraune Famiue Dhommes d'affairs Babyloniens Alepague Perse, Paris-1951.
-Gelb, J.J., Landsberger ,B, Oppenheim ,L :The Assyrain Dictionary ,Chicago -1956
-Graves, R., The Greeks MythsVol.1,London-1966.
-Grant, M., The Ancient Mediterrnean, New York.
-Gray, J., Legacy of Canaan, London -1957.
-Ghirshman ,R., Iran ,England -1954.
-Hammond, N , G, L., A History of Greece to322B.C., Oxford-1961.
-Heidel ,A., The Babylonian Genesis ,Chicago -1970.
-Hooke,S.H.,Babylonian And Assyrian Religion oxford -1962.
-Herodotes :The History translated by Harry Carter ,Oxford -1962.
-Kantor, J. ,The Aegean and the Orient in the Second Millenym B.C(1947).
-Kroeber.A.L.,Anthropology,New-York,1948 .
-Labat ,R., Le poeme Babylonien de Creation ,Paris -1967
-Leick. Gwendolyn., who`s who in the Ancient Near East, London, 1999.
-leemans, W. F., :old Baby Lonian Merchant, Leiden-1950.
-Leemans, W.F., "the important of trade", Iraq, Vol. 39K part. 2.,Vol. 39, part. 2. 1977.

-Leick. Gwendolyn., who`s who in the Ancient Near East, London, 1999.

-Livingstone,R.W.,The Legacy of Greece,Oxford-1962.

-Lloyd,S.,Twin Rivers Abrief History of Iraq from the Eerliest Times to the present Day ,Oxford -1961

-Macquen ,G .J.,: Babylon, London-1964.

-MaLamat, A., "Sources for Early Biblical History. The Second Millennium B.C" Orientalia, Vol. 50, fasc.1, 1978

-Mallowan, M., "Cyrus the Great 529-558B.C.", In: Iran, Vol. 10,1972

-Moscati, S., The face of The Ancieut Orient, London- 1960

-Moscati,s The World of Phoenicians London-1968.

-Olmstead,A.T., History of the persian Empire, chicago ,1959

-Oppchheim, A. Leoand others: Assyryan Dictionary, Chicago-1967, I/II.

-Parise, F. ,The Book of Calendars, New Jeresy, 2002

-Raubitschek.A.E.,The Treaties between Persia and At hens"Greek,Roman and Bayzantine Studies .V,1946.

-Rostovtzeff. M. „The social and Economic History of the Hellenistic world, vol. 1,oxford, 1967

-Tran.W.W.,& Gritfith G. T., Hellanistic Civilization ,3rd, London 1952.

-Thomson ,R.C., "The influence of Babylonia "CAH, Vol 3,1965

-Unsted, R.J., & forman, W., The Assgrian, London- 1980.

-sasson, J. M., Asketch of north Syrian Economic Relations In Middle Bronze" JESHO,vol 9,1960

-Sander, N.K., The Sea Peoples Warriors of the Ancient Mediterranean 1250-1150 B.C. London- 1985

-Simo parpola:state archivesof Assyria ,Helsinki-1988,vol.

-Smith, S.,"Sennacherib erib and Esarhaddon" CAH, vol. 3Cambridge -1973

-Starr, C. G., A history of Ancient World,Oxford-1965.

-Stronach, D., "A Chaenenid Village at Susa and Persian Migration to Fars", Iraq, vol. 36,1974..

-SodeN , VoN :Akkadisches Hand worter buch ,1960.

-Weigall, A. ,Alexander theGreat London-`1935.

-Widengren, G., "The Persians"In People of Old Testament Times, Oxford-1975.

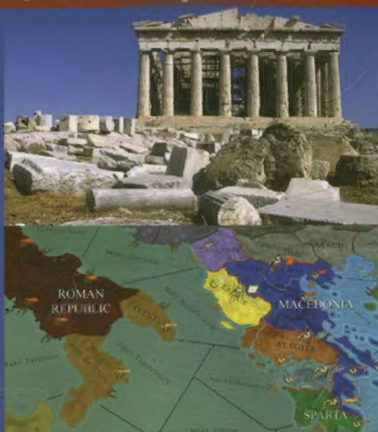
-Wooly, L. History of Mankind, vol. 1,part. 2, London-1963.

-Zadok.R., " On The Connection Between Iran And Babylonia in The Sixth Century B.c.

تاريخ الإغريق

منذ فجر بزوغه

وحتى نهاية عصر الإسكندر المقدوني






ISBN 978-9957-92-046-3
9 789957 920463


دار الفكر
ناشرون وموزعون
www.daralfiker.com